مدد يا ابا القاسم يا رسول الله مدد

اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً بعدد كلّ حرف حرّر في هذا الكتاب وغيره من يوم خلقت الدنيا الى يوم القيمة في كلّ لحظة الف الف الف مرّة

هو المعطي

من من من من من مناعليه المفتقر الى الله مولاه [illegible] حسن الزهري القادري ابن خليل باشا ابن حسين ابن محمد بن سليمان هداه الله سواء الطريق ووفقه للتحقيق وادام صلاته وسلامه على رسوله واماته على كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم سنة ١٢٦٥ ١٩٦ ص

كتاب شرح عجائب القلب وهو الكتاب الاول من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره
الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير ملكه عن المشاور
والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب وكاشف الكروب والصلوة على محمد سيد المرسلين
جامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى اله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين
اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه وتعالى
التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الاخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه
فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند الله
ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم والات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبيد واستخدام
الراعي للرعية والصانع للالة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار
مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب والمعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله
فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله وانما الذي ينتشر على الجوارح
من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش اثاره وظلامه وبتنادره
تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا
عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه
ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم
وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه من مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه
بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوى مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف
يرتفع اخرى الى اعلى العليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد
ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم
اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد
عرفنا في الشطر الاول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر

ووعدنا

ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد
وان يقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه
ثم يندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الان من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال
ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن ادراكه اكثر الافهام
وبالله التوفيق بيان معنى القلب والروح والنفس والعقل وما هو المراد بهذه الاسماء اعلم
ان هذه اربعة اسماء تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعرفة هذه الاسماء واختلاف معانيها
وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الاسماء وباشتراكها بين مسميات مختلفات
ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا الاول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما
اللحم الصنوبري الشكل المودع في جانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك
التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الان شرح شكله وكيفيته فان ذلك يتعلق به الاغراض
الدينية وانما يتعلق به اغراض الاطباء وهذا القلب موجود في البهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا
اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ
تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الادميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب
الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة من الانسان وهو المخاطب
والمطالب والمعاتب ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك
وجه علاقته وان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة
بالالة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه بمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا
في هذا الكتاب الا شرح علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء السر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة
وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها
ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها الثاني لفظ الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما
جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه
في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهي فيضان النور من السراج
يدار به في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان
والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثاله حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه
والاطباء اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا
شرحه اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان واما غرض اطباء الدين المعالجين للقلوب حتى تنساق
الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة
من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسئلونك عن الروح قل

الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته الثالث لفظ النفس وهو ايضا يشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سيأتي بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات الرابع لفظ العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه تعالى قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعقل العلمي وهذه اربعة معان تطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين فاكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس بالقلب وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء فلاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القران والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء فقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري رضي الله عنه القلب بالعرش والصدر بالكرسي

فقال

فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه موضع مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه وهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه وتعالى في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الان نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخر الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخر الملائكة لله عز وجل فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها لربها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن ان يصل القلب الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخرة وهو منزل من منازل الهدى وانما سميت الدنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك وافتقر اعني القلب لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء وخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي الات الشهوات وافتقر لاجل دفع المهلكات ونقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لا تنفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فليقنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما في العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق

وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود
ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش
انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم الان في الجنود الظاهرة
اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما اريد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث
وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق
واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه
فيدرك صورته ما دام في نفسه وهو الخيال ثم يبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر
فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس
المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر
والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة وامكنتها ايضا
باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بطول ومقصودنا في مثل هذا الكتاب
ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب من الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا
تاما فيعيناه على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد
حتى يملكاه ويستعبدانه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو
العلم والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان
بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك
حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون الشهوة
مسخرة للعقل فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلثة امثلة **المثال الاول** ان نقول مثل
نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المدركة كمثل والٍ في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها
ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير
العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب
للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته
منازعة الوزير الناصح في كل تدبير تدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في ساعة فكما ان الوالي في
مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته على ان الصواب
في نقيض رايه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث
واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل
بسببه فكذلك متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت باحديهما على الاخرى
تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب

يهلكاه

والحمية

والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى
افرايت من اتخذ الهه هويه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هويه فمثله كمثل الكلب وقال تعالى لمن اعطى نفسه
مناها ان الجحيم هي الماوى وقال تعالى فيمن نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وسياتي كيفية مجاهدة هذه
الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس **المثال الثاني** ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك
من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس
الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر
ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال
تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه
عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم
انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

المثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه
مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه
ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا من ان ينال ما طلب وانما خرق
الفارس مثال الجهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال غلبة الشهوة خصوصا غلبة شهوة
البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه **بيان خاصية قلب الانسان** اعلم
ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله به على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة
ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر
ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم
بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم
الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة
وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه زائد على ما ادركه الحس فاذا فهمت هذا في
العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامور وطريق الصلاح
فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وغير ارادة
الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها
والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله
العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لضاع العقل على التحقيق فاذا
اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها سائر الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث
ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم للصبي
في حصول هذه العلوم فيه درجتان احديهما ان يشتمل قلبه على الجملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم

بالمحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة
الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلم كحالة الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف
المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر
وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة
بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات
وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادات والمكاشفة
ولبعض القلوب بتعلم واكتساب ثم قد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذه المقام تتباين
منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء ودرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله لا نهاية لها
واقصى الرتب رتبة النبي الذي ينكشف له كل الحقائق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف
الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة
ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه
في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به
ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة وبالنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين
حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم
النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح على انبياء الله واوليائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها وما يمسك وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله تعالى غير مضنون بها على احد
ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله تعالى كما قال عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها
والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورات الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي بيانه والى هذا
الاشارة بقوله عليه السلام ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله حكاية
عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله من تقرب الي شبرا تقربت
اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن المنع والبخل علوا
كبيرا ولكن حجبت بخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني ما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء
فالقلوب المشغولة بغير الله لا يدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون
على قلب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع
العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله وفيه كمال الانسان وفيه كمال سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال
فالبدن مركب النفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك
الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان
تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الفرس والحمار في امور ويفارقهما في امور
هي خاصيته ولاجلها خلق وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله والانسان على رتبته بين البهائم

والملائكة

والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته
وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه
الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق ان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا
الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع الشهوات واللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق
البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب او سنور او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذو روغان
كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق
الوصول الى الله تعالى كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب
وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء
خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة
في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مؤخر الدماغ مجرى
خازنه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع
فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار
يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد الى الخازن وهي القوة الحافظة
ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع
عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه
الجملة واستعملها لكن في مراعاة اعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون
منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره في الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله مضيعا لجنود
الله ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله تعالى من ذلك والى
المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع
ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك واذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي كرم الله وجهه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه تعالى
اصفاها واصلبها ثم فسر ذلك فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى
اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وقال ابي بن كعب معناه مثل نور المؤمن
وقلبه وقوله تعالى او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وقال
سهل مثل الصدر والقلب مثل الكرسي والعرش فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب وامثلته

اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت فيه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات
السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة
والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم والايذاء ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشره
والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال سبحانه وتعالى قل الروح من امر ربي فهو يدعي لنفسه

الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة
العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا
نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من اوصاف الربوبية وفي
الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية
فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط الحيل ووجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر
في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاخلاق الاربعة اي الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية
وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الحرص والشهوة فانه
لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لشرهه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب
العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل الوجود معنى السبعية وهي الضراوة والعدوان والعقر
وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع
يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما
ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه
ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة
الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه
اعتدل الامر فظهر العدل في مملكة البدن واستقام الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرهم قهروه واستخدموه
فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال
اكثر الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم
الحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم واما في اليقظة لرأى نفسه ماثلا
بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير بطلب شيئا من شهواته انبعث
على الفور في خدمته واحضار شهوته اذ رأى نفسه ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه منه وملتمسا مدققا
للفكر في الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانية فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما
على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته ونطقه وسكوته وقيامه
وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان نصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل
الخادم مالكا وصير المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة
والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا
ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير
والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة كلب الغضب
فينتشر منها الى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف
والجراءة وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها

صفة المكر

صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب وامثالها ولو عكس الامر وقهر
الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والحلم والرحمة والشفقة و
والحيا والاحاطة بحقائق الامور ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق
التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله والاستغناء عن عبادة الشهوة والغضب وتيسر له ذلك كله بقهر صفة الشهوة
والغضب واجرائهما على الاعتدال الذي يسري الى القلب من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات
شريفة مثل اجتناب البدعة والعفة والاعتدال والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط
وحسن الهيئة والحيا والظرف والكرم والصدق والمساعدة وامثالها ويحصل من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها
الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والعفو والاحتمال والثبات والنبل و
الشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة وقد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي
واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد في مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى
يتلالأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله عليه السلام من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله
حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة
فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية
محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين الذي قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله تعالى
لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى
فقال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب
عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما
فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من اخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا
من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون
بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع وتاب صقل فان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات
مصقلات للقلب ومعصيته مسودات له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن
ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم يمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد
فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك
قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقد قال الله تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن منه
الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز والفوز الاكبر هو الفوز بلقاء الله تعالى

بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة

اعلم ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع
الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقايق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور
المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة
صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة غير وصورة الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي
ثلثة امور فكذلك ههنا ثلثة امور القلب وحقايق الاشياء وحصول نقش الحقايق في القلب وحضورها فيه فالعالم
عبارة عن القلب الذي فيه يحل حقايق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقايق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال
في المرآة وكما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد
ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم
حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما ان السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا
لعدم وقوع السيف في اليد فان القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم
النار لم يحصل عين النار في القلب ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة اولى لان عين الانسان
لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المرآة لا تنكشف
فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويتشكل ويصقل والثاني لخبثها وصداها
وكدورتها وان كانت تامة الشكل والثالث لكونها معدولا بها عن وجه الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة
والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسبب ذلك ان يحاذي بها شطر
الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان يتجلى فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت
عنها لهذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث
الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته
وتراكمه واليه الاشارة بقوله عليه السلام من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه ابدا اي حصل في قلبه كدورة لا يزول
اثرها ابدا اذ غايته ان يتبع بحسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم يقارف السيئة لازداد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت
السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة
فيه فليس المرآة التي تدنس ثم يمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله والاعراض
عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال
النبي عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم والثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع
الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون
مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التأمل في حضرة الربوبية
والحقايق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقايق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا
فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا من انكشاف جلية
الحق فما ظنك بصرف الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف والرابع الحجاب فان المطيع

القاهر

القاهر للشهوات المتجرد للفكر في حقيقة من الحقايق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه في صبا
الصبي على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف
ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم به قد حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين
المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت
حجابا بينهم وبين درك الحقايق والخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه
ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه
العلماء بطريق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة
التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه
مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل من النتاج من ازدواج الفحل والانثى وذلك اذا وقع بينهما
الملايم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار او بقرة او انسان بل من اصل مخصوص هو الفرس الذكر والانثى
اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم له اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما
العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة
التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه في المرآة فانه ان رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها
شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وبازائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى ولا صورة
القفا فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع
المرآتين حتى ينطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المرآة في المرآة الاخرى التي في مقابلة العين
ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب مما ذكرناه في المرآة
ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقايق
الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقايق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية
والشرف واليه الاشارة بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى
وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها
والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال النبي عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه وقال النبي عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وهذه اشارة الى
بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قيل
يا رسول الله اين الله في الارض او في السماء قال في قلوب المؤمنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني ارضي ولا سمائي ووسعني
قلب عبدي المؤمن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب
فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب
بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلت صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات

والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناهي على الجملة واما عالم الملكوت وهي الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية لها نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناهي ولكنه في نفسه بالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية لها وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت عنه رفعة واحدة يسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيها اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثاني ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام والثالث ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ويتبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا له ثلث درجات الاولى ان يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تتهمه في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وسائر صفاته وبعثة الرسل عليهم السلام وصدقهم فيما جاؤا به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمانوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بابائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الاخرة واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى مطمئنة بما سمعوا من ابائهم لانهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطاء لانهم القي اليهم الخطا والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكنهم القي اليهم كلمة الحق المرتبة الثانية ان يسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من وراء الجدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك اقوى في الدار من تصديقك بمجرد السماع ثم انك اذا قيل لك ان زيدا في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حالة مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة ايضا المرتبة الثالثة ان يدخل الدار فينظر اليه بعينك فيشاهده فهذه هي المعرفة الحقيقة والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية يستحيل معها امكان الخطا نعم وهم ايضا متفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار وفي وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والاخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يتيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقايق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمروا وبكرا وغير ذلك والاخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة القلب

بالاضافة الى العلوم الدنيوية والدينية

بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية

اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع وهو ينقسم الى ضرورية لا يدري من اين حصل وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه عند الصبي مفطورا عليها ولا يدري متى حصلت له ومن اين حصلت اعني انه لا يدري لها سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقها والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله بانواع البر فتقرب اليه انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من الله تعالى فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد في الاعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض عينيه او جن عليه الليل والعلم الحاصل في القلب جار مجرى قوة ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبي الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي به يسطر الله العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في القلب الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيا بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله جعله الله سببا لحصول نقش العلم في قلوب البشر قال الله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه اقلام خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه ليس ذاته من جوهر ولا من عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصيرة الظاهرة صحيحة من هذا الوجه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفرس من عماه الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر ولموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما راى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم حتى يذكر في معرض الامتنان وكذلك سمي ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي اما العلوم الدينية وهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبياء عليهم السلام وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل

هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) فبعضكم مختار للكفر كاسب له حسبما تقتضيه خلقتكم وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه

انكلى موهبه غريزية وخلقية دلائل بالطبع بر طاقمي في اساس ... تربيه سى ... [illegible]

العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور واياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا
بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء
فكذلك امراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظائف الاعمال والعبادات التي ركبتها الانبياء عليهم السلم
لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة
نعوذ بالله من ذلك بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض علوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في
الدين فيتحير وينسل من الدين انسلال الشعر من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات
هيهات وانما مثاله الاعمى الذي دخل دار قوم فعثر باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها
فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وتحيله
على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية والعلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية
كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وافات الاعمال والعلم
بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى يتعمق فيه
قصرت بصيرته عن الاخر ضرورة على الاكثر ولذلك ضرب علي كرم الله وجهه للدنيا والاخرة امثلة ثلثة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق
والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب
والفلسفة جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقائق علوم الاخرة جهالا في الاكثر في علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين
جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اكثر اهل الجنة البله في امور الدنيا
وقال الحسن لقد ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امر الدين جحده اهل
الكياسة في سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في طريق المغرب
كذلك يجري امر الدنيا والاخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الاية
وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا
ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم
ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية فقلوبهم تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها
اما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر انصرفت عن الاخر وقصرت عن الاستكمال فيه **بيان الفرق بين الالهام
والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار** اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية
وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة
تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى
اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل له ومن اين حصل والى ما
يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني
يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به
العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب

واكتفاء بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية صح صح صح

الخمسة

الخمسة التي ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به الى
يوم القيمة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة
يزال باليد وتارة يزول بهبوب ريح تحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتكشف الحجب عن اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور
في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجب بالموت فبه ينكشف الغطاء
وينكشف في اليقظة ايضا قد يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف
واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور ولن يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن
يفارقه في جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولن يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك
المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملئكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون
التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا
الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي
لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم فاذا تولى الله تعالى ذلك من امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر
وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية وليس على
المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه
الله تعالى من الرحمة فان الانبياء والاولياء انكشف لهم الامور وفاض النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا
والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله فمن كان لله تعالى كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك
اولا ان ينقطع علائق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه منها ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية
والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب
ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسيره ولا بكتبة حديث وغيره بل يجتهد ان لا يخطر
بباله شيء سوى الله تعالى ولا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي
الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على الذكر
ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له
لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب
رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة فلا يبقى له الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء
بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس
بعلائق الدنيا وتلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت
وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد
ومنازل اولياء الله تعالى فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت اخلاقهم وخلقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية
وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط واما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضائه الى المقصد

على الندور فانه اكثر احوال الانبيا والاوليا ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا
ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حال فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال النبي عليه السلم
قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها وقال النبي عليه السلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفي
اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقايق العلوم
تشبثت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان تزول والعمر ينقضي دون النجاح في ذلك فكم من صوفي
سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال
بطريق التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي عليه السلم لم يتعلم ولكن
صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق ويقول انا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه
وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراسة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا
فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه
ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك **بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس** **اعلم** ان عجايب القلب خارجة
عن مدركات الحواس لان القلب خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس
ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق اليه الماء من فوقه
بانهار تفتح اليه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض
ويكون ذلك الماء في اسفل الحوض وقد يكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض
والعلم مثل الماء والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان يساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات
حتى يمتلي علما ويمكن ان يسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ودفع طبقات
الحجب عنه حتى ينفجر ينابيع العلم من داخله **فان قلت** فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه **فاعلم** ان هذا من
عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشيا مسطورة في اللوح المحفوظ
بل في قلوب الملئكة المقربين فكما ان المهندس يسطر صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة
فكذلك فاطر السموت والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك
النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته يتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض
ثم يغمض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليهما ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو في نفسه
لوجد صورة السماء والارض في نفسه كانه يشاهدهما وينظر اليهما ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه معرفة
حقايق الاشيا التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والعالم الحاصل في الخيال
موافق للعالم الموجود في نفسه خارج عن خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ
فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع
وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته
في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف

من الحكمة

من الحكمة الالهية اذ جعل حدقة العين على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموت والارض على اتساع اكنافها
ثم يسري من وجوده في الحس الى وجوده في الخيال ثم منه الى وجوده في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم
كله مثال في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجايب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب
والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجايبها فلنرجع الى المقصود **فنقول** القلب يتصور ان يحصل
فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة
من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ
راى الاشيا فيه وانفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل
الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء اذا اجتمع من الانهار في الحوض
منع ذلك من التفجر في الارض وكما ان من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذن للقلب بابان
باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملئكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة
والملك وعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس
فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتامل في عجايب
الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك
الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال النبي عليه السلم سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر
اوزارهم فوردوا القيمة خفافا ثم قال عليه السلم في وصفهم اخبارا عن الله جل جلاله اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي
يعلم احد اي شي اريد ان اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه
الاخبار هو الباب الباطن فاذن الفرق بين علوم الاولياء والانبيا وبين علوم الحكما والعلماء هذا وهو ان علومهم تاتي
من داخل من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكماء ياتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده
بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعاملة فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين اعني عمل الاولياء
وعمل العلماء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلوب واولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب
وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط **وقد حكي** ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن
صناعة النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم جانبا
وارخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل
اهل الصين من غير صبغ وجعلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين ايضا انهم قد فرغوا فتعجب
الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم فكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا
الحجاب فرفعوا فاذا جانبهم يتلالا فيه عجايب الصنايع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمراة المجلوة
لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى
يتلالا فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلماء والحكماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها
في القلب كيف ما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله

رضي الله عنه التراب لا يأكل محل الايمان ويكون وسيلة المقربة له الى الله اما ما حصل من نقش العلم او ما حصل من الصفاء
والاستعداد لقبول نقش العلم فالسعادة لا تحصل الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب
الدرهم غني بالدرهم وصاحب الخزائن المترفة غني وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما يتفاوت درجات
الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله الا بانوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون آخرهم رجل يعطى نوره على ابهام قدميه فيضيء
مرة ويطفى اخرى فاذا اضاء قدم قدمه فيمشي واذا طفي قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم
من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدميه يحبو
على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث
فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح وهذا ايضا في قول القائل
لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم بنوره كنور الشمع وايمان الصديقين
نوره كنور النجوم والقمر وايمان الانبياء كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع اقطارها
ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت
لقلوب العارفين ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع
مثقال وشعيرة وذرة وكل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار ومفهومه ان من
كان ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار
وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خير من الف مثله الا الانسان او المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف الموقن
وانه خير من الف قلب من العوام وقد قال الله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد
المؤمن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد هنا بالذين آمنوا الذين
صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم وهذا يدل على ان اسم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة
وكشف وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة
بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب وقال عليه السلام
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد تتضح
تفاوت اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمته عظيم الغبن والخسران
والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض
من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من بخس حظه من ذلك وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري
فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد
لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

فكل حكمة

فكل حكمة تظهر في القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف وقال النبي عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار
وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه
من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه سؤال النور
فقال اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري حتى قال وفي شعري نورا وبشري ولحمي
ودمي نورا وسئل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح
فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال النبي عليه السلام لابن عباس رضي الله عنهما اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء اسره النبي عليه السلام الينا الا ان يؤتي الله عبدا فهما
في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها
سليمان خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المؤمن ورا ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم
ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر
بنور الله واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن
ما هو فقال هو سر من اسرار الله تعالى يقذفه الله في قلوب احبائه لم يطلع عليه بشرا ولا ملكا وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا
محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات
الخارجة والقرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال الله عز وجل ان في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين وكان ابو يزيد رضي الله عنه وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا انما
العالم الذي ياخذ علمه عن ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى
وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضه بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني
هو الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد الشرع ولو جمع كل ما ورد من الآيات والاخبار
والآثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر اذ ظهر ذلك على الصحابة
رضي الله عنهم والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها انما هما اخواك واختاك وكانت
زوجته حاملا فوضعت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل
اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك
رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت لقيت امرأة في الطريق فنظرت اليها شزرا وتاملت محاسنها
فلما دخلت على عثمان رضي الله عنه قال لي يدخل علي احدكم وآثار الزنا ظاهرة بين عينيه اما علمت ان زنا العينين النظر

تستوين ولا عن دينك فقلت له أو حي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهانا وفراسة صادقة
وعن زر بن حبيش قال سمعت عليا كرم الله وجهه يقول في حديث حدثه لولا اني اخشى ان تتركوا العمل لاخبرتكم بالذي
قضى الله على لسان نبيكم وعن ابي سعيد الخراز رضي الله عنه قال دخلت المسجد الجامع فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت في
سري هذا واشباهه كل على الناس فناداني فقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله تعالى في سري فناداني
فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني فلم اره وقال زكريا بن داوية دخل ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل
الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بي يا ابا العباس
رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى الطافا خفية وعن احمد النقيب قال دخلت على الشبلي رضي الله عنه فقال مبتديا
مفتونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا ببخيل فعاد مني خاطري فقال
بلى انك بخيل فقلت ما فتح الله اليوم علي بشيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب
لموسى الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك فقمت واخذتها وخرجت واذا انا بفقير مكفوف
بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها المزين فقلت انها دنانير فقال اوليس قلنا لك
انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين تعودنا اذا جلس هذا الفقير بين يدينا ان لا ناخذ عليه اجرا فرميت بها الدنانير
في دجلة وقلت ما اعزك احد يعني الدنيا الا اذله الله تعالى وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي
فاعتقدت في نفسي اني اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقني وقد حمل طبقا عليه طعام
فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من عقد اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابرهيم الرقي
قصدته مسلما عليه فصلى صلوة المغرب ولم يقرا الفاتحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلمت خرجت
للطهارة فقصدني سبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض
لضيفاني فتنحى عنه الاسد وحكي من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم
من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية
والحكاية لا ينفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر
احد على جحده امران احدهما عجايب الرؤيا الصادقة فانه تنكشف بها الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا
في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ غايص لا يسمع ولا يبصر
لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القران واذا جاز
ذلك للنبي جاز لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود
شخص يكاشف بالحقايق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبيا وصدق بالرؤيا
الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين باب الى الخارج وهو باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام
والنفث في الروع والوحي واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان تكون المجاهدة
سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجايب تردد القلب بين عالم الشهادة وبين عالم الملكوت واما السبب في انكشاف
الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجايب

القلب

القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها
وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك
عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت الستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهو اشارة
الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلوب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سالت بعض
الابدال عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله
ثم اطرق الى صدره ساعة فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن في مسئلة
عندي علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فقال
فسالته فحدثني بما اجبتك به فاذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله عليه السلام ان في امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم
وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه
وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح
باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك
كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه تنجلي لهم امور صادقة وقال بعض
العلماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هياه الله لهم من الحق وقال اخر لو شئت لقلت ان الله يطلع الخاشعين
على بعض سره

بيان تسليط الشيطان على القلب بالوسوسة ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها

اعلم ان القلب
كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من كل الجوانب ومثل
مراة منصوبة تجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه
مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما
من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب
وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات
الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب
في التغير والتاثر دائما من هذه الاسباب واخص هذه الاثار الحاصلة في القلب الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار
والاذكار واعني به ادراكات وعلوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر
في القلب بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور
المنوي بالبال لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية
والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني
الى ما ينفع في الدار الاخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم
اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث فلا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على
اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه
واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة فكذلك لانوار القلوب وظلماتها سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى

الخير تسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر تسمى شيطانا واللطف الذي تتهيأ به القلب لقبول الهام الملك تسمى توفيقا
والذي تتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة
عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلوم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه الله تعالى وسخره
لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة
في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الله الواحد الحق الخالق للازواج
كلها والقلب متجاذب بين الشيطان وبين الملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد
بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمده ولمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير
فمن وجد ذلك فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وقال الحسن رضي الله عنه
انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو الشيطان فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما
كان من عدوه جاهده وليتجاذب القلب بين هذين الجندين المتطاردين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن فالله تعالى يتعالى ان يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم ومنقسمة بالانامل ولكن روح
الاصابع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعيك لشخصهما بل لفعلهما في التقليب والترديد
كما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل الذي يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب
كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار الملائكة ولقبول اثار الشياطين
صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها
او مخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسليط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان
الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة
ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن
الهوى لاجرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان
قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامر الا بالخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف
الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر
فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف
القلب الى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جنود الملائكة والشياطين في معركة القلب
دائم الى ان ينفتح القلب لاحد الجندين فيستمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين
وقد ملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها
بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح اثر الملائكة وقال
جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به
اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال تعالى ان عبادي ليس لك

عليهم

عليهم سلطان فكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك تسلط الله عليه الشيطان وقال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله
على علم اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله وقال عثمن بن العاص يا رسول الله ان الشيطان حال بيني
وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال
ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان
عن القلب الا ذكر شيء سوى ما يوسوس به لانه اذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله
وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان فذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا
يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله
وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله
خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور
والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث
ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده على وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الادمي
ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري
من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب
من جوانبه قال تعالى اخبارا عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن
شمائلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك
ودين ابائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد
فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر
التي تخطر للمجاهد انه يقتل وينكح نساؤهم وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة
وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك
والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف او ليس بجسم وان كان جسما فكيف
يدخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الان غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثل من دخلت في ثوبه
حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة
عن الشرور قد علمت ودل ذلك على انه عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو لا محالة
فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله تعالى عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال تعالى

ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف في العالمين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر من معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطائف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك عنده وهو في اثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن انه عند الله بمكان وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روى ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له تحت الخير ايضا تلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب الغرور في اخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات الشيطان ومكائده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع على ذلك الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون اى رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اى ينكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات واغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابواب الخواطر الحواس الخمس ظاهرا وابوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة في بيت مظلم يسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم انه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا اخر لها الا الموت اذ لا يتخلص

احد من

احد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فاذن لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره وقال ابن مسعود رضي الله عنه شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور فقلت ولم ذلك فقال تذيبني بكتاب الله تعالى واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة فالعبد فيه مثاله مثال المسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله فيما يهدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا طريقا للمثال الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الادمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها الى الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه فقال الان تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان سالوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه فقال ماتت فاتى اليهم الشيطان انها مدفونة عنده فنبشوه عليها فوجدوها مقتولة فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج واخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فهو الذي قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الان الى حيلته واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه

من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به
فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان وابوابه
صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان ومن ابوابه
العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على شيء اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك للشيء
يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصة فيحسن عند
الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلم لما ركب في البحر وحمل في السفينة من كل
زوجين اثنين كما امر فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم
معي وابدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك
منهن بثلث ولا احدثك باثنين فاوحى الله تعالى الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلث مره فليحدثك بالاثنين فقال ما الاثنتين
قال هما اللتان لا يكذباني هما اللتان لا يخلفاني بهما اهلك الناس الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما
وبالحرص فانه ابيح لادم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل
فاذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي
موسى عليه السلم فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد
ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي
موسى ابليس وقال له قد امرت ان تسجد لقبر ادم عليه السلم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا
ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت الى ربك فاذكرني عند ثلثة لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان روحي في
قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني عند تلقي الزحف فاني اتي ابن ادم حين تلقي الزحف فاذكره ولده
وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امرأة ليست بذات محرم لك فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار بهذا
الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه عن سجوده لادم ميتا هو الحسد وهو من اعظم
مداخله وقال بعض الانبياء عليهم السلم لابليس باي شيء تغلب ابن ادم قال اخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب
فقال له اي اخلاق بني ادم اعون لك قال الحدة فان الانسان اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبي الكرة وقيل ان الشيطان يقول
كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه العظيمة حب التزين
في الثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة
الدنيا وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسعة ابنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب فيستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه
في ذلك فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجر الى البعض فلا يزال يؤديه من شيء الى شيء الى ان يساق اليه اجله فيموت
وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة الشبع
من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان وروي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما
السلم فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بها ابن ادم فقال
فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت ليلة فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من

طعام

طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ويقال في كثرة الاكل ست خصال مذمومة اولها ان يذهب خوف الله
من قلبه والثاني ان يذهب رحمة الخلق من قلبه لانه يظن انهم كلهم شباع والثالث انه يثقل عن الطاعة والرابع انه اذا سمع
كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس انه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس والسادس ان يهيج منه الامراض
ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس فانه اذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التزين والتصنع لمن طمع فيه بانواع الرياء
والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيل التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك
واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روي صفوان بن سليم ان ابليس
تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمك قال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا اخذت وان كان
شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسال احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العجلة وترك التثبت
في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله تعالى وقال عز وجل خلق الانسان من عجل وقال تعالى
وكان الانسان عجولا وقال تعالى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد
التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تامل ومهلة والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان
من حيث لا يدري وروي انه لما ولد عيسى عليه السلم اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال
هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلم قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم
فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة
ولكن ائتوا بني ادم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال من العروض والاثاث
والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد
مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات يحتاج كل شهوة واحدة منها الى مائة دينار فلا يكفيه ما وجد بل
يحتاج الى تسعمائة اخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالان لما وجد مائة ظن انه صار غنيا بها وقد صار محتاجا
الى تسعمائة ليشتري دارا ويعمرها ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي
شيئا اخر يليق به وذلك لا اخر له فيقع في هاوية اخرها عمق جهنم فلا اخر لها سواه قال ثابت لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤوه فقالوا ما ندري فقال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجاء
وقال لقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون
ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا
فهناك نصيب حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه السلم توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه
ورمى به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة
للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده
ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة
والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق
ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القران قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان

يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال
سفيان رحمه الله ليس للشيطان سلاح على الإنسان مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن
بربه ظن السوء ومن أبوابه البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع الأموال والأسواق هي معشش الشياطين وروى أبو
أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيما فاجعل لي
شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا
قال الكذب قال اجعل لي مصائد قال النساء ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم
بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم
صفة مجبولة في طبع الإنسان من الصفات السبعية فإذا خيل الشيطان إليه أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت
حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور ويظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان
فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد
ولو رآه أبو بكر لكان أول أعدائه إذ موالي أبي بكر رضي الله عنه من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته
أن يضع حجرا في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأنى لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا
آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي كرم الله وجهه وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع
رأس الكمين إلى الرسغين فترى الفاسق لابسا ثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي كرم الله وجهه
ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولدا عزيزا لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزق
ثيابه وينتف شعره ويقطعه بالمقاريض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه كيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين
والشرع كان أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من نفوسهم والمتعصبون
لهم الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى إبليس عدو الله وعدو أوليائه
فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا من أن يجروا على لسانهم ذكرهم مع قبح أفعالهم ثم الشيطان يخيل إليهم أن من مات محبا لأبي بكر وعمر
فالنار لا تحوم حوله ويخيل للآخر أنه إذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة
رضي الله عنها وهي بضعة منه اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا وهذا مثال أوردناه في جملة الأهواء وهكذا حكم المتعصبين
للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك
الإمام هو خصمه إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان فما بالك
خالفتني في العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت إلى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل
عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المنابر لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت
في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم
ولم ينبهوهم على مكيدة الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس على ذلك ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا
وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري

بخل

تعصب للمذاهب

بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الأهواء وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب
التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب
والخصومات قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع
فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد ما بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى
واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن أبوابه العظيمة حمل العوام الذين
لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم بذلك في أصل
الدين أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره
يظن أن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله وأشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه
وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأظنهم وأحرصهم على السؤال من العلماء قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول من خلق الله تعالى فإذا وجد
أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر في علاج هذا الوسواس بالبحث
فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم
ويتركوا العلم إلى العلماء فالعامي لو زنا وسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم فإنه من تكلم من غير إتقان العلم في الله وفي دينه
وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب
لا تحصر وإنما قصدنا بما أوردناه المثال ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال تعالى يا أيها الذين آمنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن ومن حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام
بحقوقه أو يتوانى في إكرامه أو ينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض
للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم احترز من ذلك وروى عن علي بن الحسين
أن صفية بنت حيي أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتكفا قالت فأتيته فحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام
يمشي معي فمر به رجلان من الأنصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال إنها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا
فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يدخل عليكما فانظر كيف أشفق على دينهما فحرسهما وكيف أشفق
على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن بي إلا الخير
إعجابا منه بنفسه فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضى بعضهم وبعين
السخط بعضهم كما قيل: وعين الرضى عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء
وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم
أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما يرى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب
والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه
وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فإن قلت
فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فاعلم أن العلاج

حمل الناس على البحث عن ذات الله ولم يتبحروا

سوء ظن

بالاستغفار

ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من هذا الكتاب
بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي شرحه ان شاء الله تعالى نعم اذا قطعت من القلب
اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة
الذكر لا يتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس
لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون خصص ذلك بالمتقين ومثل الشيطان كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم ولا خبز فانه ينزجر
عنك بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام
فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي
القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة
فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى
فاستعذ بالله وسائر الايات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة رضي الله عنه التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر
فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس وشيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك قال انا
مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعا فاذا لبس سمى الله فاظل جائعا واذا شرب سمى فاظل عطشانا فاذا ادهن سمى
فاظل عريانا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد
بن واسع يقول كل يوم بعد صلوة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو
وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا
وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت
قال انا ابليس فقال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة ولا اتعرض لك ابدا قال له ابن واسع والله لا امنعها
ممن ارادها فاصنع ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار
فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ذرأ في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق
الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبئت ان جبريل اتى
النبي صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرأ اية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم لقد اتاني
شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة
سليمان عليه السلام لاصبح طريحا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لان
القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر
كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه الدواء كما ينفع الذي
شرب بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر
اندفع الشيطان عنه كما تندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب الاية

وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه وان ذكر الله بلسانه
وان كنت تقول ان الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء
الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك وصلاتك لله فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك
كيف يتجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا
تذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت والصلوة محك للقلوب فيها
تظهر مساويها ومحاسنها فالصلوة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد
عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى
ثم اردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك كما فر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان
في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين
بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجاب لك فكذلك تذكر الله تعالى ولا يهرب
الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعا قيل لابراهيم بن ادهم ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى ادعوني
استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال ثمان خصال عرفتم الله فلم تقوموا بحقه وقراتم القرآن فلم تعملوا
بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال الله تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة
ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وفرشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم

فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك
في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفته كل البقل من حيث يؤتى به ولا تسال عن البقلة ولكن الذي يتضح
بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه فاما شاهده
بطريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات تدل على اختلاف الاسباب كما
ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس لعنه الله خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم
على شيء من امره فذكر ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فصاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب
ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما
داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون يتظالمون
وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك
في الملائكة كثرة وسنذكر في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك
يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم
باسط يديه فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال يونس بن زياد بلغنا انه يولد
مع ابن آدم من ولد الجن ثم ينشئون معهم وقال جرير بن عبد الله ان آدم عليه السلام لما اهبط قال يا رب هذا العبد

او هو في جميع الى الهيه اسرار خفية سبحانه
عن طريق التسبيح والتفكر استطاعت
مقدار في بيعه ليكن

واليه المصير يعلم ما في السموات والارض
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله
عليم بذات الصدور فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا

وقال تعالى

التي جعلت بيني وبينه عداوة ان لا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال يا رب زدني قال اجزي
بالسيئة سيئة واجزي بالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس يا رب هذا
العبد الذي كرمته علي لا تعينني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم
وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم
الحساب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلثة اصناف صنف كالبهائم قال عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا
يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف كالملئكة في ظل الله يوم لا ظل
الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلم وقال له انصحك قال لا اريد ذلك ولكن اخبرني
عن بني ادم قال هم عندنا ثلثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع
الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن
منه في عناء وتعب واما الصنف الثاني فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا فقد كفونا انفسهم
واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فان قلت كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا
رئي صورة فهل هي صورته على الحقيقة او هو مثال يتمثل به فان كانت صورته الحقيقية فكيف يرى بصورة مختلفة وكيف يرى
في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان
هي حقيقة ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته
الا مرتين وذلك انه صلى الله عليه وسلم ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده على ذلك بحراء فطلع له جبريل فسد الافق
من المشرق الى المغرب وراه مرة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا
وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته
فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر
الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون
في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روي عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سال ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان
من قلب ابن ادم فراى في النوم جسد رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على
منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله عز وجل
خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة فقد راه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت
الجيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد ان تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل
به الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل به عالم الملكوت والشهادة لان احدهما متصل بالاخر وقد
بينا ان القلب وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي ياتي عليه يظهر منه
في الوجه والذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كلها متخيلات الا ان الخيال تارة
تحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث

الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن
سر القلب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح
الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان
المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنازير على انسان خبيث وتدل الشاة في النوم على انسان سليم الجانب
وهكذا جميع ابواب التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان
بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة
والاكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى وهو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته
المكاشف دون من حواليه كالنائم

بيان ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلب وهمه وخواطره وقصوده وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه اخبار واثار متعارضة يلتبس طريق
الجمع بينها الا على سماسرة العلماء وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها
عليه سيئة فان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد
اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت
وفي لفظ اخر اذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله
تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مسؤلا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى فلا تكتموا الشهادة ومن يكتمها
فانه اثم قلبه وقال عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا في هذه المسئلة
لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على
القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر
اليها وهي حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث
حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه
قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا
وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم
قد يكون له مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة
مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت اليها وربما يعوقه عائق
فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول
اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما ايضا لا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان
بقوله عليه السلم عفي عن امتي ما حدثت به انفسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل

فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عثمن بن مظعون حيث قال
يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال مهلا ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا اخصاء امتي
دؤب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا ان رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني
احبه ولو اصبته في كل يوم لاكلته ولو سالت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك
شاور فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي
ان يفعل فهذا مردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما
الرابع فهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة
وامتناعه ومجاهدته لنفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج
الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع وكتبت له حسنة لانه رجح جهده
في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل عائق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب
اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملئكة
رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها
من جراي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة فمات
تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه
فهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت اختيار
العبد فهو ماخوذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فاما فوات المراد بعائق فليس بحسنة
واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل
قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا
ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو
اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل
تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من ظن ان كل ما يجري على القلب يسمى
حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والرياء
والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا اي مما يدخل تحت الاختيار
فلو وقع البصر بغير اختيار على غير محرم لم يؤاخذ بها فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا بها لانه مختار وكذلك خواطر القلب
تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب ثم قال لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حواز القلوب وقال صلى الله عليه وسلم البر ما اطمان
اليه القلب وان افتوك وان افتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئا صار مثابا على فعله بل من ظن

انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر انه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فان تركه ثم تذكر انه كان متطهرا كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته
لم يعص بوطئها وان كانت اجنبية فان ظن انها اجنبية عصى بوطئها وان كانت زوجته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين
في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسئلة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قال
فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت فانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب
اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت
فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم
عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر فيها في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انهما متساوقة وهي كالكرة التي
عليها نقط متفرقة فانها اذا اديرت بسرعة رايت النقط دوائر لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بان الخنس
قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام
تساوقا لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح
عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد
من الوسواس واخبر عنه والوسواس اصناف **الصنف الاول** ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول
للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن اللذات طول العمر المه عظيم فعند هذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه
وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد
ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى
النار فان ايمانه بكتاب الله تعالى يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله ويقول له اي عبد يعرف
الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها علمه وعمله
كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع
من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة **الصنف الثاني** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها
وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في التحريك
ولم يخنس عن اصل التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة
غير غالبة **الصنف الثالث** ان يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلوة مثلا فاذا اقبل على
الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا
جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية
بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا
انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو تاذى به قد
يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذلك المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه

فيغوص فيه فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان كأنه لا يراه وان تجرد
هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله
واليوم الآخر فاذا تاملت جملة من هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص
وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عمرا طويلا بعيد جدا ومحال في الوجود ولو تخلص احد
من وسواس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه نظر الى النضرة اليه ونفض الكم
وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب ولذلك لبسه ثم رماه
فلا ينقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يدعه
الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره انه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير
ذلك من الوسواس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه
وهو محال فالدنيا باب عظيم لوسواس الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان ياتي ابن آدم
من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من قبل النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة يحرم ما ليس بحرام فان ابى
شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلوبهم اليه فيعجب
بنفسه وبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار
والاحوال من الابواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء فتأثر به اصابه من جانب آخر
ما يضاده فيغير وصفه فاذا نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر
جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه ملك آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة يكون بين شيطانين
وتارة بين ملك وشيطان فلا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف
يشاء ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل
القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال صلى الله عليه وسلم مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال صلى الله
عليه وسلم مثل القلب في تقلبه مثل ريشة بارض فلاة يقلبها الريح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله في تقلبها من حيث
لا تهتدي اليه لا يعرفها الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد
بينهما ثلاثة قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت
فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم
بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا
بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير
الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب بالخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما من اعطى

واتقى

واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي
الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء
من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على
القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل
والتفكر والذكر والمحاسبة والمراقبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله
تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة

القلب الثاني

القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس
بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوحة فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه
خاطر الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة
الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى وموافقته فتستولي النفس وتساعد على ذلك فينشرح الصدر
بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل
عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرف القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين
بخوف الآخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان
اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان للتوقف والاستبصار ولو بصره
واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق
الهوى فظهرت المعصية الى عالم الملك والشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى
ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل
سبيلا وبقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات دون بعض كالذي يتورع
عن بعض الاشياء ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه
فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر
او ذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر
فينسى فيه المروءة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وينطفئ منه انوار البصيرة فينطفئ نور الحياء
والمروءة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان

القلب الثالث

قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان
فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير
ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب
فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك
فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك
حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت
ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان فينقلب

علم ثوبه في الصلوة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلوة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال صح

فيحمل الملك على الشيطان حملة ويقول هل يهلك الا من تبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد او تستثقل الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم الصبر على النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارايت لو كنت في يوم صائف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس ام تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك يمتثل النفس الى قول الملك فلا يزال القلب يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب من هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه سابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الآجلة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف بها ارباب القلوب سابق القضاء والقدر فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة واسبابها ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقاء كقوله تعالى ان الله غفور رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقائق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار واهل الجنة فقال تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي بالقشور عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق حقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية ومقنع ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين وصلوته على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلوة على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من بين اساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلم الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق الحسنة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان ومجاورة الرحمن والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة عللها واسبابها ثم الى التشمير في علاجها على الجملة من غير تفصيل واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكيها واهمالها هو المراد بقوله تعالى وقد خاب من دسيها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا تجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقالت الحكماء الخلق الحسن الصالح مجمع المحاسن وعنه تتيسر الخصال المحمودة وصاحبه في ظل ظليل من رضى الله عنه وقال حكيم حسن الخلق ان يتحمل اثقال الخلق ولا يتحمل غيرك ثقلك وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم

مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه
فقال يا رسول الله ما الدين فقال خلق الحسن ثم قال اتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله
فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال يا رسول الله فالتفت اليه فقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل
يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني
قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالط الناس بحسن خلق وسئل صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال حسن الخلق
وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرء وخلقه فتطعمه النار وقال الفضيل بلغنا انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله تعالى الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن
الخلق والسخاء ولما خلق الله تعالى الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص
هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق
خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المؤمنين افضل ايمانا قال احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس
باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن
عبد الله البجلي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرء حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر الدعاء يقول اللهم حسنت خلقي وحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء يقول
اللهم اني اسالك الصحة والعفة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المرء دينه ومروته عقله
وحسبه خلقه وعن ابي اسامة بن زيد بن شريك قال شهدنا الاعاريب يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد
قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من لم يكن فيه وواحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل
او حلم يكف به عن السفيه او خلق حسن يعيش به في الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة اللهم اهدني لاحسن
الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء حسن الخلق
وقال عليه السلام اليمن حسن الخلق وقال عليه السلام لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة
يا رسول الله ارأيت المرأة منا ربما يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا كان
عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك بحسن
الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية اخرى درجة الظمآن في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله تعالى حجاب فجاء حسن
خلقه فادخله على الله عز وجل وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل
وانه لضعيف العبادة وروي ان عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية

اصواتهن على صوته فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب ودخل عمر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر
اضحك الله سنك مم تضحك بابي انت وامي يا رسول الله فقال عليه السلام لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب
فقال عمر فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال اي عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده
ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن
خطيئة تفوح وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم **الاثار** قال ابن لقمن الحكيم لابيه يا ابت
اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانتا اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحياء
قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق
والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني فاذا اجتمعت فيه خمس خصال فهو تقي نقي لله تعالى ولي ومن الشيطان بريء وقال الحسن من ساء
خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل
درك جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة
المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر فكان
يحتمل منه ويداريه فلما ان فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال ابكي رحمة عليه فارقته وخلقه لم يفارقه وقال الجنيد رحمه الله
اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني
التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم
بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات
سئل ابن عباس عن الكرم فقال ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقيكم قيل له ما الحسب قال احسنكم اخلاقا افضلكم
حسبا قيل لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله
الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى الله السالكون اثاره صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق **بيان حقيقة
حسن الخلق وسوء الخلق** اعلم ان الناس قد تكلموا في حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا الحقيقة وانما تعرضوا لثمرته
ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته
المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال
الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم
هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضاء الخلق في السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضا
عن الله تعالى وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه
وقال مرة ان لا تتهم مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفاء بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله
وفيما بينك وبين الخلق وقال علي كرم الله وجهه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال
وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال ابو سعيد الخراز هو ان لا يكون لك همة
الا الله تعالى فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات ايضا وكشف الغطاء

عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخَلق والخُلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخَلق والخُلق
اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخَلق الصورة الظاهرة ويراد بالخُلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك
بالبصر الظاهر ومن روح ونفس يدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالروح المدركة بالبصيرة
اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة اليه اذ قال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فنبه بهذا على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوبة الى الله تعالى والمراد بالروح والنفس في هذا المقام
واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة
بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا وان كانت صادرة عنها الافعال
القبيحة سميت الهيئة التي منها تصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور
لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر منها الافعال بسهولة من غير
تفكر ولا روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور
احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة النفس التي بها تميل الى احد الجانبين
ويتيسر عليها احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل المال او لمانع
وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل المال لباعث او لرياء وليس عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء
بل الى الضدين نسبة واحدة وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء
وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها
تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة
الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن
اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق
وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث
يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال فاذا
اصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك قوة
الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب
والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي
لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثال الغضب مثال كلب صيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه
بحسب الاشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة
يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق
بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اعضاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة
وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي ذلك تهورا

وان مالت

وان مالت الى الضعف والنقصان سمي ذلك جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرها وان مالت الى النقصان
سمي جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان
بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها
والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني
بالحكمة حالة للنفس بها تدرك الصواب من الخطأ في جميع الافعال الاختيارية ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس
الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب
منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول
الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة
الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها تصدر
البله والغمارة والحمق والجنون واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء
والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في طريق الوصول
الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه
الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤدة وامثالها وهي اخلاق محمودة
واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة
والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منها السخاء والحياء والصبر
والمسامحة والقناعة والورع والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه
الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل
للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل
والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب
والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال
هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال والاقوال ومن انفك عن
جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين الرجيم
المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قد قرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال صلى الله عليه وسلم وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع
الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال
وقد وصف الله تعالى الصحابة فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس
الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال هذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت عليه البطالة استثقل المجاهدة والرياضة
والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق
لا يتصور تغييرها وان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر
والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر
على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا
ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة
فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير
لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي
وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش والنفر والكلب من الاكل من الصيد الى التاديب والامساك والفرس من الجماح
الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل
لاختيار الادمي واختياره في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات
وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة قبول الكمال
بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان
يصير نخلا اذا انضافت اليها التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض
الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا
سلاكهما وقهرهما وانقيادهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى
نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة
وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة
فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك تخلق له قوة التمييز
والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب
الاولى هو ان يكون الانسان جاهلا كالغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع
الاعتقادات ولم تستتم ايضا شهوته باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الى تعليم مرشد والى باعث
من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثانية ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء
عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول
اذ تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه اولا من كثرة التعود للفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح
ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالثة ان يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة
وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال
الرابعة ان يكون مع وقوع نشوه على الراي الفاسد وتربيته ومواظبته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك
النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره فهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول

من هؤلاء

من هؤلاء هو جاهل فقط والثاني جاهل وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق فقط والرابع جاهل وضال وفاسق
وشرير واما الخيال الاخر الذي استدلوا به وهو قولهم ان الادمي ما دام حيا فلا ينقطع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر
هذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطائفة حين ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة
خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل
ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي
يوصل الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال
الذي هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب من صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا
وبالجملة فيحتاج ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم
بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب فلو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء
لم ينفكوا عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه
ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ
فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن
وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها وقبض النفس عن الانبساط الى الفواحش
وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل عليه دلالة لا شك فيها والذي تدل على ان
المطلوب الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى
عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا وقال تعالى في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها
ولهذا سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم وقال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم
والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط سلامة القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا
الى المال فلا يكون حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص
على الامساك مصروف القلب اليه وكان الكمال ان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يمكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو اشبه
بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك
السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا
طرفي قصد الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا ويذم
امساك المال راسا ولا يرخص له في شيء من ذلك لانه لو رخص له في ادنى شيء منهما اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه
وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له
ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان
غضبه بحق وان امساكه بحق بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق

يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونهما مطيعين للعقل والشرع وهذا الاعتدال
يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب
بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير معلم ومؤدبا بغير مؤدب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام
وكذا سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فكم من صبي خلق
صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم
والوجه الثاني اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد
مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الاجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه
حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب
على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه متكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وكذا جميع الاخلاق
المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا عنده فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي دون
بذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود جميع العادات الحسنة
ولم تترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة يشتاق معها الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم
بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان
ولا ينال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله تعالى
وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبدوا الله تعالى في الرضا فان لم تستطع فالصبر على ما تكره خير كثير
ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة وكراهة المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي ان يكون كذلك
على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السعادة
فقال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب
اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما يتاكد تاثيرها في القلب
بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله فلا يكون شيء احب اليه
من لقاء الله تعالى ومن بقائه فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه
الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغي ان يستبعد
ان تصير الصلوة قرة عين وتصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك فانا نرى الملوك والمتنعمين
في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان
القمار ربما سلب ماله واخرب بيته وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة طويلة
وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها
وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى تقديمه للصلب وهو
مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه
او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها

من الكمال

من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة
النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه حتى يتباهى به مع المخنثين حتى تجري بين الحجامين والكناسين
من التفاخر والمباهاة كما تجري بين الملوك والعلماء كل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة
ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبائح فكيف لا تستلذ الحق
لو ردت اليه مدة مديدة والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين
وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميلها الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام الشهي
والشراب اللذيذ فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب
الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن ربما انصرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام ولا الشراب
وهما سبب حياتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله
وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي
تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل
صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب
والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق
له الا ان يتعاطاه بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب
هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى
النفس ثم انخفض من النفس الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان
يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا
عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك وكما ان
طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك الطالب لتزكية النفس وتكميلها وتحليتها
بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة
ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فيفوتها فضيلة الفقه
فكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره
في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة
لا يحس باثرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة
وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فله لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك
المعصية فكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا
من يستهين بصغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه فيتعذر عليه التوبة
اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة
وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ولذلك قال علي كرم الله وجهه

ثم لا يزال يواظب عليه حتى تصير له صفة راسخة في نفسه فيصدر منه بالآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا صح صح صح

ان الايمان يبدوا في القلب نقطة فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدوا
في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل العبد النفاق اسود القلب كله فاذا قد عرفت ان
الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم
وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلة
طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له
اسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما
تقتضيه صفته وحالته ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن
الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول
مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضائل والاخلاق الجميلة وجلبها اليها مثال البدن في علاجه
بمحو العلل عنه وكسب الصحة وجلبها اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العلة المغيرة بعوارض الاغذية
والاهوية والاحوال وكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالتعود والتعليم
تكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة
قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون
الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى
[في الهامش: لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى صح]
لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فالبرودة وان كانت
من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض
الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج
الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر عليها لمداواة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت
ومرض القلب والعياذ بالله تعالى عذاب يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد
مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه
فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقيض الذي يعالج به الاخلاق لا بد له من معيار وكما ان معيار الدواء ماخوذ
من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج العليل حتى يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي
ضعيفة ام قوية فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر احواله ثم يعالج بحسبها
فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص
ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين
بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته
من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلوة وظواهر العبادات
وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية فيامره اولا بترك ذلك فاذا تزين بالعبادات الظاهرة ظاهره وطهرت عن المعاصي

الظاهرة

الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه
وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره بان يخرج الى السوق
للكدية والسؤال فان عز الرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره
وعزه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مائلا الى ذلك
فرحا به ملتفتا اليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان
حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرقيقة والسجادات الملونة
لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله
فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة
ان النفس اذا كانت لا تسمح بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل من الخلق المذموم
الى مذموم اخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم وكذلك يرغب الصبي في
المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما اشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك الى الترغيب في الرياسة وطلب
الجاه ثم ينقل من ذلك الى الترغيب في الاخرة وكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينتقل الى جاه اخف منه وكذلك سائر
الصفات وكذلك اذا راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام اولا ثم يكلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة
ويقدمها الى غيره ولا ياكل هو منها حتى تتقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا راه شابا متشوقا الى
النكاح وهو عاجز عن الطول فيامره بالصوم وربما لا تسكن بذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة
على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تتذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادي الارادة انفع من الجوع
وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويامره بخدمة من ساء خلقه
حتى تمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملا من الناس
ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب
فاراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة
بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول الليل
لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة
الجود والرياء بالبذل فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك
سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الان التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد
جمع الله تعالى جميع ذلك في كتابه في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل المهم في المجاهدة
الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر نفسه
ويستمر فانه ان عود نفسه نقض العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه
كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف نفسه بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وفسدت
بذلك الرياضة بالكلية **بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة** اعلم انه كان كل عضو

من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه مع نوع
من الاضطراب فمرض اليدين ان يتعذر عليهما البطش ومرض العينين ان يتعذر عليهما الابصار فكذلك مرض القلب هو ان
يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بمناجاته وايثار
ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل
عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن البهائم ولم يتميز عنها بالقوة على
الاكل والوقاع او بالابصار وغير ذلك بل بالمعرفة للاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذي
جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله تعالى فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه
وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فمن كان عنده شيء هو احب اليه من الله فقلبه مريض كما
ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت شهوتها من الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض
وبهذا تعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفه صاحبه ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك
يغفل عنه فان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه ترك الشهوات وهو نزع الروح من البدن وان وجد من نفسه
قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت
الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل
الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات فهذه علامة اصل المرض فاما علامة عوده
الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فان الداء المهلك المبعد عن الله تعالى فانما علاجه
ببذل المال وانفاقه ولكن قد يبذل المال الى حد يصير مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة بالحرارة
حتى تغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب من البذل الاعتدال بين
التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط من ذلك وفي غاية البعد عن الطرفين فاذا اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل
الذي يوجبه الخلق المذموم فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون
امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك بعد خلق البخل فزد في المواظبة على
البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك
بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك من المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب
فيه امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك ولا الامساك على البذل فكل قلب صار
كذلك فقد جاء الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما
يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع
الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى
على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الاخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن هذا الصراط المستقيم اعني الوسط

حتى لا تميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الاخر الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على
النار وان كان مثل البرق وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة
مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجبت الفاتحة في كل ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال
قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود واخواتها فلم قلت ذلك فقال لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء
السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد
النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه
وليعددها وليشتغل بعلاج كل واحد منها على الترتيب

بيان الطريق التي بها يتعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم يخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه
العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى في عين غيره ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن
اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربع طرق **الاولى** ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الافات
ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيوب
نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده **الثانية** ان يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا
على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليها فهكذا كان يفعل
الاكابر من ائمة الدين وكان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه
قال ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة وان لك حلتين
حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا فقال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول له انت
صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من اثار النفاق فهذا عمر رضي الله عنه على جلالة
قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه
الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا
يخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان
داود الطائي معتزلا عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وما اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة
ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد ال الامر في هذا الزمان الى امثالنا الى ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا
ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوب
احدنا عقربا او حية لتقلدنا منة منه وفرحنا بذلك واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما نكايتها على البدن ولا
يدوم المها الا يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابد الاباد او الافا من السنين
ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليه ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول وانت ايضا تصنع كيت وكيت
وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك
من ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر

من يطلعها على مساويها بمنه وفضله. **الطريق الثالث** ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو من انتفاع بقول اعدائه فان مساويه لابد ان ينتشر على السنتهم. **الطريق الرابع** ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرين الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى بن مريم عليهما السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده

بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب بترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات

اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين امنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القران والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى بن مريم عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل والمهاجر من هجر السوء وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتبع هواها في معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله ويستر وقال سفين الثوري ما عالجت شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول لنفسه يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الاخرة مع العباد تجتهدين فكاني بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس اما تستحين وقال الحسن رضي الله عنه ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وتحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى

البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والاثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتامن من بوائقها في سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل افاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترز من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا ومنعت قلبه الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهب بن منبه ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من احب شهوات فليتهيا للذل ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الي الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فاقبل على نفسه وقال اسمعي فقد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد قال فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد ما دمت في الدنيا لعلي لا احرمه في الاخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا راى شيئا يشتهيه قال للنفس اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على ان لا طريق الى سعادة الاخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوة فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببها ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له في الاخرة بحال ولا خلاص عن ذلك الا بان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس اربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرقت الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة

ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح
فكيف يكون سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج من الحاجة من الدنيا
ايضا وسياتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابرهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة
فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فوجدت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال
وعليك السلام يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك
من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخرة
ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس
فما اطعمتها فاذن لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم تمنع النفس من التنعم بالمباحات فان النفس ان لم تمنع
بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن المهمات حتى تموت منه
شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر الى كل شيء جميل لم
تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذي به يشتهي الحلال هو بعينه الذي يشتهي به الحرام والشهوة واحدة
وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى افات
المباحات ووراء هذه افة عظيمة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالدنيا وتركن اليها وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير
ممتلئة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن
وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع
وقال الله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم الى قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التاثر بذكر
الله واليوم الاخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا ان النجاة في الحزن الدائم
والتباعد عن اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها
حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك
في الدنيا والاخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي
اذا قصد تاديبه ونقله عن توثبه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه يحبس اولا في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام
عن الطيران في جو الهوا وينسى ما كان قد الفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه
الفا اذا دعاه اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها
بالخلوة والعزلة اولا لتحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الانس
بذكر الله تعالى عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي
يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام
الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما بعد يوم وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا
ثم يصير له ذلك طبعا فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويالف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء

تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن الاسترسال الذي الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث
تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتاديبها بان تمنع عن الاشر
والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم انه من احب شيئا
يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه اشتغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل
ذلك يتم بالصبر اياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة الى مدة حيوة الاخرة وما من عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة
في سفر وتعلم صناعة وغير ذلك شهرا ليتنعم به سنة بل دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا
فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف
احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز
في القضاء والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء من ذلك
وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص بالمنع في الدنيا فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمان بها وذلك
مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه
وليترصد لما يبدو له في نفسه من سهو ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع السبب
والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد اخر الا الموت

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي فربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه
وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو
النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك
ليعلم بحسن الخلق فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال تعالى
التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف الى قوله وبشر المؤمنين وقال تعالى انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وكذلك قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات
فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل
على البعض دون البعض فليشتغل الانسان بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه من الخير وقال صلى الله عليه وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال عليه السلام
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق
فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال عليه السلام اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال عليه السلام
من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال عليه السلام لا يحل لمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم
ان يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكرهه وجمع
بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام

كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول كثير الوصول وقوراً صبوراً راضياً شكوراً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً لا لعاناً ولا سباباً ولا نماماً
ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً هشاشاً بشاشاً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله
هذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته في الصلوة والصيام
والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول
بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن امن من كل احد الا الله والمنافق
خائف من كل احد الا الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق
يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق
يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق
الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره فقد دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذباً شديداً وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية
قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال
الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم امر له بعطاء ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه صلى الله
عليه وسلم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وحكي عن ابرهيم بن ادهم رحمه الله
انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد فقال نعم فقال له اين العمران فاشار الى المقبرة فقال
الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك منه فضرب راسه بالسوط فشجه موضحة ورده الى البلد فاستقبله
اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي خبره فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل
يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد فقال انه لم يسالني انت عبد من فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله تعالى
له الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف سالت الله له الجنة فقال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر
ودعي ابو عثمن الحيري الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع ابو عثمن فلما ذهب غير
بعيد جاءه ثانياً فقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فذهب ابو عثمن ثم جاءه الثالثة
حتى عامله بذلك ثلث مرات وابو عثمن لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمن الذي رايت مني
هو خلق الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمن اجتاز يوماً بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل
عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئاً فقيل له الا زجرتهم فقال من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له ان يغضب
وروي ان علي بن موسى الرضا كان يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سوداء اذ كانت في نيسابور على بابه حمام فكان اذا دخل الحمام
فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فاطبق باب الحمام ومر الحمامي في بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع
ثيابه ودخل الحمام فراى علي بن موسى الرضا رضي الله عنه فظن انه بعض خدام الحمام لسواده فقال له قم فاحمل الي الماء فقام علي
بن موسى وامتثل جميع ما كان يامره به فرجع الحمامي فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاه
فلما خرج علي بن موسى وسال عن الحمامي فقيل له انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند
امة وروي ان عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط له المجوسي حمل اليه

دراهم زيوفاً وكان عبد الله ياخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فقضي من القضاء ان عبد الله قام يوماً من
الحانوت لبعض حوائجه فتقدم المجوسي الى تلميذه واسترجع منه ما خاطه ودفع اليه دراهم زيفاً فلما نظر فيه التلميذ رده عليه
فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بئس ما صنعت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة وانا اصبر عليه فآخذ
الدرهم والقيه في البئر كي لا يغر به مسلماً وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك
طلب العثرات وتحسين ما يبدو وامن السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب
نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه
احتمال الاذى وترك المكافاة والعفو للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق
فقال من قيس بن عاصم قيل له وما بلغ من خلقه فقال بينما هو جالس في داره اذ جاءت جارية له بسفود عليه شواء فسقط من
يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك انت حرة لوجه الله تعالى وما رايت من حسن خلقه كان اويس القرني
رضي الله عنه اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة فيقول يا اخوتاه ان كان ولا بد فارموني بالصغار كي لا تدموا ساقي فتمنعوني من
الصلوة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال له ان كان قد بقي في قلبك شيء فقله كي لا يسمعك
بعض سفهاء الحي فيجيبوك وروي ان علياً كرم الله وجهه دعا غلاماً له فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه فقام اليه فرآه
مضطجعاً فقال اما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر
لوجه الله وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي
وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال لاتعلم عليه الحلم فبمصاحبة هذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها
ونقيت عن الغش والغل بواطنها فاثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهذا منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى
به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم وبواطنهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي
ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة
رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون **بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم
وتحسين اخلاقهم** اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من اهم الامور واوكدها والصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة
نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشا
عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم ومؤدب له وان عود الشر واهمل اهمال البهائم شقي وهلك وكان
الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم ناراً ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه
عن نار الاخرة اولى وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم
ولا يحبب اليه الزينة والثياب والرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره
فلا يستعمل في حضانته او رضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحلال فيه البركة واللبن الحاصل
من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الحرام فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ومهما بدا فيه
مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوائل الحياء فاذا كان يستحيي ويحتشم ويترك بعض الافعال فليس ذلك
الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء وهذه هدية

من الله تعالى وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي
لا ينبغي ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان
يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه وياكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام
قبل غيره ولا يحدق النظر الى الطعام ولا الى من ياكل ولا ان يسرع في الاكل وان يمضغ الطعام مضغا جيدا ولا
يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح
عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهايم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح عنده الصبي
المتادب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان
ويحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك من شان النساء والمخنثين وان
الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذم
ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه
ما يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما
لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم ينبغي ان يشغل
في المكتب بتعليم القران وباحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحاديثهم واحوالهم لينغرس حب الصالحين في
قلبه ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من
الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر له من الصبي خلق جميل وفعل محمود
فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة
فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له ان يتصور ان يتجاسر احد على مثله ولا سيما اذا ستره
الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا
فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر
القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبايح ويسقط وقع الكلام من قلبه
وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبايح وينبغي
ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسخف
بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية
فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا
يغلب عليه الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء
مما يملكه والداه او بشيء من مطاعمه او ملابسه او لوحه او دواته ويعود التواضع والاكرام لكل من عاشره
والتلطف في الكلام معهم ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم
ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لوم وخسة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ طمع والطمع مهانة
ومذلة وان ذلك من داب الكلب فانه يبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع

فيها

فيها ويحذر منهما اكثر من التحذير من الحيات والعقارب فان افة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من
افة السموم القاتلة على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبزق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتمطط
ولا يتثاوب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه
بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على
الوقاحة وانه عادة ابناء اللئام ويمنع اليمين راسا صادقا او كاذبا حتى لا يتعودها في الصغر ويمنع ان يبتدئ بالكلام
ويعود ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر سنا منه وان يقوم
لمن فوقه ويوسع له في المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة
من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء واصل تاديب الصبيان الحفظ من قرناء
السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر ان ذلك داب الشجعان
والرجال وان كثرة الصراخ داب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا
يستريح اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه
ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا وينبغي طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه
وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم
ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ان لا يسامح في ترك الصلوة والطهارة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من شهر رمضان
ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الكذب
والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار
هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يتقوى الانسان بها على عبادة الله تعالى وان الدنيا
كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الاخرة دار مقر لا دار ممر وان
الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة حتى تعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان
نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا نافعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش
في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين
والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن قبول التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان
الصبي خلق بجوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه هما اللذان يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل بن عبد الله التستري
رحمه الله كنت ابن ثلث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلوة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما الا تذكر الله
الذي خلقك قلت كيف اذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك
الله معي الله ناظري الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك
ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي
احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت له

حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو بنفسي فبعثوني الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم علي اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وحفظت القران وانا ابن ست سنين او سبع سنين فكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلث عشرة سنة فسالت اهلي ان يبعثوني الى البصرة لاسال عنها فجئت البصرة وسالت علماءها فلم يشف احد عني شيئا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت عنده مدة انتفع بكلامه واتادب باداب ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سبع سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الاخرة بقلبه شاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا لحرث الاخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه خرزة فراى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدا لحرث الاخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله ورسوله وباليوم الاخر ولست اعني بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة فلا يتركها ولا يهون ذلك عليه فاذن من عرف ما طلب هان عليه ما ترك وهذا لا يعرف حقيقة الجوهر ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في بحر هواهم وخطوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم وان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطريق لا محالة فان من تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الاخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليامن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق

اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب المال بان يخرجه

لوازم المريد في اول سلوك الطريقة

شروط المريد في اول سلوك الطريقة

ويخرجه من ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فما دام يبقى له درهم فاضل عن ضرورته يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يدفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب للمذاهب بعقيدة ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما المعصية فهي حجاب فلا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القران وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة غريب القران لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منها الى اسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا واخرا ثم الترقي الى اسرارها واغوارها فاذا قدم المريد هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضا ورفع الحدث وصار صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان لا محالة الى طرقه فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون المريد المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذره وليعلم ان نفعه في خطاء شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى بن مريم عليه السلم يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر تشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلي القلب ويصفيه وينوره وينضاف ذلك الى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها فيتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة قال ابرهيم الخواص رحمه الله اجتمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما

الصمت فانه تسهل العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب وتدبير امر فينبغي ان لا يتكلم
الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر
فلذلك عظمت افته فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى فاما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط
السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود
الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل فيها ليتفجر اسفل الحوض فينفجر منه الماء اللطيف الطاهر
فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حالة اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس
الا عن قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم فيلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء
او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء الرسول صلى الله عليه وسلم
بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن تدفع عنه القواطع
وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا
عقبة على طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب
في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل في اعيان تلك الصفات اسرار العلائق التي قطعها في اول الارادة
واثارها اعني اثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد وان يخلي الباطن
عن اثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب
شخص قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكر ان طريق المجاهدة بمضادة الشهوات ومخالفة الهوى
في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علقة تشغله
الزمه بعد ذلك الذكر على الدوام فيمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون
ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره
ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتا الى غيره من سائر علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر على قلبك من
الجمعة الى الجمعة التي ياتي شيء غير الله تعالى فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يمكن ان يتصور الا مع صدق
الارادة واستيلاء حب الله على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك
الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال
وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله الله او سبحان الله
او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على لسانه من غير تحريك
ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان ويبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف
اللفظ وصورته ويبقى حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب
اذا اشتغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان
يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء
منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس

كلها وورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان
الها ومعبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما
كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك والخواطر منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن
الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما
قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من
فترة او نشاط او التفات الى الدنيا او الى غفلة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره
فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالتفكر لتنبه من نفسه
لحقيقة الحق فينبغي ان يحمله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له به حقيقته وان علم
ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر او دليل قريب من فهمه وينبغي
ان يرفق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال
فاسد لم يقو كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن
تجرد للفكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار وغيرها فانه قد ركب سفينة الخطر
فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز وهو
تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر بالعدول عن ذلك كثير وهذا يجب
على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا باعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال
الظاهرة والاوراد المتواترة ويشغله بخدمة المتجردين للفكر حتى يشمله بركتهم فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال
ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد
المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات
ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه او وقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة
العطشان الذي لا ترويه البحار لو افيضت عليه ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض
الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق قال ان تكون في الدنيا كانك عابر طريق وقال مرة قلت له دلني على عمل اجد
فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي فقال لا تسمع كلامهم فان كلامهم
قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم
فان السكون اليهم هلكة قلت هذا العلة قال يا هذا تنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك
مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذن منتهى الرياضة ان تجد قلبك مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو من غيره
ولا يخلو من غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف
رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا فاذا انكشف للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم
به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فيجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني

وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القران والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب
والاسماع والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق تدعوا
عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من هو احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على
جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه لا محالة عقرب الحسد ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة
عباد الله الى صراطه المستقيم فيعظم فرحه بذلك فيقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي يجب
عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضايعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسده والغافلون
موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا
فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له اوائل الطريق فان ايثار الحيوة
الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور
في الكتب السالفة فقال تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج
الى لقاء الله تعالى اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي بيانه فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات
المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج بها احب الدنيا ولا يتمكن
منها الا بالمال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدين راسا وتمسك من الدين
بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية
كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في افات اللسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب
في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب
في الكبر والعجب وكتاب في بيان مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات ونظائرها وتعليم طريق المعالجة فيها يتم
غرضنا في ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات

والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق

ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانه ياتي في هذه الكتب ان شاء الله

تعالى اخر كتاب رياضة النفس والحمد لله رب العالمين

وصلواته على سيدنا محمد واله

وصحبه اجمعين

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل
فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه

بما يزيد

بما يزيد على مهمات مقاصده بل يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ثم يحييه واذا مرض
فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك
ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به
مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يبيح
عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره
وينتحيه وكيف يحفظ اوامره وينتهي عن نواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده
النبي ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار
من صحابته وتابعيه اما بعد فاعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن فبها اخرج ادم وحواء من دار القرار
الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سواتهما والبطن على التحقيق
ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح
شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع
الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك افة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك
الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة
وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك
سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على
الدنيا واذا عظمت افة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وافاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة
لها والتنبيه على فضائلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله ومنه في فصول
نجمعها وهي بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير
ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم بيان القول في شهوة الفرج
ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد
في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل ملكوت السماء قلب من ملا بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر
عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم البسوا الصوف وكلوا واشربوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة وقال الحسن رضي الله عنه قال عليه السلام افضلكم منزلة
عند الله تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم عند الله تعالى كل نؤم اكول شروب وفي الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم يجوع
من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا
الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما من اجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها

درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء
وقال عليه السلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الحديث الطويل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الجوع اذ قال ان اقرب الناس
من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا هم الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا
تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملئكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا
الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين عليهم السلم واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة
ليس فيها احد منهم لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس يظنون ان بهم
داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا فهم
عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف الاعلى في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة
فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو
وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جايع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين عليهم السلم وتفرح
بقدوم روحك الملئكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء قال عيسى عليه السلم اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم
لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم وروى طاوس عن النبي صلى الله عليه وسلم هكذا ايضا وفي التورية
مكتوب ان الله تعالى يبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود
ان الله يبغض القاري السمين من الشبع وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش
وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ياكل في معاء واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء
اي سبعة اضعاف ما ياكل المؤمن او تكون شهوته سبعة اضعاف شهوة المؤمن ويكون المعاء كناية عن شهوة لان الشهوة
هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذه المعاء وليس المعنى بزيادة عدد معاء المنافق على معاء المؤمن وروى الحسن
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت فكيف نديم
قرع باب الجنة فقال عليه السلم بالجوع والظماء وروي ان ابا جحيفة تجشاء في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلم
اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عائشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما امتلأ شبعا قط وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا
بقدر ما يقوتك فيها ويمنعك من الجوع فيقول عليه السلم يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد
من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي
دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت
عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس رضي الله عنه قال جاءت فاطمة رضي الله عنها
بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة فقالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك منه بهذه الكسرة
فقال عليه السلم اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما اشبع النبي صلى الله عليه وسلم اهله

ثلثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الاخرة وان
ابغض الناس الى الله تعالى المتخمون الملاء وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة واما الآثار فقد قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياك والبطنة فانها ثقل في الحيوة ونتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها
المجاعة وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض
لنفسه اي شيء تخافين اتخافين ان تجوعي لا تخافي ذلك انت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان
كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي يقول اذا اشتد مرضه وجوعه
الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل اؤدي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع
يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جايعا وامسى جايعا وهو عن الله راض
وكان فضيل بن عياض يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي منزلة
نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين
سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التورية مكتوب اتق الله تعالى واذا شبعت فاذكر الجايع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة
من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل بن عبد الله التستري
يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم فضل الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يرى يوم القيمة
عمل بر افضل من ترك فضول الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وكان لم ير للاكياس شيئا انفع من الجوع في
الدنيا والدين وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الآخرة من الاكل وقال وضعت الحكمة والعلم في الجوع وجعلت المعصية والجهل
في الشبع وقال ما عبد الله تعالى بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وجاء في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل
من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سال الله تعالى
ان يجعلها ليلتين واذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ايضا انما صار الابدال ابدالا باخماص البطون والصمت والسهر و
الخلوة وقال راس كل بر بين السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع من الطعام وقال من جوع نفسه انقطعت عنه
الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال فيه احد النجاة
الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذه المياه حتى روي فسلم من المعصية
وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد نفسي قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك
العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الاخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها
وامضها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى ان الله ما صافى احدا الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل
البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلا
كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلثة يحبهم الله رجل قليل النوم قليل الاكل قليل
الراحة وروي ان عيسى بن مريم عليهما السلم مكث يناجي ربه ستين صباحا لم ياكل ولم يخطر بباله الاكل فخطر بباله الخبز فانقطع
عن لذة المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد اظله فقال له عيسى عليه السلم بارك الله فيك
يا ولي الله ادع الله تعالى فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني قال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ

عرفت فلا تعفر لي بل اذا كان حضرني شي اكلته من غير فكر وخاطر وروي ان موسى عليه السلم لما قربه الله تعالى نجيا
كان قد ترك الاكل اربعين يوما ثلثين ثم عشرة على ما ورد به القران لانه امسك بعد ثلثين يوما فزيد عشرة
لاجل ذلك **بيان فوائد الجوع وافات الشبع** لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه فليس
فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربة
نفسه وقطعه لحمه وتناوله للاشياء الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع
به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهته فاخذ يتناول كل ما هو كريه مر المذاق وهو غلط منه بل نفعه في خاصية
في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع انتفع به وان لم
يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم عين المنفعة وعلتها ووجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك
ذلك ان اردت ان ترتقي من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات فنقول في الجوع عشر فوائد **الفائدة الاولى** صفاء القلب وانفاذ القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع
يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه
عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم
والادراك قال ابو سليمن عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال النبي عليه السلم
احيوا قلوبكم بقلة الضحك والشبع وطهروها بالجوع تصفوا وترق وقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب
والحكمة كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي عليه السلم
من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شي زكوة وان زكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رايت
في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى
المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون
ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة فلهذا قال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الاعضاء عن العبادة وقال ابا يزيد البسطامي الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال النبي عليه السلم
نور الحكمة الجوع والمباعد من الله الشبع والقربة الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى
نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح **الفائدة الثانية**
رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيا لادراك لذة المناجات والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع
حضور ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال
فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجات وخلو المعدة هو السبب الاظهر وقال ابو سليمن احلى ما تكون العبادة
الي اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة
المناجات وقال ابو سليمن القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي ونام فاذن تاثر القلب بلذة
المناجات امر وراء ستر الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية **الفائدة الثالثة** الانكسار والذل
وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشي

كما تذل

كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة
طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تاخرت عنها وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزها لا يرى
عزة مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة
والقهر فليكن دائما جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزائنها فقال عليه السلم لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت
واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من
ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان
كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر **الفائدة الرابعة** ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى
اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويتذكر به بلاء الاخرة فيتذكر
من عطشه عطش الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع
ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن
في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في
بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يتكلف من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا احد
الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلم لم تجوع
وفي يدك خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك
يدعوا الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجايع **الفائدة الخامسة**
وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشا المعاصي كلها الشهوات
والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان
يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع وتضميرها فاذا شبعت
قويت وجردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد اما تخاف
على بدنك وقواك فقال لانه سريع المرح فاخشى الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني ولان احمله على الشدائد احب
الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت او هممت بمعصية وقالت عائشة رضي الله عنها
اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا
وهذه ليست فائدة واحدة بل خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى واول ما يندفع بالجوع
شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات اللسان كالغيبة والفحش و
الكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع عن كل ذلك فاذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب
الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى غائلتها وبالجوع يكفى شرها واذا شبع
الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف
بالتقوى فلا يملك فكره فيحضر له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما

عرض لى فى اثناء الصلوة وانما ذكرنا افة اللسان مثالا والا فجميع معاصى الاعضاء السبعة بسببها القوة الحاصلة من الشبع
قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط معه شيا من الشهوات ويأكل بنصف بطنه
رفع الله مؤنة النساء **الفائدة السادسة** دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه
كثر نومه وكذلك كان يقول بعض الشيوخ لاصحابه على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا
كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع راى سبعين صديقا على ان كثرة النوم وفى كثرة النوم ضياع
العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم
موت فتكثيره تنقيص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفى النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد
حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا عن التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء
البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره للتهجد ثم
يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة فى دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها فى الطهارة
وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمن الدارانى الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة
لتعذر الغسل فيه فى كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له **الفائدة السابعة** تيسير
المواظبة له على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى
زمان فى شراء الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة اكله وشربه
والاوقات المصروفة الى هذه الاشياء لو صرفها الى الذكر والمناجات والعبادات لكثرة ربحه وقال سرى السقطى
رايت مع على الجرجانى سويقا يستف منه فقلت له ما دعاك الى هذا قال انى حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف
سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه فى المضغ وكل
نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغى ان يستوفى منه خزانة باقية فى الاخرة لا اخر لها وذلك بصرفه الى ذكر
الله تعالى وطاعته ومن جملة ما يتعذر عليه الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام
الطهارة وصرف اوقات شغله بالاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون
الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمن الدارانى الى ست افات فى الشبع فقال من شبع
دخلت عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه
اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع وثقل على العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين
الجياع يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل **الفائدة الثامنة**
من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة
والعروق ثم المريض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج
الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وتعبات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب عن انواع
من المعاصى واقتحام الشبهات وفى الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكى ان الرشيد جمع اربعة اطباء هندى ورومى

[margin:] بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملة ما يتعذر

وعراق

وعراق وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لا داء فيه فقال الهندى الدواء الذى لا داء فيه
عندى هو الهليلج الاسود وقال الرومى هو حب الرشاد الابيض وقال العراقى هو عندى الماء الحار فقال
السوادى وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخى المعدة
وهذا داء فقالوا ما عندك فقال الدواء الذى لا داء معه عندى ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك وانت
تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اطباء اهل الكتاب قول النبى صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث
شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما فى قلة الطعام احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله
عليه وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد واظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك
وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل وما الادب قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل
الشبع وقال افاضل الاطباء فى ذم الاستكثار انفع ما ادخل الرجل بطنه الرمان واضر ما ادخل معدته
المالح ولان يقلل من المالح خير له من ان يستكثر من الرمان وفى الحديث صوموا تصحوا ففى الصوم الجوع وفى تقليل
الطعام صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفائدة التاسعة** خفة
المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذى تعود بالشبع صار بطنه غريما ملازما له اخذا
بمخنقه فى كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصى او من الحلال فيذل
وربما احتاج الى ان يمد اعين الطمع الى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض
الحكماء انى لاقضى عامة حوائجى بالترك فيكون ذلك اروح لقلبى وقال اخر اذا اردت ان استقرض من
غيرى لشهوة او زيادة استقرضت من نفسى فتركت الشهوة فهو خير غريم وكان ابرهيم بن ادهم رحمه الله يسال
اصحابه عن سعر الماكولات فيقال انها غالية فيقول ارخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله الاكول
مذموم فى ثلثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الافات وان كان ممن يدخل عليه
شئ فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن
والفرج وسبب شهوة الفرج البطن وفى تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهى ابواب النار وفى حسمها فتح
ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى سائر الشهوات
ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الاخرة فيكون من الذين
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة واما المحتاج فتلهيه لا محالة
الفائدة العاشرة ان يتمكن من الايثار والصدقة بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم
القيامة فى ظل صدقته كما ورد الخبر به وما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله
الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن رحمه الله
اذا تلا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التى زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال
لها سبحانه وتعالى هل تحملين هذه الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فقالت لا

ثم عرضها على الارض كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ البوازخ الصلاب فقال لها هل تحملين
الامانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما جهولا
بامري به فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فما صنعوا فيها وسعوا بها دورهم
وضيقوا بها قبورهم سمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان
يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول احدهم ابيعوني كذا وكذا واستوني بكذا وكذا يتكئ على شماله وياكل
من غير ماله خدمته سخرة وماله حرام حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتني بشيء يهضم
طعامي يا لكع اطعاما تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين المسكين اين اليتيم الذي امرك الله
تعالى به وهذه اشارة الى الجهة الثانية وانما يصرف من فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير له من
ان ياكله حتى يتضاعف الوزر عليه نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه
وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركت
اقواما ان كان الرجل منهم ليمشي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله فيقول والله لا اجعل هذا كله لبطني
حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها
فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الاخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة وباب الزهد والشبع مفتاح
الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني الاخبار
ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الايمان والله اعلم بالصواب

باب طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظائف
الاولى ان لا ياكل الا حلالا فان العبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته
من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وبقي ثلث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة
والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها اما الوظيفة
الاولى في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن اعتاد الاكل الكثير فانتقل دفعة واحدة الى القليل لم يحتمله
مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل
رغيفين مثلا واراد ان يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية
وعشرين جزءا او جزءا من ثلثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك
بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس وهذا فيه اربع درجات اقصاها
ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمه الله
اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منهما وهي الحيوة والعقل اكل وافطر
ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى
صلى قاعدا وراى ان صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع قوة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما
كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلث دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الارز وبدرهم سمنا

واخلط

واخلط الجميع واسوي منه بنادق ثلثمائة وستين اكرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف تاكل قال بغير حد
ولا توقيت ويحكى عن بعض الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام **الدرجة الثانية**
ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا ويشبه
ان يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو لقيمات دون العشرة وكان ذلك عادة
عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم **الدرجة الثالثة** ان يردها الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف
وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض
الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس **الدرجة الرابعة** ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا
مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل
الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على
شهوة صادقة بعد ولكن الاغلب ان من لم يقدر لنفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه
ذلك عليه بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب النفس الادم بل تاكل الخبز
وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه او ادما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علاماته ان يبصق
فلا يقع الذباب عليه اي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد
ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة
فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا
اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا
انه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر رضي الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع
من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه شيئا حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا
يوم القيامة واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير
ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح
في اخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم
والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف
والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره
ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن
منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية** في وقت الاكل ومقدار تاخيره
وفيه ايضا اربع درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى
المقدار حتى انتهى الى ثلثين يوما واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني
وعبد الرحمن بن ابرهيم رحيم وابرهيم التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير
وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وابرهيم بن احمد الخواص وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة صح

العنيزة

يطوى ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة ايام وكان ابو الجوزاء يطوى سبعا وكان صاحب ابن عباس
وروى ان الثورى وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخرة
وقال بعض العلما من طوى لله اربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت اى كوشف ببعض الاسرار الالهية
وقد حكى ان بعض اهل هذه الطبقة مر براهب فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه
فى ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبى او صديق فقال
له الصوفى فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم
فجلس لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وازيدك ايضا فطوى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال
ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل ما يبلغها الا مكاشف محمول
شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه فى لذته وانساه جوعه وحاجته **الدرجة الثانية**
ان يطوى يومين الى ثلثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب لكن لا وصول اليه الا بالجد والمجاهدة والتدريج
الثالثة وهى ادناها ان يقتصر فى اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف و
مداومة للشبع حتى لا تكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة فقد روى ابو سعيد الخدرى
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون فى كل يوم اكلة وقال
النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها اياك والسرف فان اكلتين فى كل يوم من السرف واكلة واحدة فى كل يومين
اقتار واكلة فى كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود فى كتاب الله عز وجل ومن اقتصر فى كل يوم على اكلة واحدة فيستحب
له ان ياكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصائم وجوع الليل
للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته
وفى حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابى هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان
ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفى حديث عائشة رضى الله عنها
قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله
عن حضور القلب فى التهجد فالاولى ان يقسم طعامه نصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر
لتسكن النفس ويخف بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد و
بالثانى على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم الفطر وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر
فهذه هى الطريق فى مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه **الوظيفة الثالثة** فى نوع الطعام وترك الادام
واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم
والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الاخرة الامتناع
من الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان فاكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه وقسوة فى قلبه وانسا له بلذات
الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجنا له ومضيقا واذا منع
نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا فاشتهت نفسه الانقلاب

منها

منها فيكون الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا انفسكم
لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من افات الشبع فانها تجرى فى الشهوات
وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك عظم الثواب فى ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر فى تناولها حتى
قال صلى الله عليه وسلم شرار امتى الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او
مرتين لم يعص ومن داوم عليها ايضا فلا يعصى بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتانس بالدنيا وتالف اللذات
وتسعى فى طلبها فيجرها ذلك الى المعاصى فهم شرار الامة لان مخ الطعام يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصى
وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم انواع الطعام
وانواع اللباس ويتشدقون فى الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبر فان ذلك يمنعك
من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك علامة
الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى ان وهب بن منبه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة
فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى لعنه الله وقال الاخر امرت
باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع
عمر رضى الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عنى حسابها فلا عبادة لله تعالى اعظم من مخالفة النفس فى الشهوات
وترك اللذات كما اوردناه فى كتاب رياضة النفس وقد روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما انه كان
مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد فوجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت
وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله
قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدناها اشتريناها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها
اليه ثم قال له هل لك ان تاخذ درهما وتتركها قال نعم فاعطاه درهما واخذها واتى بها فوضعها بين يديه وقال
قد اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سد كلب الجوع
برغيف وكوز من الماء فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار الى ان المقصود رد كلب الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات
الدنيا وبلغ عمر رضى الله عنه ان يزيد بن معوية بن ابى سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه
قد حضر عشاؤه فاعلمنى فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فاتوه بثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء فبسط يزيد
يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن ابى سفيان اطعام بعد طعام والذى نفسى بيده لئن خالفتم
عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروى
ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه فى الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا فى الدار الاخرة
الشواء والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف من حب كان فى الشمس نهاره فتقول له مولاة له يا عتبة لو اعطيتنى
دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد سددت عنى كلب الجوع وروى عن مالك بن دينار
انه بقى اربعين سنة يشتهى لبنا فلم ياكله واهدى اليه رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال

احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمن الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرحه واقبل يبكي و
قال عجلت الى شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي
الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت بالبصرة في السوق فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا
فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة
ولا بسرة وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما نقص مني ولا زاد فيكم
وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي منذ اربعين سنة طعاما فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله تعالى
وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت
تمرا فاليت ان لا تاكلينه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم يوما بالسوق فراى الفاكهة فاشتهاها
فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما
اشتراها واتى بها اليه قال لنفسه قد خدعتيني حتى نظرت واشتهيت وغلبتيني حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث
بها الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن احمد
بن خليفة قال نفسي منذ عشرين سنة ما طلبت مني الا الماء حتى تروى فما ارويتها وروي ان عتبة الغلام
اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي اذا دافعتها سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم وشويتها وتركتها
على رغيف فلقيت صبيا فقلت الست ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى قال فناولته اياها قالوا واقبل يبكي ويقرا
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهي تمرا سنين ثم اشترى تمرا بقيراط
ورفعه الى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى اظلمت الدنيا ففزع الناس فاقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراتي
عليك وشرائي التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا بذنبك علي ان لا تذوقيه واشترى داود الطائي
بنصف فلس بقلا وبفلس خلا واقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامة ثم لم
ياكل بعده الا قفارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من نفسه منزلة ما اعرفها
من نفسي فقال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم
وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه لا ابكى الله عينك على التمر فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق
عزمه في الترك واذا ترك شيئا لم يعاوده وقال جعفر بن نصر امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فلما اشتريته
اخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه ثم القاها واقبل يبكي ثم قال احمله فقلت له في ذلك قال هتف في قلبي
هاتف اما تستحي تركته من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد
علي كرامتي فقال افعل ما تريد فبعثت اليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل وقلت لا تبرح حتى يشربها
فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي
فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها
فلم اقدر كلما اردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الاية قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا
في واد وانت في واد وقال السري السقطي نفسي منذ ثلثين سنة تطالبني ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها

وقال ابو بكر الجلاء اعرف رجلا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها
فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة وروي ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب
اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف
الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي
الارض والرياح والارض والبهائم وبني ادم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدير
الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل عليه السلام يكيل الماء من خزائن
الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض واخرهم
الخباز وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسالته عن الزهد اي شيء هو فقال
اي شيء سمعت فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت واي شيء تقول انت فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما
يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فاتى عبد
الرحمن الطبيب يساله عن شيء يوافقه من الماكولات فقال تسالني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال صف لي حتى اسمع
قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيذباجة فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين يقوم
مقامه قال لا قال انا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل قال اتعرف شيئا اقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا
قال انا اعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامي قال فتعرف شيئا اقل ثمنا من الاسفيذباجة يقوم مقامها قال لا قال انا
اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناها فقال له عبد الرحمن انت اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت بهذا ان هؤلاء
كيف امتنعوا من كل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات لانهم
كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضروريات حتى قال ابو
سليمن الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل
عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي ان لا يواظب
على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه وان المداومة على اللحم لها ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان
جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الاكل
لتنشط للجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه بذلك لكن ليصل او
يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو
قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القران عقيب كل اكلة فقد كان
سفين الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومهما
اشتهى شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا تكون تفكها
لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة نظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدا بالتمر فان قامت
كفايتك به والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهي
الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان

سفيذباج

٢

ورد بقول الشيخ الجارو كرم ع

الكتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمه الله
ما تاتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال النفس من الشهوات
في المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيمة اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الاخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة
نازعتني نفسي خبزا وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي عشرين سنة قال فلما مات راه بعضهم في
المنام فقال ما فعل الله بك قال لا احسن ان اصف ما لقاني به من النعم والكرامات وكان اول شيء استقبلني به سمكا
وخبزا وقال كل اليوم شهوتك هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا
قد اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من الشهوات للعبد خير من صيام سنة وقيامها
وفقنا الله تعالى لما يرضيه بمحمد واله وصحبه اجمعين

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف احوال الناس فيه

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الامور والاخلاق الوسط اذ
ان خير الامور اوساطها وكلا طرفي قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه
مطلوب وهيهات فمن اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء
الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان و
العالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون
الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه
لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء
على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى
عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع
بل ينسى بطنه فلا يوثر اصلا فيه فان المقصود من الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة والم
الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملئكة فانهم مقدسون
عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد
الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال الطلب للادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى
الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة
وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط
لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة
بالنملة والملئكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملئكة في الخلاص
فكان اشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاحوال والاخلاق
المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا
تسرفوا ومهما لم يحس بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل

مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحة متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط
فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب
وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها ولاجل هذا السر يامر الشيخ
مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وهو لا يمتنع منها لانه قد فرغ من
تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان الاغلب على النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة كان الاصلح
لها الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك ايضا الى الاعتدال وانما
يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم
واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان
بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الاغلب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته
فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على
تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص وليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية
عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول
هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وكان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت
الصوم ثم ياكل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صائم فقالت له عائشة رضي الله عنها قد اهدي لنا حيس
فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات
منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن مدة ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلث دراهم في
ثلث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك هذا فقال اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت انما اكل
كثيرا بل اني لا اقدر بمقدار واحد ما اكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيب الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشرا
لا ياكل مثل هذا فقال ان اخي بشرا قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت
واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه زبدا
وعسلا وخبزا حواريا فقال يا ابا اسحق بهذا كله قال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال
واصلح مرة طعاما كثيرا ودعا اليه نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون
هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي اخذ العلم من السماع والنقل تقليدا
يرى هذا من ابرهيم بن ادهم ويسمع عن مالك بن دينار انه قال ما دخل بيتي الملح منذ عشرين سنة وعن السقطي
انه منذ اربعين سنة تشتهي نفسه جزرة في دبس فما فعل فيراه متناقضا فيتحير ويقطع بان احدهما مخطئ والبصير
باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط
او غبي مغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اطوع من نفس سري السقطي
ومالك بن دينار وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول ما نفسي باعصى علي من نفس معروف

الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير فما اكول فانا انا ضيف في دار مولاي فمالي وللاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وتوقيره او في ماله وجاهه بتطريفة واحدة قامت القيمة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر في مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة العادة والهوى بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل عبادة كما يكون امتناعه بنية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره فينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه بذلك بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الاناء في يده ويقول اشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه الاسرار لا يجوز للشيخ ان يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل مستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ لم يامره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك والله اعلم

بيان افة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات او قلل الطعام

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات افتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات احداهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكله مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل هل تعلم به باسا قال ياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذه افة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بشهوات واحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين فقال سبحانه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره للكفر كفرا اخر لانه استخف بنظر الله تعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحى الكفر عن ظاهره وما اثبت في باطنه والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء وكمال العارف ان يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا للمنزلة من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وانما يقصد به التلبيس لحاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوش حاله فنهاية الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين وهذا الزاهد قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه فلا جرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا

وهذا ايضا هي طريق من يعطي جهرا فيا خذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه فلا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاكتم اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه اهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه في معرض اصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده وان تارك للشهوات **الافة الثانية** ان يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح ان يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوات اكد من كسر شهوة الطعام فلياكل فهو اولى قال ابو سليمن اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة ونغصت عليها اذ لم تعطها سؤلها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان هي اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء اضر من شهوة الطعام

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احداهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والامها اعظم الام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق **الفائدة الثانية** بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الافات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تنضبط وتقهر وترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال عليه السلام النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا اذ اقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك فقال له موسى من انت فقال انا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف قلوب بني ادم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله تعالى عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني ادم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي

في ما هي فنصف جند الشهوة ونصف جنده الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط
واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجواري فيحرم من سلوك طريق الآخرة او يقهر
الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش حتى ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوى شهواتهم
على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلي
بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان
شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الم يريد الانسان الخلاص منه فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روي
في غريب الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه
صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة
لهذا لا للتنعم والامر الثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع
وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منه حتى اعتقد
ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا بشخص معين حتى يزداد
ذلا وعبودية حتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق
الا افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا
استحكم عسر دفعه فكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد وحتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه
الامور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق في اول
انبعاثه مثال من يصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها
ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما في اواخرها
فلا يقبل العلاج الا بجهد جهيد يكاد يؤدي الى نزع الروح فاذا افراط الشهوة ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم
جدا وتفريطها بالعنة وبالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع
في انقباضها وانبساطها ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن
لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم ان المريد في ابتداء
امره لا ينبغي ان يشغل قلبه ونفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن
انس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا
عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رايت مريدا
تزوج فثبت على حاله الاول وقيل له مرة ما احوجك الى امرأة تانس بها فقال لا انسني الله بها انه لا انس بها يمنع الانس
بالله تعالى وقال ايضا كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم فكيف يقاس غيره برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى منه في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه
فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على عائشة احيانا ويقول كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظم ما هو فيه لقصور طاقة
قالبه فقد كان طبعه الانس بالله عز وجل وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم انه كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم

فاذا ضاق

فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذه الامور فهو مغرور
لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العزبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة هذا اذا
لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر
على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ فكره
ويتفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على القرب الى الكبيرة الفاحشة
وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه وقال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع
في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليهما السلام
يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل
يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا يخطي يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم
من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة
اضر على الرجال من النساء وقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقال عليه السلام لكل ابن ادم حظ من الزنا فالعينان تزنيان
وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم او يتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه
وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا
اليس باعمى لا يبصرنا فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم
والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وان قدر على
حفظ عينه على الزنا ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فلو مال قلبه الى امرأة امكنه
الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك
التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل
وجوه الصبيان مكشوفة فاقول لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة
خضراء ويابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها ازهارها وانوارها وبين شجرة تساقطت اوراقها فانه يميل
الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل
الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة
فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات
الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك
الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال بعض التابعين ما انا باخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام امرد يجلس اليه
وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجليه يريد الشهوة كان لوطيا وعن بعض السلف قال سيكون في
هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا افة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما
عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع وقال بعضهم
غلبتني شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه

فقال تقدم الي فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت
معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فاتاني شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجده واضرب عنقك قلت
نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني
ذلك واشد منه فرايت كان شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال
فتزوجت فانقطع عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما
في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق والواجبات كما فصلناه في كتاب النكاح
فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية كان له منها
خمس خصال المغالاة في المهر وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة فاذا اراد طلاقها لم يقدر حرصا على مالها والفقيرة
بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه
باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الارادة في دوام النكاح الخلق تزوج بعض المريدين بامراة فلم يزل يخدمها
حتى استحيت المراة وشكت ذلك الى ابيها وقالت قد تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط
الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب زفافها اصابها الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا
من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد اصابه رمد ثم اراهم ان بصره قد ذهب حتى زفت اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة
ثم توفيت ففتح عينيه حينئذ فقيل له في ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له لقد سبقت اخوانك بهذا
الخلق وتزوج بعض الصوفية امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر
عليها فيتاذى بها فاذا تزوج المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك
الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمن الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين الف درهم في كل يوم ثم كتب
الى اهل البصرة وعلمائها في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد
فان الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين الف درهم في كل يوم وليس تمضي الايام والليالي حتى تتم مائة الف وانا اصيرك لك مثلها
ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها
تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا
مالك وصم الدهر وليكن فطورك الموت واما انا فلو ان الله تعالى خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله
طرفة عين وهذا اشارة الى كل من اشتغل عن الله فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزبة فهو اقرب وان عجز
عن ذلك فالنكاح اولى به ودواء هذه العلة ثلث الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه
الثلث فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال
سعيد بن المسيب ما ايس ابليس من احد الا واتاه من قبل النساء وقال وهو ابن اربع وثمانون سنة وقد ذهبت احدى عينيه
وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف عندي من النساء وعن عبد الله بن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب
ففقدني اياما فلما اتيته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال هلا اخبرتنا فشهدناها ثم قال اردت
ان قوم هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثة فقال انا فقلت وتفعل قال

تنقيح

نعم

نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت
الى منزلي وجعلت افكر ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت فاسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لافطر وكان
خبزا وزيتا واذا بابي يقرع فقلت من هذا فقال سعيد قال ففكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين
سنة الا بين داره والمسجد قال فخرجت اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد لو ارسلت الي لاتيتك
قال لا انت احق ان تؤتى قلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك
واذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى
القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤوني وقالوا ما شانك
قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة قالوا او سعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار
قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام قال فاقمت
ثلثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واحفظهم لكتاب الله واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج
قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان بعد الشهر اتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلم ولم يكلمني حتى تفرق
الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان اي ابنته قلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك امر
فدونك والعصا فانصرفت الى المنزل فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمن وكان عبد الملك بن مروان قد
خطبها منه لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط
في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غاية الشهوة ووجوب
المبادرة الى تطفئة نارها بالنكاح رضي الله عنه ورحمه الله تعالى

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوة هي اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى
منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها بالعجز او خوف او الحياء او المحافظة على حشمة وليس في شيء من
ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر فهذه العوائق فائدة وهي دفع
الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله عز وجل مع القدرة
وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولاجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم
من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال عليه السلم سبعة يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا
دعته امراة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلم وامتناعه من زليخا مع
القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه
الشهوة العظيمة فقد روي ان سليمن بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها
وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمن فرايت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلم وكاني اقول له انت يوسف
قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمن الذي لم تهم واشار الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
وعنه ما هو اعجب من هذا وذلك انه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة
وانطلق الى السوق ليبتاع شيئا وجلس سليمن في الخيمة فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فانحدرت اليه فلما رات

جمال وجه جاءت حتى وقفت بين يديه وكانت من احسن الناس وجها واورعهم فكشفت عن وجهها البرقع كانها فلقة قمر فقالت انها
تريد طعاما فقام الى فاضل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الشيطان
الي ثم وضع راسه بين ركبتيه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصاعت راجعة
حتى بلغت اهلها وجاء رفيقه وراه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله
الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او نحوها فلم يزل به حتى اخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي
بكاء شديدا فقال له سليمن وانت فما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا
يبكيان فلما انتهى سليمن الى مكة فسعى وطاف اتى الحجر الاسود فاحتبى بثوبه فاخذته عينه فنام فاذا رجل وسيم طوال له
شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمن رحمك الله من انت قال له انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك
وشان امراة العزيز لشانا عجيبا فقال يوسف عليه السلام شانك وشان صاحبة الابواء اعجب وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من
الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك تعلم
انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا ولدا فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما
فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او ولدا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون
عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا
لا يستطيعون منه الخروج وقال الاخر اللهم انك تعلم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت مني
حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها
فقالت اتق الله يا عبد الله لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها وانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت
الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم
لا يستطيعون الخروج منها فقال الثالث اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت له اجره حتى
كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله هات اجري فقلت كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق اجرك فقال يا عبد الله
لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله واستاقه ولم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن
من قضاء شهوة العين فان النظر مبدا الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والافات كلها تنشا
منه والنظرة الاولى اذا لم يقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد
لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما
تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر في نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر واستحسن ثارت
الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ وتالم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما المه فلا يخلو في كلتا الحالتين
عن معصية وعن تالم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الافات وان اخطات عينه وحفظ الفرج مع التمكن
فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق وروي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها

اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله فقال انت تخافينه
وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فساله فقال ما لك قال العطش
قال تعال حتى ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل صالح فادعو انت قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن
هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي
دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب من الذنب كمن لا ذنب له
وان التائب من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد
لازم لمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت
به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم
اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال
فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك
ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في مثل هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا
عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله
في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة
واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك
وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارض
والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو
الامم لصولة الجبار العظيم واني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي
الكلوم الممرضة والاسقام المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصدي على صدق المسئلة فاني متشاغل عنك بقوله وانذرهم
يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين
المهرب من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما راها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لكي لا يراها فقالت
يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء كثيرا وقالت اسال الله الذي بيده مفاتيح
قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها
اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت
بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها
بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها من نفسك فيقول اني قد ذبحت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطيعتها
ذخيرة لي عند الله تعالى وانا استحيي من الله عز وجل ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده ٠٠ اخر كتاب كسر الشهوتين والحمد لله
رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين ٠٠

كتاب افات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠ الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله

والهمه نور الايمان فزينه به وجمله، وعلمه البيان فقدمه به وفضله، وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله، ثم ارسل عليه سترا من رحمته فارسله، ثم امده بلسان يترجم عما حواه القلب ويعقله، ويكشف عنه ستره الذي ارسله، فاطلق بالحمد مقوله، وافصح بالشكر عما اولاه وخوله، من علم حصله ونطق سهله، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله اكرمه وبجله، ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله، واي فضله ودين سهله، صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ومن قبله، ما كبره عبد الله وهلله

اما بعد فان اللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فانه صغير جرمه، وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان، ثم انه ما من موجود ومعدوم، خالق او مخلوق متخيل او معلوم، مظنون او موهوم، الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي، فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل فلا شيء الا والعلم متناول له، وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء، فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور، والاذن لا تصل الى غير الاصوات، واليد لا تصل الى غير الاجسام، وكذا سائر الاعضاء، واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى ولا حد وله في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار، ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم، ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والاخرة، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله، وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير، واعصى الاعضاء على الانسان اللسان، فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه، وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، والحذر من مصائده وحبائله، وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان، ونحن بتوفيق الله تعالى وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان، ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها، ونعرف طريق الاحتراز منها، ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها، فنذكر اولا فضل الصمت، ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني، ثم آفة فضول الكلام، ثم آفة الخوض في الباطل، ثم آفة المراء والمجادلة، ثم آفة الخصومة، ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه، وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة، ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان، ثم آفة اللعن اما لحيوان او لجماد او لانسان، ثم آفة الغناء والشعر، وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده، ثم آفة المزاح، ثم آفة السخرية والاستهزاء، ثم آفة افشاء السر، ثم آفة الوعد الكاذب، ثم آفة الكذب في القول واليمين وغوائله، ثم بيان ما رخص من الكذب، ثم بيان الحذر من الكذب بالمعاريض، ثم بيان آفة الغيبة، ثم بيان معنى الغيبة وحدها، ثم بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان، ثم بيان الاسباب الباعثة على الغيبة، ثم بيان العلاج الذي يمنع اللسان من الغيبة، ثم بيان تحريم الغيبة بالقلب، ثم بيان الاعذار المرخصة في الغيبة، ثم بيان كفارة الغيبة، ثم آفة النميمة وما يجب ردها، ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه، ثم آفة بيان ما على الممدوح، ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين، ثم آفة السؤال اعني سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة، وهي تمام الآفات وما يتعلق بذلك، وجملتها عشرون آفة

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره الا بالصمت، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا، وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله، اي حكمة وحزم، وروى عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسأل عنه احدا بعدك، فقال قل آمنت بالله ثم استقم

قلت

قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه، وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك، وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة، وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي، والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان، فهذه الشهوات الثلث بها يهلك اكثر الخلق، ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما عرفنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله عز وجل وحسن الخلق، وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الاجوفان الفم والفرج، فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله، ويحتمل ان يكون البطن لانه منفذه، وقال معاذ قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول قال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم، وقال سفيان عن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه وقال هذا، وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه، وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوائقه، وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت، وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تستكفي اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا، وروي ان عمر رضي الله عنه اطلع على ابي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا اوردني الموارد، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته، وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم او انصت تسلم من قبل ان تندم، فقيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شيء تقوله او شيء سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه، وقال ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه، ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره، وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه، وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق، وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت، وقال الحسن ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم، وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير، وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب، وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير، وقال صلى الله عليه وسلم اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان، وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ على ما يقول، وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة، وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل، وقال صلى الله عليه وسلم ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه، وقال عيسى عليه السلام العبادة

عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه
كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به **واما الآثار** فقد كان الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع
بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شيء
احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان ارسلته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون
عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز
اما بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وقال بعضهم الصمت
يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على
الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله
وقال الحسن تكلموا عند معاوية والاحنف ساكت فقالوا مالك لا تتكلم يا ابا بحر فقال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت
وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربعة ملوك على ذم الكلام ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت
ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر انا اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم
ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان المنصور بن المعتمر لم
يتكلم بعد عشاء الآخرة اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا نقيا
وقلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة
آفات اللسان من الخطا والكذب والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض
في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل على اللسان ولها
حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب فان
ذلك من غوامض العلم كما سياتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام
الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر
ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي المنفعة بالضرر واما الذي لا منفعة فيه
ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان فهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقي ربع
وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون
الانسان فيه مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال
من صمت نجا فلقد اوتي والله جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات
وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان وهي عشرون آفة ونبتدئ باخفها ونترقى
الى الاغلظ منها قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول **الآفة الاولى الكلام فيما لا**
يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمراء والنفاق وغيره وتتكلم
فيما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع زمانك ومحاسب

على عمل

على عمل لسانك وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند
الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز
فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر
حيث فاته الربح العظيم بذكر الله فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجدنا على بطنه صخرة مربوطة من الجوع
فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع
ما لا يضره وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب
فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتالية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا
يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انه انما تتهنا الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهنا الجنة
مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب
رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك فقالوا اخبرنا
باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك
ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك
ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان
الحليم يغلبك بصمته وان السفيه يؤذيك بنطقه واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه عما تحب ان يعفيك عنه
واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك فقال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني
وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي
الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم
من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيك ان تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر
في حال ولا مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته
من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت
في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب
لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسال غيرك
عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال
عنه آفة واكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسال غيرك مثلا عن عبادته فتقول له هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه
الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا
اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او للكذب او للاستحقار او للتعب

في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه وكل ما يستحيي منه وسؤالك عما حدث به
غيرك فتقول له ماذا يقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحى
وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت انت السبب وكذلك تسأل عن مسئلة لا حاجة بك اليها والمسؤل ربما لا تسمح نفسه بان يقول
لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم ما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي
ان لقمن الحكيم دخل على داود عليه السلم وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه
ولم يسأله فلما فرغ قام داود عليه السلم فلبسها ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال
فاستغنى عن السؤال وقيل كان تردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يسأله فهذا وامثاله من الاسئولة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك
ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما
لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت
بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان انفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة يقدر ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران
مبين هذا علاجه من حيث العلم [واما علاجه من حيث العمل] فالعزلة وان يضع حصاة في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه
وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا **الآفة الثانية فضول الكلام** وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني
على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة
فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن ابي رباح ان من كان
قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او امرا بمعروف
او نهيا عن منكر او تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم انه لو نشرت عليه صحيفته التي املى صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر
دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة من ان
يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك واعلم
ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل
المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت
والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم
الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود رضي الله عنه
انذركم فضول الكلام بحسب احدكم ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا
وكذا فيكتب عليه كذبة وقال الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فاعمل ما شئت واكثر
واقلل وروي ان سليمن بن داود عليهما السلم بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه بانه مر
على السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز رأسه فسأله سليمن عليه السلم عن ذلك فقال عجبت من الملئكة على رؤوس الناس
ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابرهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك

والفاجر

والفاجر انما يرسل لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه
وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من باب فقال شفتاي واسناني فقال
اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية اخرى انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل
لسان وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت
وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه
فلا يتكلم فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة
سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في خلتين فضول المال وفضول الكلام فيما لا يعني
فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني **الآفة الثالثة الخوض في الباطل**
وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة
واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه
نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه
باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان تحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها الا بالاقتصار على ما يعني
من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع من الكلمات ما تهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ بها ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان
الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ بها ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال فكان علقمة يقول
كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها
ابعد من الثريا وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفا وان الرجل ليتكلم
بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه
الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر
الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله تعالى وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلسهم فيقول توضؤوا
فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض
في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية دعت الى ذكرها ويدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع
والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في باطل
الآفة الرابعة المراء والمجادلة وذلك منهي عنه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده
موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق
بنى الله له بيتا في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدل
وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ست من كن فيه فقد بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف
وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصائب واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق

وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر
التنقل وقال مسلم بن يسار إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله تعالى إلا
بالجدل وقال مالك بن أنس ليس هذا الجدال من الدين في شيء وقال أيضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا
تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت أخي في
رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي إلى السلطان وقال سفيان صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من
العيش وقال ابن أبي ليلى لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه وقال أبو الدرداء كفى بك إثما أن لا تزال مماريا وقال صلى الله عليه وسلم
تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلث ولا تتركه لثلث لا تتعلم العلم لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا
تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلم من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته
ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تفارق أخا لك عن قلى فقال لأني لا أشاريه ولا
أماريه وما ورد في ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصى وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى
وإما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض فكل كلام سمعته فإن كان حقا فصدق به وإن كان باطلا ولم يكن متعلقا بأمور
الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة والعربية أو من جهة النظم
والترتيب بسوء تقديم وتأخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان فكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله
وأما في المعنى بأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من كذا وكذا وأما في قصده مثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق
وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت
عنه أو السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة أو التلطف في التعريف لا في معرض الطعن وأما المجادلة فعبارة عن
قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها
عند المجادل يحب أن يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به
لو سكت وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار الفضل والتهجم على الغير بإظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما
إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو
من مقتضى طبع السبعية فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما المراء
والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك
المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينقض كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح في قائله بكل ما يقدر
فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في إفحامه
وإلجامه وأما علاجه فهو أن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر
وكتاب ذم الغضب فإن علاج كل علة بإماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر
الصبر عنه روي أن أبا حنيفة قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء فقال لأجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال
ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منه وهو كما قال لأن من يسمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه
الصبر عنه جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك

في المذاهب والعقائد فإن المراء طبع فإذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي
للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق المجادلة فإن المجادلة تخيل إليه أنه حيلة
منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فإذا
عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه
قال هشام بن عروة كان عليه السلم يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببها عزا وقبولا
قويت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا إذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه
الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها وهي أيضا مذمومة **الآفة الخامسة** الخصومة وهي أيضا مذمومة وهي وراء المراء
والجدال فالمراء طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن أمر
يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا
والمراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبغض الرجال إلى الله
عز وجل الألد الخصم وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى
ينزع وقال بعضهم إياكم والخصومة فإنها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبيد الله بن أبي بكرة
فقال ما يجلسك ها هنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي يدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله ما رأيت شيئا أذهب
للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من خصومة قال فقمت لأرجع فقال لي خصمي ما لك قلت لا أخاصمك قال عرفت
أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فإني لا أطلب منك شيئا هو لك فإن قلت إذا كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه
أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير
علم مثل وكيل القاضي فإنه قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم من غير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكن
لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج
إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال
وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدي عناده وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا أبالي فهذا مقصوده اللدد
والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا أما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاجة على الحاجة ومن غير
قصد عناد وإيذاء ففعله ليس بحرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة
توغر الصدر وتهيج الغضب وإذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته
ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا
يبقى الأمر على حد الواجب والخصومة مبدأ كل شر وكذا الجدل والمراء فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان
والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته فيسلم عن الإثم ولا تذم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا
عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام
وما ورد عليه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما
تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم

من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا
ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وصلى بالليل والناس
نيام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال اعبر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا
صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه
طليق ولسان لين وقال بعض الحكماء الكلام كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب
المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب ويضاده الخصومة والمراء
واللجاج والجدال فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر **الآفة السادسة** التقعر
في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك
من التصنع المذموم والتكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم
ان ابغضكم الي وابعدكم مني يوم القيمة مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا
هلك المتنطعون ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمرو بن
سعد الى ابيه سعد يسال حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلا بالسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام
من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك
تكلف السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح
ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء
على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير
افراط واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات
التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة
والتميز بالبراعة فكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الآفة السابعة** الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهي عنه ومذموم
ومصدره الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ان يسب قتلى بدر من المشركين فقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله
عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال
صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور فذكر منهم رجلا
يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها
كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال عليه السلام الحياء والعي من الايمان والبذاء والبيان
شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ان يكون ايضا المبالغة في الايضاح حتى

ينتهي

ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وصفات الله فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة في بيانه
اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه
ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيى الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي امامي
فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن الناس اسلاما احسنهم اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة
يحشر الفاحش المتفحش يوم القيمة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوأ الداء اللسان البذي والخلق الدني
فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما
يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها
بالرموز بذكر ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس رضي الله عنه ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول
والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات
متفاوتة في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات
يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من لفظ التغوط والخراءة وغيرهما فان هذا ايضا
مما يخفى وكل ما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك
كذا بل يقال قيل في الحجرة او قيل من وراء الستر او قالت ام الاولاد كذا فالتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضي الى الفحش وكذلك
من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه
فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج تحت ابطه خراج
فقلنا نسأله ما نقول فقلنا من اين خرج قال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق
واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك
فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا من خلق الله قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حمار قلت يا رسول الله
الرجل من قومي يسبني وهو دوني فهل علي باس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم المستبان
ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب
والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب الرجل فيسب الاخر اباه
الآفة الثامنة اللعن اما لحيوان او جماد او انسان وذلك مذموم قال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم
وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امرأة
من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك
الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد وقال ابو الدرداء ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عائشة رضي الله عنها
قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر لعانين وصديقين كلا ورب الكعبة
وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر رضي الله عنه يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود
وقال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد
من الله تعالى وذلك غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين
وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا عظيما لانه حكم على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع
رسول الله اذا اطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحد ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف
الاعم كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض وعلى الزناة والظلمة واكلة الربا وكل ذلك
جائز ولكن في لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامض فما لم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع عنه العوام لان ذلك يستدعي
المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا الثالث اللعن على الشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق
او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هولاء ماتوا على الكفر
وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف
يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه
اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال الكفر وهو في نفسه كفر بل
الجائز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر لان الاحوال تتقلب
على الاعيان الا من اعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش
اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عن ذلك اذ روي انه كان
يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم
ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جازت لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان فيه اذى على مسلم
لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام
من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال رسول الله لعمرو اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال
يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للاباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية
لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففي لعن الاشخاص خطر فليجتنب
ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل فهل يجوز لعنة يزيد لكونه قاتل الحسين عليه السلام او امر به قلنا هذا لم
يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال
قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بكبيرة او بفسق او بكفر من غير تحقيق
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم
ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او
غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد
قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال ايضا عليه السلام لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء وقال ايضا عليه السلام

لانه كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول هذا قبر رجل صح

ايها

ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري فلا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان
يقال قاتل الحسين لعنه الله او الامر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد
التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة
ولا ينتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة
واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس الموصوفين باوصافهم
دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكي بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي
بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي
يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان تخرج لعن الله فلانا وقال رجل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله تعالى كل طعان لعان وقال بعضهم عن النبي صلى الله
عليه وسلم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا الحديث لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا
فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم
كقوله لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده
فضلة يوم القيمة **الآفة التاسعة** الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر
فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان
يمتلئ شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء
من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مكروه
قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر ولو لم يكن في كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر
ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع
منه قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت قالت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك
يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عائشة ابو كبير الهذلي قلت يقول
ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل قالت فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام الي وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك ولما قسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الغنائم امر للعباس بن مرداس بخمسين من الابل ولعيينة بن حصن ويقال ابن بدر وللاقرع بن حابس بمائة من الابل فانبعث
العباس بن مرداس يشكو في شعر له وفي اخره وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في المجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن
تضع اليوم لا يرفع فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب ابو بكر رضي الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقول الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني كدبيب النمل ثم يقرضني

باربع قلائص

كأنه يقرض الشعر فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين **الآفة العاشرة**
المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة فيها ايذاء
لان فيها تكذيبا للاخ والصديق وتجهيلا واما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او
المداومة عليه اما المداومة عليه فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك
وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان
يضحك الناس كيف كان وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه
من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل
ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رئي
ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط اقام الحسن ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد
الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن ابي يعلى
يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد
وكذا اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير اليه هو اعجب منه فهذه آفة
الضحك والمذموم ان يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع منه الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال القاسم مولى معوية اقبل اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليسال
تنفر به فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلث مرات ثم وقصته فقتلته فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه
فهلك فقال نعم وافواهكم ملاء من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر
قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ
عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث
حسن من حديث الرجال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقيل لكل شيء بذر
وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبة للنهى ومقطعة للاصدقاء فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
فكيف ينهى عنه فاقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا
تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه
ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن لعائشة رضي الله عنها في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهذا خطا اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير
صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم
فلا اقول الا حقا وقال عطاء ان رجلا سال ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان مزاحه فقال
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلا كذيل العروس

وروي

وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من افكه الناس وروي انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
عليه السلام لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وقال
زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال من هو أهو الذي بعينه
بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وبعينه بياض اراد به البياض المحيط
بالحدقة وجاءت امراة اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال صلى الله عليه وسلم بل نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به انه لا يحملني فقال صلى الله
عليه وسلم وهل من بعير الا وهو ابن بعير فكان يمزح بها وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيهم فيقول
يا ابا عمير ما فعل النغير لنغر كان يلعب به وهو ولد العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز
وذلك انه جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا جارية وقد بعثني ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت وسعى على اثري فلم يدركني وقالت عائشة رضي الله
عنها سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عائشة رضي الله عنها كان عندي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت خزيرة وجئت بها فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك
فقالت ما انا بذائقته فاخذت من الصحفة شيئا فلطخت وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروي ان
الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ان عندي امرأتين احسن من هذه الحميراء افلا
انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال بل انا احسن واكرم فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤال عائشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن
بن علي رضي الله عنهما فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن رجلا قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال
صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة عنه صلى الله عليه وسلم مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله
عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب مرة وبه رمد وقدامه تمر اتاكل التمر وانت رمد فقال
انما اكل بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى
نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك افر
منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك
فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت بعد ذلك افر منه حتى لحقني وهو على حمار
وجعل رجليه في شق واحد فقال ابا عبد الله اما ترك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر
الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم
فيضربه بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه
يحب الله ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول هذا اهديته لك فاذا
جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تهده

النغير نغر

فيقول يا رسول الله والله لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح
مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب **الآفة الحادية عشر** السخرية والاستهزاء
وهذا محرم مهما كان مؤذيا قال تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ومعنى السخرية
الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء
واذا كان بحضرة المستهزا به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضي الله عنها حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الصغيرة التبسم
بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس
يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا
اتاه اغلق دونه فلا يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه
قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة
وربما فرح بان يسخر به كانت السخرية له من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتاذى به المستهزا به لما فيه من التحقير
والتهاون وذلك تارة يجري بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على
صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا بعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها والمذموم منها **الآفة
الثانية عشر** افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي امانة وقال صلى الله عليه وسلم مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك
ويروى ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا ابت ان امير المؤمنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك
قال فلا تحدث به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابت وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه قال لا والله
يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطا فافشاء السر
خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم واذا لم يكن فيه اضرار فقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب اداب الصحبة **الآفة الثالثة عشر**
الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال الوأي مثل الدين او افضل والوأي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه
اسمعيل عليه السلام فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره
ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق و
اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدته ان اتيه بها في مكانه ذلك فنسيت
يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلث انتظرك وقيل لابرهيم الرجل يواعد الرجل
الميعاد فلا يجيء قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجيء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى
وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر

فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفي فهذا هو النفاق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان
صلى وصام وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال صلى الله عليه وسلم اربع
من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر
واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء فعن له عذر
منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته
ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان
خادما فاتي بثلثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب منه خادما وهي تقول الا
ترى اثر الرحى بيدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم فاثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له
مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنايم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من
الناس فقال ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضاينة وراعيها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هي لك وقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف عليه السلام كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها
موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة وقيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فقيل اشح من صاحب
الثمانين والراعي وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ اخر اذا وعد الرجل اخاه ومن نيته ان يفي
فلم يجد فلا اثم عليه **الآفة الرابعة عشر** الكذب في القول واليمين وهو من قبايح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل
بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب
من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي
بني عليه النفاق الكذب وقال صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت له كاذب وقال ابن مسعود قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة
ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما
فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكذب ينقص الرزق وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله
اليس قد احل الله البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله يوم
القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها
مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يحبهم الله تعالى رجل كان في فئة
فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان
مع قوم في سفر او سرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة
يشنؤهم الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به
القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رايت كان رجلا جاءني فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والاخر جالس
بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الاخر فيمده فاذا مده رجع

لاخر كما فتحت للدنيا فاهوما مما ق اهنا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق
وحصن فرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك
كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله
تعال اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو افاء الله علي نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكيا الا انبئكم باكبر
الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة
فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال
اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اؤتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر رضي الله عنه بالجابية
فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين
ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال من حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع
بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله تعالى يوم القيمة وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال
صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع المؤمن او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضي الله عنها ما كان من خلق اشد
على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذبة فما تنحل من صدره
حتى يعلم انه قد احدث لله عز وجل منها توبة وقال موسى عليه السلم يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني
فرجه وقال لقمن لابنه يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الصدق اربع
اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكا فقال عليكم بالصدق فانه مع البر
وهما في الجنة وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد وبذل السلم وخفض الجناح

واما الاثار فقال علي كرم الله وجهه اعظم الخطايا اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما كذبت
كذبة منذ شددت علي ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا
اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال جلست اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت
الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال
الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما اتركه انفة وقيل لخالد
بن صبيح من يكذب كذبة واحدة فيسمى كذابا قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان
صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقراضين من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب
حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت فقال ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

بيان ما رخص فيه من الكذب

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد
المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب بتحصيل ذلك الجهل فيكون
ماذونا فيه وربما كان واجبا وقال ميمون بن مهران ان الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ارايت لو ان رجلا سعى خلف انسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فانتهى
اليك فقال ارايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود
محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ومهما كان لا
يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب والكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز منه ما امكن لانه اذا فتح
على نفسه باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الواجب ومقدار الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة
والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول
القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا
وقالت اسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وروي عن ابي
كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان وقد سمعته يحسن عليك الثناء
ولقيت الاخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس
ولو تعني بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب على اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك
ويروى ان ابن ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوجهن فطارت له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها
فلما علم بذلك قال لعبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله
قالت نعم فقال لابن ارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر رضي الله عنه فقال انكم لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن فاسال ابن الارقم فسأله فاخبره
فارسل الى امرأة ابن ابي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني اول من تاب وراجع امر الله
انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت
التي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم
تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب يكتب على صاحبه لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين
الرجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما او دفع عنه ضررا وقال علي كرم الله وجهه اذا
حدثتكم بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة
فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه
ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكره او ياخذه السلطان فيساله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت وما شربت
وقال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى وذلك ان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى فللرجل ان يحفظ
دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين الضرات من نسائه
بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه من صاحبتها او كانت امراته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر
الى انسان بالكذب وكان لا يطيب قلبه الا بالكذب في انكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه
المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع

من الكذب فهذا الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى
الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة كانت الحاجة له فيستحب ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما
اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه
ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت
امراة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال المتشبع بما
لم يعط كلابس ثوبي زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لم يطعم وقال لي وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة
ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ورواية الحديث الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف
من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد وتخويف كان ذلك
مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه
لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح
فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض
جدا والحزم في تركه الا ان يكون واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو ادى الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع
الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطا محض اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي
متعمدا فليتبوا مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة ههنا اذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الايات
والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض
التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره
اصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما ان في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك
عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض
ولا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال التعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال ما
رفعت جنبي منذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت
من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت امراته ما
جئت بما ياتي به العمال الى اهلهم ولم يكن جاء بشيء فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ابي
بكر رضي الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر رضي الله عنه فلما سمع عمر ذلك دعا معاذا
وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه واعطاه شيئا فقال ارضها به وقوله ضاغطا يعني
ربه عز وجل وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابرهيم اذا طلبه في
الدار من يكرهه قال للجارية قولي له اطلبه في المسجد وكان لا يقول لها قولي ليس ههنا كي لا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو
يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي اصبعك فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا
تعريض للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت

وعلى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المؤمنين فكنت اقول جزى الله امير المؤمنين خيرا فقال لي ابي يا بني اتق الكذب واياك والكذب
وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف
كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل العجوز الجنة وقوله للاخرى في عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير وما اشبهه
فاما الكذب الصريح كما فعل نعيمان الانصاري مع عثمان رضي الله عنه في قصة الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقاء
بتغريرهم بان امراة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدي الى ايذاء قلب الغير فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبة فلا يوصف صاحبها
بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكمل المؤمن الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب
الكذب في مزاحه واما قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم
او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت العادة به في المبالغة كقوله قلت لك كذا مائة مرة فانه لا يراد به تفهيم
المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم تبلغ مائة مرة وبينهما
درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به ان يقال للانسان كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك
منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة رضي الله عنها في الليلة التي هيأتها
وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب منه ثم ناوله عائشة رضي الله عنها
قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلنا
لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا قال ان الكذب يكتب حتى تكتب الكذيبة
كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج
عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب وهو يقول لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركها
انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني له فانكبت عليه فقالت كيف انت
يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى
عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان من اعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم تريا او يقول علي ما لم اقل وقال صلى الله عليه وسلم من كذب في حلمه
كلف يوم القيمة ان يعقد بين شعيرتين **الآفة الخامسة عشر** الغيبة والنظر فيها طويل فلنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد
الشرع وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة
لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على اقوام يخمشون وجوههم باظفارهم
فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليم بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت علمني خيرا ينفعني الله به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر
فلا تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من امن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا
تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته

فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز من الكذب ما امكنه وكذلك مهما

واوحى الله الى موسى عليه السلم من مات تائبا من الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى اذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجي فيقول يا رسول الله
ظللت صائما فائذن لي لافطر فياذن له ثم الرجل ثم الرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهل بيتي ظلتا صائمتين وانهما تستحيان
ان ياتياك فائذن لهما فليفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا
صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال والذي
نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا
ان تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ايتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحديهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملات القدح
وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا
تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة
من ست وثلثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما
وما يعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الاخر فكان لا يستنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل
كسرة فغرست على قبر فقال صلى الله عليه وسلم اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله
ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال
ويرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة رضي الله عنه من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب الله اليه لحمه في الاخرة فقيل له كله ميتا كما اكلته حيا
فياكله ويضج ويكلح ويروى مرفوعا كذلك وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا
لقد بقي فيه منه شيء فاقيمت الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسالاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة
وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس
وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة اسرع فسادا
في دين المؤمن من الاكلة في الجسد وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس
وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه
وكان الحسن يقول ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا
فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله تعالى من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلم والحواريون على
جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا الكلب فقال عيسى عليه السلم ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر
من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله
عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء **بيان معنى الغيبة وحدها** اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه
لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى في ثوبه وفي داره ودابته اما
البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فبان
تقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او حداد او شيء مما يكرهه كيف ما كان واما الخلق فبان تقول انه سيء الخلق بخيل

متكبر

متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق وكذاب وشارب
وخائن وظالم ومتهاون بالصلوة والزكوة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة موضعها
ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس
ولا يرى لاحد عليه حقا على نفسه ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم ينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في
ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي انه ذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة فقال
فما خيرها اذا وهذا فاسد لانهم يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج اليه في غير
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حد الغيبة وكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون
ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد
بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله
قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير بالسوء ثلثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله تعالى فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان
ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن
سيرين ابرهيم النخعي فقال الاعور فقال الا تقل الاعور وقالت عائشة رضي الله عنها لا يغتابن احد منكم احدا فاني قلت لامراة مرة وانا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال عليه السلم الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم **بيان ان الغيبة لا
تقتصر على اللسان** اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح
والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والحركة والكتابة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول عائشة
رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي
متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حكت
امراة قال صلى الله عليه وسلم ما يسرني اني حاكيت انسانا ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا
وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة
التعريض لشخص معين اما حي واما ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من راينا اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا
لان المحذور التفهيم دون به يحصل التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا
وكذا وكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة
غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم
انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل
في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله تعالى ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك
قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا و

التنقيص

فلا الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع
بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه
يتبعهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله
ما اعجب هذا حتى يصغي الى المغتاب فيعلم ما يقوله فيذكر الله سبحانه ويستعمل اسمه آلة في تحقيق خبثه وهو يمن على الله بذكره جهلا منه وغرورا
وكذلك يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الاستخفاف فنسأل الله تعالى ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام ايضا وفي اظهار
الدعاء بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوه وعقيب صلوته ولو كان يغتم له لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة
تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو بجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم
مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها
فكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجبت مما ذكرته ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان
ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي
عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكلا به الخبز فقال صلى الله
عليه وسلم قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين
قال احدهما لصاحبه اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان
خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه الاثم وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق
ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب
عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق
وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله عز وجل ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة فضل واخبار كثيرة اوردناها
في كتاب اداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة

اعلم ان البواعث على الغيبة
كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول ان يشفي الغيظ
وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع من تشفي
الغيظ فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة الثاني
موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس
استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم
اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول
لسانه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح حاله ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدي بذكر ما
هو فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا
من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره
اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله الخامس ارادة التصنع والمباهات وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره

فلان

فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه اعلم منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح
فيه لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد اليه سبيلا الا
بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له
وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع
اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكات والتعجب والتعجيب الثامن السخرية والاستهزاء
استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشأه التكبر واستصغار المستهزا به واما الاسباب الثلثة التي في الخاصة
فهي اغمضها وادقها لانها شرور خباها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر الاول ان ينبعث من الدين داعية
التعجب من انكار المنكر والخطاء في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن حقه ان يتعجب ولا يذكر
اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثما ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي
فلان وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم
عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الى شر من حيث لا يدري والترحم والتغمم ممكن
دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه الثالث الغضب لله فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا راه
او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره او يستر اسمه فلا يذكره بالسوء
فهذه الثلثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطاء بل المرخص
في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي ذكره ان شاء الله تعالى وروي عن عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حيوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله فقال اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه
ما قلت والله لننبئنه قم يا فلان لرجل منهم فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحكى له ما قال وسأله ان يدعوه فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خبير
والله ما رايته يصلي صلاة قط الا هذه المكتوبة قال الرجل فسله يا رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسأت الوضوء لها او الركوع
او السجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني
قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فسأله فقال لا فقال والله ما رايته يعطي سائلا قط ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل
الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني نقصت منها او ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله
فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان من الغيبة

اعلم ان مساوي الاخلاق كلها
انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما
على الجملة والآخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انها محبطة لحسناته
فانه ينقل في القيمة حسناته الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله
ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار
وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي

انه هالك في حكمه فيهما امر العبد بما وردت به الاخبار لم تطلق لسانا بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد
فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وتذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه
ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا
فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه فاذا لم يجد
العبد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه
بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب
فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية اما التفصيل فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة
بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول اني ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه
علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله و
قال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله تعالى يوم
القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله تعالى يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك
فيمن امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله يغضب عليك اذا طلبت سخطه برضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه
لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا
ربك بافحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الجناية الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض
لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك
في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة او تخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل
والخذلان واما عذرك كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا
يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك
ثم ما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى
تردي نفسها من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت انا ايضا اردي نفسي لكانت هذه العنزة اكيس مني وقد اهلكت
نفسها فانا ايضا افعل كذلك لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس
بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص
اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الله يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا
لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى
اضفت اليه عذابا في الآخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت
نفسك واهديت اليه حسنتك فاذن انت صديقه وعدو نفسك اذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسنتك او
تنقل اليك سيئاته ولا ينفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل
واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله
وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حيرتك وحسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق الى النار

لادهشك

معصية

غضب الله

لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان يضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ
بيدك في القيامة على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله اياه وتسليطه
على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون
جبرا لاثمه فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا يوجب الغيبة
فانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير معرضا لغضب الله بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك
كيف اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا فهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك
فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي
الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس
فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا
انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك الا ان تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع
في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفسقة وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا
قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق به لان الفاسق يتصور ان يصدق
في خبره ولكن لا يجوز لك ان تصدقه حتى ان من استنكه فوجد في فيه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجها
وما شربها او حمل عليها قهرا فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك و
خطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان وان ما رايته منه يحتمل الخير والشر فان قلت
فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما
ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث
في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره
الى النفرة والكراهة اما في الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة
تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك عدل بذلك فمال ظنك
الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن
الظن بواحد وتسيء بالآخر بل ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الاب العدل للابن
فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان في ستر الله تعالى عني وكان امره
محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور ولكن يكون من عادته
التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس
لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته

بالغيبة

في غير مستباح ظن السوء

علامات

وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت
هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر
اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بدالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك
اذا دخل نقصان في دينك وينبغي ان يكون تركه لذلك من غير نصحك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت اجر الوعظ
واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا
منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله
فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان اسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس
وحقيقته **بيان الاعذار المرخصة في الغيبة** اعلم ان المرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن
التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور **الاول** التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا
عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به قال صلى الله عليه وسلم ان لصاحب الحق
مقالا وقد قال عليه السلام مطل الغني ظلم وقد قال عليه السلام لي الواجد يحل عقوبته وعرضه **الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي
الى منهج الصلاح كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمن وقيل على طلحة رضي الله عنهما فسلم فلم يرد السلام فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه
فذكر له ذلك فاتى ليصلح ذلك ولم يكن ذلك عندهم غيبة وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان ابا جندل يعاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب فتاب ولم ير ذلك عمر ممن ابلغه غيبة اذ كان
قصده ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما **الثالث**
الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجتي او اخي وكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته
ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روي عن هند بنت عتبة انها قالت للنبي صلى الله عليه ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا
وولدي افآخذ من غير علمه قال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم اذ كان
قصدها الاستفتاء **الرابع** تحذير المسلم من الشر فاذا رايت فقيها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف
له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث
ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة والفسق وبعيب اخر فلك ان تذكر
ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله
الطعن فيه وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم انه يترك
التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح فله ان يصرح به قال صلى الله عليه وسلم اترغبون عن ذكر
الفاجر اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه
الخامس ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمن
عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك للتعريف ولان ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علم بعد ان قد صار مشهورا به
نعم ان وجد عنه معدلا وامكن التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص **السادس** ان يكون
مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله صلى الله عليه

من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد
من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة
لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهؤلاء الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف
يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو اغتاب بغير ما يتظاهر به اثم وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال
ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم
ذنب اصابه الحجاج **بيان كفارة الغيبة** اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله سبحانه
ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن
لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما احتج في ذلك بما روى انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بالخير وسئل عطاء عن التوبة
من الغيبة قال تمشي الى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول
القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح
ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاخيه مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم انما يؤخذ
من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة رضي الله عنها لامراة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها
فاستحليها فاذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت
فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم
ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل من
اغتابه وقال سعيد لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة وما كنت لاحل ما حرم الله ابدا فان قلت
فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم اني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق
بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله وان كانت لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه اني لا اطلب مظلمتي يوم القيمة منه ولا اخاصمه
ولا ان تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان
القياس كسائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا
وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدي الله تعالى نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا قال الله
تعالى خذ العفو الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال ان الله تعالى يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك
وروي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه رطبا على طبق وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافئك عليها
فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافئك على التمام **الافة السادسة عشر النميمة** قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل
بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد
الزنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال عز وجل حمالة الحطب
قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت
تخبر انه مجنون وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم احبكم الى الله تعالى احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله تعالى المشاؤن بالنميمة
المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاد على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله تعالى في
النار يوم القيمة وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه
بها يوم القيمة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار
ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني
فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية من الناس مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث
ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم افعل كذا ثم لا يفي به وروى كعب الاحبار ان بني اسرائيل اصابهم
قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب
من هو دلني عليه حتى اخرجه من بيننا قال يا موسى انهاكم عن النميمة وانا نمام فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع
كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله من العلم اخبرني عن السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر
وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه فقال له الحكيم
البهتان على البريء اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى
القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم والحمد لله وحده **بيان حد
النميمة وما يجب في ردها** اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم
فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف
بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان عيبا او نقصا في المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة
النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من احوال الناس فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم
او دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء
للسر فان كان ما ينم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة فالباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او اظهار
الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا او فعل في حقك كذا او يدبر
في افساد امرك او في ممالاة عدوك او تقبيح حالك وما يجري مجراه فعليه ستة امور **الاول** ان لا يصدقه فان النمام فاسق وهو
مردود الشهادة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة **الثاني** ان ينهاه عن
ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر **الثالث** ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله
ويجب بغض من يبغضه الله تعالى **الرابع** ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم **الخامس**
ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا **السادس** ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه
ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الاية همّاز مشّاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين

لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن بعض اصدقائه فقال له الحكيم قد ابطأت
في الزيارة واتيتني بثلث جنايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان سليمان بن عبد
الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاء رجل فقال له سليمان بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت
فقال سليمان ان الذي اخبرني لصادق فقال له الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام
وقال الحسن من نم لك نم عليك وهذه اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك
من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم
وقال لا يدخل الجنة قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا سعى اليه
فقال يا هذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال
اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب اي خصال الرجل اوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل واحد
وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك
حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال وذكرت السعاية
عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول
السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي
فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى
من يخاف جانبه سميت سعاية وقال صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال ودخل رجل
على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب
ان قبلته قال قل فقال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله
ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ اليهم فيما استحفظك اياه فانهم لن يألوا في الامة خسفا
وفي الامانة تضييعا وفي الاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول عما اجرموا
وليسوا المسؤولين عما اجرمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل
بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل وقال فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت
واما قلت قولا بلا علم فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما
يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي حين
ابلغتني عن اخي ما اكره ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيمة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعضهم
الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة
فان كنت اجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها افضل من الربح ومعاذ الله ان نقبل مهتوكا في مستور ولولا انك في خفارة شيبك
لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك فتوق يا ملعون العيب فان الله اعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال
ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمان لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ايضا ان من شر الناس من اتقاه الناس من شره والنمام منهم صح

ولا تصغ

فلما بلغ الى الرقعة

جهلك عن اللئيم والكريم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنعهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم
خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد
والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك
لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا
النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان سيدي لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي
الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك
فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المراة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها وجاء اهل المراة فقتلوه
ووقع القتال بين الفريقين فنسال الله حسن التوفيق **الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين**
الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال
عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث
وهؤلاء بحديث وفي لفظ اخر هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله وقال
مالك بن دينار قرات في التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيمة كل شفتين
مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم ابغض خليقة الله الى الله يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء
لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم ويلطفون على ذلك صح والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال
ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق
وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة
فقال له عمر رضي الله عنهما ايموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تصل عليه فقال يا امير المؤمنين انه منهم
قال فنشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا امن منها احدا بعدك فان قلت بماذا يصير الرجل ذا اللسانين وما حد
ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن ذا لسانين ولا منافقا فان الواحد قد
يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرنا
في كتاب الصحبة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الاخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد
الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة
مع صاحبه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني عليه في حضوره وفي غيبته وبين يدي
عدوه قيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه ولو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف
ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه الى ذلك فلو كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة
الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء
البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراياتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر
جائز قال ابو الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضي الله عنها استاذن

رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ثم لما دخل الان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت ما قلت ثم النت له القول فقال
يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء فحشه ولكن هذا ورد في الاقبال والتكشير والتبسم فاما الثناء فهو كذب صراح
ولا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح به الكذب كما ذكرنا في افة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق وتحريك الراس في معرض
التقرير على كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه **الآفة الثامنة عشر**
المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست افات
اربع في المادح واثنتان في الممدوح فاما المادح فانه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او
احدا بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه والثاني انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب
وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالث انه يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع
عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها
ما افلح ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الافة
يتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه فاما اذا قال رايته
يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول
فيه الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي
لا اله الا هو لا اراك تعرفه الرابع انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى في ارضه والظالم الفاسق
ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان
قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا
سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المؤمنين قال ما لي
ولك اما لقد سمعتها قال قد سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطئ منك الثاني هو انه
اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما
اذا انطلقت الالسن بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال صلى الله
عليه وسلم اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله
وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحة
الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره
مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه
وقال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث
العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الافات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس
بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم لرجح عليه

وقال في عمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي شيء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضي الله عنهم
اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر قال صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد ادم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله
وبالقرب من الله لا بولد ادم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض
رعاياه وبتفصيل هذه الآيات تقدر على الجمع بين ذم المادح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنى على بعض الموتى
وقال مجاهد ان لبني ادم جلساء من الملئكة فاذا ذكر الرجل اخاه المسلم بخير قالت الملئكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت
الملئكة يا ابن ادم المستور عورته ارجع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه افات المدح **بيان ما على الممدوح**
اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن افة الكبر والعجب وافة الفتور ولا ينجو منها الا بان يعرف نفسه ويتامل ما في خطر
الخاتمة ودقايق الريا وافات الاعمال وانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره
لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال صلى الله عليه وسلم احثوا في وجوه المادحين التراب
وقال سفين بن عيينة لا يضر مدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هولاء لا يعرفوني وانت تعرفني
وقال اخر لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضي الله عنه
فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال انا دون ما قلت
وفوق ما في نفسك **الافة التاسعة عشر في الغفلة** عن دقايق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق
بالله تعالى وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم وفصاحة
لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله
وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان العطف المطلق تشريك وتسوية وهو على خلاف الاحترام قال ابن عباس جاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عديلا
بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما لانه تسوية جمع وكان ابرهيم يكره
ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقال لولا الله وفلان
وكره بعضهم ان يقال اللهم اعتقنا من النار وكان يقول العتق بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار وقال رجل اللهم
اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغني المومنين عن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وتكون
شفاعته للمسلمين المذنبين وقال ابرهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة احمارا رايتني خلقته
وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم ان تحلفوا بابائكم وقال عمر رضي الله عنه ما حلفت بها منذ سمعتها وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي
كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي

فكلكم

اللهم ان عبدك يتقرب الي بمقتك وانا اشهدك على مقته وقيل لعلي كرم الله وجهه لما اثني عليه

فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال صلى الله
عليه وسلم من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا لم يرجع الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل
في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه في افات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر
قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان كل هذه الافات مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان
نطق وتكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل الكلام فعساه يسلم عند
ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين
الافة العشرون سوال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة ومن حقهم
الاشتغال بالعمل بما في القران الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بالخوض في العلم اذ الشيطان
يخيل اليه انك من العلماء واهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو
اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القران
والتسليم لما جاءت به الرسل من غير بحث وسوالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل
ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسوال ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سال عن علم غامض لم يبلغ
فهمه الى تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي وقال صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسوالهم
واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال انس سال الناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما فاكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسالوني عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل
فقال يا رسول الله من ابي قال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام
رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام
اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس رحمك الله تعالى انك ما علمت
لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السوال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك
الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد الله الصمد حتى تختموا السورة
ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلث مرات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت اية المتلاعنين الا لكثرة السوال وفي قصة
موسى والخضر عليهما السلم تنبيه على منع السوال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا
فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر حتى سال ثلثا
قال هذا فراق بيني وبينك ففارقه وسوال العوام عن غوامض الدين من اعظم الافات وهو من المثيرات للفتن فيجب قمعهم
ومنعهم وخوضهم في حروف القران يضاهي حال من كتب الملك اليه كتابا ورسم له فيه امورا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في
ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامي حدود القران واشتغاله بحروفه اهي قديمة
ام حديثة وكذلك ساير صفات الله سبحانه وتعالى تم كتاب افات اللسان بحمد الله ومنه يتلوه كتاب ذم الغضب
والحقد والحسد والحمد لله اولا واخرا وباطنا وظاهرا وصلواته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى
من اهل الارض والسماء وسلم تسليما كثيرا كثيرا

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون الذين استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون وحذرهم ان يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه المتقون وعلى اله واصحابه الائمة المهديون والسادة المرضيون صلاة يوازن عددها ما كان من خلق وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والاخرون وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتايج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح معها سائر الجسد واذا فسدت فسد معها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفته ومعاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الاية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انزل عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا واقلله لعلي اعقله فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الي لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمن بن داود عليهما السلم يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحكيم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدردا قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلم لا تغضب قال

لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتني مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال له رجل اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب

الاثار

قال الحسن يا ابن ادم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة فتقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطأت وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال اني الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسالني عما شئت فاخبرك فقال ما اريد ان اسالك عن شيء قال فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني ادم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو ادم فلن يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه مصير الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا يعاقب عند غضبه فاذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر زمانا طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للاخرة كان علما وحلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه الشهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي ان لا يغضب ويكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

عن الفساد

بيان حقيقة الغضب اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب من داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير اجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذا يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذا الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذا كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان كالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها واما الذي يبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الاية والغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المكر والمحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل في ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمت صاحبه واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفي نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى وانطفى نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني

الرطوبة التي بها حيوة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن اثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو راى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حيا من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمر فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحيي منه ذو العقل ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول الى متى منك يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا وربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير منه والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير امتي احداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ارق من الشعرة واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسال الله حسن التوفيق لما يرضيه انه على ما يشاء قدير

بيان الغضب هل يمكن ازالة اصله ام لا اعلم

الغيرة

الى الشهوات

إذ ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد وظن آخرون أنه أصلا لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الخُلق كالخَلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثرت غضبه وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لأن الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له إنه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم فإنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فإن ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها أما القسم الأول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنع من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه وأما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر يعبر عليها

ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لم يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب والرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون فإن قلت الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه يكون دون الغضب فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها من الله فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لأنه يرى أن الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحوال مختطفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا الحق وأشار إلى لسانه فلم يقل إني لا أغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك شيطانك فقالت وما لك شيطان قال بلى ولكني دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بالخير فلم يقل لا شيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي كرم الله وجهه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فإنما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى النقصان إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكأنه كان مشغولا بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه وسب رجل الشعبي فقال إن كنت صادقا فغفر الله لي وإن كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون قد أثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فإذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فإذا يتصور فقد الغيظ إما باشتغال القلب

بهم او بغلبة نظر التوحيد وكسبب ثالث وبقول انه يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال
في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي
في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المراياة عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف
الغضب بسببه ويهون دفعه نسال الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شيء قدير والحمد لله وحده **بيان الاسباب**
المهيجة للغضب قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى
لعيسى عليهما السلم اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى
الكبر والفخر والتعزز والحمية فالاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة
والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء
هذه الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما سيأتي
بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم في الانتساب اب واحد وانما اختلفوا بالفضل
اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر اكبر الرذائل وهي راسها واصلها فاذا لم تخل عنها
فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح
فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل
والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس
عن ان يستهزأ بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال
بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في
علاجه الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها الرجوع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة
على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه
الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية
وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب
عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب وتسميته هذا عزة نفس وشجاعة
جهل محض بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآيته انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح
والمراة اسرع غضبا من الرجل والرجل اسرع غضبا من الشيخ الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء
والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب
على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو
وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن
الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم **بيان علاج الغضب بعد هيجانه** ما ذكرناه هو
حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه
المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور **الاول** ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها

وما ينبته

كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب صح

في فضل

في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ غيظه
قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف فكان يتامل في الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى
الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه **الثاني** ان يخوف نفسه بعقاب الله
وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه فما امن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمة
احوج ما اكون الى العفو فقد قال تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطا عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في القيمة
وقيل ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان
يقراها حتى يسكن غضبه **الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه
والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط
شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظ العاجلة يقدم بعضها على بعض الا ان يكون
محذوره ان تتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته
عند الغضب بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة
الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين
ان يتشبه بالعلماء والانبياء في عاداتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل **الخامس**
ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز
وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فيقول لنفسه ما اعجبك تانفين من الاحتمال الآن ولا تانفين
من خزي يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين من
ان تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فما له وللناس و
ذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذله لو انتقم الآن افلا يحب ان يكون هو القائم اذا نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله فلا
يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يكرر على قلبه **السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على
وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله ويوشك ان يكون غضب الله عليه اعظم من غضبه واما العمل
بان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغيظ وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي
واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا
واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة
وسبب الحرارة الحركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا
وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليتم فان لم يزل ذلك فليتوضا بالماء البارد او يغتسل فان النار
لا يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من

الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع
فيذهب غيظه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة عينيه
وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل
المواضع وهو التراب لتستشعر النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان عمر غضب
يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن
قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروي ان
ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت اخاك
بامه فقال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر
ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما
فاقعد وان كنت متكئا فاضطجع وقال معتمر بن سليمان كان رجل يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلث صحائف فاعطى كل صحيفة
رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي
فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى فاذا فيها ما لك ولهذا انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل
بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فاعطي الثالثة فاذا فيها
خذ الناس بالحق فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضب لله باشد من غضبه
لنفسه فقال خلوا سبيله

فضيلة كظم الغيظ وذكره ذلك في معرض المدح قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وقال صلى الله
عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم
اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه
ملا الله قلبه يوم القيمة رضى وفي رواية ملا الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع
عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله
الا من شفا غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها الا
ملا الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره
من اي الحور شاء

الاثار قال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيمة
لكان غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك
معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفين الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا
الزهد واجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله ما تقضي بالعدل
ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الا تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلث
من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول

ماليس

ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

فضيلة الحلم اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ
الا من هاج غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا
يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه
التحلم وكظم الغيظ تكلفا وقال صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه
اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء
فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم
اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم واكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة
عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس
من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك
بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان
لي قرابة اصلهم ويقطعونني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي واحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكانما تسفهم المل
ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك المل يعني به الرماد وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق
بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فاوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم
ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل فيمن كان قبلكم كان اذا اصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي
على من ظلمني وقيل في قوله تعالى ربانيين اي علماء حلماء وعن الحسن في قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما وقال ابن ابي حبيب في قوله عز وجل
وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود مر بلغو
معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة وهو الراوي واذا مروا باللغو
مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركهم زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم
قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليلني منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته
ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان فيك يا اشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي انت
وامي قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما او خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي
جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف التقي ويبغض الفاحش البذي
السائل الملحف الغبي وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله
تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا جمع الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملئكة
فيقولون انا نريكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسئ الينا
غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين **الآثار** قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة
والحلم وقال علي كرم الله وجهه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة الله
تعالى واذا احسنت حمدت الله تعالى واذا اسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي
دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان عرفتهم
نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي كرم الله وجهه ان اول ما عوض الحليم
من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال معوية رحمه الله لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ
ذلك الا بقوة العلم وقال معوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه
لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه
فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال بعضهم شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم علي فاستعبدني
بها زمانا وقال معوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى
في حوائجهم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وسب رجل ابن عباس فلما فرغ
قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال
ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال
بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله تعالى وحمله على الندم والتوبة ورجوعه
الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في
امر واني اريد ان اتركه فاخشى ان يقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اساء
فاحسن اليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه
من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا
يكره الشتم يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله
يفتقر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال انت اذا اكرم
علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت لك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض
الحكماء والله لأسبنك سبا يدخل معك في قبرك قال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود
فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمن ثلثة
لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة اليه ودخل على بعض
الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق
مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا
قال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم

وضرب

وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق
سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ۞ وان كثرت منه علي الجرايم ۞ وما الناس الا واحد من ثلثة ۞ شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ۞ واتبع فيه الحق والحق لازم ۞ واما الذي دوني فان قال صنت عن ۞ اجابته عرضي وان لام لائم ۞
واما الذي مثلي فان زل او هفا ۞ تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم ۞

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب
بالسب وكذلك سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه فاما السب فلا يقابل بمثله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر رضي الله عنه
وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال
لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب
فيه وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي به والذي يرخص
فيه ان تقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت
الا من بني امية ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض و
قال عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس
بكذب وكذلك يا سيئ الخلق يا صفيق الوجه يا ثلابا للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما اصغرك
في عيني بما فعلت واخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه
كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان يأثم بعضنا
في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام بالنسبة الى الزنا والفحش والسب
ما روت عائشة رضي الله عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلني ازواجك
يسألنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم فقال يا بنية اتحبين ما احببت قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت
واخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت
بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها
حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش
بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم
فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هؤلاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذاء سابق ولا تبعد
الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل
الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب
ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود
سريع الخمود وهو لا حمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا شرهم وفي الخبر المؤمن
سريع الغضب سريع الرضى فهذه بتلك وقال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض

فهو شيطان وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء
ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم
السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه لانه ربما يتعدى
الواجب ولانه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا لغيظه ومريحا نفسه من الم الغيظ فيكون صاحب حظ فيه فينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره
لله تعالى لا لنفسه ورأى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المؤمنين
لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل
اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك **القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق** اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه
لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبك استثقاله والبغضة له والنفار عنه
وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود والحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور **الاول**
الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل
المنافقين اعني الحسد وسيأتي ذمه ان شاء الله تعالى **الثاني** ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء **الثالث**
ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك **الرابع** وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له **الخامس** ان تتكلم فيه
بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وعورة **السادس** ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه **السابع** ايذاؤه
بالضرب وما يؤلم بدنه **الثامن** ان تمنعه حقه من قضاء دين او صلة رحم او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان يحترز
من هذه الثمانية المذكورة ولا يخرج بسبب الحقد الى ما يعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع
عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة
له او بترك الدعاء والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل
عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رضي الله عنه ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه لما تكلم في واقعة
الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى
الانفاق عليه والاولى ان يبقى على ما كان عليه فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام
الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللحقود ثلثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير
زيادة ونقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل الثالث ان يظلمه بما لا يستحقه
وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الان
فضيلة العفو والاحسان **فضيلة العفو والاحسان** اعلم ان العفو ان يستحق حقا فيسقطه ويبرأ عنه من قصاص او غرامة
وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن
مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر و
قال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله
والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

منتصرا

منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وقال عقبة لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ
بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وقال صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا ولذلك سئل ابو الدرداء
عن اعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وسلم
ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث
وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال صلى الله عليه وسلم
اذا بعث الله الخلائق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم
عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب
فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون ما تظنون قال قلت يا رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا اخ
كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وعن انس قال قال
صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذي اجره على الله قال العافون
عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى
بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من جاء بهن مع
ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر
مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احداهن يا رسول الله قال او احداهن **الاثار** قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه
وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم
اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه
فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من
ظلمك فان الله تعالى يقول ان اخر يدعو عليك بانك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئتما اخرتكما الى يوم القيمة
فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل
وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر انه قال بلغنا ان الله تعالى يامر مناديا يوم القيمة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم
فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام بن محمد قال اتي النعمان بن المنذر برجلين قد اذنب احدهما
ذنبا عظيما فعفى عنه والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها ولقد تعاقب في
اليسير وليس ذاك لجهلها الا ليعرف حلمها ويخاف شدة نكلها وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله
في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر قال فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت

يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله تعالى الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خليا عنه وقال معوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنكم فعليكم بالصفح والافضال وروى ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين اكان نبيا فقال لا ولكن انما اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتى هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجة فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما قال هشام بلى ويحك تكلم وروى ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله يستر علينا يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون على من اخذها ويقولون اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم ان كان حملته على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراة على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي فقال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب ليلا وهو على البصرة امير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلا كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم فانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يسئله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتى عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ما ترى قال ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروى ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب من العزيز الحكيم اقيم عليك شاهدين ابرهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبا بما في صحف ابرهيم وموسى وابرهيم الذي وفى ان لا تزر وازرة وزر اخرى قال زياد خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود وضده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاوه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت والرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة انه من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه

من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا محبة الله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ايما وال ولي فرفق ورفق رفق الله تعالى به يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم وتدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شوم وقال صلى الله عليه وسلم التاني من الله والعجلة من الشيطان وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص مرتين او ثلثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان ذلك فانته وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه

الاثار بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايتها الرعية ان لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا انه لا شيء احب الى الله ولا اعز من حلم امام ورفقه وليس شيء ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضررك وقال سفين لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

ووضع الندا في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندا

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى العنف والحدة اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فان كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وروى ان عمرو بن العاص كتب الى معوية يعاتبه في التاني فكتب اليه معوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وانه من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابن عون الانصاري قال ان الكلام الناس كل بكلمة صعبة الاولى الى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة

او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر **القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه**
ومعالجته وغاية الواجب في ازالته بيان ذم الحسد اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب
وهو فرع الفرع والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته
لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق
نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل
فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلثا فان رايت
ان تؤويني اليك حتى تمضي الثلث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلث ليال فلم يره يقوم من الليل شيا غير انه اذا انقلب على فراشه
ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر غير اني ما سمعته يقول الا خيرا فلما مرت الثلث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله
لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم
ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من
المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال
صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت
فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي رواية ثلث لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله
عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد
بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبيكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم
كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر
البغي ثم الهرج وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلم لما تعجل الى ربه
راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه تعالى ان يخبره باسمه فلم يخبره وقال احدثك من عمله
بثلث كان لا يحسد الناس على ما اتيهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلم قال الله تعالى
الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر
فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوايج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله
عليه وسلم ان لنعم الله اعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون
النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل
الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد **الاثار** قال بعض السلف اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس ادم عليه السلم على
رتبته فابى ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال
اني اريد ان اعظك بشي فقال وما ذاك قال اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا
الا ابليس الاية واياك والحرص فانه اخرج ادم من الجنة امكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة

نهاه الله

نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله تعالى منها ثم قرا اهبطوا منها الى اخر الاية واياك والحسد فانما قتل ابن ادم اخاه
حين حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك واذا ذكر القدر
فاسكت واذا ذكرت النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن الى المحسن
باحسانه والمسي سيكفيكه مساوته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك و يقول
ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على انفه لئلا يشم
ريح البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده و
قام بحذاء الملك على عادته فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسي سيكفيكه مساوته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه
مخافة ان يشم الملك منه رايحة الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجايزة
او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ
الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى
الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي فالله الله في امري حتى تراجع الملك فقال
ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك
وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك
قال فلم وضعت يدك على انفك قال لانه اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى
المسي مساوته وقال ابن سيرين ما حسدت احدا على شي من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي
حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المومن قال
ما انساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدردا ما اكثر عبد
ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك
قيل كل العداوات قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك من حسد وقال بعض الحكما الحسد جرح لا يبرا وحسب الحسود
ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد
اخاك فانه ان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال
بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا
ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان حقيقة الحسد وحكمه**
واقسامه ومراتبه اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما
ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه الحالة
الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص
باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين موضع الاخر ولا حجر في الاسامي
بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المومن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها
فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك

زوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث انها آلة للفساد ولو امنت فساده لم تغمك نعمته و يدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهية تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان تكون لك منه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والشماتة والحسد متلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيه له ساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال عز وجل في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما تقول فيه فقال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد في التحريم فاما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوب اليها او مباحة وقد تستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسالاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلي رضي الله عنه حين قال لهما علي لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وذلك كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانماري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله

ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق في معاصي الله ورجل لم يؤته مالا فيقول لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيه كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثل ما نال او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان يزعه التقوى من ازالة ذلك فيعفى عنه فيما يجده في طبعه من ارتياحه الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك في نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا اللحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحد من المنافسة تزاحم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط فيه فانه موضع خطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقاربه من يحب ان يساويه ويكاد ان يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه فهي اربعة الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة عنه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد تلك النعمة لا تنعم غيره بها

الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما
الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا
والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم
محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم اما تمنيه عين ذلك فهو مذموم بيان اسباب الحسد والمنافسة اما المنافسة
فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان امرا دنيويا فسببه حب
مباحات الدنيا والتنعم بها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة اسباب
العداوة والتعزز والتكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه
انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه
يحب زوال النعمة لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه
وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع
ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة
وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان
يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس
وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان
من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد
والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى منه بنفسه احب ان يتشفى منه بتغير الزمان وربما
يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوه بلية فرح بذلك وربما ظن انه مكافاة من جهة الله لعدوه
على بغضه وانه لاجله اصابه ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله
حيث لم ينتقم له من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية
التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم تستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهو
مما وصف الله به الكفار اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل
من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية وقال تعالى ودوا ما عنتم
قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر والحسد بسبب البغض وربما يفضي الى التنازع والتقاتل
واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه السبب الثاني التعزز وهو
ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق
تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر عليه بل هو من غرضه ان يدفع كبره
فانه قد رضي بمساواته ولكن لا يرضى بترفعه عليه السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره
ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته

وربما يتشوق الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر
كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له
رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان
عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم السبب
الرابع التعجب كما اخبر الله عز وجل عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون وقالوا لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة
والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم حسدا ان يفضل عليهم من هو
مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من سائر الاسباب وكانوا متعجبين
ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد
يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على
مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل بذلك الى مقاصد الكرامة
والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه
في نيل المنزلة في قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة
اذا كان غرضهما نيل المال من القبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب
كل واحد منهما منزلة في قلوبهم للتوصل بهم الى اغراضه السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه
من غير توصل به الى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء
واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير له وانه لو سمع بنظير له في اقصى
العالم ساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة
او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده به وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر
على المحسود ولا خوف من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب
الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم السبب السابع
خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده
حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم
وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح بذلك فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم
ياخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا
يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث
في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب

عارضة يتصورون زوالها فيطمع في زوالها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فيعسر ازالته اذ يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها في شخص واحد فيعظم الحسد في ذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما تقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب وتتظاهر فيهم اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع من قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف احدهم صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ويترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متقابلتين ولا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاوروا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه في ذلك بزاز اخر وحريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق ولا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود واحد اخص فهذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل يجمع متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق عن المتزاحمين واما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه فلا يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل تحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وذلك بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق ايضا فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم

لذة لقاء

لذة لقائه وليس في ذلك ممانعة ولا مزاحمة ولا تضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة فاما اذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره به وان يفرح بذلك فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه ولا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل تزيد لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه متغذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فما ذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذن لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله سبحانه التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء عن الحسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد ادم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على النظر الى البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا الا في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله ولم تجد لذتها وفتر عنها رايك وضعفت فيها رغبتك فانت في ذلك معذور فان العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد من القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا وانه

لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك
وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت
نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية
على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلا من
المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار
في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب وتمحوها
كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا عليك في الدنيا فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك
لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما
متشعب القلب ضيق الصدر كما تشتهيه لاعدائك وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في
الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة
ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب
الشديد في الاخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه
ودنياه من غير جدوى ولا فائدة واما كونه لا ضرر فيه على المحسود في دينه ولا في دنياه فان ذلك واضح لان النعمة لا تزول
عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد ان يدوم الى اجل قدره الله تعالى فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده
بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكى نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها
حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل فلا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها
فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة
كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك
فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضا لان الكفار يحسدون المؤمنين
على الايمان كما قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون
نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانما يريد ان
تسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذلك سائر النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك
بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه الخاصية
ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وانت بجهلك
تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدنيا والدين فواضح اما منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما
اذا اخرجك الحسد الى القول بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعني انك
بذلك تهدي اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا من النعمة فكانك
اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليك نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة
واضفت الى نفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم

وشقاوتهم

وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدائك ان يكونوا في نعمة
وتكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان يطول
حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه وينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل لا مات اعداؤك بل خلدوا
حتى يروا فيك الذي يكمد لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد ففرح عدوك بغمك وحسدك
اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيما
تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ
تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق
شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى
ايصال اعظم سرور الى ابليس الذي هو اعدى اعدائك لانه لما رآك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال
الذي اختص به عدوك عليك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين
كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان
تحب ما انعم الله على عبده في دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لا تلحقه بعملك
وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام
اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير
صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون
بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم قال انس
فنحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر ولا نعمل بمثل عملهم ونرجو ان نكون معهم وقال ابو موسى
الاشعري قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن
عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا
تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله مخرجا فانظر الان كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب اي
لم يقنع بذلك حتى بغضه اليك وحملك على الكراهية حتى اثمت فكيف لا وعساك ان تحسد رجلا من اهل
العلم وتحب ان يخطئ في دين الله وينكشف خطاؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم
ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخرة وقد
جاء في الحديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة
فانظر كيف ابعدك ابليس عن المداخل الثلاثة حتى لا تدخل بها البتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ حسدك
في عدوك بل في نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرا الى عدوه
ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانيا فيرمي رمية اشد
من الاولى فيرجع الحجر الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فترجع الرمية على راسه فتشجه وعدوه

سالم في كل حال والضر اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود
وسخرية الشياطين منه لا بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر العائد الى راميه لم يفوت الا العين ولو بقيت
لفاتت بالموت لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوق الى غضب الله تعالى والى النار
فلان تذهب عينه في الدنيا خير من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيلحقها لهب النار فانظر كيف انتقم من الحاسد
اذ اراد زوال النعمة من المحسود فلم تزل عنه بل زالت عن الحاسد نفسه اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من
الغم والكمد نعمة وقد زالتا عن الحاسد تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه
لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان رضي الله عنه
الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق
واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي به هلكت الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية
فمهما تذكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه
ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكلما يتقاضاه الحسد من قول وفعل
فينبغي ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على
التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام عليه
فمهما فعل ذلك عن تكلف عرفه منه المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد بينهما
الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان بالتواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه
ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه
اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان لو تواضعت واثنيت عليه لحمله العدو على العجز او على النفاق
والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكائده بل المجاملة تكلفا كانت او طبعا تكسر سورة العداوة
من الجانبين وتقلل من غربها وتدعو القلوب الى التوالف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض
فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن الشفاء والنفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء
لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم
بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما احبه الله تعالى وعزة النفس وترفعها عن ان
يكون في العالم شيء بخلاف مرادها وعند ذلك يريد ما لا يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة
ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل
للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو
الدواء الكلي فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسيأتي تفصيل
مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما
ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه
فلا بد ان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه وغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه

ولا يظهره

ولا يظهره بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك فلا يمكنك الا ان تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها
له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وحسن حال صديقك ولا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان
ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك
الاختيارية فانت اذن حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في
نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في
صدورهم حاجة مما اوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون وقال عز وجل ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة
وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس هو
مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما
اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك
على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت
اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما
من نعمة او تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا
بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة
وهي عين الرحمة فيرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع
القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته والزم
قلبه فقد ادى ما كلفه فقد ذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد
فقال غمه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث لا يخلو منهن مؤمن
وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل
في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي ومن الايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم
الحسد يدل ظاهرها على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل محب لمساءة المسلمين فهو حاسد
فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل فهو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن
حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة المسلم واشتمال القلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا
انك في اعدائك ثلاثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت
نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر
منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك وبجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة
وهي بين الطرفين ان تحسد بقلبك من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك
عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله اعلم
كتاب ذم الغضب والحقد والحسد والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى
نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها
بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح
تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يؤمن من شرها ووبالها ان احسنت
ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة
وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل متعزز بها الى التحسر مسيره شانها
الهرب من طالبها والطلب لهاربها من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات
ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم
فهي خداعة مكارة غرارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت
عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجايبها فاذاقتهم قواتل سمامها بينما اصحابها منها في سرور وانعام
اذا ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ودوارتهم في اكفانهم تحت
الصعيد وان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته غرضا حصيدا كأن لم يغن بالامس تمنى اصحابها
سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا
وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وعلى من كان من اله
واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا اما بعد فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله
تعالى وعدوة لاعداء الله تعالى اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله تعالى ولذلك لم ينظر الله تعالى اليها منذ
خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر
في مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها
وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها بمكرها ومكيدتها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم
حرمتهم السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون فلا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل
الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها
وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل
معانيها واصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله تعالى بسبب التشاغل
بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين

بيان ذم الدنيا

اعلم ان الايات الواردة في ذم الدنيا
وامثلتها واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم السلم
ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بايات القران لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا نعم من هوانها القوها فقال

والذي

والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته
ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد
بن ارقم كنا مع ابي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا
وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسألته ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك
قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي
تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك
وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذا
اشارة ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم
ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا
في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلم لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم
عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الافة وقال ايضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على
وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الاخرة لا يدرك الا بتركها
الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال
ايضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الا الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا
فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة
فطالب الاخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الاخرة حتى يجي الموت فياخذ بعنقه
وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها
لم ينظر اليها وروي ان سليمن بن داود عليهما السلم مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال
فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمن فقال لتسبيحة
في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهيكم
التكاثر يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت
وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده
وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله
في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا
لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعها بما فيها قلت
بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي وادي المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة

فقنوها

هذه الروس كانت تحرص لحرصكم وتامل اما لكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات الوان
اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت
رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد
فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال الحابر فما حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما اهبط ادم الى الارض قال ابن للخراب
ولد للفنا وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابرهيم عليه الصلوة والسلم يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت
وتزينت لهم اني قد قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير
والى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان بخل بك صاحبك وشح
عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي
من الجزا اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملئكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة
يا رب اجعلني لادنا اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شي اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وروى
في اخبار ادم عليه الصلوة والتحية انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شي من
اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له اي
شي تريد قال ادم عليه السلم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه اعلى العرش ام على السرر
ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم
ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار فقالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون و
يصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شي من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن
بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد لنفسه
من نفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي
بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلم لا يستقيم حب الدنيا
والاخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ويروى ان جبريل عليه السلم قال لنوح عليه السلم
يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى عليه السلم
لو اتخذت بيتا قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هروت
وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل فيكم من يريد ان يذهب الله عنه
العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله
فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر
ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى
وصبر للبغضا وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله تعالى
ثواب خمسين صديقا وروى ان عيسى عليه السلم اشتد عليه الريح والمطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا

فقال له

يلجاء اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع
يده اليه وقال الهي لكل شي ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله تعالى اليه ماواك في مستقر رحمتي لازوجنك يوم القيمة
مائة حور خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد
في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم وقال عيسى عليه السلم ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره
ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن اصبحت الدنيا
همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم ما لك ولدار الظالمين انها ليست
لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم
حتى اخذ منه للمظلوم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت
الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف
فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشي قالوا اجل يا رسول الله
قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقرا اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت
على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلم
بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخط ولو ماتوا عن غير ذلك
لتدافنوا فقالوا وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه عز وجل فاوحى الله سبحانه اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبونك فلما
كان الليل اشرف على نشز من الارض ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم
قالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال فكيف ذلك قال لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان
حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرح بها واذا ادبرت حزن وبكى عليها قال فما بال اصحابك لا يجيبوني
قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم
ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال
المسيح عليه السلم للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة
وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على
المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شي من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلم من ذا الذي
يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلم علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال
ابغضوا الدنيا يحببكم الله وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولاثرتم الاخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه ولو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات
تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة
وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهايم التي لا تدع هواها

مخافة تهما في ماقبة ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم
على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا تناصحون في امر الدين ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه
على امر اخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم ولو كنتم توقنون بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لاثرتم طلب الاخرة
لانها املك بامور كم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة
والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك
مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فاتونا فلنبين لكم ولنرينكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة
عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا
تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون
عليها الماتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حال لا تهمكم اني لا رى الله قد
تبرا منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطلحتم
على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته
ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تعالى تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي
وعليكم وقال عيسى بن مريم عليه السلم يا معشر الحواريين ارضوا بدنى الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدنى
الدين مع سلامة الدنيا وفي معناها قيل ٭ اري رجالا بادنى الدين قد قنعوا ٭ ولا اراهم رضوا في العيش بالدون ٭
فاستغن بالله عن دنيا الملوك ٭ كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين ٭ وقال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا
ابر وابر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلم
يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى عليه السلم برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي
فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم
اغفر له وهو يحب الدنيا الاثار وقال علي كرم الله وجهه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار
مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا
فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وقال الحسن رحم الله اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها
ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال لقمن
يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله عز
وجل وشراعها التوكل على الله تعالى لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الاية انا جعلنا ما
على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح
في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك
نفسك في اكلة وصم الدنيا وافطر على الاخرة وان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف
ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته
نصب وقد قيل ٭ ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ٭ فسوف لعمري عن قليل يلومها ٭ اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ٭

وإذا أقبلت

وان اقبلت كانت كثيرا همومها ٭ وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتكون الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها
فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم
من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقصه وقال سفين اما ترى النعم كانها مغضوب
عليها قد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمن الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر منه
ومن طلب الاخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا الا اراد اكثر منه وليس لهذا غاية ولا لهذا نهاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا
وليست لي بدار فقال انظر الى ما اتاك الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا
وانما قال هذا لانه لو اخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا
حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجيء في طلبه فياخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة
من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال
ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيمة ان كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي عظم ما حقره الله
وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل
وما المال والاهلون الا ودائع ٭ ولا بد يوما ان ترد الودائع ٭ وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها
فقالت لهم اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيئا اكثر من ذكره وقيل لابرهيم بن
ادهم كيف انت فقال ٭ نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ٭ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ٭ فطوبى لعبد اثر الله ربه ٭ وجاد بدنياه
لما يتوقع ٭ وقيل ايضا ٭ ارى طالب الدنيا وان طال عمره ٭ ونال من الدنيا سرورا وانعما ٭ كبان بنى بنيانه فاتمه ٭ فلما استوى
ما قد بناه تهدما ٭ وقيل ايضا ٭ هب الدنيا تساق اليك عفوا ٭ اليس مصير ذاك الى انتقال ٭ وما دنياك الا مثل فيء
اظلك ثم اذن بالزوال ٭ وقال لقمن لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك تخسرهما
جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم
وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق
يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب وقد قيل ٭ يا خاطب الدنيا
الى نفسها ٭ تنح عن خطبتها تسلم ٭ ان التي تخطب غدارة ٭ قريبة العرس من الماتم ٭ وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا
على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل ٭ وما الناس الا هالك وابن هالك ٭ وذو نسب في الهالكين
عريق ٭ اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ٭ له عن عدو في ثياب صديق ٭ وقال ايضا ٭ يا راقد الليل مسرورا باوله ٭
ان الحوادث قد يطرقن اسحارا ٭ افنى القرون التي كانت منعمة ٭ كر الليالي اقبالا وادبارا ٭ يا من يعانق دنيا لا بقاء
لها ٭ يمسي ويصبح في دنياه سفارا ٭ هلا تركت من الدنيا معانقة ٭ حتى تعانق في الفردوس ابكارا ٭ ان كنت تبغي
جنان الخلد تسكنها ٭ فينبغي لك ان لا تامن النارا ٭ وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس
جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها لا ابالي ان لا يعبدوا
الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه
والشر كله لهذا تبع وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا وقال وما اصف لك من دار

من صح فيها امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب
فقيل له ذلك مرة اخرى فقال الطول ام اقصر فقيل اقصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار
اتقوا السحارة اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال ابو سليمن اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا
تزحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو ان يكون ما ذكره
سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والاخرة تجتمعان في القلب فايهما غلب كان الاخر تبعا لها وقال مالك بن دينار بقدر ما
تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي
كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والاخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد
ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت اذهبت
الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه الان
يتعيش فيه يعني التنعم فقال لو كانت الدنيا كلها له ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل
لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها في الاخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان
تصيب ثوبه وقيل قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وساله
عن حاله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله يعني جهاز ناقته فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين
ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفين خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الاخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل
الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها
واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد
دنياه وتنقص اخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص وهو على
المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلث الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال ذا
الذي خلقها وهو اعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا اوشك
ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن ادم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من
حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب به ابن ادم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع
من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله سلام عليك اما بعد فكانك باخر من كتب عليه
الموت قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول
في الدنيا هين لكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق
كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على
معوية رجل من نجران عمره مائتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة
فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال

عمر مني

عيسى عليه السلام

عمر مني فترده او اجل حضر فتدفعه وقال داود الطائي يا ابن ادم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك
ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما يساله طول الوقوف بين يدي الله وقال
ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق اليه شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات
ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال انما نال
الغنى من اعتق من رق الدنيا وقال ابو سليمن لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالاخرة وقال مالك
بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل علينا
وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الاخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها
وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد عاد عليه واذا هان على الله عبد بسط
له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر
ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير
انه يحب الدنيا يؤتى به يوم القيمة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله تعالى وصغر في عينه ما عظمه الله تعالى كيف
ترى يكون حاله ثم قال من منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت
مؤنة الدنيا والاخرة فاما مؤنة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها
الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ
خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب
قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه قال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته
تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الاخرة
ضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض
الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها وقال حكيم الدنيا دار خراب و
اخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي رحمه الله من المريدين
الناطقين بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها
الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار
والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار بقائك في دار فنائك فان عيشك فيء
زائل وجدار مائل اكثر من عملك وقصر من املك وقال ابرهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في
اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحب في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحب في الاخرة كانك
لا تحبه في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة
فلو انهم وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال
يحيى بن معاذ العقلاء ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه
وقال ايضا الدنيا تبلغ من شؤمها ان تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد

ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كمطفي النار بالتبن وقال بندار اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة
الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته بنيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته بنيرانها
فصارت سبيكة ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال
علي كرم الله وجهه انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف
المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج
دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين
احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها واشرف المشمومات المسك وهو دم

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها
غدارة مكارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية والعيون
اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها
بعين الحقيقة فانها دار كثرت بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها
يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل
على الدواء من دليل وهل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى ولماله احصى
ثم يقال قد ثقل لسانه فلا يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت
جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكا اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان منعت الكلام
فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند
ذلك اخوانك واحضروا اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك
وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطي حاجته
منها لانه يتوقع افة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب جسمه فتسقمه
او تفجعه بشيء هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم فهي الاخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك صاحبها
اذ اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفها بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد تعقد
التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب
خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام
وانما انزل ادم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا امير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها
في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحته
يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغرارة الختالة الخداعة
التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بامالها وتشوقت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون
اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر
بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره عنها مدكر فكم من عاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى

ونسى

ونسي المعاد والبلى فشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات
الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته ومن رغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير
زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ما تكون منها فان صاحب الدنيا كلما اطمان اليها الى سرور
اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع منها غدا ضار وقد وصل الرجاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها
الى الفناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدرى ما هو ات فينتظر امانيها كاذبة وامالها
باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن ادم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو
كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد ايقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله
عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى
الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها ولا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او
يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر
عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل
انه قال لموسى عليه السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين فان شئت
اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليهما السلام كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف و
صلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت وليس لي شيء
واصبح وليس لي شيء وليس على وجه الارض احد اغنى مني وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون
عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف و
لا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت ان ازينكما
بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي
ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم
سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي
سالما موفرا انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تنبت في قلوبهم فتظهر على اجسادهم فهي ثيابهم
التي يلبسون ودثارهم التي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي يفوزون ورجاؤهم الذي اياه ياملون
ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم
ان من اخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيمة وخطب علي كرم الله وجهه خطبة يوما
فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها
بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها
ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش
فيها مذموم والرخاء لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها
مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم

اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة وانفسهم خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم
بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة
في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستأنسون
بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل
وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب
وسكنوا التراب فظعنوا وليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون
فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم
لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور ووقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها
من سالف الذنوب وهتكت عنهم الحجب والاستار فظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله
عز وجل يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين
مشفقين مما فيه الاية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه
حميد مجيد وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه
حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام
فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوائل
الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما تأتي به من العجائب
اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله تعالى رشدا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا
وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته
وتطويه ساعاته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول
والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم
تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به انكم لهلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم
فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم
صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي كرم الله وجهه في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا
التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية لاجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها وانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا
طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم قد بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له
يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانها الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها
فانه الى زوال والعجب لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم اهل الفضل والعلم
والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا واخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب
ما ستر العورة واكلوا من الطعام ادناه ما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الاخرة بعين انها باقية فتزودوا

من الدنيا

من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة نظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا
اليها بقلوبهم كما علموا انهم سيرحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا ونعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احبه
وكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالامثلة

اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد
بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها
قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن وكذلك الدنيا متحركة في الحقيقة
ساكنة في الظاهر لا تدرك حركتها بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله انشد
فقال احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل ويقول يا اهل
لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق وكان يرى انه من قوله ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام
الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه وقام وهو يقول الا انما الدنيا كظل بنيته ولا بد
يوما ان ظلك زائل وكذلك قيل وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور مثال اخر للدنيا من حيث التغرير
بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها اعلم انها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا
حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب
فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض
الحكماء اي شيء اشبه بالدنيا فقال احلام النائم مثال اخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا
التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك اخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان
عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت فقالت لا احصيهم
قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون
بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر مثال اخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها
اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع
عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رأيت في النوم
عجوزا كبيرا متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت
من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت اوما تعرفني قلت ما ادري من انت قالت انا الدنيا فقلت اعوذ
بالله منك ومن شرك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا
مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت لو
ظفرت بك لصنعت بك كما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال رأيت هذا قبل ان اقدم الى بغداد وقال الفضيل بن عياض
قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال
لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم
وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف بها في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها
واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب فاذا لا يمر بها

احد الاجرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء رآه الناس فاذا اقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس عجوزا زرقاء شمطاء عمشاء
قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال قلت من انت قالت انا الدنيا مثال
اخر للدنيا وعبورها اعلم ان الاحوال ثلث حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها
مشاهدا للدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار
طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما لي
وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها
ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال ارى الامر
اعجل من هذا وانكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلم حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح
فان الحيوة الدنيا معبر الى الاخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل الاخر وبينهما مسافة محدودة
فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل
عنها وكيف ما كان فلا بد له من العبور فالبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان
مثال اخر للدنيا في لين ما خذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها
ان حلاوة خوضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض فيها سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب
علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها
لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما
اطمان منها الى سرور اشخصه عنه مكروه مثال اخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله
عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء ان لا يبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم
ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان
بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة
الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة وقال عيسى عليه السلم بحق اقول لكم كما ينظر
المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا
بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو
وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم ينخرق او يقحل يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او تدنسها
الطمع او يقسيها النعيم فسوف يكون اوعية الحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل
عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال اخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة
الى ما سبق منها قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في
اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال اخر لتادية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلم مثل طالب
الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله مثال اخر لمخالفة اخر الدنيا اولها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها

اعلم

اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة
والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة
كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل
في الدنيا مشاهد فان من نهبت داره واخذ اهله وولده وماله فتكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه
له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر فلا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا فقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفين الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى
قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل قد ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن ادم وقال ابي بن كعب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا مثلا لابن ادم فانظر ما يخرج من ابن ادم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن ادم مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن رحمه الله
قد رايتهم يطيبون بالافاوية والطيب ثم يرمون به حيث رايتم وقد قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه
وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسالك واستحيي قال فلا تستحي واسال قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه
قال نعم ان الملك يقول له انظر الى ما بخلت به انظر الى ما ذا صار وقال بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم
الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم مثال اخر في نسبة الدنيا الى الاخرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما ذا يرجع اليه مثال اخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم
الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت
بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة
فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف
في الجزيرة ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة
وصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة
اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا
فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها فلم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة
الا مكانا ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لموضعه فحمله في السفينة على عنقه
وهو متاسف على اخذه وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج في الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى
لم يبلغه نداء الملاح باشتغاله باكل تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه
من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله
وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراده فلما بلغه نداء السفينة
انصرف مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت
السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم
من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الازهار والاحجار المزبرجة فقد استرقته

وشغلته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وتكدرت الوان
تلك الاحجار فظهرت نتن رائحتها فصار مع كونه مضيقا عليه موذيا له بنتنه ووحشته فلم يجد حيلة الا ان القاها في
البحر بامنها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه فنون من الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما
مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا
وجد المكان الاوسع ووصل الى المكان سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم
ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امورهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم
النبت وهي زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه
وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى مثال اخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم يقول الله تعالى في تعذيبه
اياهم غوائل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم
سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد واحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة
لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة تقطر راسه ماء فقالوا هذا قريب عهد بريف
وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ما انتم فقالوا على ما ترى فقال ارايتم ان
هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال اعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم
ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا
قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا
انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان
لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فنذر بهم عدو فاصبحوا
من بين اسير وقتيل مثال اخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثال الناس فيما اعطوا من الدنيا مثال
رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور
ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه وياخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه
له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك من سنة الله
في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بها فيها كما ينتفع المسافرون
بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وافاتها وغوائلها بيان
حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما
الذي ينبغي ان يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد ان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق
الله تعالى ما هي فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل
ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى اخرة وهو ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل
الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ ليس بمذموم بل هو ثلاثة اقسام
القسم الاول ما يصحبك في الدنيا وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل فقط واعني بالعلم

العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه صلى الله عليه وسلم واعني بالعمل
العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى
عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخرة
وكذلك العابد قد يانس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع منها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال لا اخاف من الموت الا من حيث
يحول بيني وبين قيام الليل وكان اخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلوة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلوة من
حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا يطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك
وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة من جملة ملاذ الدنيا وذلك
لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون في الدنيا
فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا **القسم الثاني**
وهو المقابل للقسم الاول على الطرف الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الاخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات
الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ
العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفي ما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي عن عمر رضي الله عنه انه استعمل ابا الدرداء على
حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي
به عن عمران الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا راه فضولا
من الدنيا فتامل فيه **القسم الثالث** وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الاخرة كقدر القوت
من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل فهذا ليس من الدنيا
كالقسم الاول لانه معين عليه ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم
يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد
عند الموت الا ثلث صفات صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله تعالى وصفاء القلب وطهارته
لا يحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة
الله تعالى الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات واما طهارة القلب عن
شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ يكون جنة بين العبد وبين عذاب الله تعالى كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا
جاء العذاب من جهة رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس
والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان
الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق
تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه
مسرورا سليما من الموانع امنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا في الدنيا وقد غصب
وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ما حاله من كان له واحد فغصب ذلك الواحد وليس الموت عدما

انما هو فراق لحجاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهو
الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن
وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه
العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد
التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله
في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم
ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش الحساب فقد عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلالها حساب وحرامها عذاب فقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت
من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس
به حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك على ذلك حسرات مع علمك
بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمها
وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فانه
ينقص من حظه في الاخرة اضعافه وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه هذا من النعيم الذي تسال عنه اشارة
الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر
رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع من شربه فالدنيا
قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى
واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلم وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت
في الدنيا وحتى ان سليمن عليه السلم في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا
الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا
صلى الله عليه وسلم وكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء
ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه
الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله تعالى فهو الدنيا وما هو لله تعالى
فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فنقول الاشياء ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي
يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما
صورته لله تعالى ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن
عليها باعث سوى امر الله تعالى واليوم الاخر فهي لله تعالى وليست من الدنيا فان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به
وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال والحمية لصحة البدن او الاشتهار
بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته انه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل
معناه لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا

وان كان

وان كان القصد الاستعانة على التقوى فهو لله تعالى بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا
مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة
البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى
واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل
في قوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه
الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله تعالى فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت
وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله تعالى ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة
درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان ووسط طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن
وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه
والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا يردون انفسهم الى
حد الضرورة حتى ان اويسا القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم
فكان ياتي عليهم السنة والسنتان والثلث لا يرون له وجها وكان يخرج اول الاذان وياتي الى منزله بعد العشاء الاخرة
وكان طعامه ان يلتقط النوى فكلما اصاب حشفة خباها لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب
ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية فيغسلها في الفرات
ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم
يا اخوتاه ان كنتم ترموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان تدموا عقبي فيحضر وقت الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته
ولهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه رحمه الله تعالى ولما
ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة
فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له
عمر اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسال عن ذلك يا امير المؤمنين والله
ما فينا احمق منه ولا اجن منه ولا اوحش منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ذلك الا اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من
عمر قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسال عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف
النهار يتوضا ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية
متغير جدا كريه الوجه متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي السلام ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت
يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه
ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى فقال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك
علي قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته

قبل ذلك ولا رأيتني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رأيتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وقد عرفت روحي روحك
حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله تعالى
وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكن رأيت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا
او مفتيا او في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات
واوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه
ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله
انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى جنة
واما الى نار ومات ابوك آدم وماتت امك حواء ومات نوح ومات ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن يا ابن حيان
ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن
الخطاب اخي وصفيي ثم قال واعمراه واعمراه فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت فقال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال
انا وانت في الموتى كأن قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال هذه وصيتي اياك يا هرم بن حيان
كتاب الله وهدى الصالحين المؤمنين وقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت
وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل
النار يوم القيمة وادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله
علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير
وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال
استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك بعد اليوم تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة
احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك ولم ترني
فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شاء الله تعالى انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت ان امشي معه
ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني فجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت
احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق
من بيان ذم الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل
من ذلك فضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة على طاعة الله تعالى
فذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل
بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحاج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب
النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم

قاضيا

اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منصرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب
بني شيبة في المسجد الحرام سبعة ايام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا
اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك

بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورده

اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن
آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح
ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي واما المعادن فيطلبها
الآدمي للآلات والاواني كالحديد والنحاس او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان
والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمي ان يملك ابدان الناس
ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم
والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها
الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهي البهائم
والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهي حبه لها وحظه
منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة
بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه
هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها **العلاقة الثانية** مع البدن وهي اشتغاله باصلاح
هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم
ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه
وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير بها الى الله تعالى واعني
بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في
نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها
الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة
وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي
فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد
البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في
ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو
البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم يستغرقهم

اشغال الدنيا فانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا اشغالا وتتابعت اشغال
الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر
تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف
صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي
ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء
والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ايضا ولدفع اسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق
الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذى
الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى
عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي
الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة
فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل وهي ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلق الله
تعالى من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت
وينتج بنفسه من غير صنع الادمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة ادمي بالاقتناص ذلك ونعني
نعني بالاقتناص ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات والات كالحياكة والفلاحة والبناء
والاقتناص والالات انما تؤخذ من النبات وهي الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما او من جلود الحيوانات
فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الالات ونعني بالنجارة كل عامل في
الخشب كيف ما كان وفي الحداد كل عامل في جواهر المعادن حتى النحاس والابريز وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما احاد
الحرف فكثيرة واما الخرز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش
وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك
الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع
يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يستقل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد
في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى
الفلاحة وحده وهو يحتاج الى الاتها ويحتاج الالة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف
ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراثة القطن والات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فكذلك امتنع عيش الانسان
وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتاذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة
ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الالات والاثاث فالمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع اذى الجيران من اللصوصية
وغيرها ولكن المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن
بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت
بينهم خصومات اذ تحدث بينهم رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام

ومهما

ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما المراة
فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا
كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون
لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل
تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة
بالاجتماع صناعات اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة
الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومات ومنها الحاجة الى
الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزمهم الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود
الله تعالى في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز
والعلم والهداية فاذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد
بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت لتعطلت البلاد عن الحراس
واستضر الناس فمست الحاجة الى ان تصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضائعة التي لا مالك لها ان كانت او تصرف
اليهم الغنائم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع
فتمس الحاجة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج
الحاجة الى صناعات اخرى اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي
منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل
وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة لانخرم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم
وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي النصفة في اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند في الحرب
وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك
بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال
ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع
الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة لهم
بالسيوف والثالثة المترددون بين الطائفتين في الاخذ والاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدا الامر
من حاجة القوت والمسكن والملبس والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر
فهكذا يتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي
فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع به واعلاها
الاغذية ثم الامكنة التي ماوى الانسان اليها وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق و
المزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة
والفرس آلة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها آلة الفلاحة والحداد والنجار

يسكان قرية لا يمكن بها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده
للاخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة لان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح
في ذلك الوقت الى الآلة فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج
اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت تجمع آلة كل صناعة يترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى انبار تجمع اليها ما
يحمله الفلاحون فيشتريها منهم صاحب الانبار ليترصد به ارباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب
فان لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها انتظارا لارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة
والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون
ذلك ويتعيشون بها لينتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لم يوجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج
الى البعض فيحوج الى النقل فتحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار
لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم و
جهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم
لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا وهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر
الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها عليها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة
تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقود فان من يريد ان يشتري طعاما
بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري على اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام
وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل
من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب و
الفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى
الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرتها
الا بنوع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبى فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب
لعجزه عن التحرف فيحتاج الى ان يأكل مما سعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما يأكلان
من سعي غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم في استنباط الحيل و
التدبيرات اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق كالاعراب و
الاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب او التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا او سلالا
الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه
غيره قيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك وللبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا الى الحيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم
في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي
والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك
سبب الرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسخوا برفع اليد

عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة
والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تأثيرا
في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل اهل البيت او الذي يحرك داعية العشق من
اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق وتسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يعتقد بايعه
انه ادوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس
المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علم وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الف نوع والفين
وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت
والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآلهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان
كدرها زحمة اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه فطائفة غلبهم الجهل و
الغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم ناكل حتى
نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكسبوا ويكسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له
تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا
بالموت وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في
ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ
الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله تعالى
واليوم الاخر وطائفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم وانصبوا نهارهم في
الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة
شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكلها
في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبها ووبالها وللآكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك في اشباههم وامثالهم
ثم لا يعتبرون وطائفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهؤلاء يتعبون
في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع اموالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة
ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم في
ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع
والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من
الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات
على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم
ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا عن التفكر في آخرتهم وانما جرهم الى جميع ذلك
حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوائل اسبابها الى
اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاو لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود

منها ان لا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وبالحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت
والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة
الى الاستعداد لها وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب الهموم ومن
تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه منها فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك
طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان
الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة فكل من وصل اليها فاز سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان
يقتلوا انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة
الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم
حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض فانسدت عليه طريق العبادة وعجز عن قمع الصفات
بالكلية وبعضهم ظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله
وان الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة
وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد وظنت
طائفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها الى معرفة الله عز وجل فاذا حصلت المعرفة فقد وصل
وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى عن ان يمتهنوا
بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين
فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية
ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل
فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل
ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ به عن
اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همه واشتغل بالذكر والفكر
طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة
الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه صلى الله عليه وسلم لما قال الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة
فقيل ومن اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم
ما كانوا ياخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط
بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع
والله اعلم بالصواب آخر كتاب ذم الدنيا والحمد لله وحده حق حمده والصلوة على محمد نبيه وعبده
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا

كتاب ذم البخل وذم حب المال
وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط

الذي

الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر
والغنى والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود
والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير
كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة
وخولا والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل
ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم
فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد
ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها
من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء
الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة
بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعض اجزائها واتباع شهوة البطن والفرج
بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان
فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن
وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة
والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما ايدي الناس او تشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين
وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد
وهذه امور متشابهة فكشف الغطاء عن الغموض منها مهم ونحن نشرح ذلك في اربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى
وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة
السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل
ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهية حبه

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال
تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
وقال تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال تعالى الهيكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف
ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا
فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا و
هكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سياتي بعدكم قوم ياكلون اطايب الطعام
والوانها ويركبون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل
لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون
ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم

البصائر

ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم
دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن ادم مالي مالي
وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال
هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان
يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم اخلاء ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي
يتبعه الى قبض روحه هو المال والذي يتبعه الى قبره هو اهله والذي يتبعه الى محشره هو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلم
ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم عيسى عليه السلم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي
والمدر سواء وكتب سلمان الفارسي الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت
حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت
حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وكلما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه
الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذلك كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا
وانما نذكر الان ما ورد في المال خاصة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقالت الناس ما خلف
وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا **الاثار** روي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراه سوءا فقال
اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه
لا بد ان يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان عمر
رضي الله عنه ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب فقالت غفر الله له ثم حلت
سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها الى السماء وقالت اللهم لا يدركني عطاء
عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله
وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا
وقال سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان
لم تحسن رقيتها فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل فما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ
بالله من شرك فقال ان سرك ان يعيذك الله مني فابغض الدرهم لان الدرهم هو الدنيا كلها اذ يتوصل به الى جميعها فمن
صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل لا تغرنك ان وجدت فلا تقل انه خيرة انا التورع عندها الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته
فاعلم بان تقاك تقوى مسلم وقيل ايضا لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق عظم الساق منه رفعه او جبين لاح
فيه اثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه وروي ان مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته
فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك وتركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وكان له ثلثة عشر من
الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم
وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله تعالى فلا ابالي على ما وقع وروي

ان محمد بن كعب القرظي كان اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرت لولدك من بعدك قال لا ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي
ويروى ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من مائة الف درهم وقال يحيى بن
معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسال عنه كله

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم

اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك
خيرا الوصية الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء من ثواب الصدقة والحج فهو ثناء
على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك الاية وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه
الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وافاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه
وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما
هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما
ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصائر
سعادة الاخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من اكرم الناس واكيسهم قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلث وسائل في الدنيا وهي
الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر
الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم
والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر الشريف النفيس وملاك سعادتها
فانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء
والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن
تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث
هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته
ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له من الغرض محمودا في حقه
فاذا المال الة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ الة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة
الاخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود
المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع
الشهوات القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهلا لها والة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء
صلوات الله عليهم من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض
خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابرهيم عليه السلم فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعني
بعض التفاسير انه عنى به هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية في شيء
من هذه الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار

تعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش بين عليه السلم ان محبهما عبد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل
من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وذلك شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه
المؤمنون فانه اخفى من دبيب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان تفصيل افات المال وفوائده** اعلم
ان المال حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقها وغوائله سمومها فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شرها
ويستدر منه خيرها اما الفوائد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فانها معروفة مشتركة بين
اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فينحصر جميعها في ثلاثة انواع **النوع الاول** ان ينفقه على
نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال
وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقوي على العبادة وذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات
المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة
فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك
من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة
الاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها فيما تقدم واما المروة فنعني بها
صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم
الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء
فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه وقد وردت اخبار
كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل
المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ
الدينية ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة وكيف لا يكون كذلك وفيه منع
المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود
الشريعة واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت
اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الاخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان
يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى في نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور
ان يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت مغبون ان اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان
يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث** ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير
عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي
من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه
جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول
الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال
من الحظوظ الدنيوية واما الافات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلاث **الاولى** ان تجر الى المعاصي فان الشهوات

متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا تقدر ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية
لم تتحرك داعيته اليها فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب
الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء
الثانية انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب
الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمن بن داود عليهما السلم في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا
ويمرن عليها نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما
لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الردية
لينتظم امور دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي
الله تعالى في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الافة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق
تثور العداوة والصداقة ويتنبي على ذلك الحقد والحسد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص
القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزمه من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه
الثالثة وهي التي لا ينفك عنها احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله تعالى فهو خسران
ولذلك قال عيسى عليه السلم في المال ثلث افات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه
في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والتفكر في جلاله
وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشركاء و
منازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين
في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال
وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف المال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر
مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار الدنيا لا نهاية
لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا
من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت
منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وافات **بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس
مما في ايدي الناس اعلم** اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا
منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر
الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر
فان تشوق الى الكثرة وطول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي
الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب
عن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال

ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن ادم واديا من ذهب لاحب ان يكون له الثاني
ولو كان له الثاني لاحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو
موسى الاشعري رضي الله عنه نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم و
لو ان لابن ادم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله
عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن ادم وتشب منه اثنتان الامل وحب المال
او كما قال ولما كانت هذه جبلة للادمي ومضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على القناعة فقال
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد غني ولا فقير الا ود
يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة
الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه
ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروى ان موسى عليه السلم سال ربه عز وجل فقال اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته
قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان
نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة
اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن
ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى صلى الله عليه وسلم
عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت
فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الياس فيما ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال صلى الله عليه وسلم الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك
يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ما نبايعك فقال على
ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفيفة ولا تسالوا الناس شيئا قال فلقد
كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فلا يسال احدا ان يناوله اياه الا اثار وقال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان الياس غنى
وانه من يئس عما في ايدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل
العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر اقنع بعيشك ترضه واترك هواك وانت حر فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت
ودر وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم
ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك
خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان يا ابن ادم انما بطنك شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال
التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس عما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا
كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن
مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له
او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه ابو حازم قد رفعت حوائجي الى مولاي

فا

فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن قال اسرها
اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما
الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم
المفرط وقد قيل ارفه ببال فتى يمسي على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد
ليس يخلقه ان القناعة من يحلل بساحتها لا يلق في دهره هما يورقه وقيل ايضا حتى متى انا في حل وترحال وطول سعي
وادبار واقبال ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي بمشرق الارض طورا او مغربها لا يخطر الموت
من حرص على بالي ولو قنعت اتاني الموت في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما احل
من مال الله ما حلتا الشتاء والقيظ وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم
ولا باوضعهم ووالله ما ادري ايحل لي ذلك ام لا كانه شك في هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها
وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكان ما غاب
قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقيل اراك يزيدك الاثراء
حرصا على الدنيا كانك لا تموت فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت وقال الشعبي حكي
ان رجلا صاد قبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع
ولكن اعلمك ثلث خصال هن خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك اياها وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الجبل
قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون
ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض
على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت اثنتين فكيف اخبرك بالثالثة قال الم اقل لك لا تلهفن
على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان
في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الادمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون
وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد
اليزيدي دخلت على هرون الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما راني تبسم فقلت فائدة اصلح الله
امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما الثالثة
وانشدني اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها فان قراب البطن يكفيك ملاؤه ويكفيك
سوات الامور اجتنابها فلا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها وقال عبد الله بن
سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجل
للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في شيء فيطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا
حتى لا تحب ان تفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن
منك وخضعت له فمن حبك الدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك
اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان

انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قدر استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع
الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الارحاء وهو ياتيها
بالطحين واومى بيده الى رحى اضراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب صفة القناعة

اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور **الاول** وهو العمل الاقتصاد
في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد له
منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام
كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد منهم الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر
بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني بالرفق في الانفاق وترك الخرق
فيه قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الانفاق وترك الخرق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال
صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر
والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك
وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة
وفي الخبر التدبير نصف العيش وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه الله تعالى ومن بذر افقره الله تعالى ومن ذكر الله احبه الله
وقال صلى الله عليه وسلم اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور
الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق
بان الرزق الذي قدر له لا بد ان ياتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون
واثقا بوعد الله تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشاء ويقول له
انه لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا
من التعب فيضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل ومن ينفق
الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما لا تيأسا
من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك وقال صلى الله عليه وسلم الا ايها الناس اجملوا
في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن الثقة بتدبير الله تعالى
في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر
قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك
التقي محتاجا في الضرورات بل يلقي الله تعالى في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي
من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم
وجدت الدنيا شيئين فشيء منهما هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيء منهما هو لغيري فذلك
لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء

من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر **الثالث** ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في
الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع
لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الاخرة و
ذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والماثم ثم تفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه
كثرت حاجاته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق وتلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن
فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل
استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره **الرابع** ان يكثر تامله في تنعم
اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقاء من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت
الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل
الخلق او على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم
بالاكل فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم بالوقاع فالخنزير اعلا رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى زينة
منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا الاولياء والانبياء **الخامس** ان يفهم ما في جمع المال من الخطر
كما ذكرناه في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتامل ما ذكرناه
من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء واخرج
عن جريدة الفقراء ويتم ذلك له بان ينظر ابدا الى من هو دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره في الدنيا
الى من فوقه فيقول له لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من هو دونه
فيقول لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد
ان تتميز عنهم قال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه
الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر في ذلك الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل
ليتمتع دهورا طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

بيان فضيلة السخاء

اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي
ان يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من
اصول النجاة وعنه عبر صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة في الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا
قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبرائيل عليه السلم قال الله عز وجل ان هذا دين
ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن
عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل الله وليا له الا على السخاء وحسن الخلق وعن
جابر قال قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله

ومن لا يؤثر عز النفس نسخه

فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال
قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة وقال ابو
سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت
فيهم رحمتي ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب
السخي فان الله اخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى
ذروة البعير وان الله يباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره
سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه فاتاه رجل فساله فامر له بشاء كثير بين
جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن
الهلالي قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسارى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي كرم الله وجهه يا رسول الله
الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نزل علي جبرائيل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء
واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله
عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لا تأكله
النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخياء وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس
بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادوأ الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو
اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال صلى الله عليه وسلم ان بدلاء امتي
لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر
عليهم اعطاءه كما تيسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل
على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف فعلته الى غني او فقير فهو صدقة
وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا فيهم قيس بن
سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجود
من شيمة اهل ذلك البيت [illegible] قال علي كرم الله وجهه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها
فانها لا تبقى وانشد لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف * وان تولت فاحرى ان تجود بها * فالحمد منها
اذا ما ادبرت خلف * وسئل معوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن المروة والنجدة والكرم فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه

والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله صح

وحرزه

وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن
واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل ورفع رجل الى الحسين بن علي رضي الله
عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسالني الله تعالى
عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل
بعض الاعراب فقيل له من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما
من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدي بحقوق الله في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر اذا
كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصري ما السخاء قال ان تجود بمالك في الله تعالى قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فقيل
فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة
الا وان الله تعالى يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان
في الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وروي ان الاحنف بن قيس راى رجلا في يده
درهم فقال لمن هذا الدرهم قال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل انت للمال اذا امسكته فاذا
انفقته فالمال لك وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاصمعي
كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي رضي الله عنهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل
لسفين بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال قال وورث عبد الرحمن بن الحرث خمسين الف درهم فبعث
بها صررا الى اخوانه وقال لقد كنت اسال الله تعالى الجنة لاخواني في صلاتي فابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في
بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس عندك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت
ايادي عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال
لشبيب بن شبة كيف رايت الناس في داري فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند
عبد الله بن جعفر رضي الله عنه بهذين البيتين فقال ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع * فاذا اصطنعت
صنيعة فاقصد بها * لله او لذوي القرابة او دع * فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف
مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت انت له اهلا **حكايات الاسخياء** عن محمد بن المنكدر عن ام
درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق
فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءت بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت
اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت وعن ابان بن عثمن قال اراد رجل ان يضار عبيد الله
بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر بالخبر فامر
عبيد الله بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا
وقال عبيد الله لوكلائه اموجود لنا هذا كلما اردنا قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معوية
فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن لا تلقاه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا فلا بد
من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيا وتخلف عن الابل

وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثني ابي انه
رفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان
سخاء وحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء فهو الذي يمنعك ان تبلغنا ما انت عليه وقد امرت لك
بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم اكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على
قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح
ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر الله له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي
فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث احب الي من الجائزة وهي مائة الف وسال رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال يا هذا
حق سؤالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي
وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله
اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل
من الثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع
اليه الدراهم والدنانير فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليهما الحسن رداءه لكراء الحمل فقال له مواليه والله
ما عندنا درهم فقال ولكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا
جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنتا له من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام
عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس
ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل بها
مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن
سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه
الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمته خمسمائة الف الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم ببيعها ودفع
الفاضل اليها عن حقوقهم لمن لم تنله صلته وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال له رجل هب لي بحق علي بن ابي طالب الحمار وهبت لك
بموضع كذا فقال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها فكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه
بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي فادع علي عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني
فان اهلي لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف درهم فاخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زائدة
عاملا على العراقين بالبصرة فحضر على بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدم معن
اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الماء الذي يدخل بستان معن
وكان معن على راس الماء فلما ابصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا عليها مكتوب يا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن
سواك شفيع قال فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير
الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقراها ودعي بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما
اخذها الرجل تفكر وخاف ان ياخذ ما اعطاه فخرج فلما كان في اليوم الثالث قرا ما فيها ودعي بالرجل فطلب فلم يوجد فقال

معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وذكر ابو الحسن المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن
جعفر حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا لها هل من شراب فقالت نعم فاناخوا وليس لها الا شويهة
في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم
حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن
نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة
فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة
فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرت العجوز في بعض السكك فاذا الحسن بن علي رضي الله عنهما جالس على
باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه فدعاها فقال لها يا امة الله اتعرفيني قالت لا فقال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت
العجوز بابي انت وامي هو قال نعم ثم امر الحسن رضي الله عنه فاشترى لها من شاء الصدقة الف شاة وامر لها معها بالف دينار وبعث بها
مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه
الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي دينار والفي شاة فامر لها عبد الله بن جعفر بالفي دينار والفي شاة
وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز
من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك
رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار بجانبك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف
دينار فدفعها الى الغلام فقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب جاؤوا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة
فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاؤوا من سفر بعيد فراى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل
بعيرك بنجيبي وقد كان خلف السخي الميت نجيبا معروفا به وكان لهذا الرجل بعير سمين فقال له في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه
فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يثج من نحر بعيره فقام الرجل ونحره
وقسم لحمه فطبخوا وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان في اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من
فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه
في النوم فقال خذه هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان بن فلان وسماه
وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال
الرجل لغلامه ما بقي معك من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من
الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني واشترى
عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال
لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون لدارهم قال يا غلام ائتهم واعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك
ابن انس خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال اعطيته خمسمائة دينار وتعطيه
الف وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي من غلتي كل يوم الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي
انه لم تجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف دينار وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق من عسل

فقيل له في ذلك انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم
كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة
والعشي ويسالني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكانت تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما
تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وقال عبد الملك بن مروان لاسماء
بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا امير المؤمنين
ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما فدعوت قوما عليه الا كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه
قط يسالني شيئا فاستكثرت شيئا اعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمن بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد
شيئا كتب له صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمن تمثل بهذا البيت ، اني سمعت مع الصباح مناديا
يا من يعين على الفتى المعوان ، ثم قال حاجتك قال ديني قال وكم دينك قال ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله معه وقيل مرض
قيس بن سعد بن عبادة فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من
الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده
وحكي عن ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست
من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين وقال
الشيخ ابو سعد الخركوشي النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف
بانه يجمع للفقراء شيئا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح
بشيء فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم على جماعة كلمتهم في دفع شيء لمولود
فلم يتفق لي شيء ثم قام فاخرج دينارا فكسره بنصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح الله لك بشيء قال فاخذته
فانصرفت فاصلحت ما اتفق لي قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص صاحب القبر في منامه فقال سمعت جميع ما قلت
وليس لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها
الى هذا الرجل قال فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا
الدنانير وجاؤا بها ووضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن احياء فلما
الحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف
الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا تصدق به على الفقراء فقال ابو سعيد فلا ادري اي هؤلاء اسخى وروي ان
الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر فقال ايتوني بتذكرته
قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رحمه الله سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال
هذا غسلي اياه اي انه اراد به هذا قال ابو سعد الواعظ الخركوشي رحمه الله لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني
عليه فرايت جماعة من احفاده وزرتهم فرايت فيهم سيما الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته
فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي رحمه الله لا ازال احب حماد بن ابي سليمن لشيء بلغني عنه انه كان ذات
يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه

فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وانشد الشافعي لنفسه ، يا لهف
نفسي على مال افرقه ، على المقلين من اهل المروات ، ان اعتذاري الى من جاء يسالني ، ما ليس عندي لمن احدى المصيبات ، وعن الربيع
بن سليمن قال اخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي
يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة الاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على من دخل
عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال
وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة وتكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته
عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا
اذا حجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي ، ارى نفسي تتوق الى امور ، ويقصر دون مبلغهن مالي ، فنفسي لا تطاوعني لبخل ، ومالي
لا يبلغني فعالي ، وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المامون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك
المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى وقام
رجل الى سعيد بن العاص فساله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف
اخرى ودخل ابو تمام على ابرهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال
ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه ، ان حراما قبول مدحتنا ، وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدا بيد ، فلما وصل الى ابرهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام ببابنا قال شهرين قال اعطه
ثلثين الفا وجئني بدواة وبيضا فكتب اليه ، اعجلتنا فاتاك عاجل برنا ، قلا ولو امهلتنا لم تقلل ، فخذ القليل وكن كانك لم تقل
ونكون نحن كاننا لم نفعل ، ويروى انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال
له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه
ثقلا فقلت ما لك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فسالت الخادم
كم كان قال اربعمائة الف وجاء اعرابي الى طلحة فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ما سالني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني
بها عثمن ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمن ودفعت اليك الثمن فباعها من عثمن ودفع اليه الثمن
وقيل بكى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني
واتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك فقال علي اربعمائة درهم دين فوزن اربعمائة درهم واخرجها اليه وعاد
يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي به

بيان ذم البخل

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما
اتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا
محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا
محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية
ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل
كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه
واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا يتسع وقال النبي
صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن
واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش
المتفحش واياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال
وما يدريك انه شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا
ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر رضي الله عنه قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال انهم
يخيروني بين ان يسألوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير
فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة فلم يقل ذلك ان احدكم ليسألني
فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار قال عمر فلم تعطيهم ما هو نار قال يأبون الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل راسه راسخا
في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة
الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى
الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة
فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم
يا بني سلمة قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنزنه بالبخل فقال صلى الله عليه وسلم اي داء
ادوأ من البخل ثم قال ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء بن معرور وقال علي رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول
احب الى الله تعالى من العابد البخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال
ايضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى الشحيح اغدر من الظالم واي ظلم اعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح
ولا بخيل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا
غفرت لي ذنبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي فقال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم
ام الارضون فقال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي اعظم

الا انه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس صح

يا رسول الله

يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك
اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك فقال يا رسول الله اني ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني يسألني
فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية
والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي الف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت
وانت لئيم لاكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن
نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت
ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل
واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت
طوبى لمن دخلني فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اسكنك بخيلا وقالت ام البنين اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل لو كان
البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه انا لنجد باموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر
وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي كرم الله وجهه
في خطبته سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله
بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل
بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم
فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام
الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن
لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة
في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل الله تعالى به ملكين يناديان اللهم عجل للممسك تلفا وعجل للمنفق خلفا
وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السائل اذا راه ملك
الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان
يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة وقال علي كرم الله وجهه والله ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض
قال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله
عليه وسلم لرجل انك لبخيل ومدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال
بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخياء الا حب ولو كانوا
فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس
في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المؤمن البخيل وابغض الناس الي
الفاسق السخي قال له لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول
لولا انك يحيى لما اخبرتك **حكايات البخلاء** قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه
وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر

وصف حاله لطبيب فقال لا باس عليك تمنَّ ما اكلت فقال هاه اتمنى طباهجة بيض اموت ولا اتمنى طباهجة بيض وقيل اقبل اعرابي
يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم وقرأ والزيتون وطور سينين
فقال الرجل فاين التين قال التين تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه شيئا الى العصر حتى اشتد جوعه فاخذه مثل الجنون فاخذ
صاحب البيت العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك اياه قال صوت المقلاة وحكي ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان
بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه وقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل
فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قيل فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقيل له سوءة لك انت خاص به وثوبك مخرق فقال لي والله
ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوءا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما
يعقوب النبي عليهم السلام يطلبون منه ابرة ويسالانه ان يعيرهم اياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل وقيل كان مروان بن ابي
حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء
فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف سعره فامن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل
منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا عينه لونا واذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا واغنه لونا ودماغه
لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمع لي فيه مرافق كثيرة وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت
بالجائزة فقال ان اعطيت مائة الف درهم اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه
صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت
فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فبينا
ياكل اذ سال سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسالة فقال بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت
اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح
فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضله

اعلم ان السخاء والبخل كل واحد منهما ينقسم الى درجات
فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج
والبذل مع الحاجة اشد فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا
لاكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق
عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة به فقال ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على انفسنا ونزل
برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى اهله فوضع بين يديه الطعام
وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله عز وجل من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق
من اخلاق الله والايثار اعلى درجات السخاء وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله عظيما فقال
وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد وامته فقال يا موسى انك

[هامش: اشد وكما ان السخاء قد ينتهي الى ان يسخو الانسان على غيره مع الاحتياج فكذلك البخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة]

لن تطيق

لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر
الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى فقال يا رب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من
بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء
وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا
من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم
قال ما رايت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم
قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء ان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات
فاعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي
كان احوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى الآخر حتى تداوله سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي رضي الله عنه
على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبرائيل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول
من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة واحباها فاوحى الله عز وجل اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب
آخيت بينه وبين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه
فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله تعالى
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون
نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام
فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم ياكل احد منهم ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سائل ولم يكن عنده شيء
فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي ماء
وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار الي ان نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي
انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال ابن عباس
دخلنا ما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه اياه
واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من
البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد
ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة ودنى الكلب وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها
وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي العظم ثم رجع الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل
ما بقي عليها من اللحم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء في كتاب الفقر والزهد
فلا حاجة الى اعادته

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول عرف بشواهد الشرع
ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو يرى نفسه جوادا وربما يراه غيره بخيلا
وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه
حب المال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد من البخل واذا كان الامساك مطلقا

[هامش: انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به آخر فقال آه فاشار هشام ان صح]

لا يوجب البخل فلا معنى للبخل الا امساك المال فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاوة
وثوابها فنقول لقد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم الى
القصاب والخبز الى الخباز لنقص حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي
ثم يضايقهم في لقمة ازدادوها او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه يأكل معه فاخفاه
عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل
لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد
يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا
من واسعاف على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسئلة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء
لما امكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض
وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار
ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو
صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن
التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث
يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك
بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخي
وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد
صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة
والسخي هو الذي لا يمنع لا واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع
ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف
او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو ترك
المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله استقبح
منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب
ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة ويختلف
ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها
ويستقبح في شراء الكفن او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه
المضايقة من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامرأة وشيخ وشاب وعالم
وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص

على مقداره

على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال
فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه
هاتك ستر المروة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروة ولكن
معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان
وغرض الثواب ليكون رافعا للدرجات في الآخرة وامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق
وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا
سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك
باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة
اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات
فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه
من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروة
هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع
في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل
الشيء من غير غرض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله فاما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض
ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان
الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود
لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعواض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت
على حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن مسئلة فقالوا لها سلي عما شئت واشاروا الى
حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين
قالوا ان نعبد الله سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت فلم قالوا لان الله تعالى وعدنا
بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فباي شيء تسخيتم عليه فقالوا لها فما السخاء
عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا
حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم بها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في
الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات اتحسبون ان السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل لها ففيم قالت السخاء عندي في المهج
وقال المحاسبي السخاء في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى
بسماحة من غير اكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن كمال
السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن اختياره لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال
مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج في يوم او في شهر او في سنة

قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له ولد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني
ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته ويفضل الاف وهو شيخ ولا ولد له
ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده
وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل منها او
يتصدق وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا
فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى
اللذيذ لذيذ ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من
حيث قضاء حاجته فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب البخل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب
الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه
بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان
يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله وان كان فاسقا فيستعين
بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل
من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه ما من بخيل الا ويستقبح
البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في نفسه ويعالج ايضا قلبه
بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله
فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل
ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو
الحسن البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم امن على نفسي
ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره
حتى انه اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل فينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله
بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء
فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب لها خبث الرياء
ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه فيكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي
عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن لينقل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك
هذه الصفات الخبيثة فينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على
الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان
كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقطع علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل
لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض

البخل

البخل اغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان البعض
حتى يقل عددها ويكبرون ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان الى ان يغلب احدهما الاخر فياكله
ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف
قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت منها ومنع القوت من الصفات المذمومة
ان لا تعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال
فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذن علاج
البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة افة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي
ويصم فيمنع تحقق المعرفة بافته واذا لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع
معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل
في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية
غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه
ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف
متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه امتحن بمصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة
واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك وحمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج
مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او
فقرا قال فكيف قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن
من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبته فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب
الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة اولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع
طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها
الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف افة المال لم يانس به ولم ياخذ منه
الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذل
له بل هو كالماء على شاطئ دجلة اذ لا يبخل به احد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال
حية ياخذها الراقي ويستخرج منها الترياق وياخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال
الا بالمحافظة على خمس وظائف **الاولى** ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا
يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه **الثاني** يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض
وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة
وكالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروة وما يجري مجراه **الثالث** في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه
ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادنى واوسط

واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومقربا من حد الضرورة كان محقا وكان في جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية
لا آخر لعمقها وسنذكر تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد **الرابعة** يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر
ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حل في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير
حقه سواء **الخامسة** ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة
ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له فاذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا
اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك
لله مقصورة على عبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة
واذا كان ذلك قصدك بهما صارت عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان يكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية
لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان يقصد ان ينتفع به عبد من عباد الله فلا يمنعه منه عند حاجته
فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخ
في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة شابه الصبي
الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها استحسانا لصورتها وشكلها واستلانة
لجلدها فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدرك انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية
وقيل هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف
البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال **بيان ذم الغنى ومدح**
الفقر اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد
وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل
الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج
باغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الامة في علم المعاملة وله السبق
على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات فكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام
له في الرد على العلماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون
ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم
ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم
تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته
ولا ينقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول
افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق
للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم
ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة
معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم

بصلاح دنياكم صح

ثم تكبكم

ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم
على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض
الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم
بفضله وبعد فاني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف
والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم يبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من
مصيبة ما افظعها ومن رزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله
فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم
اموال فيتزين المغرور بذكر الصحابة ليعذره الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون
ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا
المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى وافضل من تركه
فقد ازريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك
من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم ينصح للامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم
عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى
زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت
ان الله لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار
كأنك اعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج
بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف فلقد ود ابن عوف في القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد
بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب
سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي بعير فأخذه بيده
ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا على وجهه حتى دخل على عثمان يستغيث به واخبره الخبر فاقبل
ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال ابو ذر هيه
يا ابن اليهودية تزعم ان لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال
يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل
ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي يا رسول الله قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله اموت
يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت
تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج وبلغنا ان عبد الرحمن
بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف
قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رأيت

ثم قلت او قنطارين يا رسول الله قال بل قيراطين صح

الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم
حبوا فقال عبد الرحمن بن عوف ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعبد الرحمن اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك
بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنايعه المعروفة وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشراه بالجنة يوقف في عرصات القيمة واهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنايع المعروف وانفق منه قصدا
واعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في اثارهم حبوا فما ظنك بامثالنا الغرقى في فتن
الدنيا فبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تمرغ في تخاليط الشهوات والشبهات والسحت وتكالب على اوساخ الناس وتتقلب
في الشهوات والزينة والمباهات وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وتزعم انك ان جمعت المال
فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك
احوالك واحوال السلف لتعرف فضايحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل
في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا فانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله
باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة اثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم
وبعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين
وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر
ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها فزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا
في نعيمها وزهراتها فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله
واذا راوا الفقر مقبلا عليهم قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا
واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك
فقال اني اذا اصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت اذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة واذا كان عند عيالي شيء اغتممت اذ لم يكن
لي بال محمد اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم
على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم
وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف احوالك ايها المفتون ضد الاحوالهم
وذلك انك تطغى عند الغناء وتبطر في الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط
عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال
وتجمعه خوفا من الفقراء وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها
وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا
ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيمة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
وانت في غفلة قد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر
والزينة في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا للتكاثر بها او للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث لما حل بك

من غضب الله

سح كالدابة سحا اي سال من فوق وكذلك المطر والدمع صحاح

المرح شدة الفرح صحاح

من غضب الله حين اردت التكاثر والعلو والفخر والزينة نعم وعساك المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله
وانت تكره لقاء الله والله للقائه اكره وانت في غفلة وعساك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله
نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك تحاسب على التحزن على
ما فاتك من الدنيا وتحاسب على فرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح لدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تعنى
بامور دنياك اضعاف ما تعنى بامور اخرتك وعساك مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك
من ذهاب المال اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك
ترضي المخلوقين بمساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار الله لك في القيمة اهون عليك فيها من احتقار الناس اياك
عساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها وكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة في الناس
وكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك فاف لك متلوثا في الاقذار
تحتج باعمال الابرار هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا
باس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا الزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل
شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثل افطارهم وليت اجتهادك
في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة انه قال غنيمة
الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الاخرة فسبحان الله
كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله وبعد
فان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك
كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال
مخافة ان نقع في باب الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع
المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اجترى على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ويحك ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم
لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان ادع درهما واحدا
مخافة ان لا يكون حلالا خير لي من ان اتصدق بالف دينار من شبهة لا ادري ايحل لي ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس
بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله عز وجل ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب
فان خيار الصحابة خافوا المسائلة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها
في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لاني غني عن مقام يوم القيمة فيقول عبدي من
اين كسبت وفي اي شيء انفقت فهولاء المتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب
مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت بغاية الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع

حسناتك

الحلال

المال من الحلال ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجود الديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا
ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك انقى من قلوب الصحابة فلا تزول
عن شئ من الحق في امرك واحوالك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان تقنع
بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش في الحساب عذب
وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى
برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال
فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال قف لعلك ضيعت في طلب هذا بشئ
مما فرض عليك من صلوة لم تصلها لوقتها وفرطت في شئ من ركوعها وسجودها ووضوءها فيقول لا يا رب كسبت من حلال
وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شئ من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا
يا رب لم اختل ولم اباه في شئ فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان
اعطيه قال فيجئ اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم
وما ضيع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شئ فيقال قف الان هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكلة او شربة او لقمة او لذة
فلا يزال يسال ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسائلة التي كانت لهذا الرجل تقلب في الحلال قام بالحقوق كلها وادى الفرائض
بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وزينتها ويحك
لاجل هذه المسائلة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك
بهؤلاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل
في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شئ من سرائرك وعلانيتك
ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق
مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا يحبسك عليك المسائلة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء المؤمنين الجنة
قبل اغنيائهم فيتمتعون ويأكلون والاخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم
فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما يسرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد وحزبه فيا قوم فاستبقوا
السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل المتقون
لقد بلغني ان بعض الصحابة عطش واستسقى فاتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع
عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فما زال يبكي حتى مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء
قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه في البيت احد غيره فجعل يدفع
عن نفسه ويقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب قال هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها
وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من بعدك فانا اخاف ان يكون

هذه

هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله بشربة
من حلال ويحك انت في انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات ولا تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك ويحك
فان تخلفت في القيمة عن رسول الله محمد المصطفى لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق
فليطولن عليك اللحاق ولئن اردت الكثير لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ
وعويل ولئن رضيت باحوال المخلفين لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن
خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت وبعد فان زعمت انك في مثال
خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لماله موثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا لغدك مبغض للتكاثر
والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير
عن الرشد قلبك فقد حاسبت نفسك في الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسائلة ولا
يحاسب مثلك من المتقين فانما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور فتدبر الامر واحسن النظر اما علمت
ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للتذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسائلة وامن
من روعات القيمة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله اضعافا وبلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان رجلا في حجره دنانير
يعطيها والاخر يذكر الله لكان الذاكر افضل وسئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابر به وبلغنا
ان بعض خيار التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر
فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل فقال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض
ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال انه اروح لبدنك واقل
لتعبك وانعم لعيشك وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم
وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الاجل وبعد
فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك اذ هداك الله به وترضى بما اختاره لنفسه
من مجانبة الدنيا ويحك تدبر بما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا
الى جنة الماوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض
لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي فمتى جمعت المال
من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر
والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من
دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول
وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا باساءتك وجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال
اخواني اعلموا ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من اورع الناس وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر
الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت وستر العورة فاما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله واياكم من ذلك وبعد

فاين لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم وخشيتهم واين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء
بادواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود فيا السعادة للمخفين بالنشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد
نصحت لكم ان قبلتم والقائلون قليل ووفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا اخر كلامه وفيه كناية لاظهار الفضل الفقر
على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له
ايضا ما روى عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما
والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا
لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود فضاقت
عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى
حتى ترك الصلوات في الجماعة الا الجمعة وهي تنمو كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسالهم
عن الاخبار وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة
واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا
من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب
وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما فقام
الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالا لا يجب عليك هذا وما نريد ان ناخذ هذا منك قال
بلى خذوها نفسي بها طيبة وانما هي لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال
اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما
قال ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فانزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب
ثعلبة فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب على راسه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء بها الى ابي بكر الصديق فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر فابى ان يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عمر فهذا
طغيان المال وشومه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنى اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه
ولاهل بيته حتى روى عن عمران بن الحصين انه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان الله
عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابي انت وامي فقام وقمت معه

زهدنا

اردت

حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله قال انا ومن معي قالت
ومن معك يا رسول الله قال عمران قالت والذي بعثك بالحق ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي
قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم
يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله فقد اضر بي الجوع
فبكى صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سالت
ربي لاطعمني ولكني اثرت الاخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت
فاين اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران فقال اسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها
وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في
الدنيا سيدا في الاخرة فانظر الان الى حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اثرت الفقر وتركت المال ومن
راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد من اخبارهم واثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات
اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا
مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلم فقال اكون معك
واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلم
الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية معها
خشفان لها قال فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال
للرجل اسالك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى بيد الرجل فمشيا
على الماء فلما جاوزا قال اسالك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ
عيسى عليه السلم يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا باذن الله فقسمه ثلثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك
وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك قال وفارقه عيسى فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال
فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاث قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري طعاما قال فبعثوا احدهم
فقال الذي بعث لاي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني اصنع في هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقالا ولذلك لاي شيء
يجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك
المال في المفازة واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلم على تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها
وحكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا
اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض الله لهم في ذلك معايش
من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين
وقال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا ذا قد جئت فقال له لو كانت لي حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم
على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها
قالوا انما كرهناها لان احدا لم يعط منها شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم قد احتفرتم

في المغارة

قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قال لو اردنا اذ نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا
من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهايم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها
فقالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وانما ما جاوز
الحنك من الطعام لم يجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول
جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم
وظلم وعتى فلما راى الله تعالى ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم تناول
جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع
الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله
عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين وقال وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت
صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان
ولا ان نكون جميعا فقال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك
والمال والدنيا ولا اجد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا
ومتعظا به فهذه الحكاية تدلك على افات الغنى مع ما قدمناه من قبل والحمد لله اولا واخرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

تم الكتاب بفضل الوهاب وصلى الله على خير خلقه محمد واله اجمعين

كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب
البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفى
فانه المتفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلوة على محمد وعلى اله واصحابه المبرئين عن الخيانة و
الافك وسلم كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة
الخفية الرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن
الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكائدها
وانما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الاخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها
وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي
الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة
الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليها بعين التعظيم والوقار فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق و
لم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركها للشهوات وتوقيها للشبهات
وتحملها مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء ونظروا اليها بعين التوقير و
الاحترام وتبركوا بمشاهدتها ولقائها ورغبوا في بركة دعائها وحرصوا على اتباع رايها وفاتحوها بالخدمة والسلام

واكرموها في المحافل غاية الاكرام وسامحوها في البيع والمعاملات وقدموها في المجالس واثروها بالمطاعم والملابس وتصاغروا لها
متواضعين وانقادوا لها في اغراضها موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اعظم الشهوات فاستحقرت
فيها ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهي تظن
ان حياتها بالله وبعباداته المرضية وانما حياتها بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها اولو العقول النافذة القوية وترى
انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من
المنزلة والوقار وحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من
المقربين فهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل اخر ما يخرج من رؤس الصديقين
حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة الشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته
واقسامه وطريق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين الشطر الاول في حب الجاه والشهرة
وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا اشد
من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة
الذم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح فهي اثنا عشر
فصلا منها تنشا معاني الرياء فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه
قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه
وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه
ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث
فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه
وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال
ابراهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان
اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام وراى طلحة قوما يمشون معه نحو عشرة فقال
ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب نمشي خلفه اذ راه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين
ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه اناس فالتفت اليهم
فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث معه قلوب
الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن وروي ان رجلا صحب
ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج
ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على
طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل
عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب

الزلة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحرث اوصنى قال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكى ويقول بلغ اسمى مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة رجل احب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم انى اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه شيئا من الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل متكبر جواظ وقال ابو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل فى صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتى من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة اعطاها اياه ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وروى ان عمر دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله تعالى يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيناهم فى دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحبه الذى استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال انى اتيتك فى حاجة قال ما هى قال تخصنى بدعوة فقال سبحان الله انت انت وتسالنى ان اخصك بدعوة فقال ما الذى بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرنى ونهانى فسالت الله فاعطانى وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون فى اهل السموات وتخفون فى اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلوة احسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع فصبر على ذلك قال ثم نقد رسول الله بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيمة الى عيسى بن مريم وقال الفضيل بلغنى ان الله عز وجل يقول فى بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استر عليك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلنى عندك من ارفع خلقك واجعلنى فى نفسى من اوضع خلقك واجعلنى عند الناس من اوسط خلقك وقال الثورى وجدت قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وعباء وقال ابراهيم بن ادهم ما قرت عينى يوما فى الدنيا قط الا مرة بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام وكان بى داء البطن فجرنى المؤذن برجلى حتى اخرجنى من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد فان قلت فاى شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وائمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة واما وجودها من جهة الله تعالى من غير تكلف من العبد

فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوى فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليه

بيان ذم الجاه

قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالى عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلى انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء

بيان الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوبة تعظيمها وطاعتها وكما ان الغنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير اى يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس اى يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها فى اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى ان يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متاب بطبعه ولو خلى ورايه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغى ان يكون الاحرار له عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذن معنى الجاه قيام المنزلة فى قلوب الناس اى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب يكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبيد فى اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد فهذه اثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال فى الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال فى صورة او قوة فى بدن او شىء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله فى القلب فيكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حبا لا يخلو عنه قلب الا بشديد المعاملة

اعلم ان السبب الذى يقتضى كون الذهب والفضة وسائر انواع المال محبوبا هو بعينه يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى ان يكون احب من المال كما يقتضى ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا فى المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض فى اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ومنكح وملبس

والحصى بمثابة ولكنهما وسيلتان الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك
الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد
قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه
احب من المال ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من ثلثة اوجه **الاول** ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى
الجاه فالعالم او الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب و
مبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس الذى لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله
واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك
الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب **الثانى** هو ان المال معرض لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج
فيه الى الحفظة والحراس ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهى على التحقيق خزاين عتيدة
لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدى الغصاب واثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ
واما خزاين القلوب فهى محفوظة بانفسها وذو الجاه فى امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف
وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله **الثالث**
ان ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص فاعتقدت كماله بعلم او
عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت
وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار فى الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد الى
واحد ويتزايد وليس له مرد معين **واما المال** فمن ملك منه شيا فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة
فالجاه ابدا فى النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت
الاموال فى مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح **فان قلت** فالاشكال قائم فى
المال والجاه جميعا فلم ينبغى ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذى يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج
الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذ كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال او
الجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفى الطبع امر عجيب وراء هذا وهو حب
جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخاير واستكثار الخزاين وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى وراءهما
ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصى البلاد التى يعلم قطعا انه لا يطاها ولا يشاهد اصحابها
ليعظموه او ليبروه بماله او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس عن ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت فى الطبع
ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة له فيه لا فى الدنيا ولا فى الاخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما
جلى يدركه الكافة والاخر خفى وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء و
ذلك لاستمداده من عرق خفى فى النفس وطبيعة مستكنة فى الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون **فاما السبب الاول** فهو دفع
الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا فى الحال فانه طويل الامل يخطر بباله ان المال الذى فيه كفايته
ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال اخر يفزع اليه

ان اصابت

ان اصابت هذا المال جايحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحيوة يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان
تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالاخر
وهذا خوف لا يوقف له عند مقدار مخصوص من المال فكذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما فى الدنيا ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد فى حبه قيام المنزلة والجاه فى قلوب الاباعد عن وطنه
وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان
ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه فى قلوبهم لما فيه من الامن من هذا
الخوف **واما السبب الثانى** وهو الاقوى ان الروح امر ربانى به وصفه الله تعالى اذ قال ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى
ومعنى كونه ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة فى اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة
ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية
كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من اصول مختلفة
يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الربانى يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل
الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة فى الوجود
نقص لا محالة فكمال الشمس فى انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصا فى حقها اذ لم تكن منفردة
بكمال معنى الشمسية والمتفرد بالوجود هو الله اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته
بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة فى الرتبة والمساواة فى الرتبة نقصان فى الكمال بل الكامل
من لا نظير له فى رتبته فكما ان اشراق نور الشمس فى اقطار الآفاق ليس نقصانا فى الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان
الشمس بوجود شمس اخرى تساويها فى الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما فى العالم يرجع الى اشراق انوار
القدرة فيكون تابعا ولا يكون معا فاذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون
هو المتفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفى باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم
الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية
التى اوما اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربى ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى درجة الكمال لم تسقط شهوتها للكمال
فهو محب للكمال ومشتهى له وملتذ به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك
الذى هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان يسلم التفرد بالوجود فى الاستيلاء على كل الموجودات
فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع
لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشئ بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره
بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له استيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان
الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير فى نفسه كذات الله وصفاته والى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولى عليها قدرة الخلق
كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملئكة والجن والشياطين والجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار
والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها

قابلة للتأثر والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذن انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارض
والى ما لا يقدر كذات الله والملائكة والسموات فاحب الانسان ان يستولى على السماويات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها
فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولى عليه فلذلك احب ان يعرف الله والملائكة
والافلاك والكواكب وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا ايضا
يضاهى اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهى ان يعرف اللعب
وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة فى الهندسية او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو يستشعر فى نفسه نقص العجز
والقصور عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم اذا علمه واما القسم الثانى
وهى الارضيات التى يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهى قسمان اجسام
وارواح اما الاجساد فالدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم
والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج
اليها فى ملبسه ومطعمه وفى شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة
حتى يتصرف فى اجسادهم واشخاصهم واستسخارهم وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها وتقوم
منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثانى نفوس الادميين وقلوبهم
وهى انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها فتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه
من كمال الاستيلاء والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان
الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الربانى من جملة معانى الانسان وهو الذى لا يبليه الموت
فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعى اليها فاذن معنى الجاه
تسخير القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب
القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا غاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم
او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذن مطلوب القلوب الكمال
الكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصورة فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب
فى كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع
سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات
ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم فى جميع العجائب والمشكلات لان فى العلم نوع استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذى
هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان فى حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا
فى العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقى فيه ملتبس بالكمال الوهمى وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها
من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثانى
من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم كشفا حقيقيا فان المعلومات مكشوفة لله تعالى باتم انواع الكشف

تستسخر

ومعنى تسخير القلوب هو الجاه

على ما هى عليها فلذلك مهما كان علم العبد اكثر واوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم فى تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله
والثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله باق لا يتصور ان يتغير ولذلك مهما كان علم العبد
بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات تنقسم قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم
بكون زيد فى الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج منها ويبقى اعتقاد كونه فى الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون
نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدته اعتقادا موافقا له ويتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك
نقصانا ويعود علمك جهلك ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كالعلم مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعد البلاد
وتباعد البلاد وتباعد ما بينهما من الاميال والفراسخ وسائر ما ذكر فى المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التى هى اصطلاحات
يتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه عدم معلوماتها مثل الزيبق يتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا فى الحال
ولا يبقى كمالا فى القلب والقسم الثانى هى المعلومات الازلية وهى جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة
المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه
الاقسام داخلة فى معرفة الله وما يجب له وما يستحيل فى صفاته ويجوز فى افعاله فالعلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته
فى ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقى الذى يقرب من يتصف به من الله تعالى
ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا
اتمم لنا نورنا واغفر لنا اى تكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف فى الدنيا كما ان من معه سراج خفى
فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفى على سبيل الاستتمام ومن
ليس معه اصل السراج لا مطمع له فى ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع فى ذلك النور فبقى كمن مثله فى ظلمات
ليس بخارج منها بل كظلمات فى بحر لجى يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذن لا سعادة
الا فى معرفة الله واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيره ومنها ماله
منفعة فى الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة
تفسير القران ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما فى القران من كيفية العبادات والاعمال التى تفيد تزكية النفس ومعرفة
طريق تزكية النفس تفيد فى استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فيكون جملة المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله وانما الكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته
وافعاله وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات فان الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هى فعل الله من
حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله هذا حكم كمال العلم الذى ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه
والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء للعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من
الاشياء عقيب ارادته وقدرته وحركته فهى حادثة باحداث الله كما قررناه فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل فى مواضع
شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت فيوصله الى الله فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة
بالاضافة الى الحال وهى وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى وحواسه للادراك
فان هذه القوى آلة للوصول به الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه

متغيرات العلم كعلمك بنسخ

اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال حقيقى

للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة
الحالية التى تنقضى على القرب فظن ذلك كمالا جهل والخلق كلهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد
بقهر الهيبة والحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه فلما احبوه
طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله والملائكة وهو العلم والحرية اما
العلم فما ذكرناه من معرفة الله واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة
الذين لا تستفزهم الشهوات ولا يستهويهم الغضب فان دفع اثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذى هو من صفات
الملائكة ومن صفات الكمال لله استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله اقرب وبالملائكة
اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى اقسام الكمال لانه حقيقته ترجع
الى عدم نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات وفى الصفات الكمال للذات فاذن الكمال ثلثة
ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية اعنى به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب
الدنيوية وكمال القدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته
على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة
الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال
وهو الكمال الذى لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء
هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك فالعلم والحرية هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس والمال والجاه
هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية فكل ما تذروه رياح
الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال
والجاه كمال ظنى لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقى
بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم
ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخرة فكل ما خلق فى الدنيا فيمكن ان يتزود
منه للاخرة كما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما
لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال الذى يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم
يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له فى قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة
ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون
له فى قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل فى قلب سلطانه ما يحثه
ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق فى هذا يفضى الى انه لا يكون
المال والجاه فى اعيانهما محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون فى داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود
لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس حبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوسل الى المحبوب

فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة
كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما انه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء
ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول فكذلك
الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل بهما الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما
يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوصل
الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين
وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتى فان قلت طلبه الجاه والمنزلة فى قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه
ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلثة اوجه
وجهان منها مباح ووجه منها محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم باعتقادهم صفة هو منفك عنها
مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوى او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول او بالمعاملة
واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام فيما اخبر الله سبحانه اجعلنى على خزائن الارض
انى حفيظ عليم فانه طلب المنزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه الثانى ان يطلب اخفاء
عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز
هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة فى العلم به كالذى يخفى على السلطان انه
يشرب الخمر ولا يلقى اليه انه ورع فان قوله انى ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب
ومن جملة المحظورات تحسين الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين
الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجرى مجرى
اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز ان يتملك مال غيره بتلبيس فى عوض او فى غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وتلبيس
وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال **بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح
النفس له وميل الطبع اليه وبغضه للذم ونفرته عنه** اعلم ان الحب
والتذاذ القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب
فادراكه لذيذ ومهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف
الذى به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل
ولكن لا يخلو من لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فيخلو عن لذته
فاذا شعر به لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء
عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا فى كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون
مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير متيقنا لكونه عديم النظير فى هذه الامور او تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث
ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه
الصفات خبير بها لا يجازف بالقول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل

فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام ولا يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم
ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا
صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح **السبب الثاني** ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح
وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر
الثناء ممن يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ويضعف مهما كان المثني ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة
عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب واذا كان من الاكابر
كانت نكايته اعظم لان الفايت به اكثر **السبب الثالث** ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما
اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت
الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس **السبب الرابع** ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق
اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان
المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تمنع المادح
وقوته فيكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد يجتمع في مدح مادح واحد فيعظم
الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة به اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في
مدحه كما اذا مدح بانه نسيب وسخي او عالم بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها
استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه
عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء
فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلثة فهذا ما يكشف الغطاء
عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف
سببه لا يمكن علاجه اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم ولا يزال في اقواله
وافعاله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات
والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال
وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول
او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك عين النفاق
فحب الجاه اذا من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم
وعمل اما العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا
وسلم فاخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة
لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به
الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك

انما يصغر في عين الكيس من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستصغر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن
البصري حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره الى المستقبل وقدره كائنا
وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كانت التفاتهم الى العاقبة
فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقروا الجاه والمال في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة
ولا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة و
تذرون الآخرة فمن هذا حده ينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها
ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب
والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات
له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة تكدر لذة الجاه فلا يفي
في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي ان تعالج البصيرة الضعيفة فاما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه
لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه من قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها
حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد قبول الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية
اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن
الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط
قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقم
فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون
الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم
بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد
واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب
وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلدة
التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي تترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما
سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت
نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار على ذلك نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوه فيه
وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب
وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة
الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى فقطع
طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي اكانت له منزلة في قلوبهم او لم تكن كما لا يبالي بذلك في قلوب
الذين هم منه في اقصى الشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى
لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين

على ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل ومثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف بجميع
وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الاخرة **بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم** اعلم
ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضاء الناس رجاء المدح
وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فتجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم **اما السبب**
الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك
بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق المدح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق ذلك كالثروة
والجاه والاغراض الدنيوية فان كان من الاغراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه
الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فلا ينبغي ان يفرح الانسان
بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بذكر المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق
الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر
الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت
تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار
الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلم ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت
الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول له سبحان الله
ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه من الاقذار
والانتان ثم يفرح به فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار
صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذن المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب فينبغي ان
يغمك ذلك ولا تفرح به **واما السبب الثاني** وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب اخر فهذا
يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله وبان تعلم ان طلبك المنزلة
في قلوب الناس وفرحك بها يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به **واما السبب الثالث** وهو الحشمة التي اضطرت
المادح الى المدح فهذا ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا يستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه
وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف فان افة المدح على الممدوح عظيم كما ذكرناه في كتاب افات اللسان قال بعض السلف من فرح
بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل
انت فانت والله بئس الرجل وروي في بعض الاخبار فان صح فانه قاصم للظهر ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عليه السلام لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح
ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال عليه السلام الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان
الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال رجلا عن شيء
فقال يا امير المؤمنين انت خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك بان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس بخير ما ابقاك
الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك هذا يتقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا

المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق
لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل
النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما
علم ان الاجال والارزاق بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه **بيان**
علاج كراهة الذم قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه ايضا يفهم
منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا
ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون كاذبا فان كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منه فان من
اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك حتى تتقيها فينبغي ان تفرح وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت
عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فغاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك
ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان كنت غافلا او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب
سعاداتك وقد استفدته فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك
ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث
بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكة في الاخرة والانسان انما يعرفها من قول
اعدائه فينبغي ان يغتنمه واما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت
انت وتضررت به **الحالة الثانية** ان يفتري عليك بما انت بريء منه فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر
في ثلثة امور احدها انك ان خلوت عن ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واخواته وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه
على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بريء منه **والثاني** ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت بريء
منه وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فهو اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع ظهرك
وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى **واما الثالث** فهو ان المسكين جنى على دينه
حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه وتشمت الشيطان
به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان
ضربوه ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اني اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون بسببي معاقبا ومما يهون عليك
كراهة المذمة قطع الطمع عن الجاه والمال فانك مهما استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم امر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة فبها ينقطع
الطمع عن الجاه والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة
ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا
بيان اختلاف الاحوال في المدح والذم اعلم ان الناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح
الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو
غاية درجات المعصية في هذا الباب **الحالة الثانية** ان يغضب في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويحب

بالمدح ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة

وهو اولى درجات الكمال ان يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه

ويكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد فى نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجد

فى المادح وان لا يجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوائج المادح فوق ما يجده فى قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام

عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطرى له اشد نكاية فى قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه

بمصيبة المادح وما ينال له من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفى عينه من زلة الذام فمهما خف

الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح

الناس مستبطن فى قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام و

الشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما فانما استثقالك للذام

من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان فى الناس من ارتكب من كبائر المعاصى اكثر مما ارتكبه الذام فى مذمته ثم انه لا يستثقلهم

ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذى مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد فى نفسه نفرة عنه لمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة

من حيث انها معصية لا تختلف من ان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان

يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته

تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر فى الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم

يحسبون انهم يحسنون صنعا **الحالة الرابعة** وهى الصدق فى العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم

انه فتنة عليه قاصم الظهر مضر له فى الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهدى اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ويهدى اليه حسناته وقد قال

صلى الله عليه وسلم راس التواضع ان يكره ان يذكر بالبر والتقوى فقد روى فى بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روى انه

صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض

المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع فى الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر

بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيه ثم ان طالبنا انفسنا بعلامة الحالة الثانية ما وفت

بها فانها لابد وان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على ان نسوى

بينهما فى الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه فى سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح فى ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ

قدوة فى هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحد من هذه الرتب ايضا فيها درجات

اما الدرجات فى المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائى بالعبادات

ولا يبالى بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات

ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذى يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه

ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق

السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى الرتبة التى قبله وان جاهد نفسه

فذلك

فى ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور عليه بالتفكر فى آفات المدح فهو فى خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم

من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير ان كان قد بقى عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن

لا ينتهى به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وفى قلبه محبة له

فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال فى حق

الذام واول درجاته اظهار الغضب واخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن فى قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة

عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح

اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها ويكون ذلك كالتشفى له من نفسه ويكون غنيمة عنده

اذ صار بالمذمة اوضع فى اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها نفسه يكون نجبر العيوب هو عاجز

عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره فى هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوى عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيها لا يتفرغ معه

لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شئ منها الا بالمجاهدة الشديدة فى العمر الطويل والله اعلم

الشطر الثانى من الكتاب فى طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان

حقيقة الرياء وما يرائى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه

وبيان الرخصة فى اظهار الطاعات وبيان الرخصة فى كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط

العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهى عشرة فصول **بيان**

ذم الرياء اعلم ان الرياء حرام والمرائى عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الآيات والاخبار والآثار فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم

عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء

وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفى كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال

تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فيمن يطلب الاجر والحمد بعبادته واعماله واما الاخبار

فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم حين ساله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى

ابو هريرة فى حديث الثلثة المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارى لكتاب الله كما اوردناه فى كتاب الاخلاص وان الله تعالى يقول لكل

واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قارى فاخبر عليه السلم

انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذى احبط اعمالهم وقال ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم من رايا رايا الله به ومن سمع سمع الله به وفى

حديث طويل ان الله تعالى يقول للملئكة ان هذا لم يرد بعمله فاجعلوه فى سجين وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك

الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن

فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد فى جهنم

اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيرى فهو له كله وانا منه برئ وانا اغنى الاغنياء عن الشرك

وقال عيسى عليه السلم اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف

عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله عز وجل يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه

مقدار ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حين راه يبكى ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم

يقول الله في الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقائقه
وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر
على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت
تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون
الصنم ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الارض مادت فخلق الله الجبال فصيرها اوتادا
الارض فقالت الملئكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء
باطفاء النار وامر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملئكة فقالت نسال الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى
لم اخلق شيئا هو اشد من ابن ادم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن
رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ قلت لبيك بابي انت وامي قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم
تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء
من السموات السبع ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس حتى
اذا اطلعت به الى سماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع
عمل من اغتاب الناس يتجاوزني الى غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية
فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلوة قد اعجب الحفظة فيجاوزون
به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلوة وحج
وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع
عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوز به الى السماء الخامسة كانه العروس
المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس
من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وتصعد
الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني
الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي النحل وضوء كضوء
الشمس معها ثلثة الف من الملئكة فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انما اراد به غير الله انه اراد به رفعة عند
الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا
يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله وتشيعه

ملئكة

ملئكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول لهم
انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي تقول الملئكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا
وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ
قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القران واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم
ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك
ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار
قال الله تعالى والناشطات نشطا اتدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي قال كلاب النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي
فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رايت اكثر تلاوة للقران من معاذ للحذر مما
في هذا الحديث **واما الاثار** يروى ان عمر رضي الله عنه راى رجلا يطاطي رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس
الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب وراى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي كرم
الله وجهه للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة
بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فساله ثلث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم
قال في الثالثة ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وقال سال رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب
ان يحمد به ويوجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك
ولا هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا
اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده قال فنعم اذا وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم
لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق
فما يمنعه من ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب
اطلب اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة
ان الله ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل
سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة
اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي كيف يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء
الرحمن وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري
اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي
على العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل كيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة
وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به

اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائتهم
خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادة واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة
في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب

اذهب فخذ اجرك صح

فكدرت

بيمينه بصدقة صح

في عملك

رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمرايا به هو الخصال التي هو قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمرايا به كثيرة
ويجمعه خمسة اقسام وهو مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك
اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات
الاول الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين
وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وكذلك يرائي بتشعث الشعر ليدل به على
استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفوس لمعرفتهم
فلذلك تدعو النفوس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك
على انه مواظب على الصوم فان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلام
اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان
بالرياء ولذلك قال ابن مسعود واصبحوا صياما مدهنين فهذه مراياة اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا فيراؤون باظهار السمن
وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وما تناسبها **الثاني** الرياء بالزي والهيئة
اما الهيئة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدو في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس
الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثياب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة
فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقعة والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس
عن حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى انه انما انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه
الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤون بالزي على طبقات
منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها وقصرها
ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس
قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك
والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون
الجمع بين قبول اهل الدنيا والدين فلذلك يطلبون الاصواف الرقيقة والاكسية الرفيعة والمرقعات المصبوغة فيلبسونها
وقيمة ثيابهم قيمة ثياب الاغنياء ولونها وهيئتها لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين فهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب
خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي والكتان الدقيق الابيض
او القصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة
منهم راى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا
فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة
والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك
الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة **الثالث** الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة
وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين

وتحريك

وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف
على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ
الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح
او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه لا تنحصر
واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار
التودد الى الناس لاستمالة القلوب **الرابع** الرياء بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل الركوع والسجود
واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام
الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في المشي الى حاجته
فاذا اطلع عليه احد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته
فاذا راه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء
ومنهم من اذا سمع هذا استحيى من ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمراى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة
حتى اذا راه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته
في الخلوة ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله وحياء منه واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا
والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة **الخامس** المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين
كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون
اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه
لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ
وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت في البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون به
الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل
الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبيئته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته
لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ذلك من قلوبهم مع انه قطع طمعه عن
اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال
ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد فمنهم من يريد انتشار
الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه فيقوم له بها جاه
عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر
طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء **فان قلت** فالرياء حرام او مكروه
او مباح او فيه تفصيل **فاقول** فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو
كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب
قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام

حيث قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي و
ينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا
نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه
مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير
حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين
ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه
الانسان عند الخروج الى الناس مراءاة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل
عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته
وشعره فقلت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه وكان يجب عليه
ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر وكان ذلك قصد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد
امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذا المراءاة
بما ليس من العبادات قد تكون مباحا وقد تكون طاعة وقد تكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق
ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذه مراءاة وليس بحرام وكذلك امثاله اما
العبادات كالصدقة والصلوة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احديهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر
وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك
ويأثم لما دلت عليه الاخبار والآثار والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر والخداع لانه خيل اليهم انه مخلص
مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم
ليعتقدوا سخاوته اثم بما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر والثاني ان يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة
الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان يتمثل بين
يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا
يكون استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد به عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد
بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه
اولى بالتقرب اليه من الله تعالى اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر
المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سيأتي في درجات الرياء
ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم
يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس
فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق

كان ذلك

كان ذلك قريبا من الشرك الا ان قصده تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله ففي هذا كان شركا خفيا
لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله
ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم فاقبل بوجهه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم في
الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم
هذا في الدنيا فكيف يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب
عند الله ما يترقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان تشك في ان المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا
هذا ان لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلوته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص
ويدل على ما نقلناه في الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلاثة المراءى به
والمراءى لاجله ونفس قصد الرياء **الركن الاول نفس قصد الرياء** وذلك لا يخلو اما ان يكون
مجردا دون ارادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب
او اضعف او متساوية لارادة العباد فيكون الدرجات اربعة **الدرجة الاولى** وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي
بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج
الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه في الدرجة العليا من الرياء **الدرجة الثانية**
ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان
قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم **الدرجة
الثالثة** هو ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت
الرغبة او كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون
له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص **الدرجة الرابعة** ان يكون
اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم عند الله
انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن
الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح **الركن الثاني المراءى به** وهو الطاعات
وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها **القسم الاول** وهو الاغلظ الرياء بالاصول
وهو على ثلاث درجات **الدرجة الاولى** الرياء باصل الايمان وهو اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي
يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله تعالى
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي في دلالة قولهم
على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض
وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والآيات
فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسلخ

عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدين او يعتقد طي بساط الاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر **الدرجة الثانية** الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره ويأمره باخراج الزكوة خوفا من ذمه والله يعلم انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه ويبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس او يغزو او يحج لذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان لم يكن منسلا عن الايمان من حيث الاعتقاد **الدرجة الثالثة** ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذه هي الرياء باصول العبادات

القسم الثاني الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات **الدرجة الاولى** انه يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل هذا فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه آدمي احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملاء دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الرديئة او من الحب الردي فاذا اطلع غيره عليه اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والكذب لكمال العبادة لا لعموم فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا الالسنة بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة الشيطان وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وهي خدمتك لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكانت شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي فيه حالتان احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلوتي عند الله ناقصة واذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان ترك تحسين الصلوة

فيفوت الثواب ويحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم يحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراءات بطاعة فان ذلك استهزاء كما سبق **الدرجة الثانية** ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم **الدرجة الثالثة** ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى تحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم

الركن الثالث المرايا لاجله

فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلث درجات **الدرجة الاولى** وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن كل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوة او الصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودايع فياخذها ويجحدها او تسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والذكر وانما قصده التحبب الى امرأة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامرأة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى **الدرجة الثانية** ان يكون غرضه نيل مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امرأة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد امرأة بعينها لينكحها او امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويج ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحيوة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه **الدرجة الثالثة** ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة من ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي يعطش في يوم عرفة او عاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى الطعام فيمتنع ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبثين

فانه يرى انه صائم فانه يرى به انه مخلص فيه ليس بمرائي وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا ويريد ان يقال انه ساتر لعبادته
ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت
تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول
ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب
مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني اصوم فهذا وما يجري مجراه من علامات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء
في الباطن اما المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله
فيه فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة
الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو
من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلة
بآفات النفوس وغوائل القلوب

بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الرياء جلي
وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل
الذي يريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عليه الضيف نشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا
يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء
الى العمل لم يكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد مخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه
ويرده ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي فيه
يترشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر
منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق
الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان
لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس
الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور
طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس احب ان يبدؤوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه
وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له في المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى
الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه فلو لم يكن قد سبقت منه الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود
العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل فكل ذلك يوشك
ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال ان الله يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم
السعر الم تكونوا تبدؤون بالسلام الم يكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي
عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في
هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سأل حاجة احب ان يقضى لمكان دينه
وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس

فقال السايح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا
فقال الملك اين صاحبكم قالوا هو هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السايح
الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة
يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان يخلص عملهم فيجازيهم الله في القيمة باخلاصهم على ملاء
من الخلق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيمة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا
يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة
فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا
وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزودونه
له من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة ولا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه
شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرت البهائم والصبيان الرضع او غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا
فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق واجل وزيادة
ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا
للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود [وبعضه مذموم صح] فنقول
اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود ومذموم فاما المحمود فاربعة الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة
والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع الله ونظره له والطافه
فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه
بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله
مقبول ففرح به الثاني ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستره عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا
التفات الى المستقبل الثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهر
آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله مثل اجر اعمال المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شيئا وتوقع ذلك جدير
بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم
لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به
وينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمدهم غيره مثل
فرحه بحمدهم اياه واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته عند الناس حتى يمدحونه ويعظمونه ويقومون بقضاء
حوائجه ويقابلونه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبطه

فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد
عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على
الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا لم يتكلف اظهاره [اظهاره] والتحدث به ولم يتمن ذكره

واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء
ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود
انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله
فقال له ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون
ذلك من رسول الله وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد
ان يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ويعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ
منه بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلوة فان ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل اما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ
من الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل و
اما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العمل به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت له نظارة
او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او تذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة
واستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب آخره
طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على الصلوة في هذه الصورة
لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منه منفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة فاما اذا كان
وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح بحضورهم وانعقد الرياء وقصد
تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق
معه الاحساس بقصد العبادة وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه
لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة العقد
والى بقاء اصل قصد الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط في امر هو اهون منه وقال
اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه محبط
لانه نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط ان
لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل فقد قال
الحسن انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل
لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله
لا يضره اي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه
بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني
انه اراد ان يسر به للاقتداء به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرور بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به
اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان السرور بالمحمدة اجر وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث انه قال
اكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء
اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا

الاحباط

من باعث

من باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل
وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على
ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر
الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلوة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه
شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الآن
فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ

القسم الثالث الذي يقارن
حال العقد بان يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان تم عليه حتى يسلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه
في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لا تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة
يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم
عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ
بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا
ان الصلوة والركوع والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة
لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الاخيرين خارج من قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع
والسجود دون التكبير الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك من يقول
لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح
فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد
افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا
كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان
بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة
وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلوة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد
ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان
نفلا فحكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال صلاته فاسدة
والاقتداء به باطل حتى ان من يصلي التراويح وتبين من قرائن احواله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس
خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا فيصح باعتبار ذلك القصد صلوته ويصح الاقتداء به وان
اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما
فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الواجب عنه لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو
لم يكن باعث الرياء لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلوة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا
فيحتمل ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث

مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كالمصلي في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلوة ويسقط الفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر الى الصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لاخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين الصلوة بالوقت فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس عليه اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء من صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه

لقد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة تضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم ويرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال المقام الاول في قطع عروقه واستيصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم المذمة والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او ان يذم بانه مغلوب مقهور قال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو لذة طلب الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة وكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا فقال عمر يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملا دفتي راحلته ورقا وقال عليه السلم من غزا لا يبتغي الا عقالا فله ما نوى فهذه اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كي لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على الم الذم ولذلك يترك السؤال عن علم ما هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار

فالمآل

في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب الاليم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤس العباد يا فاجر يا غادر يا مرائي استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزئت بنظر الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة وبما يحبط الله عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا افسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم فلا يزيده حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا ما لم يكتبه الله تعالى ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه افة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عز وجل عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال الشاعر ان مدحي زين وان ذمي شين فقال صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في حمد الله ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للاخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء واما الدواء العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال له ابو حفص

الطهرت ماكان سبيله ان تخفيه لا تجا الحسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا
دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل
الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية
ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما

المقام الثاني في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء
من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين الخلق واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة
بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر
الرياء وخواطر الرياء ثلثة قد يخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد يترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء
اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس له في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على
تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما الكمال القوة في دفع
الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق او رجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق
علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فائدة في علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من افة الرياء وتعرضه
للمقت عند الله في القيامة وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله وكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة
افة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة
تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما واغلاهما فاذن لا بد في رد الرياء من ثلثة امور المعرفة والكراهة والاباء
وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويا
عليه وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص اليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب
عن القلب المعرفة السابقة بافات الرياء وشوم عاقبته اذ لم يبق في القلب موضع خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي
يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق
عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر افة الغضب ويشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة يملاء القلب وتدفع نور الحكمة والمعرفة
مثل مرارة الغضب والى ما اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسينا
يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلات بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات
التي تهجم فجاءة هكذا يكون اذ ينسى معرفة مضرته الداخلة عليه في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة
ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب
هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن الفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام
لا يدعوه اليه الا الرياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكن يستمر عليه فتكون الحجة اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما
عند الله ولا ينفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون
الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان يصرف عن الفعل فاذن لا فائدة
الا في اجتماع الثلث وهي المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان

ونور العلم وضعف المعرفة بسبب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل في افات الحيوة الدنيا و
عظيم نعيم الاخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان
حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هو الذي تغصب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب
والسنة وانوار العلم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل
الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه ولميله وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم ان الله لم يكلف
العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته
ان يقابل شهوتها بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الاخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية
في اداء ما كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه فقالوا يعرض لقلوبنا اشياء
لان نخر من السماء فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال او قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك
صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة
المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع
ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة
وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك
لنفسك فعاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا يضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر
التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة
من الايمان ومن اثار العقل الا ان للشيطان هيهنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال
بمجادلة الرياء ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته
انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع
مراتب الاولى ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم للقلب وهو على
التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع
الطريق نقصان في السلوك الرتبة الثانية ان يعرف ان القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل
بمجادلته الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب
الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة الرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده
عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة
والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب ياسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل بن غزوان
انه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من امره قيل ومن امره قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له اي لاغيظنه بان اطيع الله
فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العبادة كف عنه خيفة من ان يزيد في حسناته وقال ابرهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد
الى الباب من الاثم فلا يطيعه ويحدث عند ذلك خيرا فاذا راه كذلك تركه وقال ايضا اذا راك الشيطان مترددا طمع فيك واذا
راك مداوما ملك وقلاك وضرب الحرث المحاسبي لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا

من العلم والحديث ليبا لوامنه فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وهاله ان يعرفوا الحق فتقدم الى الواحد
يمنعه وصرفه عنه ودعوته الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة
وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في نحر الضلال ولم يشتغل بالقتال
واستعجل فنجح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر
على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك ان عادوا
ومروا عليه مرة اخرى ان يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فان الشيطان اذا كان لا
يؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل خطوره للحذر منه انتظار الوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع او يجب الاشتغال
بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر
من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد في
الدعوة الى الخمر والزنا فصار ملاذ الدنيا عندهم وان كان مباحا كالخمر والخنزير عندهم واذ خلوا من حبها بالكلية لم يبق للشيطان
اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج من قل يقينه ونقص توكله
فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره وعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس له امر ولا يكون الا ما اراد الله فهو الضار
والنافع والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من
الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهي وسيلة الشيطان يكاد
يكون غرورا اذ الانبياء لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات
وحب الدنيا بل في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وقد قال صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي مع ان شيطانه قد اسلم ولا يامره الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله وسائر الانبياء
فهو مغرور ولم يؤمنوا ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه ادم وحوى في الجنة التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله
لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع انه
لم ينه الا عن شجرة واحدة واطلق له وراء ذلك ما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد
الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقال موسى عليه السلام
هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال انه
يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقران من اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن فيه واخذ الحذر حيث امر الله
به لا ينافي الاشتغال بحب الله فان من الحب امتثال الاوامر وقد امر الله بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال تعالى خذوا
حذرهم واسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل واذا لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه
فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه
يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة من عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان
التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك

قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح
في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع
عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا ينافي امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار
والنافع والمحيي والمميت هو الله فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما
ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون كلام العباد الذين
لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم هذه
الفرقة اختلفت على ثلاثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي ان يكون شيء على قلوبنا اغلب
من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن
ذكر الله واشتغال الهم بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة
الى الحذر فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا لذكره كنا اهملنا ذكر الله فالجمع اولى
وقال العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان
كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله
فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب الذي ليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه
فلم نؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله و الشيطان
وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص عن ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم
العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فليشتغل بذكر الله ويكب
عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه
يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف على ان يفوته مهم عند
طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل وانه لما سكن في قلبه من
الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان
اشتغاله بمجرد ذكر الله قياما ما اماته الهوى واحيا فيه نور العلم والعقل واما ظلمة الشهوات واهل البصيرة اشعروا
قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا
بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو ومثال القلب مثال بئر يراد تطهيرها من الماء القذر لينفجر منه الماء الصافي فالمشتغل بذكر
الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله فقد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه
من جانب الاخر فيطول تعبه ولا يجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذي يعمل المجرى للماء القذر سدا ويملأه بالماء الصافي
فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء
وترغيب الناس في الخير ولكن فيه افة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة
ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم

والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والاخر في التحدث بما عمل القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملاء لترغيب الناس فيها كما روى عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه ويجري سائر الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتداء على الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في صلوة الليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به وكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام وان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل من السر ويدل على ذلك ان الله امر انبياءه باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله له اجرها واجر من عمل بها وقد روى في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصل شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احديهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدي به اهله دون جيرانه وربما يقتدي به جيرانه دون اهله وربما يقتدي به اهل محلته فاما العالم المعروف فهو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة فانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق في الماء في الدنيا المه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة اقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعالم اخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوعة والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الافات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليه امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء القسم الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه

اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجى الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الافات لانه ترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها ولا سمعت النبي عليه السلام يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر ما ابالي اصبحت على عسر او على يسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها الا كلمتي هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة نعبث بها حتى ندرك الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله في بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدرت ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب اظهار العمل والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان السبب في اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقران من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم لها

اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر لرجل عليك بعمل العلانية فقال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليه غيرك لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائه عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستتر ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه الاول هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره يوم القيمة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة الايمان والثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احب الله وهذا ينشا من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس له من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث

تاذى جبهه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم به نعم كمال الصدق في ان يزول عن رؤيته الخلق فيستوى ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع يتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين وكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم بفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد لطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك من نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يترك الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يولم واما الذم فانه يولم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع **السادس** ان يستر كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان يستتر لذلك حذرا منه **السابع** مجرد الحياء فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبى مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيى من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان وقال الحياء لا ياتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيى الكريم فالذى يفسق ولم يبال بان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء وهو اشد حالا ممن يستتر ويستحيى الا ان الحياء ممزوج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعى كل مراء انه مستحى وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم ويهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائى معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيى من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيى ولا يقرض رياء ولا يطلب ثوابا فله عند ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيى اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلثة احوال **احدها** ان يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيتقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطى حتى يثنى عليك ويحمدك وينتشر اسمك بالسخاء او تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء **الثاني** ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص ويقول لها ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه **والثالث** ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيى منه من الاجانب او الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائى يستحيى من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في المشى فيعود الى الهدوء او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء

وهو عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعيف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الصلوة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فيستحيى من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذى الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن واحسن منه ان تستحيى من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب **والثامن** ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرى عليه غيره ويقتدى به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهي القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي ان يخفى العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي الستر هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله فان الله اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وعلى صلوتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحدودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الافات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الافات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاسات ومجاهدات وانما تصير لذيذة من حيث انه يوصل به الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولاية والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما يعظم الافة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة

القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلثة **احدها** ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع من نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيين من مولاك لا تسخوا بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث الرياء وسخت النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة عليه فليشتغل بالعمل **الثانية** ان ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول **الثالثة** ان يعقد على الاخلاص ثم يطرا الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل ولكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فان لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعته بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضايع فاى فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب وقال خلصها من التراب ونقها تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت

لم يخلص فلا صار منافيا فيترك العمل من اصله هو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس
ان يقولوا انه مراي فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه اولا اساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان
فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراي هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم
انه مراي او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر وبين ان يترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد
الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت
العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة
الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص بل لا نجاة منه الا بان يلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه
ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان
ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر
الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك
وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انت مراي
فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله فان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم
يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله فانه لا بد وان يبقى معه اصل قصد الثواب
فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابرهيم النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة
وقال لا يرى هذا انا نقرا كل ساعة وقال ابرهيم التيمي اذا اعجبك السكوت فتكلم واذا اعجبك الكلام فاسكت وكان الحسن يقول ان احدهم
ليمر بالاذى لا يمنعه من رفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد ورد في ذلك آثار كثيرة
قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار العبادات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب لخوف شهرة
من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون
الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف
فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق ابرهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله
واستينافها بعد خروجه للاشتغال به وبمكالمته فراى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى
يعود اليه بعد ذلك واما ترك رفع الاذى عن الطريق فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن
عبادات هي اكثر من رفع خشبة من الطريق فيكون تركه ذلك للمحافظة على عبادات اكثر منها لا لمجرد خوف الرياء واما قول التيمي
اذا اعجبك الكلام فاسكت فيجوز ان يكون قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك
العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة
ما تعظم في الكلام فهو واقع من القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات
ثم كلام الحسن في ترك البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفاء الذين لم يعرفوا الافضل ولم يدركوا
هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها **القسم الثاني** ما يتعلق بالخلق ويعظم
فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير ثم التدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة

فهي من افضل العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين
عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط وقال ابو هريرة
قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل رواه
ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من افضل العبادات ولم يزل المتقون يحترزون منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها
من عظيم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا صارت
الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على
ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه
ولهذا الخطر العظيم كان يقول عمر رضي الله عنه من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والي عشرة الا جاء يوم
القيمة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا امير المؤمنين اشر
علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خر لي قال اجلس وكذلك حديث
عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اوتيتها
بمسئلة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تأمر على
اثنين وانت قد وليت امر امة محمد قال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة
يرى ما ورد في فضل الامارة مع ما ورد عن النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا
من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه
في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق من اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا
الشيطان فايس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيها ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة
ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فراها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية
ولكن يخاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد
اختلف الفقهاء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه
الا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير ولو وعدت بالخير
جزما لكان يخاف عليه ان يتغير عند الولاية فكيف اذا ظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع والعزل
مؤلم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم
ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل من يحب الولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية
وحملت على السؤال في الطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا نولي امرنا من سالنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي
والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر رضي الله عنه رافع بن عمر عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة
والامارة فهو في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب
فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح
بغير سكين فحكمه حكم الخلافة ينبغي ان يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم

لو عدلوا بهم ومعاملات السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه ولم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء فان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان لم تسمح به نفسه فهو اذن يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي وقد دفن بشر كذا وكذا قمطرا من الحديث وقال اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في موعظته وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا يوازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام تستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام وتعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمين فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي ان يتركه ويخالف الهوى فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين منته ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة الا من اخذها بحقها فقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر ابي بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول ان ابيا سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستأذنه رجل عمران يعظ الناس اذا فرغ من صلوة الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح المسلمين فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما فاما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد الى تعطيل القضاء بل الرياسة وحبها تضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التي فيها الفتوى والرياسة لافلتوا من الحبس وكسروا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا انه لو كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عند الخوف الا امتناع بعضهم والا فنعلم انهم كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم لغيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده فيجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا الذي

قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار ما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية على الكبائر بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان انما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق العلماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى عليه السلم يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل في قلوبكم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا ينقضي من الدنيا شهوته ولا ينقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم من اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم فقد روى الحرث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم ايما داع دعى الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلوة لا تترك العمل ولكن تمم وجاهد فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة انما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس وروايته ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وسواس الرياء في اثناء الصلوة وهو لها كاره فلا يترك الصلوة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلثة الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية الصلوة والصوم والحج والغزو فقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة ولذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلوة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء رأسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انها بالولايات اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال

واخذه للتفرقة على المستحقين فان فى الانفاق واظهار السخاء استجلاب الثناء وفى ادخال السرور على قلب الناس لذة للنفس و
الافات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك واخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد
افضل لما تعرفون من قلة السلامة فى الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله وقال ابو الدرداء ما سرنى ان اقف على درج مسجد
دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما انى لا احرم البيع والشراء ولكنى اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منه وتصدق به فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات
والنوافل وقال قوم الجلوس ودوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا لتبر
تركك لها ابر وقال اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله اكبر وافضل وهذا فيمن سلم من الافات فاما من يتعرض لافة
الرياء فتركه لها والاشتغال بالذكر لا خلاف فى انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الافات والاحب ان يعمل
ويدفع الافة فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون
ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو فى الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل
اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا فى بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفى واثبات وهو موكول الى اجتهاد القلب
لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الافة وهو عين
البخل ولا خلاف فى ان تفرقة المال فى المباحات فضلا من الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل
ترك الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما فى الكسب من الافات فاما المال الحاصل الحلال فتفرقه افضل بكل حال من امساكه
فان قلت وباى علامة يعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص فى وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احدها
انه لو ظهر من هو احسن وعظا منه واغزر علما منه والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى
لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقى كما كان عليه فلينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى
ان لا يحب اتباع الناس له فى الطريق والمشى خلفه فى الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روى عن سعيد بن
ابى مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر
فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت فى المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه
فنزل ومشى نحو الحسن فلما راه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسى
حتى صار بينى وبين الحسن فرجة مجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بينى وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به فى كل يوم
فما قطع الحسن كلامه وقال سعيد فقلت فى نفسى لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد
فى كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به فى كل يوم
حتى انتهى الى اخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ
وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها خلقا وعادة فانه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض
الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن
حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين انى
رجل شيخ كبير وانى اغزى فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا وانى فى ثلثمائة درهم من العطاء ولى سبع بنات من العيال فشكى

من حاله حتى رق له الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله
خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزى فى الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا اغزا
اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى الى الحجاج
وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذى تكلم
به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رايته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد فى مجلسه فعظم
الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانهم يظنون ان الخيانة ليست الا فى الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل
فيطمئن الى ناحيته ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار انى اتيت هذا الرجل فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله غزى
كذا واذا اغزا اخاه اغزاه كذا لا ابا لك تحرض علينا الناس اما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله
عنى وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فراى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسالون عن شىء
والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وامثالها يتبين سريرة الباطن ومهما رايت العلماء يتغايرون ويتحاسدون
ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فهم الخاسرون بيان ما يصح من نشاط
العبد فى العبادة بسبب روية الخلق وما لا يصح اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم فى موضع
فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم يصلون بالليل كله او بعضه وهو ممن يقوم فى بيته ساعة قريبة فاذا راهم انبعث نشاطه
للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلى مع انه كان لا يعتاد الصلاة فكذلك قد يقع فى موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث
له نشاط فى الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق
بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب فى عبادة الله وفى قيام الليل وصيام النهار ولكن قد يعوقه عائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن
من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشتغال فى بعض المواضع
فينبعث النشاط فقد يكون الرجل فى منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير وتمكنه من التمتع بزوجته
او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال بالاولاد او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع فى منزل غريب اندفعت
هذه الشواغل التى تفتر رغبة الخير وحصلت له اسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله واعرضوا
عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء وربما يفارقه النوم
لاستنكاره الموضع او بسبب اخر فيغتنم زوال النوم وفى منزله ربما يغلبه النوم وينضاف اليه انه فى منزله على الدوام والنفس
لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم
فى منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم
فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم عنها قوى الباعث فهذه وامثاله من الاسباب يتصور وقوعها
ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصده عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت
لا تعمل فى بيتك ولا تزد على صلواتك المعتادة وقد تكون رغبته فى الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل
لا سيما اذا كانوا يظنون به انه كان يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول
الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلى لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلى كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق

لاطلاعهم وهذا امر تشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة
لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق
وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت
تسخو نفسه بالصلوة وهم لا يرونه فان سمحت به فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه او غاب عن اعينهم فليترك
فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب
حمدهم ويمكن ان يكون سببه تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال الغفلة بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين
ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان
يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء
فلو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب فقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق
اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينيه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق ان يعرض على نفسه
انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عنهم فانما
خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي قال لقمان لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك
الصيحة والتنفس والانين عند القرآن والذكر او بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف وتارة
يكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة نفسه فيتكلف التنفس والانين ويتحازن وذلك محمود وقد يقترن به الرغبة فيه لدلالته
على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها
سلم بكاؤه وتباكيه فان قبل ذلك وركن بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله وقد يكون اصل الانين عن الحزن ولكن
يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه
نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى الزيادة تحزين للصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد ان استرسلت
لخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذا قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيي ان يقال له
انه سقط من غير زوال العقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن
صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة
والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشية صحيحة ولو كانت
لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى انه ضعيف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطى ليظهر انه ضعيف
عن سرعة المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في
الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن ذي النون انه قام وزعق فقام
معه شيخ رأى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر
تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة
بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمرايات فهذه خواطر ترد على
القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله

فامضه

فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عنك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك
على الاخلاص فيه واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في
اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قال احد الثلاثة نفر الذين حاجوا ايوب اذ قال يا ايوب اما علمت ان العبد تضل عنه علانيته
التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك من ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء
علي بن الحسين اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلو سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي
وتضيع لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري وافضي اليك باسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك
بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلاثة نفر لايوب يا ايوب الم تعلم ان الذين حفظوا
علانيتهم واضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه
ففي الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل
وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه
من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها

بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده

اعلم ان اولى ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته
ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجاه واشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان
في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات
العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف
العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك
وينكرون قدرك ويحرمون عن الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الاخرة
ونعيم الجنة ودوامها ابد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره تحبب اليهم
وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول كيف ابيع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق
واجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه فيقول انما يقوى على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شأنهم
فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط
لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص
احوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا
هل من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فيأتي المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص
وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة
الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذا ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه
ليصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله
خائفا انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده فيجوز ان يكون الله قد احصى عليه من نيته
الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي ان يكون

متيقنا في الابتداء انه مخلص لا يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة
عن شائبة خفية احبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك في انه
هل افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لاجل
ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوائج الناس وافادة
العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضيت حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر
ومكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة او مرافقة في
المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب
على عمله الذي علمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا
يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون عن ذلك حتى ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم وادلوا الحبل
ليأخذوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرأ عليه اية من القرآن او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت
لسفين الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي فقال علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني
الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفين ببدرة او بدرتين وكان ابوه صديقا لسفين وكان
سفين يأتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شيء فقال رحم الله اباك كان وكان فاثنى عليه قال فقال يا ابا عبد الله قد عرفت
كيف صار الي هذا المال فاحب ان تأخذ هذا تستعين بها على عيالك قال فقبل سفين ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه
فرده علي فرجع فقال احب ان تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه فكانه كانت اخوته مع ابيه في الله فكره ان يأخذ ذلك قال ولده
فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت له ويلك اي شيء قلبك هذا حجارة هب انه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما
ترحم عيالك واكثرت عليه فقال الله يا مبارك تاكلها انت هنيئا مريئا واسأل عنها انا فاذن يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله
في اقتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه طلب حمد الله وثوابه ونيل المنزلة له عنده لا عند المعلم وعند الخلق
وربما يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لان ارادته غير الله بطاعته خسران في الحال
والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله ويعبد الله ويخدم
المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم
غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله في رضا الوالدين ولا يجوز له ان يرائي
بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه ويسقط منزلته من قلوب الوالدين
ايضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلم الله ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده و
استعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته وانما سلوته معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم
لمحله ولا يدري هو انه المخفف للعمل عليه وقال ابراهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته
فقلت له يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا قلت احببت
ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذي بحذائك قلت نعم قال انهم
يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك

الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال
انزل عن الصومعة فنزلت فادلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد رأوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت
النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به قالوا ساوم قلت عشرون دينارا
فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطات
لو ساومتهم بعشرين الفا لاعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والمجيء والمقصود
ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة
سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة فلو تغيروا عن اعتقادهم لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها
في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب
اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل
بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا انه يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا بأس
ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواه قصد الانقباض
بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو سريعا او يأكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا
لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم فلا ينجو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد
سوى الله تعالى فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا بخطرات ضعيفة لا تشق
عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والآخر فقير
فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف
لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في رغبة الآخرة ويحبب الى
القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي ان الاغنياء لم يروا
في مجلس اذل منهم في مجلس الثوري كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم
لك زيادة اكرام للغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة
في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني وايثارك له لا يكون الا طمعا او رياء ثم
اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفي او طمع
خفي كما قال ابن السماك لجارية ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان
ينطلق عند الغني بما لا ينطلق عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها
في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى
لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته
اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته
عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها
وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما

نازعته نفسه الى شهوة تذكر في توالي الايام والاعوام عليه واداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه
ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما تستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب
رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها
فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله
فيهلك ورجاء ان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان
الله ابد الآباد ثم علم ان الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب
والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير
وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سائر اللذات ويقويه
على اماتة الشهوات وتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول
من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية
جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته والله اعلم تم كتاب
ذم الرياء والجاه بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والصلوة على النبي محمد المصطفى
وآله الطيبين الطاهرين

كتاب ذم الكبر
والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل
متكبر في جناب عزه مستكين خاشع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع
القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر
السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته
وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه
ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلوة على محمد الذي انزل معه النور
المنتشر ضياؤه حتى اشرق بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى آله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه
وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي
فمن نازعني فيهما قصمته وقال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داءان
مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين
شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر
وشطر في العجب **الشطر الاول** من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة
التواضع وبيان حقيقة الكبر والعجب وآفته وبيان من يتكبر عليه وبيان درجات الكبر وبيان ما به الكبر وبيان البواعث
على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود

من خلق

من خلق التواضع والمذموم منه **بيان ذم الكبر** قد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر
فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر وقال تعالى فبئس مثوى المتكبرين
وقال تعالى يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة من ايمان وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما القيته في جهنم وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى
عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني
عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال
سليمن بن داود صلوات الله عليهما يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن
فرفع حتى سمع زجل الملئكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال
ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول
وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة وقال
صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس
وسقطاؤهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء
ولكل واحدة منكما ملؤها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى وبئس العبد
عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدأ
والمنتهى وعن ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر
وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى
كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله
وبحمده فانها صلوة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عيسى عليه السلم طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي صلى الله
عليه وسلم اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المغلوبون وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الينا
واقربكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال
المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في
جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صورة الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله وعن محمد بن واسع قال دخلت على
بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حقا
على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون
ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلثة

[illegible]

دخل الجنة الجبر والدين والغلول **الآثار** قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وجلس الاحنف فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك فيه فقال عجبا لابن ادم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن ادم يغسل الخرء كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك او كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها الحسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي وفخوخا وان مصالي الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر بما اعطاه الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله

بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال عليه السلم بينما رجل يتبختر في برديه قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن ادم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وقال النبي عليه السلم اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان **الآثار** عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير الماخوذ بامر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال ابن ادم معجب بشبابه معجب بجماله كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم وروي ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها وراى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا اكثر الله مثله في المسلمين وراى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا فكررها مرتين او ثلاثا ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع

بيان فضيلة التواضع

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقبا وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي ان النبي عليه السلم كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات لاجلي وقال عليه السلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال عيسى عليه السلم طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال عليه السلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال عليه السلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاءه رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال عليه السلم لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال عليه السلم اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار **الآثار** قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله واذا تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض وقال اخسأ خساك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس صغير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى رجل نائم تحت شجرة وقد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيمة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة انكم لتغفلون عن افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه

عليك فضلا وقال قتادة من اعطى مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله تعالى الى عيسى
انا انعمت عليك نعمة فلا تستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله وتواضع بها
لله الا اعطاه الله فى الدنيا نفعها ورفع له بها درجة فى الاخرة وما انعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها
لله الا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اى الرجال افضل
قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قدرة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك فى شرفك
اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرا آتاه الله جمالا فى خلقته وتواضعا فى حسبه وبسطة
فى ذات يده فعف فى جماله وواسى فى ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه
بيده وكان سليمان بن داود اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجىء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مسكين
وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء فى الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء فى الثياب المرتفعة ويروى انه خرج يونس
وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهما الحسن اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت
له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودى فرفعه الله فوق الجبال وجعل
قرار السفينة عليه وقال ابو سليمان ان الله تعالى اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى فخصه من بينهم بالكلام
وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك فى الرحمة لولا انى كنت معهم انى اخشى انهم حرموا بسببى ويقال ارفع
ما يكون المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميرى
الزاهد بغير تواضع كالشجرة لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادى فى باب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقنى
احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعى قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا
وقال موسى بن القسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله لنا
فبكى ثم قال ليتنى لم اكن سبب هلاككم قال فرايت النبى عليه السلم فى النوم فقال ان الله تعالى دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل
الى الشبلى فقال له ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال انا النقطة التى تحت الباء فقال له الشبلى ابادك الله شاهدك او تجعل لنفسك
مكانا وقال الشبلى فى بعض كلامه ذلى عطل ذل اليهود ويقال من راى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف
قال رايت على بن ابى طالب فى المنام فقلت يا امير المؤمنين عظنى فقال ما احسن التواضع بالاغنياء فى مجالس الفقراء رغبة منهم
فى ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله تعالى وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال
ابو يزيد ما دام العبد يظن ان فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع
كل انسان على قدر معرفته بربه ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعونى كاتضاعى عند نفسى ما قدروا عليه
وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكى الشريف
اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع وقال التواضع فى الخلق
كلهم حسن وفى الاغنياء احسن والكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله ولا رفعة الا لمن تواضع
لله ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله وقال ابو على الجوزجانى النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن
اراد الله هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله بعبد خيرا فاذا هاجت فى نفسه نار الكبر ادركها التواضع

مع نصرة الله واذا هاجت نار الحسد فى نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله واذا هاجت فى نفسه نار الحرص ادركتها القناعة
مع عون الله وعن الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة فى مجلسه لولا انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يكون فى اخر الزمان
زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها
والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وعن محمد بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت
رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل
حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال ما لك تنظر الى فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له
الصفة فقال انا ذاك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال انى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع
فيه الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابرهيم النخعى هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء
السلمى اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذه بطنه كانه امراة ماخض وقال هذا من اجلى يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس
وكان بشر الحافى يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه
فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان يوما فقال سلمان لكنى خلقت من نطفة قذرة ثم اعود
جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر رضى الله عنه وجدنا الكرم فى التقوى والغنى
فى اليقين والشرف فى التواضع

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى
باطن وظاهر فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال
فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر
فالاصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون الى روية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا
عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سياتى فان العجب لا يستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان
يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك
يكون متكبرا ولا يكفى ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه
فلا يتكبر ولا يكفى ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغى
ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه
الروية هو الكبر بل هذه الروية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل فى قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز
فى نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبى عليه السلم اعوذ بك من نفخة الكبر
ولذلك قال عمر اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذى استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح فكان الانسان مهما راى نفسه بهذه
العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة فى النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة و
تعظما ولذلك قال ابن عباس فى قوله تعالى ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة
ثم هذه العزة تقتضى اعمالا فى الظاهر والباطن هى ثمراته ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من
دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان كان اشد كبرا
فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيانف

وعن محمد بن شيبة صح

عن مساواته وتقدم عليه في مضايق الطريق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان تقصر في قضاء حوائجه
وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء
من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير
استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة فهذا هو
الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس
وكيف لا تعظم آفته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا عن الجنة
لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعز النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر
على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على ترك المعصية وفيه العز ولا يقدر على ان يدوم على الصدق وفيه
العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه
العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا
من ان يفوته عزه فمن هذا لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها
داعي الى البعض وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وقد ورد فيه الايات التي فيها ذم المتكبرين قال
الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله فقال ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يؤمنون
بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير
سارفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها
ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا
تعمر في قلب المتكبر الا ترون ان من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طاطا اظله واكنه فهذا مثل ضربه الله للمتكبرين
وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال من سفه
الحق وغمص الناس

بيان درجات المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه

اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر الخلق وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق
فاذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام **القسم الاول** التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا
مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة
بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال
تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية وقال تعالى واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا الآية **القسم الثاني** التكبر على الرسل من حيث تعزز
النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره
فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسول

كما حكى الله

على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر صح

كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا وقالوا ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا لولا انزل
عليه ملك وقال فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين قال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله
جميعا وقال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تُعبد
اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف من عبودية الله ومن اتباع موسى وقالت قريش لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
قال قتادة الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه
الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم وقال ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم
واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا
عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا
اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل
يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم
من عرف ومنعه الكبر من الاعتراف قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى
الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم وتانف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين
احدهما ان الكبر والعزة والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء
فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا يليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على
راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما
تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق
الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان التكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي
يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستاثر بما حق الملك ان يستاثر به منهم فهو منازع له في بعض امره
وان لم يبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم
فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة
الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك **الوجه الثاني** الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعو
الى مخالفة الله في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل
الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف
الآخر عن قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله
فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر
به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي
عن عمر رضي الله عنه انه قرأها وقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر وقال تقتلون الذين

يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما انه اذا قيل له اتق الله قال
عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال عليه السلام لا استطعت فما منعه الا الكبر فما
رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب بابليس لهذا مثلا وما
حكى من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع
من السجود الذي امره الله به فكان مبدأه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله وكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد
فهذه آفات الكبر عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس
فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو قال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس
اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده للحق وهي الآفة الثانية
وكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما
بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الله والرسل

بيان ما به الكبر اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال
ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي والديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال
وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء
فلا يلبث العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس فينظر اليهم نظره
الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدؤه بالسلام فان بدأ احدهم بالسلام او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة
رأى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا
له ويخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه ولا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم
ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده او اجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة
منه لديهم ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا واما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه
عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا
اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر
العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه
لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال
فان قلت فما بال بعض الناس يزدادون بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى علما
وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله والحجاب منه فهذا يورث الخشية
والتواضع دون الكبر قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو
وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى
علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطرق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثاني ان يخوض
العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سيء الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع

المجاهدات

المجاهدات ولم يروض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا
فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار
بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها
فيزيد المتكبر كبرا وهذا لمن كان همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا
مع جهله فازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولذلك
ذلك قال تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف
اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون قوم
يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم
ايها الامة اولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك
استأذن تميم الداري عمر في القصص فأبى ان يأذن له وقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قومه انه اذا سلم من صلوته
ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا
اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعز
على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال انه عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي
ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين
لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فاني يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم ارباب
الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات
هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك
بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا
ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر
علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة
قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم
انفسهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع
والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق
واما في الدين فانه يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر لخلق الله تعالى مغتر بالله
آمن من مكره غير خائف من سطوته فكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا
ان يحقر اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجو لنفسه فالخلق
يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد عنهم كأنه مترفع
عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله

الى هذه الاعمال كما روى فى بنى اسرائيل يقال له خليع بنى اسرائيل لكثرة فساده مر برجل عابد وكان على رأس العابد غمامة تظله
لما مر الخليع به فقال الخليع فى نفسه انا خليع بنى اسرائيل وهذا عابد بنى اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله ان يرحمنى فجلس اليه
فقال العابد انا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيل فكيف يجلس الى فانف منه وقال له قم عنى فاوحى الله الى نبى ذلك
الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفى حديث اخر فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا
يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصى اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا فقد اطاع بقلبه فهو اطوع
لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى ان رجلا فى بنى اسرائيل اتى عابدا من بنى اسرائيل فوطئ على رقبته
وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتألى على بل انت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن
وحتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اى ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب
الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الافة ايضا قلما ينفك عنها العباد وهو انه لو استخف به مستخف او اذاه مؤذ
استبعد ان يغفر الله له ولا يشك فى انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما اخر لم يستنكر ذلك كل الاستنكار وذلك لعظم
قدر نفسه وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله وقد ينتهى الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون
ما يجرى عليه واذا اصيب من اذاه بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما اراد به الا اشفاء غليله والانتقام منه مع انه
يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة اذوا الانبياء فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان
الله امهل اكثرهم ولم يعاقبهم فى الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا والاخرة ثم الجاهل المغرور
يظن انه اكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه ولعله فى مقت من الله باعجابه وكبره وهو غافل عن
هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقول عطاء السلمى حين تهب ريح او تقع صاعقة
ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببى ولو مات عطاء لتخلصوا وما قال الاخر لما انصرف من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كونى
فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقى الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر بعمله وسعيه وذلك ربما يضمر
من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله
فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصى واعظم شىء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض
وامن من مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير للنبى صلى الله عليه وسلم فاقبل
ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى ارى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبى عليه السلام
واصحابه فقال له النبى اسألك بالله حدثتك نفسك انه ليس فى القوم افضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله
بنور النبوة ما استكن فى قلبه سفعة فى وجهه وهذه افة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد
فى افة الكبر على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع
ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ فى نفسه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية
ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع فى المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر فى حقه وادنى ذلك فى العالم
ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفى العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم
او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس فى الجبهة حتى يقطب ولا فى الوجه حتى يعبس ولا فى الخد حتى يصعر

ولا فى الرقبة

ولا فى الرقبة حتى يطاطأ ولا فى الذيل حتى يضم انما الورع فى القلوب قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره فقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث
بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبنى من القراء كل طلق مضحاك فاما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس
يمن عليك بعمله فلا اكثر الله فى المسلمين مثله ولو كان يرضى الله ذلك لما قال لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف حالا ممن هو فى الرتبة الثالثة وهو الذى يظهر الكبر
على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير
فى العلم والعمل واما العابد فانه يقول فى معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان
فيهم بالتنقيص ثم يثنى على نفسه ويقول انى لم افطر منذ كذا ولا انام الليل واختم القران فى كل ليلة وفلان ينام سحرا ولا
يكثر القراءة وما يجرى مجراه وقد يذكر نفسه ممتنا فيقول قصدنى فلان فهلك ولده واخذ ماله او مرض وما يجرى
مجراه يدعى الكرامة لنفسه واما المباهاة فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلى وان كانوا
يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد فى العبادة خوفا ان يقال غيره اعبد
منه او اقوى منه فى دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن فى العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ
فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذى سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته
فهو انه يجتهد فى المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار فى تحصيل علوم يتجمل بها فى المحافل كالمناظرة
والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ
الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطأ واحد منهم
ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر واثاره التى يثمرها التعزز
بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه وليت شعرى من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ويقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو
فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من
الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل الثالث
بالحسب والنسب فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم
فيرى ان الناس له موال وعبيد ويانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطى
ويا هندى ويا ارمنى من انت ومن ابوك انا فلان بن فلان وانى لمثلك ان يكلمنى او ينظر الى ومع مثلى تتكلم وما يجرى مجراه
وذلك عرق دفين فى النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان
غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته ويترشح منه كما روى عن ابى ذر انه قال قاولت رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له
يا ابن السوداء فقال عليه السلام يا ابا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل قال ابو ذر فاضطجعت
وقلت للرجل قم فطأ على خدى فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان

ذلك خطاء وجهل وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك
ما روي ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال عليه السلام افتخر رجلان
عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من اهل
النار وانت عاشرهم وقال النبي عليه السلام ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي
تدوف بآنافها القذر الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر
عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة انها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا انها قصيرة فقال
عليه السلام قد اغتبتها وهذا منشأه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت
المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضاعتهم وبين
الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكدي
ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع مالك
وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة
الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه صاحبه فقال ان ترن انا اقل
منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين الى قوله فلن تستطيع له طلبا فكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره
وقوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون انه لذو حظ عظيم السادس الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف السابع التكبر بالاتباع
والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء بالمستفيدين
وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة
معرفته وقدرته على صناعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة
الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم
على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله كالعالم
الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه **بيان البواعث على التكبر
واسبابه المهيجة له** اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان تسمى
تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد
وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه وبعمله او بشيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه
ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه
هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء
اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد
فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا
ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا يطاوعه النفس على

التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد
في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به واما
الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق
حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل
بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه
على ان يعامله باخلاق الكبر وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان
الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا
يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه
لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك
قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم
عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه
كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن
كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر **بيان
اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر اعلم** ان التكبر
يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا او متكئا وفي اقواله حتى في صوته
ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله
وفي سائر تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض
فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى
رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من
كراهيته ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان
عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال
ما يبقي هذا من قلب العبد وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما
لتعليم غيره او لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد في الصلوة وابدله بالخليع لاحد هذين
المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفين الثوري
قدم الرملة فبعث ابرهيم بن ادهم اليه ان تعال فحدثنا فجاءهم سفين فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر
كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست
الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي وجرني الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون
بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا مني وقال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو كبر دخل رجل وعليه

جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده اصحابه يأكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي عليه السلام
بجنبه وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا
في بيته والتواضع خلافه كما روي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفى فقال الضيف اقوم الى
المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال فانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ
المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير المؤمنين قال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان
عند الله متواضعا ومنها ان لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له
من خشب الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع
الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق
حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين قال لا ابو العيال
احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به الكبر والتواضع وقد قال النبي عليه السلام البذاذة من الايمان قال هرون سالت معنا عن البذاذة
فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة
عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب علي رضي الله عنه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى
عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين ويروى ان عمر بن عبد
العزيز كان قبل ان يستخلف تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان تشترى له
الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا ذواقة وانها
لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله وقال سعيد
سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المؤمنين
ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخره
عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا عليه السلام عن الجمال
في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من
ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه من حال
ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال فعرفه ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته
ان يكون من الكبر وقد يكون من الكبر كما ان الرضا بالثياب الدون قد تكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب الجمال اذا
راه الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته حتى في ستور داره
فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في
القلب وقول نبينا عليه السلام انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان يوجبه ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال
يختلف في مثل هذا والمحبوب هو الوسط في اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال عليه السلام كلوا واشربوا والبسوا

وتصدقوا

وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم
بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم
قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع باحتمال الاذى ممن اساء اليه واخذ حقه
فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع
سيرة رسول الله فبه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس
من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء
او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل
البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق
ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله ويصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدئا
على كل من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب
اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا يدفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة
لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا في غير
مذلة جوادا من غير سرف رحيما لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبتشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال ابو
سلمة فدخلت على عائشة ام المؤمنين فحدثتها كلها عن ابي سعيد فقالت ما اخطأ منه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي
ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها
لفعل وربما بكيت رحمة مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك
من الجوع فيقول يا عائشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم
مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي
غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله
فالنقل عن احواله عليه السلام يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محمد عليه السلام ولم
يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله ولقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به
ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخول الشام
وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلفاء من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما من امة
محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلوة ولا حسن حلية لكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب
لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضات الله بغير تخشين وتواضع غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون
صديقا او ثلثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم خليل الرحمن لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد انشأ من يخلفه واعلم يا اخي
انهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس
خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا

في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجرات قلوبهم
تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت
يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض
الدنيا فانك اذا ابغضت اقبلت على حب الاخرة وبقدر حبك للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما يصلحك وما ينفعك
واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد
من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان
احدهما استئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر
الانسان على غيره المقام الاول في استئصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف
نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا
يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته
ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهي ايضا تطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة
التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية واحدة من كتاب الله تعالى فان في القران علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته
وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره
فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان والى اخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى الاية اما اول الانسان فهو انه
لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واي شيء اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك
في القدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما
ثم كسى العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده وحيث صار شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت
اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك
ولا يعلم فبدا بموته قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه
قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه
كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له في مدة حيوته الى الموت وكذلك قال من نطفة
امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا
واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها
من العجائب والايات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف
دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله

من تلك

من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا
بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر
فكان في ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل
والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف بها نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها
عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه
النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له
البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له
الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام
العظيمة والافات المختلفة والطبائع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء
ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا
يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد ان يصرف
قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوسواس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء
وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء ويكون حيوته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي
تنفعه وتحييه لا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف
روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه
وغيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتامله واما اخره ومورده
فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته
وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع
في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه
فيصير رميما ورفاتا وتاكل الدود اجزاءه فتبتدئ بحدقتيه فتقلعهما وبخديه فتقطعهما وسائر اجزائه فيصير روثا
في اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله
ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان او يعمر منه البنيان ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم يغن
بالامس حصيدا كما كان في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى
ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء
ممزقة مشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد
وجحيم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد
وكل بك في حيوتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به او تعمله
من قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله فهلم الى الحساب واستعد للجواب

او يساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فرقا من هذه الخطاب قبل ان تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه اذا
شاهدها قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا اخر امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا
شاء انشره فما لمن هذه حاله والتكبر بل ماله وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو
ظهر اخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا ويلقى
عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب واخره التراب وهو بمعزل عن الحساب
والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو راوا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا
رايحته لماتوا من نتنها ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى به في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة
الا ان يعفى عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيا حتى يعتقد له فضلا واي عبد لم يذنب ذنبا استحق
العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج
الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من
في السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا
واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القاطع لاصل الكبر واما العلاج العملي ـــــ فهو التواضع لله بالفعل
ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق في الاخرة ولا يتم التواضع
بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي
الصلوة اسرار لاجلها كانت عماد الدين ومن جملته ما فيه من التواضع بالمثول قياما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب
قديما يانفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه
حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي عليه السلام ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك
فلما كان السجود عندهم منتهى الذلة والضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه
امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع وكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه
الكبر من الافعال فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا
وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت
المقام الثاني ـــــ فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل
فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل
في جميع الاسباب السبعة الاول ـــــ النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل
من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت باباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب
ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت
وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي من بول انسان اشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات
هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة والثاني ـــــ ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب

آكل كما ياكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد

نطفة

نطفة قذرة وجده البعيد التراب الذليل وقد عرفه الله نسبه فقال الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار
حما مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه نسبه يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحماة ويا اقذر من المضغة
فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب
فليحتقر نفسه به ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين
جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل
يوطا بالاقدام والفصل يغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله
بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه انه من بني هاشم واخبره بذلك والداه
فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا له
وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقي شيا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم
فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة
والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب ويتعاطى الدم بالحجامة او غيرهما لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة
اعضاء ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عنها هو
في نفسه السبب الثاني ـــــ التكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهايم
ومهما نظر الى باطنه والدم في عروقه راى من القبايح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه
الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد
تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط في كل يوم مرتين يتردد الى الخلاء كل يوم مرتين ليخرج من باطنه ما لو راه
بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حاله وفي اول امره خلق من الاقذار
الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مخرج الاقذار اذ خرج من صلب ثم من الذكر مجرى البول ثم الرحم مغيض
دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا ويقول
خرج احدكم من مجرى البول مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرء فاذا هو يتبختر
قبل الخلافة هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار
فصار انتن واقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد انفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت
فيصير جيفة اقذر من ساير الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما هو
كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبايح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به
على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جماله اليه فيحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال بتصور ان يزول بمرض
او جدري او قرحة وسبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب
داء التكبر بالجمال لمن اكثر تامله السبب الثالث ـــــ التكبر بالقوة والايدي ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من
العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيا

لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته او شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوما تحلل
من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم
اقوى انسان فلا يكون اقوى من حمار او بقر او فيل او جمل واي افتخار في صفة تسبقك البهائم اليها السبب الرابع والخامس الغنى وكثرة
المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من
ذات الانسان كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه
وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا
من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لرأى
في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك اليهودي به واف لشرف ياخذه السارق في لحظة
فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الاخرة وبال
ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي
وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا يقدر على شيء فمن عرف ذلك فلا بد وان يزول كبره ومثاله ان يفتخر
الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان
عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابواه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في
يديه وهو يخشى مع ذلك ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى
نفسه محبوسا في منزل احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو من كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك
نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى ان من هذا حاله يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل
في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير بنفسه فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه
وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر
بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذه طريق علاج الكبر بالاسباب وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل
فانهما كمالان في النفس جدير بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره
السبب السادس الكبر بالعلم وهذه اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد
جهيد وذلك لان قدر العلم عند الله عظيم عند الناس عظيم وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا
الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر العالم اذا زل زل بزلته عالم
فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع
الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم عشره
وان من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال النبي عليه السلم
يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك
فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله تعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي

اتيناه اياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم بن باعوراء كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي
عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان
خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا
اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الاخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر
لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر عند نفسه من الصحابة وكان بعضهم يقول
يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الاخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت تبنة ويقول الاخر يا ليتني كنت طيرا اكل كل ذلك من خطر
العاقبة وكانوا يرون انفسهم اسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره
ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله العبد امره سيده باموره فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها
انه هل اداها كما يرتضيه مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه
على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها
وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك
وعفا عن بعضهم وهو لا يدري انه من اي الفريقين يكون فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه
وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل رجا ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه
من اوامر ربه بجنايته على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده
من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا
عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا
فلا قدر لك فلا بد وان يكلف نفسه ما يحبه مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا او تصور
ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله بان يستصغروا انفسهم
حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المظاهر بالفسق
وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد فكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه ان يخطر بباله
خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه
ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في
الاخرة والكلب والخنزير على رتبة ممن هو عند الله من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه
قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية
عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد
بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم فيقول انه قد علم ما لم اعلم فكيف
اكون مثله وان نظر الى من هو اكبر منه قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون مثله فان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله
فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس دوام الهداية

الى كمال يكون ابتداؤها الى فيه لاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم بان الكمال في سعادة الاخرة
والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل
واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن
مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على
بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره
فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض
فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم
والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه عنه لكبر باطن في نفسه وهو ظان
انه قد غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر
على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر
ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك عن هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة
المبتدع والفاسق او امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك
ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح
من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث
ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه
فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك بان تغضب وانت في غضبك
لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه
مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره
فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو في رعايته وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه مهما اساء ادبه فاشتغل
بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راى ولده قد اساء الادب وانما
يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكرهه مولاه فيضرب ولده
ويغضب من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذن
ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع وكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما
عند الله في الاخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك
تغضب بحكم الامر محبة لمولاك انه جرى ما يكرهه من التواضع لمن يجوز ان يكون عنده اقرب منك في الاخرة فهكذا
يكون بغض العلماء والاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره
مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذه سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته
بحكم الامر السبب السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع
لسائر العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى

هل يستوي

هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير
ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك عالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات
كما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فيمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار
بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا
فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي
فاعلم ان ذلك ممكن لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيه فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد
من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه
خائفا فاذن كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق
نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما غير العالم فهم منقسمون
في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله
واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا ينبغي ان تقول
هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه
اشد كما لو رايت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان تتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء
والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتخيل الخطا فيه كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك
من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاص و
خوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر بذلك سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيمة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا
ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن
لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فلا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر
كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر
خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم
خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا
بقلبه ان راى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خائفا
من العاقبة فيقول فلعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب
عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي لا آمن فيما اظهره من الطاعة ان يكون دخلها الآفات
فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق
القضاء الازلي بشقاوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب الخوف راى كل احد خيرا من نفسه وذلك
هو الفضيلة كما روي ان عابدا اوى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فسأله عن عمله
فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس
كالتفرغ لطاعة الله فاتي في النوم ثانيا وقيل له ائت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فسأله فقال

ما رايت احدا من الناس الا وقع لى انه ينجو وا هلك انا فقال العابد بهذا وا لذى يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى والذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة اى يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال انا كنا
قبل فى اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالاشفاق
فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر لما سبق به القضاء فى الازل
وينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك
والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار
اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب بعد هذه المعرفة قد يضمر التواضع
ويدعى البراءة من الكبر وهى كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا ينبغى ان يكمل بالعمل
ويجرب بافعال المتواضعين فى مواقع هيجان الكبر النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هى ادلة على استخراج
ما فى الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة الامتحان الاول ان يناظر فى مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شىء من الحق
على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل
على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر
لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه
بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتنى له فالحكمة
ضالة المؤمن فاذا وجدها فينبغى ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعا وسقط ثقل
الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه فى الخلوة
ويثقل فى الملاء فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بان منفعته
فى كماله فى ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل ذلك عليه فى الخلوة والملاء جميعا ففيه الكبر
والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثانى فليعالج كلا الدائين فانهما جميعا مهلكان الامتحان الثانى
ان يجتمع مع الاقران والامثال فى المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشى خلفهم ويجلس فى الصدور تحتهم فان ثقل ذلك
عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس فى
صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين
اذ يوهمون انهم تركوا امكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغى ان يقدم اقرانه
ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذى يخرج خبث الكبر من الباطن الامتحان الثالث
ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق فى حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال
من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث فى الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه
مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التى تزيل الكبر الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق
الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء وان كان يثقل عليه ذلك مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند
مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم تتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا

بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى
الله بقلب سليم وروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان فى غلمانك وبنيك ما يكفونك
قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسى هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطيته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهى صادقة
ام هى كاذبة وراى عمر بن الخطاب قد حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المؤمنين ما حملك على هذا فقال ان نفسى اعجبتنى
فاردت ان اذلها وفى الخبر من حمل الفاكهة والشىء فقد برئ من الكبر الامتحان الخامس ان يلبس ثياب البذلة فان نفور
النفس عن ذلك فى الملاء رياء وفى الخلوة كبر كان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم
من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال عليه السلام انما انا عبد اكل على الارض والبس الصوف واعتقل البعير
والعق اصابعى واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتى فليس منى وروى ان ابا موسى الاشعرى قيل له ان اقواما يتخلفون
عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملاء فهو الرياء
وما يكون فى الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه **بيان غاية**
الرياضة فى خلق التواضع **اعلم** ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطه فطرفه الذى
يميل الى الزيادة يسمى كبرا وطرفه الذى يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع فى
غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفى قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر
ومن يتاخر عنهم فهو متواضع اى وضع شيئا من قدره الذى يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم
وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطى
كل ذى حق حقه فينبغى ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجة فاما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشر فى الكلام والرفق
فى السؤال واجابة دعوته والسعى فى حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره
فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذن سبيله فى اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران
ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود فى محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع
وان كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف
ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية حقه حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن
ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذى هو الصراط المستقيم وذلك غامض فى هذا الخلق وفى سائر الاخلاق والميل عن
الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير فى المال احمد عند الناس من الميل
الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية الكبر ونهاية التصبص والتذلل
مذمومان واحدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع
والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع **الشطر الثانى من الكتاب فى العجب**
وفيه بيان ذم العجب وافته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان
اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه **بيان ذم العجب وافته** **اعلم** ان العجب مذموم
فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك فى معرض الانكار وقال وظنوا انهم

ما نفعهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر اخر هذه
الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين
القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب
يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى والموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة
له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل
عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد بنفسه فاكب عليه حتى اصيب كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر رضي الله عنه فقال
ما زال يعرف في طلحة بأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والبأو هو الكبر في اللغة الا انه لم ينقل عنه
انه اظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس لعمر اين انت عن طلحة قال ذاك رجل فيه نخوة فاذا كان
لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي
من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب فجعل العجب
اكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا راوا ذكر الله والدار الاخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلوة يوما
ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلوة قال لا يعجبنك ما رايت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله مع
الملئكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقال تعالى لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم
جدا **بيان افة العجب** اعلم ان افات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه
فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الافات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها
فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها
ولا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها يغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله
بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن افاتها ومن لم يتفقد افات الاعمال كان اكثر سعيه
ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من غلب عليه الاشفاق والخوف دون
العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله
التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برايه وعلمه وعقله
منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورايه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب
بالراي الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ
بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رايه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق
باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القران واستعان بعلماء الدين وواظب على

ويتبجح

مدارسة

مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من افات العجب فلذلك كان من المهلكات
ومن اعظم افاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه **بيان**
حقيقة العجب والادلال وحدهما اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل
ومال وغيره حالتان احديهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى
ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله
حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به ومطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال و
نعمة وراحة وخير لا من حيث انه عطية من الله ونعمة فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث
انه منسوب الى الله بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها زال العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب هو
استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله
حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري
على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه
فيكون معجبا فان استخدمه واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حوائجه كان مدلا عليه وقال
قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع فوق راسه ولان تضحك
وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا
يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع
اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه فتعجب منه كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفساق ويتعجب من
رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه **بيان علاج العجب**
على الجملة اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة
المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة
الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب مما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه
فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه
منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره
فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب من حيث هو منه
واليه وباختياره حصل وبقوته وقدرته تم فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها
تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان
يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز
الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي
ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه من نفسه من اين ومما سببه ولم ينبغي
ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يتقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن في

من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار بالخلعة لما اثرني بها فيقال وتلك الصفة ايضا من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب فاعطاك غلاما فصرت تعجب وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما اذا كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان اعجبتك عبادتك فقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني ان اجهل اعمالي واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والاخر فيه مسامحة اما صريح الحق فانك وقدرتك وارادتك وحركتك جميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب الارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سياتي تقريره في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو انك تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك وبوجود علمك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحها وهذا المفتاح بيد الله وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله ارايت لو رايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن فلو جلست على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار منها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت اليد واخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد اليه واخذه فلا شك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريب انما الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلق القدرة وسلطت

الارادة الجازمة وحرك الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم فصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر له الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل نزلك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذا لا تتصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله سبحانه عقلا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير لم يا رب جمعت بين العقل والغنى وحرمتني اياهما فهلا جمعتهما الي وهلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع منه فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكبر فلم يتعجب منه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله اكبر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول ايها الملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك اصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا يخلو الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله ولذلك قال داود عليه السلام يا رب ما تاتي ليلة الا وانسان من ال داود قائم ولا ياتي يوم الا وانسان من ال داود صائم وفي رواية ما من ساعة من ليل او نهار الا وعابد من ال داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وساكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى ال داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل يسالونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال تعالى اما اني لم اخبرهم باي شيء ابتليتهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم

وانا اخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم وقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلم قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة الف صوت يا ايوب انى لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه اضافة ذلك الى الله ولهذا قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل عليه به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب به بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام الاول العجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه في اول امره واخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور بحيث استقذرتها الطباع والثاني القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلم فثقبه الله حتى صار في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روي عن سليمن عليه السلم انه قال لاطوفن الليلة بمائة امراة ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود ان ابتليتني صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما قد ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى افة يسلطها عليه الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرايه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالراي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزقه من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان قاصر العقل قط لا يعلم قصور علمه وعقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه

ينجو

ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة ابائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق موالي وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف اباه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بابائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله فكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم في اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقيكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الاية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اذهب عنكم عبية الاسلام اي كبرها كلكم بنو ادم وادم من تراب وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقويه وقد كان من عادة ابائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال عليه السلم اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم منتظر شفاعة رسول الله والنسيب ايضا جدير بان يرجوه ولكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فلا ياذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا ينجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها وجب الخوف والاشفاق لا محالة فلو كان كل ذنب يقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة عن المعصية ولكان ياذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الاخرة لتكمل لذتها في الاخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب او اخ او غيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله اصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنسبه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم الخامس

العجب بنسب السلاطين والظلمة واعوانهم دون نسب العلم والدين وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في
مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله ولو نظر الى صورهم في النار
وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا
ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم
في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة
ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا لابيهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل
محض السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكافرون
نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون لا نغلب من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم
وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم
وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه
الى البلى والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه
يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تؤويه فاي خير فيمن يفارقك
في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيمة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى
فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحيوتك السابع العجب بالمال كما قال
تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس
بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلم احسبت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان
يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة والى ان المال غاد
ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله عليه السلم بينما رجل يتبختر في حلة قد اعجبته نفسه
اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع راسك
فرفعت راسي فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب
الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب
بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك
فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بنفسه الثامن العجب بالراي الخطا قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا
وقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك
هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا
عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان
صاحب الراي الخطا جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيعسر مداواته جدا
لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغي الى العارف ويتهمه

فقد سلط

فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده
وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع
لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب
وجد وتشمير في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك
فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا
يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله
صادق فيما اخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال
عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين
وسائر الاعمال فان خاض في المذاهب بالبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان
يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول
الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله وهو
العزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ بالله من الاغترار بخيالات الجهال

اخر كتاب ذم الكبر والعجب بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والصلوة على النبي
محمد المصطفى واله الطيبين الطاهرين

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي بيده مقاليد
الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد اعدائه ورطات الغرور
والصلوة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور
صلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور اما بعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة
ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر
بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصائر
قلوبهم كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
والاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم
فجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغتر هو الذي لم ينفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقي
في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا واذا عرف ان الغرور
هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد

بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد وأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجاري الغرور وأصناف المغترين من العلماء والصالحين العصاة الذين اغتروا بمبادي الأمور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فإن ذلك أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف الصنف الأول من العلماء الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من أرباب الأموال والمغتر من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذي يتخذ المسجد ويزخرفه من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ أولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته

اعلم أن قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني كاف في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس إذا مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الغرور المثال الأول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فإذا هي خير فلا بد من إيثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفي قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا وفي قوله وما عند الله خير وقوله والآخرة خير وأبقى وبقوله وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله أبعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا إيمان العامة وهو مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور المكتب خير من حضور اللعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فإن كل مغرور فلغروره سبب

وذلك

وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله إن النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وإن كان أقل منه فالنسيئة خير فإن هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة تركها في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الأسفار نقدا لأجل الراحة والربح نسيئة فإن كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحدة في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشر جزء من ألف ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحدا ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الآخرة صافية من غير مكدرة فإذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور مطلق وأريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فإن من قال النقد خير من النسيئة أراد به خيرا من نسيئة هو مثلها وإن لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله وإلا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراك رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وإن اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر قريب بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فإن كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتنعم فأحسب أني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقا فأبقى في النار أبد الآباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين إن كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وإن كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الإيمان والتصديق تقليدا للأنبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوها مغرورا وكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار

فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا
الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم
يستحث على العمل لا محالة فالغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة هو الوحي والالهام فالوحي للانبياء
والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبريل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي
حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء
عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات
بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله تعالى
وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الروح كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى
يكون المراد بانه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الامر والخلق
فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار
فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن
عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في
العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر غريب عارض من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على ادم
عليه السلم وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته بها عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الله وانه امر رباني وحنينه
الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما
فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم
ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق
روايحها العارفون ويشمئز عن سماع الفاظها القاصرون فانهم تضربهم كما تضر رايحة الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة
كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا
وهي مبادي مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة
شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله
وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة
نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا
بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا
ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان
وحده فهولاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين [illegible] فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين
جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم
انه ان كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا فيه واسعد حالا كما اخبر الله تعالى عن قول الرجلين المتحاورين

الامر صح

نعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة صح صح صح

اذ قال

اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر
بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن
ويقول اشتريت قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة
لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل
من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في الاخرة خير من هذا وكذلك وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا
وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن
وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض فقلت اني اخذه في الاخرة فقال اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك
منه فانزل الله تعالى قوله افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي الاية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من
اقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الاخرة وينظرون مرة الى تاخير الله
العذاب عنهم فيقيسون عليه العذاب في الاخرة كما قال تعالى ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها
فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون
قد احسن الله الينا في نعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فهو محسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر لقد احسن الله
فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب
لما احسن الي والتلبيس تحت قوله ان كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله
اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان
صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب و
يمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف
يريد فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل كل ما يشتهي فيظن هذا الصبي المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته
ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه فذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها
مهلكات ومبعدات من الله وان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا
ورد في الخبر وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ويروا ذلك امارة
المقت والاهمال واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انها
كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه
فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور وقال الحسن
كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا
والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة
واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان تعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها

تقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة
واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم
ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله سنستدرجهم انهم كل
ما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله فمن امن به تخلص من
هذا الغرور فان منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات
وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه
فقال فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا
واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم
على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله
مع تحذيره استدراجه اولى فاذا من امن من مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم
عند المنعم ويحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل القلب الى
ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة فهذا هو حد الغرور المثال الثالث هو غرور العصاة من المؤمنين
بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم تمنيهم واغترارهم
رجاء وظنهم ان الرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد
في بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الاباء
وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم
على الله من ابائهم اذ اباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق امنون وذلك نهاية
الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده وان الله قد احب اباءكم فيحبكم فلا تحتاجون
الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا عليه السلام اراد ان يستصحب ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقال انه ليس
من اهلك انه عمل غير صالح وان ابراهيم استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن ان يزور قبر
امه ويستغفر لها فاذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا
اغترار بالله وهذا لان الله يحب المطيع ويبغض العاصي وكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب
الولد العاصي لحبه للوالد المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر
وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما
بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئا وعند الله جزاء
التقوى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فاذن في الشفاعة له كما سبق
في كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو مغفرته ورحمته

فاهذا

فاهذا الكلام صحيح مقبول في القلب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن
ولولا حسن ظاهره لما انخدعت القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع
الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني
ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تعالى جزاء بما كانوا يكسبون وقال انما توفون
اجوركم يوم القيامة افترى ان من استؤجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما
وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افيراه
العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء وبين الغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله
ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال مسلم
بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا
شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل
فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور فكما
انه اذا نكح ووطئ وانزل وبقي مترددا يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى ان يتم
فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه
وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق
سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس وما عدا
هؤلاء فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك
يقولون ما اخبر الله عنهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا
ينبت الزرع الا بحراثة وبث بزر فكذلك الحي لا يحصل في الاخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا
الان صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم يأتكم
نذير الم يسمعكم سنة الله في عباده وانه يوفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم
بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير
فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا
خطرت له التوبة فقال له الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر
ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له امرهم بالانابة وقال
واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة على التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع
الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان
لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب بالشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على

التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او بسبب من الاسباب الذى لا يعرفه فهو مغرور
والثانى ان تفتر نفسه من فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعيم الله وما وعد الله الصالحين حتى
ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون الى قوله اولئك
هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثانى يقمع الفتور
المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر فى العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا فى العبادة وركونا الى البطالة
فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك وايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور
رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهى الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم
عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار فى النار ابد الاباد ومع انه لم يضره كفرهم
بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده فى الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته وعادته
وقد خوفنى عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمنى
وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله واهمالهم السعى للاخرة فذلك غرور
وقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس
فى الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ويخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار فى طاعة
الله ويبالغون فى التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم فى الخلوات واما الان فترى الخلق امنين مسرورين
ومطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصى وانهماكهم فى الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين انهم واثقون بكرم الله وفضله وراجون
لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله وعفوه ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان
هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور فى كتاب
الرجاء والخوف فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القران فى قلوب الرجال
كما يخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل منى وان اساء قال يغفر لى فاخبر انهم
يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران وما فيه وبمثله اخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اى هم علماء ياخذون عرض هذا الادنى اى شهواتهم
من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد والقران من اوله الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر
فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه فترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون
على رفعها وخفضها ونصبها وكانهم يقرؤن شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيها والعمل بما فيها وهل فى العالم
غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصى
الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه يترجح كفة حسناتهم مع ان ما فى كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل
فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال او الحرام ويكون ما تناول من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق
به هو من مال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا
كمن وضع عشرة دراهم فى كفة الميزان وفى الكفة الاخرى الفا واراد ان يشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله

نعم

نعم ومنهم من يظن ان طاعته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها
واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه او يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا
يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول
نهاره الذى لو كتبها لكان مثل تسبيحه مائة مرة او الف مرة وقد كتبها الكرام الكاتبون ووعده الله العقاب على كل
كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما
ورد فى عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا يضمرونه وفى غير ذلك من افات اللسان وذلك
محض الغرور ولعمرى لو كان الكرام الكاتبين يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه
لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به فى فتراته كان يعدها ويحسبها ويوازنها بتسبيحاته
حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الاجرة على النسخ ولا
يحتاط خوفا عن فوات الفردوس الاعلى ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان
تشككنا فيها كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به
القران وانا نبرأ الى الله ان نكون من اهل الكفران فسبحان من يصدنا عن التنبه والتبين مع هذا البيان وما اجدر
من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب بان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى
وتعاليل الشيطان والهوى **بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف وهم اربعة**
من الاصناف الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية
والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم
وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل فى الخلق شفاعتهم وانه لم
يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم عند الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة
وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام
ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهى علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة
الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء
مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فسعى فى طلب الطبيب بعد ان سافر عن وطنه حتى عثر على طبيب
حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التى منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد
منها وكيفية الخلط والعجن فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها
ويقرأها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغنى عنه من مرضه شيئا هيهات لو كتب منه
الف نسخة وعلمه الف مريض حتى يشفى جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الى ان يزن الذهب
ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه فى وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه
واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره
وهكذا القوم الذى احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصى ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى

نفسه

نفسه منها واحكم واهكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور قال الله تعالى قد افلح من زكيها ولم يقل قد افلح
من يعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وعند هذا يقول الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض
وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها
مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمان اليه واهمل العمل وان كان زكيسا فيقول للشيطان اتذكرني فضائل العلم وتنسيني
ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد
من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحاء وكقوله شر الناس العلماء السوء وكقول
ابي الدرداء ويل للذي لم يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولم يعمل سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت
فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا و
امثالهما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الاخرة اكثر من ان تحصى الا انها لا توافق هوى العالم الفاجر وما
ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى هواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان
نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال
فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته
واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله من اراد خدمة ملك فعرف الملك
وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحب ويكره وما يغضب
عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس بجميع ما يغضب وهو عاطل عن جميع ما يحبه من زي
وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك
عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه
ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك
اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه الشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة
الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه
وقد اوحى الله تعالى الى داود خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من عرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه
وكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من لو اهلك
مثله الوفا مؤلفة وابد عليهم العذاب ابد الاباد لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم تاخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وفي فاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار
بالله جهلا واستفتي الحسن عن مسئلة فاجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت فقيها قط الفقيه
القائم لله ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت منه
حمد الله وان ردت حمد الله فان الفقيه من عرف عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن
يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فان لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا

على الطاعات الظاهرة واجتنبوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء
وطلب الرياسة والعلاء والارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم
فهو مكب عليها غير محترز منها ولا يلتفت الى قوله عليه السلام ادنى الرياء الشرك والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة
من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل
الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا
قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم والى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب
والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها
مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظهره حتى استنار ظاهره وباطنه مظلم وكرجل قصد ضيافة الملك
الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت
معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع من الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله
وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لم يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة
بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع
بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن
وفرقة اخرى علموا ان هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم
منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هو فاعظم عند الله
من ان يبتليه ثم اذا ظهر عليه مخائل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف
العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثوب وجلست في الدون من المجلس شمت بي
اعداء الدين وفرحوا به فكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله
ويسخر به وينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما راى من الصحابة من التواضع والتبذل
والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا
نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم
انه يطلب عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن
بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه
لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غيظه وعداوته مثل غيظه الان فيكون غضبه
لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم اخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه
وهكذا يرائي باعماله وبعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من هذا اظهار العلم والعمل لاقتداء الخلق بي
ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم
فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان فمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم
على يديه او على يد طبيب اخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي

والثواب لي فانما فرحي بثواب السلامة بقبول الخلق وهذا ما يظنه بنفسه والله يطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في
الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل
حتى يرجع الى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه
ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان انما ذلك عند الطمع في اموالهم فاما انت فغرضك
ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك
السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان
بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي بعضهم الى ان ياخذ من اموالهم واذا خطر له انها حرام قال له الشيطان هذا
مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك
فيغتر بهذا التلبيس في ثلثة امور احدها انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين
اخذ منهم احيا قيام واولادهم وورثتهم احيا وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها
فلا خلاف في انها مال حرام ولا يقال هو مال لا مالك له ويجب ان تقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشرة وان كان لكل
واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله انه من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم فيستحلوا اموال
السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها
واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض
عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله والاقبال
على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حيوته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة
وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة
خارج عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها
بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب والنفس من الرياء والكبر والحسد والحقد وطلب
العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا
القلب من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية
الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن
ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد اظهرها وقلعها
فاذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري وكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل
عن المراقبة فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص
على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق
وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله
للاستفادة به والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس على كلامه والبكاء عليه والتعجب
والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال بالجمع بين العلم

والورع

والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن
عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حيوته في الباطن انما انتظم له من امر وامارة وعز
وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش
عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه وعساه يعتذر لكل حيلة بنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه
يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله
وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع
وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء عليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه
ويرغبون في العمل وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من نافع
خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار
الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقد عز في العزلة والاخفاء لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد
بقول الشيطان من زعم من ابن ادم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم
الله لينتفع به وانما يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحى عنه اسمه ونسبه الى نفسه
ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله
في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في غيره ليستبين من طعنه
في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية من الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه
فيعزيه الى قائله وما يستحسنه لعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي
يسرق قميصا من غيره فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعها وتحسين نظمها
كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل
عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا
اني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب
وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره فيفرح ان
كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق لكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف
الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر
لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما كان مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه
الى فئة اخرى كان انفع له منه في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته منها في تلك الفئة
ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحرك فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن
في دينه وفي ورعه ليحيل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه لا يظهر انه كاره لغيبة المسلمين
وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن له الا الاكياس ولا
يتنزه عنها الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك

بغيا قا — اي نباح كلب

او بين يديه ربما فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكر غيره به صح

ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال
وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن
المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الآن غرور الذين
قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة
اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا
اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم
يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر
والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم اما العمل
فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة
البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك
ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول ربما يقع علة الاستحاضة لامرأة وتسالني عنها وذلك غاية
الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات
الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار
واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج
غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من المال والجاه والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن
المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته
صحيحة كما قال ولو كان قد قصد بالفقه وجه الله فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فروض عينه في جوارحه
وقلبه فهذا غروره من حيث العلم واما غروره من حيث العمل فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب
الله وسنة رسوله وربما طعن في المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك
الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله
مغترا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم
التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة
صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال
بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما
العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله واذا
مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز
الراوية والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء ولا سبيل وقد ذكرنا شرح ذلك
في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق الجدال للالزام وافحام الخصوم ودفع

الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع
التشبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل
علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه
ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا
ما جمع الذين قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة
لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيه واما حيل الجدل من الكسر
والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية انما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هؤلاء اشد كثيرا
واقبح من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين والتتبع لمناقضاتهم واستكثروا
من معرفة المقالات المختلفة فاشتغلوا بتعليم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون
لعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان
لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة
والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة
يكفر بعضها بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرات الشبهة دليلا والدليل
شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم
لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله
فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملت نفسها وقلبها
حتى عمي عليها ذنوبها وخطاياها الظاهرة والباطنة وهي تظن ان اشتغالها بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل ولكنها لالتذاذها
بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرتها فلم تلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله
عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من البدع والاهواء فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات
وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث راوا حاجة وتوسموا مخائل قبول فذكروا
بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا راوه مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في دين الله ولم يلزموا
الملازمة مطول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة والسنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدى قط الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون
فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال ابهذا بعثتم او بهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا
الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا احق خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم راوا رسول الله وقد
بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم الا
بتلاوة القرآن المنزل عليه ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلب ويستخرج منه الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها
من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والافحام ولكن الاكياس واهل الحزم
لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان

على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فانا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا
ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطاء في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدلنا بل يزيده التعصب والخصومة تشددا
في بدعته فاشتغالي بمجاهدة نفسي ومخاصمتها ومجادلتها لتترك الدنيا للاخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدل والخصومة
فكيف وقد نهيت عنه وكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى بي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله وما
لا تنزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب
من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائرها وهم مغرورون يظنون بانفسهم
انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه
العوام من المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم
محبون وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم منزهون ولولا انه مقرب
عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين
وهو آمن من الله تعالى فيرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من
المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص ويترك الاخلاص
في الوصف ويذكر الرياء ويصفه ويرائي بذكره ليعتقد فيه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه
على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه امن ويذكر بالله وهو له ناسي ويقرب الى الله
وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق
اشدهم حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر
من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه
فهؤلاء اعظم خلق الله غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها وفوائدها
وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق اليه عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف السبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباده
فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي مثلا
حب الله فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله
ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلي بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه
مستوحشا اذا خلى بالله فهل رايت محبا استوحش من حبيبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات
ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطاء عنهم
في الاخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق اقتابهم فيدور احدهم بها كما يدور الحمار بالرحا كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير
ولا ياتون وينهون عن الشر وياتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون من قلوبهم شيئا ضعيفا من اصول هذه المعاني
وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف
ما رزقهم الله عليه وما ينفع الناس بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان
للعلم واما كل ذلك فغير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا احاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما

زاد امنه

زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف به في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحة و
يصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض
والاتصاف به وانما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب
والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور وهذه
حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والقرآن والاخبار ووعظ الحسن البصري وامثاله
وفرقة اخرى عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلاد ولا
ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وفرقة اخرى شغفوا
بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همتهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار العرب في الوصال والفراق وغرضهم
ان يكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فان الاولين
ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور
بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه يشهد
من قرنه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلحه بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه
كونه مغرورا وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها
من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا
تميز بهذا القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله
من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة
اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم
ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد رايت فلانا ومعي من الاسانيد ما ليس مع غيري وغرورهم من
وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك
يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي
هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها
وهو الذي اكب عليها اهل الزمان انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول
الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة
على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرا والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع
فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما غفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث وينسخ والشيخ الذي
يقرا عليه لو صحف وغير ما يقرا عليه لم يشعر به ولم يعرفه فكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتحفظه كما سمعته وترويه كما حفظته فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه عن رسول الله سمعته من الصحابة
او التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من يسمع من رسول الله وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث
لا تغير منه حرفا واذا علمت خطاه والحفظ طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما جرى

ولو غير غيرك منه حرفا علم

على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك
الكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون
كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس
ثم رايت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرف منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك
لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها
تقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم واكثر الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا
الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز
ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون
يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بانه كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه
لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ واذا استجرأ الجاهل فقال يكتب سماع الصبي
في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث
دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته
ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية
لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع الصبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدي كما سمعها من لم يدر ما سمعها فهذا من فواحش انواع الغرور وقد بلي به
اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجد من الشيوخ الا الذين سمعوه في الصبى على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف
المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل بما عدموا ذلك
واقتصروا على ما اصطلحوا عليه انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه
ليس من علمهم بل من علم اصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا ايضا مغرورين
في اقتصارهم على النقل وفي افناء عمرهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من
الحديث سلوك طريق الله ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله عليه السلام
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون
الغرور وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة
اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم النحو واللغة فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي
غرائب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتبة فلا بد من تعلمها
وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف
ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع عمره في لغة الترك والهند وانما فارقهم لاجل ورود الشريعة فيكفي من اللغة
علم الغريبين في الحديث ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر على ذلك
واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه

دندنة

وهو غرور

وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء فضيع اوقاته
في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من جهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراآت والتدقيق في مخارج
الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي
فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر
بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهي القشرة العليا العلم بمخارج الحروف والقانعون
بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوزها الى ما وراءها حتى وصل الى لباب
العمل وطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها من الشوائب والآفات فهذا
هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ
المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم
الطب والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور
فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان علوم الشرع مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه بعينه
هو المنتهى والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذه مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن
الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجالس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساؤوا تاويل الالفاظ المبهمة
واغتروا بالظواهر واخطأوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا
الاكياس منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم ان المرأة اذا ابرأت عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء
الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى الخلاص فتبرئ الزوج فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم
عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب النفس به فان الانسان يريد الحجامة
بقلبه ولكن تكرهه نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت اهونهما
فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسيف
ظاهر والاكراه بالباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل
الابراء وبهذا كذلك لا يحل مال الانسان ان يؤخذ الا بطيبة نفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملأ من الناس فاستحيى من الناس ان لا يعطيه
وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين
وهو الم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل
المال فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان
الباطن عند الله ظاهر وانما حاكم الدنيا الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي
اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذه الوجوه فهو حرام الا ترى الى ما جاء في قصة داود حيث
قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال وكان ميتا فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يا نبي
الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال اني اسأت اليك فامر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل
هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك قال الا

تسألني ماذا الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شأن المرأة فانقطع الجواب فقال يا أوريا ألا تجيبني فقال يا نبي الله ما
هكذا يفعل الأنبياء حتى تقف معي بين يدي الله فاستقبل داود بالصراخ والبكاء من الرأس حتى وعده الله أن يستوهب منه في القيمة
فهكذا ينبغي أن تفهم الهبة من غير طيبة قلب نفس لا تفيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الهبة والإبراء وغيره
إلا إذا خلي الرجل واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا أن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والإلزام ومن ذلك يهب الرجل مال
الزكوة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لإسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فإن أراد به أن مطالبة السلطان والساعي
قد سقطت عنه فقد صدق فإن مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيمة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجة إلى
البيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكوة فإن سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فإن البخل مهلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وإنما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على
قلبه وحبه المال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور
ومن ذلك إباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الأمانة والفضول والشهوات وبين الحاجات
بل كل ما لا تتم رعونتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله
العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجة وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لملأنا
فيه مجلدات والغرض التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول **الصنف الثاني** أرباب العبادة
والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلوة ومنهم في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الزهد ومنهم في الغزو
وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل ما هم فمنهم فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل
والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه حتى لا يرضى
الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة
بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توضأ عمر بماء في جرة نصرانية
مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع أبوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام ثم في هؤلاء من يخرج إلى الإسراف في صب الماء وذلك منهي
وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته
فهو مغرور لإسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق
عن الله بطرق ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك وفرقة أخرى غلب عليها الوسوسة
في نية الصلوة فلا يدعه الشيطان حتى يعتقد نية صحيحة بل يوسوس عليه حتى يفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وإن تم تكبيره
فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه فيفعلون ذلك في
أول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلوة
وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم وفرقة أخرى تغلب عليها الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر
الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر
فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق
مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي

الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما
أحراه بأن يقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل وفرقة أخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما
يختمون في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأماني إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ
بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو
مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله عبد كتب إليه مالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف
عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه وهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة
فهو يستحق العقوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته إنما يراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد
للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه
وإنما هي لذته في صوته ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله من حيث
حسن نظمه ومعانيه أو لصوته وفرقة أخرى اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة
وخواطرهم من الرياء وبطونهم من الحرام عند الإفطار وألسنتهم من الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل
الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور وفرقة أخرى اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء
الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حج الإسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرائض ويعجزون
عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام
وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله في كسب الحرام أولا وفي إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من
حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيرها على حضوره وهو مع ذلك
يظن أنه على خير من ربه وهو مغرور وفرقة أخرى أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنكر على الناس وتأمرهم
بالمعروف وتنسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا باشر المنكر ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد
يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن
ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيمة وقال لم أخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد إمامة
مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام المسجد فلو تقدم غيره وإن كان أورع منه وأعلم ثقل عليه وفرقة أخرى
جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بها ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم وقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من
يعرفه إن فلانا مجاور بمكة تراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح القول بالتحدي وأحب
أن يعرفه الناس بذلك ثم يجاور ويمد عين الطمع إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع منها شيئا شح عليه وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة
يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال
إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم
يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلوة
من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق
في الكتب وفرقة أخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة

الزهاد ومع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه
اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور وظن انه من الزاهدين في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان
منتهى لذتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك
الرياسة ويوثر الخلوة والعزلة وهو بذلك مغرور اذ يتطاول به على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه
اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث الاخلاق وربما يعطى المال فلا ياخذه خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال
فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد
في الدنيا فهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة
عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة
مثلا الف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا
يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب
وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة يترجح بها كفة حسناته وهيهات ذرة من ذي التقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من
امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له انت
من اوتاد الارض واولياء الله واحبائه فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله
ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه وفرقة اخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض تراه يفرح بصلوة الضحى
وصلوة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم
ما تقرب المتقربون الى بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما
يفوت والآخر لا يفوت او فضلان احدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك اكثر من ان تحصى
فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان
على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم بها على ما قام به غيره وتقديم الاهم على ما دونه من فروض الاعيان وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت
وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم
من قال ثم امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبدا في الصلة بالاقرب فالاقرب فان استويا فبالاتقى والاورع
وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض دونه
وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت بالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب
ثوبه نجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاؤهم محذور والحذر من الايذاء اهم من الحذر من النجاسة
وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في
طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه
فهو من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج
غيره في جوارحهم فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى به الا انه حب الرياسة والجاه ولذة المباهات وقهر الاقران والتقدم عليهم
يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه

الصنف الثالث

المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم

والمغترون

والمغترون منهم فرق فرقة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقة
من الصوفية في زيهم وهيئاتهم وفي الفاظهم وادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة
والصلوة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث
الى غير ذلك من الشمائل فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا متصوفة ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة
والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا
عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون
على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق
بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال
من المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست
درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت
كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت
الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الابطال والشجعان فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بان تجرد عن المغفر
والدرع وينظر ما تحته ويمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي
عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل اجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليهم
خذوها فالقوها الى قدام الفيل ليخفسها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم
الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب وفرقة اخرى زادت على هؤلاء في الغرور
اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثوب والرضا بالدون واردت ان تتظاهر بالتصوف ولم يجد بدا من التزين بزيهم فتركت
الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبست من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز
والابريسم وظنت مع ذلك انها متصوفة بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسيت انهم انما لونوا ثيابهم لئلا يطول عليهم غسلها
كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرفيعة
قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب
ولذائذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون
بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم يفسد عقيدته في اهل التصوف كافة و
يظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين بهم وشرهم وفرقة اخرى
ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه
الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين
فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته
والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة ويرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر
عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله

محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى
الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة
اخرى وقعوا في الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب
وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب
واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل تاديبهما بحيث
ينقادا بحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله تعالى وواصلة
الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون
انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن سبيل الله لقوتهم فيها ويرفعون
انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف
غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة
قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء اصنافهم تطول وفرقة اخرى
جاوزت حد هؤلاء واحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصارت تدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا
والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله ويزعم انه واله
بالله ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله وعن ايثار
هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب
وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن الصحابة
والسلف وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا من التوكل الا المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله
لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من مقامات المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر بها
قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب ولا يمكن اعادته وفرقة اخرى ضيقت على نفسها في امر القوت حتى
طلبت منه الحلال المحض واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه
واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال ولا
يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة اخرى ادعوا حسن الخلق
والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما
غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظنون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظنون
ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم
يأخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث
جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال
من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة وفرقة اخرى
منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس

ومعرفة

ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس وباستنباط دقيق الكلام في آفاتها ويقولون
هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات
في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج
وذلك لا يغنيه وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادئ
المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها
عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم
عن الوصول الى المقصود ومثاله من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف
ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار
في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القرب
الى الله فظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن
انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام اذ قال تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به
هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله
فمثل ابراهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله
الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما
رتبة القمر فلم يزل ابراهيم لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور
ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان ينكشف له ان وراءه امرا فيرقى اليه ويقول قد وصلت اليه فيكشف له ما وراءه
حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده قال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط
عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على
بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله تعالى
اعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره
اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب
بعد اشراق نور الله ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول
انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد
الى القمر فضلا عن الشمس وهو مغرور وهذا محل الالتباس فان المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه كما يلتبس لون ما يترآى في المرآة فيظن
انه الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليه اليد ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله انه لون المرآة
وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
وبهذه العين نظرت النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة
او في الماء فيمد اليه اليد ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد
شرح علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج

فكأنما نسيم

الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا
يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر
وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا
بما يسمعه الان كما يكذب بما يسمعه من قبل **الصنف الرابع** ارباب الاموال والمغترون منهم فرق فرقة منهم يحرصون
على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت
اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم
والنهب والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا السخط في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا قد عصوا الله
بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله وردها الى ملاكها اما باعيانها او برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك
فكان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين
وهم لا يفعلون ذلك خيفة من ان لا يظهر للناس ذلك فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على
بقائها لبقاء اساميهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية
ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه
كتب اسمه او لم يكتبه فلولا انه يريد وجه الناس لا يريد وجه الله لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى ربما اكتسبت
المال من الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في
جواره او في بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما يخف عليه الصرف الى المساجد ليظهر بين
الناس ذلك والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة
اعينهم والمقصود من الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله
يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن انه
مطيع لله وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرف من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك
في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار دخل
رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغي ان يعظم المساجد وهو ان يرى
تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام
انظر الى هذا المسجد ما احسنه ولا بهذه الحجارة التي فقال اسمعوا مني بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا
اهلكه بذنوب اهله ان الله تعالى لا يعبؤ بالفضة والذهب ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله القلوب الصالحة
بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم
مصاحفكم فالدبار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة اتاه جبريل فقال
ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغروره هذا من حيث انه راى المنكر معروفا واتكل عليه وفرقة اخرى
ينفقون الاموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء
والاشاعة للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على الانفاق

فالدمار

المال في

المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب
يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه
لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحرث فقال قد عزمت على الحج فتامرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة
فقال الفي درهم فقال بشر فاي شيء تبتغي بحجك تنزها واشتياقا الى بيت الله او ابتغاء مرضات الله قال ابتغاء مرضات الله قال فان اصبت رضا الله
وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضات الله اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة
انفس مديون تقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم تفرحه وان قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك
السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما
امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات
والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفرقة اخرى
من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام
النهار وقيام الليل وختم القران وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على قلوبهم فهم يحتاجون الى قلعه باخراج المال فقد
اشتغلوا بطلب فضائل هم مستغنون عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن
به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلوة فقال المسكين
ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال هذا اطعام الطعام الجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل من صومه وتجويعه نفسه ومن
صلوته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون
من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل
للاستسخار في خدمة او من لهم على الجملة فيه غرض او يسلمونه الى من يعينه احد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده
منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله وهو فاجر اذ طلب بعبادة
الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور
وفرقة اخرى من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم
واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر
لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمع
من الوعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه
ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس
الاطباء فيسمع ما يجري او الجائع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه
شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل به لا يغني عن الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل
على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا
فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد على
التشمر للحذر من خفايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء اظهرت الياس منه واستعظمت الامر واستوعر

افتقار فرق صح

لابي نصر

رواه خير فيه والرغبة محمودة لو انها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل صح صح

الطريق واذا فتح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستمد بطريق النظر في خفايا الطريق الى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السما مع بعده منه فاستنزله واذا اراد ان يستخرج الحوت من اعماق البحار فاستخرجه واذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال فاستخرجه واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها واذا اراد ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واذا اراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها واستخرج الدرياق من اجوافها واذا اراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت فاتخذه واذا اراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاقتناص السمكة الى غير ذلك من دقائق حيل الادمي كل ذلك لانه همه امر دنياه وذلك معين له على امر دنياه فلو همه امر اخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شي لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها **فان قلت** فقد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو عنه بثلثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي يدرك به الانسان حقايق الاشيا فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفا العقل وذكا الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدردا انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ما منزلته عند الله يوم القيمة فقال رسول الله انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثني على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم خيرا فقال عليه السلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يتقرب الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدردا كان صلى الله عليه وسلم اذا سمع عن الرجل شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشي قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكا وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت بلادة وحماقة فلا يتدارك له **الثاني** المعرفة واعني به ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجايب القلب وفي كتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراه فان هذا من علم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فيستعين عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له انه لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الاخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما

يوصله الى الله وينفعه في الاخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضا الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشاوه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والمال والجاه فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الاخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور واذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بافات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اوردناه في كتب احيا علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وافاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه باذن الشرع وما هو مستغني عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من طريق الله تعالى فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعلم من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد ان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها **فان قلت** فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه **فاقول** يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب الاخلاق ومراقبة القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعا الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى في امر دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ولا مونة ولزوم غرامة فكان مثله كرجل كان به دا عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دوا عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرا وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدا بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السما انينهم فتذكر ان دواهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون وفي اوحى زمان فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داوهم وقرب هلاكهم وتيسر عليه شفاوهم وسهل عليه دواوهم فانبعثت من ذات نفسه عزائم الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجال الفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الريا دعا خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيات فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له خولا كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع

وارتاحت النفس وذاقت لذة بالخلاص لذة واصابت من الدنيا شهوة فيستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا ثم وقع في اعظم لذاتها
وعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس
الى الشيطان انه لو اخطا فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجده من الغضب خيل اليه الشيطان ان ذلك غضب لله لانه اذا
لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه ثم وقع في الغيبة المحظورة
بعد تركه الحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه
الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس عن ان يطلعوا عليه فيستبعد قبوله اتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما
زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك لئلا يفتر رايهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما
ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس فوات الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع غيره على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك
ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبول القول منه وزاد اثر كلامه في القبول على قبوله شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد
استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى راس البئر بحجر كبير
فعجز عن الرقي بسببها فرق قلبه لاخوانه فجاء يرفع الحجر عن راس البئر وشق عليه فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه
ذلك فلم يشق عليه [2] ومهما وجد ذلك في نفسه فعليه الفرار من الجميع والاعتزال والتقوى بالله من نزغ القلوب
بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد سوى
هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او لو اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم
فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله ونظر اليهم كما ينظر الى السادات
والى البهائم اما السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب
المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف يراه البهائم فلا يتزين ولا يتصنع لها بل راعي الماشية انما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون
نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما
يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء غيره ويحترق في نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ
الوعظ الا عند نيل هذه الرتبة خلت عن الوعظ وخربت القلوب فاقول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس
كل خطيئة ولولم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا
مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا
من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك الشهوات التي سلطها الله على عباده فيسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن
حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يدعونها بقول
من يقول ان الوعظ بحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والربا والظلم وسائر الكبائر بقول الله تعالى ورسوله
ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وانما يخشى ان يفسد طريق الاتعاظ
فاما ان تخرس السنة الوعاظ وباعثهم الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان
فاشتغل بنفسه وترك النصح او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي من بين يديه من الاخطار

بارز الشيطان
بارز الشيطان

[2] ارايت لو اهتدوا جميعا بانفسهم لما كان ينبغي ان يثقل عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه صح

ووراثهم باعث

وخبايا الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمها وهو ان الشيطان يقول قد اعجزتني وافلت مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت
على جماعة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن
لجميع مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك
الاكبر فالعجب اكبر من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن ادم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فقد وقعت في خبائلي فان قلت
فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه
وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقدر عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي
العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة
في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيه فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن
امن مكر الله فهو خاسر جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا لجملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سدت عنه
صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل طرفة غير
امن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك قال
الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال له افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل
الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر ولذلك لا
يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله تعالى ابدا نسال الله تعالى
حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها تم ربع
المهلكات بمنه وكرمه ويتلوه ان شاء الله
تعالى ربع المنجيات بحسن توفيقه
وفضله والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا
محمد واله
اجمعين
تم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمد الله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب، وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار الثواب، وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب، ومسبب الاسباب، ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب، ونمزج رجاءنا بالخوف مزج من لا يرتاب، انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ونصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى صحبه الاكرمين صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب، وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب **اما بعد**

فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين، وراس مال الفائزين، واول اقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين، ولابينا ادم صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين، وما اجدر بالاولاد الاقتداء بالاباء والاجداد، فلا غرو ان اذنب الادمي واجترم فهي شنشنة نعرفها من اخزم، ومن اشبه اباه فما ظلم، ولكن الاب اذا جبر بعد ما كسر، وعمر بعد ان هدم، فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم، ولقد قرع ادم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم، فمن اتخذه قدوته في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم، بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين، والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين، والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الادميين، فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان، والمتجرد للشر شيطان، والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان، فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان، واصطحب فيه سجيتان، وكل عبد مصحح نسبه اما الى الملك او الى ادم او الى الشيطان، فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه الى ادم بملازمة حد الانسان، والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان، فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان، فان الشر معجون مع الخير في طينة ادم عجنا محكما لا يخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم، فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان، واليك الان اختيار اهون الشرين، والمبادرة الى اخف النارين قبل ان يطوى بساط الاختيار، ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة او الى النار، واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والافات المانعة منها والادوية الميسرة لها، ويتضح ذلك بذكر اربعة اركان **الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها** وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة **الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب** وبيان انقسامها الى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغائر **الركن الثالث في بيان شروط التوبة** في دوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة **الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة** وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين، وتم المقصود بهذه الاركان الاربعة

الركن الاول في نفس التوبة

بيان حقيقة التوبة وحدها **اعلم** ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل، فالعلم اول، والحال ثان، والفعل ثالث، والاول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله في الملك والملكوت، اما العلم فمعرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب، فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب، فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم، فان كان فواته بفعله تأسف

على الفعل

على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندما، فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال، اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا، واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى اخر العمر، واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر، فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات، واعني بهذا العلم الايمان واليقين، فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة، واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب، فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه، كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراى محبوبه وقد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك، فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها، وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر، وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة، اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه، فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره، وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا، فان هذا يعرض لمجرد الالم، ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب، وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا، وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال، وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة، والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر، واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها، وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة

بيان وجوب التوبة وفضلها **اعلم** ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والايات، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل خطوة، فالسالك اما اعمى لا يستغني عن القائد في خطوة، واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام، فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله او سنة رسوله، وربما يعوزه ذلك فيتحير، فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة، ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة، ويشرق في قلبه نور القران ونور الايمان، وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان، فكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، فاذا مسته نار فهو نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، وهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة، فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي، ثم الى الوجوب ما معناه، ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها، وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد، فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى، وقول القائل صار واجبا بالايجاب حديث محض، فان ما لا غرض لنا عاجلا واجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه، فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد، وعلم انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله، وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار الجحيم، وعلم انه

لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من
لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله تعالى طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله
وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله تعالى واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب لكونه
محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم
فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى
الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلثة ضرورية في الوصول الى المحبوب وهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة
واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك

من لم يترشح صح

فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون
وهذا امر على العموم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ومعنى النصوح
الخالص لله خاليا عن الشوائب ماخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل
نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها
حتى اشتد عليه الحر والعطش وما شاء الله تعالى قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت
فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ فقال
من فرحه اراد شكر الله انا ربك وانت عبدي ويروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على ادم عليه السلام هنته الملائكة
وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا ادم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال ادم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه
سؤال فاين مقامي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك
ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا ادم واحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار
والاثار في ذلك لا تحصى والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله وهذا
داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك
المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما التندم
على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل عقيب حقيقة المعرفة
بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم
ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد
ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله وفعله فالله خلقكم
وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال فان قلت افليس للعبد اختيار في الفعل والترك
قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان
الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام يسكن الشهوة
وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دونه مانع يتعذر معه تناوله

ام لا

ام لا ثم خلق العلم بانه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة
وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة
الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فيكون الحركة بخلق الله بعد حصول
القدرة وانجزام الارادة وهما من خلق الله وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله ولكن
بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة
منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة
وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال واما في المآل ولا يخلق العلم ايضا الا
باسباب اخر ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة ابدا يستتبع الحركة
وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتاخر البعض كما لا
يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا يخلق الحياة الا بعد الجسم ويكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لا ان الحياة
يتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لا ان العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم
شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل
التغيير لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود الالهي والقدرة الازلية
عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث
المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبا كليا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها
وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر
واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة
في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه تسمى القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت
من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب
والملكوت وقالوا ايها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت و
لكن الله رمى وما قتلت اذ قتلت ولكن قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة
فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب
والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه
بجوانبه وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه احدا الا من
ارتضى وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه
ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان قلت
فقد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب انه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف
يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى البلدة حيوان عجيب يسمى
الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه

فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفنا
فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر الا انه الين
منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة اصلا بل هو
مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة
وانما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره
عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه
وان كان هذا كلاما يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو بيان ان التوبة واجبة
بجميع اجزائها الثلثة العلم والندم والترك وان الندم في الوجوب لكونه واقعا في جملة افعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد وارادته
وقدرته المتخللة بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله **بيان ان وجوب التوبة على الفور** اما وجوبها
على الفور فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتقصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة
زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفة التي لا يتعلق بعمل بل من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون
باعثا على عمل فلا يقع التقصي عن عهدته ما لم يصير باعثا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو
فاقد لهذا الجزء من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم
المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان بكون الزنا
مبعدا عن الله وموجبا للمقت كما اذا قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن
بوجود الطبيب وكونه طبيبا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي
بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى
عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها
المستكرهة الصور بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد
الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقود العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة
الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها
فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان يتقلع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان
في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه لم تثبت على عواصف الاهوال
عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول
العاصي المطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر اذ قالت ستعرف اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح
الخريف فعند ذلك يتقلع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار
وسوف ترى اذا انجلى الغبار أفرس تحتك ام حمار فهذا امر يظهر عند الخاتمة وانما انقطعت نياط العارفين خوفا من دواعي الموت
ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها الا الاقلون فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات

المضرة

المضرة اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب صحته وان الموت غالبا لا يقع فجاءة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت
فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالماكولات المضرة للابدان فلا تزال
تجتمع في الباطن مغيرة مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فاذا كان
الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من الماكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك
الابد اولى بان يجب عليه ذلك وان كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقيأ ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة
على سبيل الفور والمبادرة تلافيا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب
اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الاخرة الباقية
التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي يتضعف اضعاف عمر الدنيا دون عشر عشير مدته
اذ ليس لمدته اخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه اختيار الاطباء
ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم
قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فيقول المراد به الكافر اذ بين لك ان الايمان
بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل
كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود
للفرع دون الاصل ولا فرق بين الفرع والاصل الا في شيء واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود
الاصل فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاءه يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة
وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الاصل والفرع فلا يستغني احدهما عن الاخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والاخر في رتبة
التابع وعلوم المعاملة ان لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فان لم تعمل عملها الذي يراد له قامت مؤكدة للحجة
على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم **بيان ان وجوب
التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة** اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ
قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب
الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة
التي هي وسائل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه
تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة واذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة اذ لا يثبت احدهما
للاخر لانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة واذا كانت
الشهوات تكمل في الصبي والشاب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس والف لا محالة
مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه وتعسر عليه النزوع عنه ثم تلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه
من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان لم يقو ويكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال لاحتنكن
ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل

القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تعالى وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدوة للشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدوة الملائكة فكان الرجوع عما سبق اليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بادم صلوات الله وسلامه عليه فلا تحسبا هذا الحال العذر وحدها بحية تفس كل غايته هند بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذن كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من جهله وكفره فان بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة عن غفلته بتفهيم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله في المنع والانطلاق والانكفاف والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن ادم فخلقة الولد لا يتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد اصلا واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم تخل عنه الانبياء كما ورد في القران والاخبار من خطايا الانبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين مرة ولذلك اكرمه الله تعالى بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره فان قلت لا يخفى ان ما يطرى على القلب من الهم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فرائض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست واجبة اذ درك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال فاعلم انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدا خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما ترتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المراة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صارت رينا كما يصير بخار النفس في وجه المراة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المراة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الاثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المراة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاثار وكما ترتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات فينمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذن لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو اثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد اثارها اثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة فاما التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصدا عن المراة كشغله في عمل اصل المراة فهذه اشغال طويلة

لا ينقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال فاعلم ان الواجب له معنيان احدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم يؤدي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول به الى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يتوصل اليها الا بها فاما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحياة ورضي بان يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل فاصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحياة وما وراء اصل النجاة من السعادات التي تتهيا بها النجاة تجري مجرى الاعضاء والالات التي بها تتهيا الحياة وفيه سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى صلوات الله وسلامه عليه الى ان توسد حجرا في منامه فجاء اليه الشيطان وقال اما كنت تركت الدنيا للاخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى بالحجر ووضع راسه على الارض وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى صلوات الله وسلامه عليه لم يعلم ان وضع الراس على الارض لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخلق فاعلم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذ علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك الا لانه راه مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به او ترى ان الصديق رضي الله عنه بعد ان شرب اللبن وعرف انه من غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد ان يخرج معه روحه ما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير اثم به ولا يجب في فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا لسر وقر في صدره عرفه ذلك السر ان فتوى العامة حديث اخر وان خطر طريق الاخرة لا يعرفه الا الصديقون فتامل احوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله واياك مرة واحدة ان تغرك الحياة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان تغرك بالله الغرور فهذه اسرار من استنشق مبادي روائحها علم ان لزوم التوبة النصوح لازم للعبد السالك في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان الداراني رحمه الله تعالى اذ قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير طاعة الله لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة اذا ضاعت منه بغير فائدة بكى عليها لا محالة وان ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل عنها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد واي جوهر انفس من هذا فاذا ضيعته في الغفلة فقد خسرت خسرانا مبينا وان صرفتها الى معصية فقد هلكت هلاكا فاحشا

فان كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها
انه صاحب مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه
ولكل مصاب مصيبته وقد وقع اليأس عن التدارك قال بعض العارفين ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك
ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم
الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم
وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من
الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه انه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت
اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات
فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه ويتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة
الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت
روحه على التوحيد وذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك
سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان انما التوبة على الله
للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها
بها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمان لابنه
يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة
على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد
في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة
الى ان يختطفه الاجل فياتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله تعالى عند عبده والعمر امانة الله
عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده
سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك
عمرك وائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي
عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله تعالى
اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون **بيان ان التوبة اذا اجتمعت
شرائطها فهي مقبولة لا محالة** اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة
فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القران علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الاخرة في جوار الله
ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته
السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة تمحو عن وجه
القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة
الوسخ مع بياض الصابون فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى

لان يكون

لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة توسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال
القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم تنظفه وتطهره وتزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول
كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له
وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح المؤمنون وقوله تعالى قد افلح من زكيها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى
من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار
للاخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا
قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه
فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف نفسه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا
تقبل كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه
في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان يتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب
لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم
يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة
الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل
الايات والاخبار والاثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
وقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الى غير ذلك من الايات وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد الحديث والفرح وراء
القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء
النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب
الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب
فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال عليه السلام كفارة الذنب
الندامة وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى ان حبشيا قال يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال
نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله تعالى
لما لعن ابليس ساله النظرة فانظره الى يوم القيمة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن ادم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى
وعزتي لا احجب عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار
في هذا لا تحصى **واما الاثار** فقد قال سعيد بن المسيب انزل الله قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم
يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله عز وجل بشر المذنبين بانهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت
عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال
عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة المها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى
الله عز وجل اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه وقال
بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت

يعرض على الرجل ذنوبه يوم القيمة فيمر بالذنب فيقول اما اني قد كنت مشفقا منك قال فيغفر له ويروى ان رجلا سال ابن مسعود
عن ذنب الم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال ان للجنة ثمانية ابواب كلها
تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن ابي القسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة
الكافر وقول الله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله ولقد بلغني ان توبة المسلم
كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه
طرفة عين سقط اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى
يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب علي وقال اخر انا من ان احرم التوبة اخوف من ان احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها
لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في
لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك تقبلني فسمع قائلا
يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون
المصري ان لله عبادا نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون
وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء
ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا
فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة
المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة
وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا
بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة
مقبولة لا محالة فان قلت افتقول ما قاله المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله فاقول لا اعني بما ذكرته
من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان
اذا شرب وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء
من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله بل اقول خلق الله الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة
كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشية فلا واجب على الله ولو سبقت به ارادة
الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت ما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال
عطشه فلم يشك فيه فاقول شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة
كما سيأتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال في انه هل يسهل وذلك لشكه في حصول
شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله
موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سياتي في شروطها ان شاء الله تعالى الركن الثاني
فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا
بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذن واجب والذنب عبارة

عن كل

عن كل ما هو مخالف لامر الله في ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى اخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا
نشير الى مجامعها وروابط اقسامها بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد اعلم
ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن ينحصر مثارات الذنوب في
اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت
من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الاثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين
اثارا مختلفة فاما ما يقتضيه النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنا
وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب
غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات
الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش
والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة
البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية
ومنها يتشعب الحقد والغضب والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب
وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم يتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا
استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالاخرة تغلب الصفات الربوبية وهو الفخر والعز
والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع
على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها
على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل
ذلك فانه واضح قسمة ثانية اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق
العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكوة وقتله
النفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول
الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراة على الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب
الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى
واقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد
بينهم وبين الله تعالى واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب
بها حتى يقتص منها قسمة ثالثة اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس
فيها فقال قائلون لا صغيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنبت الكبائر وفي لفظ اخر كفارات لما بينهن الا الكبائر وقال النبي عليه السلام فيما
رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس واختلف الصحابة

واختلفوا في عدد الكبائر من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فقال ابن مسعود هن اربع وقال ابن عمر هن سبع
وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنه اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع و
قال مرة كلما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كلما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كل ما اوجب الحد في الدنيا
فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من اول سورة النساء
الى راس ثلثين اية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة الى هنا
فهو كبيرة وقال ابو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود و
ابن عمر وغيرهم اربعة في القلب وهو الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربع في اللسان وهي
شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس صاحبها في النار
والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلث في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل
مال اليتيم ظلما واكل الربا وهو يعلم واثنتان في الفرج وهما الزنا واللواط واثنتان في اليدين وهو القتل والسرقة وواحدة في
الرجلين وهو الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في الجسد وهي عقوق الوالدين قال وجملة عقوقهما
ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وان يسالاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو
قريب ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل الربا ومال اليتيم من الكبائر وهي جناية
على الاموال ولم يذكر في كبائر النفوس الا القتل فاما فقء العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع
العذاب لم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكبائر السبتان بالسبة
ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زائد على قذف المحصن وقال ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة انكم لتعملون
اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقالت طائفة كل عمد كبيرة وكل ما
نهى الله عنه فهو كبيرة وكشف الغطاء عن هذا ان نظر الناظر في السرقة اهي كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها كقول
القائل السرقة حرام ام لا ولا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام اولا ثم البحث عن وجوده في السرقة فالكبيرة من حيث اللفظ
مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع وذلك لان الكبير والصغير من المضافات وما من ذنب الا وهو كبير بالاضافة الى
ما هو دونه وصغير بالاضافة الى ما هو فوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر صغيرة بالاضافة الى الزنا وقطع يد
المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان ان يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني
بوصفه بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ان ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة
عظيم وله ان يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القران يدل على عظمه ثم يكون عظيما وكبيرا لا محالة
بالاضافة اذ منصوصات القران ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه
الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات نعم من المهمات ان نعلم معنى قول الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتكم وقول رسوله عليه السلم الصلوات كفارات لما بينهن الا الكبائر فان هذا اثبات حكم الكبائر والحق في ذلك ان الذنوب
منقسمة في نظر الشرع الى ما يعلم استعظامه اياها والى ما يعلم انها معدودة في الصغائر والى ما يشك فيه فلا يدرى حكمه فالطمع
في معرفة حد حاصر او عد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول

اني اردت بالكبائر عشرا او خمسا ويفصلها فاذا لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلث من الكبائر وفي بعضها سبع من الكبائر ثم ورد
ان السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع والثلث علم انه لم يقصد به العدد الحصر فكيف يطمع في عد ما لم يعده
الشرع وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف
به اجناس الكبائر وانواعها بالتحقيق واما اعيانها فيعرف بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكبائر فاما اصغر الصغائر فلا سبيل
الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقائه وانه
لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ورسله وكتبه واليه الاشارة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ليكونوا الى عبيدا ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود
الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا الا في الحيوة الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلم الدنيا مزرعة الاخرة فصار حفظ الدنيا ايضا
مقصودا تابعا للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالاخرة شيئان النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكبائر
ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويلي ذلك ما يسد باب المعايش التي بها حيوة النفوس فهذه ثلث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب
والحياة على الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصود الشرائع كلها وهذه ثلثة امور لا يتصور ان يختلف فيها الملل
فلا يجوز ان يبعث الله تعالى نبيا يريد ببعثته اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يامرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله او يامرهم
باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان الكبائر على ثلث مراتب الاولى ما يمنع من معرفة الله ومعرفة رسله وهو الكفر
فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين العبد وبين الله هو الجهل والوسيلة المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده
بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا ايضا عين الجهل فمن عرف الله لم يتصور ان يكون
امنا ولا ان يكون ايسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب
تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله وبافعاله وشرائعه وباوامره ونواهيه ومراتب ذلك لا ينحصر وهي تنقسم الى ما يعلم
انها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القران والى ما لا يعلم انه لا يدخل والى ما يشك فيه وطلب رفع الشك في القسم المتوسط
طمع في غير مطمع الرتبة الثانية النفوس اذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس لا محالة من
الكبائر وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ حياة الدنيا لا تراد الا للاخرة
والتوصل اليها بمعرفة الله ويتلو هذه الكبيرة قطع الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع
في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ودفع الموجود قريب
من قطع الوجود واما الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي
لا ينتظم العيش الا بها بل كيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور البهائم ما لم يتميز الفحل منها باناث يختص بها عن سائر الفحول
ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا في شرع قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود
ولا يمنع اصله ولكنه يفوت تميز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل وينبغي ان يكون اشد من اللواط لان الشهوة
داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته الرتبة الثالثة الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسلط الناس
على تناولها كيف شاؤا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغي ان تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال اذا اخذت
امكن استردادها وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغي ان يكون ذلك

من الكبائر وذلك باربعة طرق احدها الخفية وهي السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك والثاني اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية واعني به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان المودع خصم فيه ينتصف لنفسه والثالث تفويتها بشهادة الزور والرابع اخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان يختلف الشرائع في تحريمها اصلا وبعضها اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان يكون مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تاثيرها واما اكل الربا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد ان يختلف الشرائع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضى الشرع من الكبائر فاكل الربا اكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع وان عظم الشرع الربوا بالزجر عنه فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة والمصير الى ان اكل دانق بالخيانة او الغصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي ان يختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بان يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر ولا شك في انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في القوة البشرية الوقوف على جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها التناول بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا يكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة الان ولكن من حيث انه يجوز ان يختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته فان لم يقبل شهادته فحده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات فاذن هذا ايضا ملحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له ان يشهد وحده او ظن ان يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكبائر واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او مرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث القياس في محل التوقف واذا قطع بان سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بغصب اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم من اوطانهم ليس من الكبائر اذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر فاذن رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لا يكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا يكفره قطعا والى ما ينبغي ان يكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنة واذ لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده فاعلم ان كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باساميها كالسرقة والزنا وغيره وانما حكم الكبيرة

ان الصلوات الخمس لا يكفرها وهذا امر يتعلق بالاخرة والابهام اليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرون على الصغائر اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر اخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع فكل هذا احكام اخروية ويجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة انه عليه السلام قال الصلوة الى الصلوة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ لا تحيط بالعدد كله ولا تدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر وقال الشافعي رحمه الله اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل ان الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغائر والكبائر بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها وكثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الاخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة الشرب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات وامثال هذه الصغائر من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم احاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لاثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الاخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والاخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالاخرة حالتك بعد الموت فدنياك واخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتاخر اخرة ونحن الان نتكلم من الدنيا في الاخرة فانا الان في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الاخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب

الامثال المحوجة الى التعبير وكذلك ما سيكون في يقظة الاخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال
ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلثة امثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين وقال رايت كان في يدي خاتما اختم به
افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر فقال صدقت وجاءه اخر فقال رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال
ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت
في صغره وقال له اخر رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما قال والتعبير من اوله الى اخره
مثال لتعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا فالمؤذن
ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج راه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم
ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم
وقدر عقولهم انهم في النوم والنائم لا يكشف له شي الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز حده ظاهر المثال
لجهله بالتعبير الذي يسمى تاويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا واصبعا تعالى الله عن
قوله وكذلك في قوله عليه السلام ان الله خلق ادم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهية فيثبت لله مثل ذلك
تعالى عن قوله علوا كبيرا ومن هاهنا زل من زل في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات
والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امر الاخرة ضرب امثلة يكذب بها الملحد بجمود نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده
قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب به ويستدل به على كذب
الانبياء ويقول يا سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل
هولاء الحمقى عن معرفة اسرار ربي تعالى وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من قال رايت في منامي انه جي بكبش وقيل هذا
هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت والامر كما رايت وهذا يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح
وقع الياس عنه فاذن المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقتها الى ان الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي
يطلع الارواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له لان النائم انما يحتمل المثال فكان مثاله
صادقا وكان معناه صحيحا فالرسل ايضا انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الاخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم
بالامثلة حكمة من الله ولطفا بعباده وتيسيرا لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب الامثلة فقوله يؤتى بالموت في صورة
كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد جبلت القلوب على التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها
بواسطتها ولذلك عبر القران بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله قلب المؤمن بين اصبعين من
اصابع الرحمن عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى الحكمة ذلك في كتاب قواعد العقايد من ربع العبادات فلنرجع الان الى الغرض
فالمقصود ان تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب الامثال فليفهم من المثل الذي نضرب
معناه لا صورته فنقول الناس في الاخرة ينقسمون اصنافا وتتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا
لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا يفارق الاخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا والبتة فان مدبر
الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصا احاد

الدرجات

الدرجات فلا نعجز عن احصا الاجناس فنقول الناس في الاخرة ينقسمون لا بالضرورة الى اربعة اقسام هالكين ومعذبين و
ناجين وفائزين ومثاله من الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا
يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع بعضهم فهم الفائزون فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا باستحقاق فلا
ولا يقتل الا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في اصل الدولة ولا يعذب الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته
ولا يخلي الا معترفا له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا على من ابلى عذره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي
ان يكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجات خدمتهم واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب
درجات معاندتهم وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم
فينقسم كل رتبة من هذه الرتب الى درجات لا تنحصر وكذلك فافهم ان الناس في الاخرة هكذا يتفاوتون فمنهم هالك ومنهم معذب مدة
ومنهم ناج يحل في دار السلامة ومنهم فائز والفائزون ينقسمون الى من يحلون في جنات عدن او جنات الماوى او جنات الفردوس والمعذبون
ينقسمون الى من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة الاف سنة وذلك اخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذلك
الهالكون الايسون عن رحمة الله يتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليهما
اما الرتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين الايسين من رحمة الله اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه
ايس من رضا الملك واكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين
بالله وبرسله وبكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى وجهه الكريم وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة
التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون فهم الايسون عن رحمة الله ابد الاباد وهم الذين
يكذبون برب العالمين وبانبيائه المرسلين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين
ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا مع نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا
للحور العين انما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم اذ يعبده لطلب جنته او لخوف ناره
بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط فاما الحور والفواكه فقد لا يشتهيها واما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق
اذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل
لها الا مع الاجسام والم الاجسام يستحقر مع الم الفؤاد ولذلك قيل ففي فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها
ولا ينبغي ان ينكر هذا في عالم الاخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا فقد رأى من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى اصول
القصب الجارحة للقدم ولا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فيصيبه جراحات
وهو لا يشعر بها في الحالة لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب قطعة من النار واحتراق الفؤاد
اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس بالاضعف كما تراه فليس الهلاك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق
بين جزئين يرتبط احدهما بالاخر برابطة التاليف الممكن في الاجسام فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط به برابطة
تاليف اشد احكاما من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك
من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقره بالاضافة الى الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان
وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن السلطان اصلا ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان

مع الصولجان احب اليه من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الطريسة والحلاوة وبين
فعل جميل يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء لآثر الطريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوبا
ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه الصفات الملكية
التي لا تناسبها ولا تلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا
في الآذان فلا يكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الالحان وحسن
الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن
مفلسا من القلب ولست اعني بالقلب هذا اللحم الذي يكتنفه عظام الصدر بل اعني السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي
هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعا ولكن ذلك السر الذي
قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر وبين عالم الخلق ترتيبا وعالم الامر امير على عالم الخلق
وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح لها سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يشم
العبد مبادي روايح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وينظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر
لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته للجامد على اللفظ اكثر من رحمته للمتعسف في التاويل لان الرحمة على
قدر المصيبة ومصيبة اولئك وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر فالحقيقة فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم وهي حكمة يخص بها من يريد ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس
في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجهال المكذبين وشهادة ذلك
من كتاب الله وسنة رسوله لا يدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى باصل
الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه
فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهو ان يذر بالكلية غير الله
ومعنى قوله الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه ادق من
الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير ولا يخلو
عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصانا
في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن فيكون كل مائل
عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بسبب امرين
احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ولذلك قال الخائفون
من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار
بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك الرجل واعلم ان في الاخبار ما يدل على ان آخر من
يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وان الاختلاف في المدة بين لحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار
كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وسبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر

وسائر

وسائر المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاه وادناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين
في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث
في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال وبقتل الولد واستباحة
الحريم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل
عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها اما شدة العذاب فبشدة
قبح السيئات وكبرها واما كثرته فبكثرتها واما اختلاف انواعه فباختلاف انواع السيئات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع
شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعنى بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله
وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في
الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى
فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما فاذن هذه الامور
الكلية من تباعد الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا ومستنده
ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن
جميع الفرائض اعني الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغائر متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه المناقشة في الحساب
فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن
وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفرة للصغائر واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب وكل من هذا حاله
فقد ثقلت موازينه فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية نعم التحاقه باصحاب اليمين
او بالمقربين ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك يتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان تقليدي كايمان العوام يصدقون
بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح
ان الكل الى الله ومرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس
الاعلى وهم على غاية القرب من الملا الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت
معرفتهم بالله ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل
وعمق وانما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالطريق الى الله لا نهاية لمنازله فالسالكون
سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المومن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا
على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر
وادى الفرائض كلها اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج واما
من ارتكب كبيرة او كبائر واهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التائب
من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون
موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما
فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف البصير ابعد من ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان

الا ان يعفو الله عنه وانما يزيد على عذاب المناقشة في الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن
حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيئات وعند انقضاء مدة العقاب ينزل
البله المقلدون في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين وفي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل
الدنيا كلها عشرة اضعاف ولا تظنن ان المراد به تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او عشرة فان هذا
جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فاعطاه
مائة دينار فان لم تفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا يكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الاخرى
عشر عشيره بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها دون اشخاصها وهياكلها فان الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه
ومساحته بل لماليته فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية
وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والابل بل لو اعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته
عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهرية لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر
فلذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل الف مثقال فقد كذب
في قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال
وان يحصل في قلبه النور الذي به يدرك ارواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك يكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم
المقلد القاصر صدق رسول الله في هذه الموازنة اذ دخول الجنة في السموات كما ورد في ظاهر الاخبار والسموات من الدنيا فكيف
يكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك عن تفهيم البدوي وكان الجوهري
مرحوما اذ بلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم اذ بلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك
قال عليه السلام ارحموا ثلثة عالما بين الجهال وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم
لقصور عقول الامة فتنة لهم وامتحانا وابتلاء من الله تعالى والبلاء موكل بهم بسبق تقدير وكيله القضاء الازلي وهو المعنى بقوله عليه السلام البلاء
موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فلا تظنن ان البلاء بلاء ايوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فان بلاء نوح
عليه السلام ايضا من البلاء العظيم اذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الى الله الا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر فاذن كما لا يخلو الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين فلا يخلو
الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما انفك الاولياء عن ضروب من الايذاء وانواع البلاء بالاخراج من البلاد
والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكفرة
كما يجب ان يكون المعتاض عن الجمل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله
عليه السلام انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياك ان تقتصر تصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط
فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس وانما انت مفارق للحمار بسر الهي عرض على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنه واشفقن منه فادراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار
وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها
ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله

اذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس وكل من نسي الله انساه لا محالة نفسه وتنزل الى رتبة البهائم وترك الترقي الى افق
الملأ الاعلى وخان في الامانة التي اودعها الله تعالى وانعم بها عليه فكان كافرا لنعمته ومتعرضا لنقمته الا انه اسوأ حالا من البهيمة
فان البهيمة تتخلص بالموت واما هذا فعنده امانة سترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها وتلك الامانة
كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفاني وغربت فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود
الى بارئها وخالقها اما مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة
ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رؤسها عن جهة اعلى عليين الى جهة اسفل السافلين
ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبين انهم عند ربهم الا انهم منكوسون منحوسون
قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله تعالى فيمن حرمه توفيقه
ولم يهده طريقه فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة
امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك
والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغانمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة
فحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا ترى الامور كلها الا من الله
وعلامته ان لا يغضب على احد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل
وهذا التوحيد متفاوت فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة فمن في
قلبه مثقال دينار فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من ايمان وآخر
من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة
الذرة والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرناه من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل الموحدين
النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك واما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاخبار ان العبد
ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض
هذا واخذ مال هذا وضرب هذا فينقص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون
كثير فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو
المظلوم بحسنة الظالم اذ ينقل اليه عوضا عما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله
فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها فكيف امحوها وقال هو وغيره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي
فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي
حكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه هين فان ذلك ظن يصيب
في اكثر الاحوال ولكن قد يتوب المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب وقد يتساقى الى ذي العارض الخفيف اجله
من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله تعالى الخفية في ارواح الاحياء وغموض الاسباب التي رتبها مسبب الاسباب بقدر معلوم
اذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لها اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها
يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشية

الازلية التي لا يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن الفاسق وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان
كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن
قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضي البعد من الله ولولا
ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك
بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت
رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا انفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد
ترى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشان في انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها بعد
الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى الرتبة الثالثة رتبة الناجين
واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون
هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة
فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل
ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا
من الايات والاخبار ومن انوار الاعتبار فاما الحكم على العين كالحكم مثلا بان الصبيان منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن
الاطلاع عليه تحقيقا في عالم النبوة ويبعد ان يرتقي اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت
عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال وما يدريك فاذن
الاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام الرتبة الرابعة الفائزون وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون
فان المقلد وان كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان
والقدر الممكن ذكره ما فصله القران فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي اجمله قوله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء وقوله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم واما الحور والقصور والفواكه واللبن
والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم
فهو غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهؤلاء قوم
شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي
همه بالنظر الى وجهه او الفكر فيه فانه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة
بانه فني عن نفسه ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت
اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الاخرة الى قرة عين لا يتصور ان يخطر في هذا العالم على قلب بشر
كما لا يتصور ان يخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاصم والاكمه الى ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك
يدرك حالة يعلم قطعا انه لم يتصور ان يخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء.

فعند ذلك

فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات
على الحسنات **بيان ما يعظم به الصغائر من الذنوب** اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب
منها الاصرار والمواظبة ولذلك قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور
ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك
القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء تستبان
باضدادها فان كان النافع من العمل هو الدائم وان قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل
من السيئات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة
الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة
يكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصور كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب
الانسان عليها عمره ومنها ان يستعظم الذنب فان العبد كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله
لان استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره يصدر عن الالف به
وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما
يجري عليه في الغفلة فان القلب لا يتاثر بما يجري في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع
عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا
وانما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به صار الصغير كبيرا وقد اوحى الله تعالى
الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها
وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين انكم لتعملون اعمالا
هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله اتم
فكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور
لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة تكبر بمعرفة قدر المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها
واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم
اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رايتني كيف
مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رايتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى اخجلته وكيف استخففت به
وكيف لبست عليه ويقول المعامل في التجارة اما رايت كيف روجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف
استحمقته فهذا وامثاله تكبر به الصغائر فان الذنوب مهلكات واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي ان يكون
في مصيبة وتاسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله فالمريض الذي يفرح بان ينكسر اناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص
من الم شربه لا يرجى شفاؤه ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد
بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون ذلك لامنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما
قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها ان ياتي الذنب ويظهره

بان يذكره بعد اتيانه او يأتيه في مشهد غيره فان ذلك منه جناية على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن
اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فتغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه
وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت احدهم على ذنب قد ستره
الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات الله تعالى ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا
يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فيكون ذنبين ولذلك
قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك
المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه ومنها ان يكون المذنب عالما يقتدى به فاذا فعل
بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين
ودخوله على السلاطين وتودده اليهم ومساعدته اياهم بترك الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض وتعديه باللسان
في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم
عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم امادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه وفي الخبر من سن سنة
سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وقال تعالى ونكتب ما قدموا واثارهم والاثار
ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس
فيذهبون بها في الافاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق اهلها وفي الاسرائيليات
ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان
فيما بينك وبيني لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان
احداهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما تتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات اذا اتبعوا
فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء
والعوام ويكون له مثل ثوابهم وان مال الى التجمل مالت الطباع ممن دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين
وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف اثارها اما بالربح
واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها

الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها في دوامها الى اخر العمر

قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك
الندم اورثه العلم بكون المعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها
علامة ولدوامها شرط فلابد من بيانها اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي واما الندم فهو توجع القلب
عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والندم والحزن وانسكاب الدموع وطول البكاء فمن استشعر عقوبة
نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي
سبب ادل على نزول العقوبة من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده
المريض لا يبرأ وانه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده باعز من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا اصدق من الله ورسوله
ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض بها للنار فالم الندم كلما كان اشد كان

تكفير

تكفير الذنوب به ارجى فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن
علامته ان يتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات
ان الله تعالى قال لبعض انبيائه وقد ساله النبي قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي لو شفع
فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة
بالطبع فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه
وتناثر شعره وفلجت اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه
عن ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة بل ربما ينفر عن العسل الذي ليس فيه سم ايضا لشبهه به فوجدان التائب
مرارة الذنب كذلك تكون وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا يصدق الا بمثل
هذا الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الا معرضا عن الله متهاونا بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط
تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم
في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم ان فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقة
وزناه من حيث انه سرقة وزنا بل من حيث مخالفته امر الله وذلك جار في كل ذنب واما القصد الذي ينبعث منه وهو ارادة التدارك
فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو متوجه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط
وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن
او الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيه
منها والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان قد ترك صلاة او صلاها في ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط
النية فيقضيها عن اخرها فان شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي
وله ان ياخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم فان كان قد تركه في سفر ولم يقضه او افطر
عمدا او نسي النية بالليل ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه واما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد
السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ فان الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته فان اداه لا على وجه
يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية واخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله فيقضي جميع ذلك فان ذلك
لا يجزيه اصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شاف ويلزمه ان يسال عن كيفية الخروج عنه من العلماء
واما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له خروج والان قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه
ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسال الناس ليصرفوا اليه من الزكوات والصدقات ما يحج به فانه
ان مات ولم يحج قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطاري بعد القدرة
لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فينبغي ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه
وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها
صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد كنظر الى غير محرم وقعود في مسجد
مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها

بالندم والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة يناسبها فيأتي
من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله صلى الله عليه اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القران وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف
فيه بالاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القران وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا
ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو اطيب واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود سلوك
طريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها
والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة
والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد
من العبادات وان كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا راس كل
خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والانس بها والحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه
عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم
وفي لفظ اخر الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال يكفرها ادخل
الله تعالى عليه الغموم فيكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور
القلب بوقفة الحساب وهول المطلع فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة
فاعلم ان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة فقد روي ان جبريل دخل على يوسف في السجن فقال له
كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال اجر مائة شهيد فاذن الهموم ايضا مكفرات
حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله واما مظالم العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله فان الله نهى عن ظلم العباد ايضا
فما يتعلق منه بحق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاءه الناس
بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناول الاعراض بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين
واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه وامثاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه
موجود لسيده والاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا يعرف ان ما ذكرناه من سلوك طريق
المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم يكفه ولم ينجه ما لم يخرج من مظالم
العباد ومظالم العباد اما في النفوس او الاموال او الاعراض او القلوب اعني به الايذاء المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطا
فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وان كان عمدا موجبا للقصاص
فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا تسقط عهدته
الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد الله فانه لا يلزمه في التوبة
ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان يتستر بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة
والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله قريب من التائبين النادمين فان دفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع موقعه وتكون
توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني

قد ظلمت

قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية فلما كان
في الرابعة امر به فحفر له حفرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقائل
يقول ما توبة افضل من توبة ماعز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت
الغامدية فقالت يا رسول الله اني زنيت فطهرني وانه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك تريد ان تردني
كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال اما الان فلا فاذهبي حتى تضعي فلما ولدت اتت بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته
قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت هذا قد فطمته وقد اكل الطعام
فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها
فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده
لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت واما القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيم المستحق
فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف او ستر عيب من المبيع او نقص
اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من اول مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على
الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي في الحقوق المالية الصبي
والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيمة وليناقش قبل ان يناقش
فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الاخرة حسابه فان حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه
وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم او ليؤد حقوقهم وهذه التوبة
تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل
ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيمة فيؤخذ حسناته وتوضع في موازين
ارباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات
غيره فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك
مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشمره الذي كان في المعاصي
في متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما امواله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لم يعرف له
مالكا فعليه ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله
في كتاب الحرام والحلال واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او يعيبهم بالغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه
او اذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات ليؤخذ منه
عوضا في القيمة واما من وجده واحله بطيب قلب منه فذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال
المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيمة ذخيرة ياخذها من حسناته
او يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتاذى بمعرفته كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان
الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان يستحل منهما ثم تبقى له
مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب فاما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما

ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاحلال بقيت المظلمة عليه فان من حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته
واغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة
فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته
التي يمكن ان يجبر بها في القيمة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه حتى
اذا قاوم احدهما الاخر او زاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في القيمة بحكم الله به عليه كمن اتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع
من القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل
المقسطين وفي المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل
تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم
ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك
فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة
جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال
قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي
رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان
تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا يعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال
فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا مؤكدا
ويعاهده بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما
جزما انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور ان يغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن
لا يكون تائبا ما لم يتاكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول الامر الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز
قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام
فكيف يكون تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في الماكولات والملبوسات قال
بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال اخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين
لم يعد اليه ابدا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وان لم
يؤثر العزلة لم يتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا وليست هذه
توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل بل نقول لمن قال لا
تصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب
وقلتها سبب لقلته ونقول لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب يوجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا
خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله وان قال من ذهب الى انه لا يصح اراد
به ان التوبة عبارة عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليها دون الزنا

الكان

ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه
بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها
العلم بكون المعصية مفوتا للمحبوب من حيث انها معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب
من شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك
اعيان المعاصي الات المعصية والمعصية من حيث مخالفة الامر واحدة فاذن معنى عدم الصحة ان الله وعد التائبين رتبة تلك
الرتبة لا ينال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المرتب على الايجاب والقبول فانه اذا لم يتم الايجاب
والقبول يقال ان العقد لم يصح اي لا يترتب عليه الثمرة وهو الملك وتحقيق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه
وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك يعم جميع
المعاصي وهذا كلام مفهوم وواقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان يكون
عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم ان
الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويندم
عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب
استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار الخالية ولم يكن احد
منهم معصوما فلا يستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف على
وجه يشعر معه بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وان
اكلهما جميعا بحكم شهوته ندم على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن
لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك
وما بينه وبين الله يسارع العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغائر والكبائر لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها
وفي اعتقاد مرتكبها وكذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا يتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر
مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيترجح شرب الخمر عنده وينبعث منه خوف يوجب الترك
في المستقبل وندما على الماضي الثالث ان يتوب عن صغيرة وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر
الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه ونادم
على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن يكون لذة نفسه بتلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من
الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة
اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد يشتد ضراوة الفاسق بالخمر
فلا يقدر على الصبر عنه ويكون له ضراوة ما بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه
الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب غلبة جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة
غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي ان اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي فعسى ان اغلبه فيكون قهري له
في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصوم ويصلي ولقيل له ان كانت صلاتك لغير الله

سواء كان بالسيف او بالسكين فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه

فلا تصح وان كانت لله فانه ترك الفسق لله فان امر الله فيه واحد فلا يتصور ان يقصد بها لاجل التقرب الى الله ما لم يتقرب بترك
الفسق وهذا محال بل يقول لله على امران ولى على المخالفة فيهما عقوبتان وانا ملي في احدهما بقهر الشيطان عاجز عن الاخر
فاقهره فيما اقدر عليه وارجو بمجاهدتي فيه ان يكفر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم
اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا واذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن
وجوده والخوف اذا كان من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يشترط
الندم على كل ذنب وقال عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة
عن بعض الذنوب ان غير ممكن لانها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما
في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه
ويترك بعض شهوته لله كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا
انه لا يمكن ان يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية واما في غلبة
الشهوة واذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه
على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع الله في جميع الاوامر والنواهي فان قلت
فهل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة فاقول لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك
فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرى عليه بعد العنة كشف ومعرفة
تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكانت حرقة الندم
تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة
ومات عقيبه كان من التائبين وان لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسباب اقتضاء الشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه
بلغ مبلغا اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستحيل ان تبلغ قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه
من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله
منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة في هذا يرجع الى ان ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والاخر شدة
المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة
ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل
ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والاخر بقي في نفسه
نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابي الحوارى واصحاب ابي سليمن
الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب الى
السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كل الحقيقة
والحق فيه ان الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان احديهما ان يكون انقطاع نزوعه اليها بفتور في نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل
من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه وعلى استيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعني
بقوة الدين قوة الارادة التي تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة

عليهما

عليهما قطعا وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطاء وهو كقول
القائل العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع
لاعدائه لان المفلس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر
غير عالم بان العز في الاخطار وان العلو شرطه اقتحام الاغرار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب افضل
في صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه امن من ان يجمح به فرسه فيكسر اعضاءه عند السقوط
على الارض وامن من ان يعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطاء بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما
اعلى رتبة واحرى بدرك سعادة الصيد الحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة
اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليه
فهذا اعلى رتبة من المجاهد المكابد لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد
فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك
عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثاله
كمثال من قهر العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا مثال
من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما ناتمان عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمعاناة
التاديب بعد ولقد زل في هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب الخلاص من عوائق الطريق
وظن اخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم فعجز عنه فقال هذا محال فكذب بالشرع وسلك
سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من
ربع المهلكات فان قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والاخر جعل نصب عينيه ولا يزال
يتفكر فيه ويحترق ندما عليه ايهما افضل فاعلم ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك
بين عينيك وقال الاخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام
المتصوفة ابدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فيختلف الاجوبة لاختلاف
الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الاشياء على ما هي عليه افضل واعلى ولكنه كمال بالاضافة
الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر غيره اذ طريقه الى الله نفسه
ومنازله احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم والتعليم فالطرق الى الله كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد
والله اعلم من هو اهدى سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول تصور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال في
حق المبتدي المريد لانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا يقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولان ذلك يستخرج
منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان
فانه شغل مانع من سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهر له مبادي الوصول وانكشف
له انوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يتوقف فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو الكمال بل عاق عن الطريق
الى بلد من البلاد نهرها خرطال تعب المسافر في عبوره من حيث انه كان قد خرب جسره من قبل فجلس على شاطى النهر بعد

عموره يبكي متأسفا على تخريبه الجسر كأنه هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ عن ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان
كان ليلا لا يمنعه السلوك وكان على طريقه انهار وهو يخاف على نفسه ان يخربها فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول
الحزن عزمه على ان لا يعود الى مثله فما يحصل له من التنبه ما يوثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال
بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه
في كتاب العلم وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير الفكر في النعيم في الآخرة لتزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا
ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة
بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي
ايضا قد يستضر به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته
فان قياسك نفسك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة باممهم فانهم
ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبيس بما ينتفع امتهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ
من لا يشير على مريده بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس ولكن تسهيلا
للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اما اني لا انسى ولكن انسى لاشرع ولا تتعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبياء
كالصبيان في كنف شفقة الآباء وكالمواشي في كنف الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة
نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول
ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه اذ علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته وترك الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طائرا يصوت به
رغاء او صفيرا تشبها بالبهيمة والطائر تلطفا في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها مزلة اقدام العارفين
فضلا عن الغافلين

بيان اقسام العباد في دوام التوبة

اعلم ان طبقات التائبين اربع طبقات
الطبقة الاولى ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه
الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق
بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع
الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى
وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم ولاهل هذه الطبقة
على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك
صراعها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليء بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات النزاع ايضا بالكثرة والقلة
وباختلاف المدة وباختلاف الانواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف قريبا من توبته يغبط على السلامة
وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة فانما
تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العبد ان يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة
ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظيم اثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف
ان يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره

فيقدم

فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك
في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته في الابتداء الطبقة الثانية تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات
وترك كبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير
ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها
التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة
لا عن تصميم عزم وتخمير رأي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين
لان الشر معجون بطينة الآدمي فقلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات
فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال تعالى الذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو
عنه وقد قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم
لتندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي كرم الله وجهه خياركم
كل مفتن تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد
الفينة اي الحين بعد الحين وكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين
ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة
مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق
في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق
عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاء وخير الخطائين
المستغفرون وقال ايضا المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه اي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة اصلا الطبقة الثالثة
ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر
الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة
او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله على قمعها وكفاه شرها هذه امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول
ليتني لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد اخرى ويوما بعد يوم
فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا
صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما تعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة
من حيث تسويفه وتأخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشيئة فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه
بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه
مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء
في حقه واذا يسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط السعادة

الاخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط
حصول فقه النفس الذي به يستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لمنصب الرياسة
والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الاخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم
صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل تدبير رب الارباب ولذلك قال تعا ونفس وما سويها فالهمها فجورها
وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فمهما وقع العبد في ذنب صار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان
قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به
فليراقب الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر الطبقة الرابعة ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة
ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتاسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في
اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره في
مشية الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا اخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين
ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده وكما لا ان يجلس
في البيت ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم
بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجا مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب
العلوم من تعليم الملئكة وليس من اجتهد تعلم وليس من اتجر استغنى وليس من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون
والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما ان من خرب
بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخراب يعد عند ذوي
البصائر من الحمقى المغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعا وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو
مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته
في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاوعار
في طلب الدينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس تضره فاجلس في
بيتك فعساه يرزقك من حيث لا يحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا
ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب
الاخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال تعا وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف
يعتقد انه كريم في الاخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن الملك
المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى
والضلال فما هذا الا انتكاس على الراس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعا ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا روسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان
الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب

لا انعكاس

السابق

السابق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب ان جرى عليه
ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق اعلم ان الواجب عليه التوبة
والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة
فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا
صالحا واخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما
يتعلق باسبابها واما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله تعا في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الابق ويكون
ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الابق المذنب وجه للتكبر على العباد وكذلك يضمر
بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات واما باللسان فالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت
سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما بالجوارح فبالطاعات
والصدقات وانواع العبادات وفي الاثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب
وهي التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنب وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح
وهي ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق
بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الاثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات
وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب
الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امراة
فاصبت منها كل شي الا المسيس فاقض علي بحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم اوما صليت معنا صلاة الغداة فقال بلى فقال ان
الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلوة كفارة له بمقتضى قوله
الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها
بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو
مصر عليه كالمستهزئ بايات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين
وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر
ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول فقال الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون فكان بعض الصحابة يقول كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار
فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول
الانسان بحكم العادة وعن راس الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتاثر به قلبه
وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعا وابتهاله في سؤال المغفرة عن
صدق ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان يدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة
في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار
بالقلب وللتوبة والاستغفار درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم تنته الى اواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد

في كل حال من مولاه واحسن احواله ان يرجع اليه في كل شي فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب علي
فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل قال يا رب تقبل مني وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول
الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه
بان يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده ماواه
ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر
هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون
مقامه مقام حملة العرش وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر
في قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون الاية وقال ايضا الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه والمقصود ان للتوبة ثمرتين احداهما
تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضها محو لاصل الذنب بالكلية
وبعضها تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار
من اوائل الدرجات وليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان تظن ان وجودها كعدمها بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب
معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا يخلو شعيرة تطرح
في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان باحمال الذهب وذلك بالضرورة محال
بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخير الى ان يثقل فيشيل كفة السيئات فاياك ان تستصغر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي
فلا تتقيها كالمراة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك
في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة
فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها
عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت
عنه وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي ان لساني في بعض الاحوال يجري
بالذكر والقران وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده
الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع
من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعوده فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك وما اقبح كذبك ومن
تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصى
في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين
ومعاني قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة
شر المعاصي بالغيبة واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف الاخرة اكثر لو كانوا يعلمون فاياك
ان تلمح في الطاعات مجرد الافات فيفتر رغبتك في العبادات فان هذه مكيدة روجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم
انهم ارباب البصائر واهل التفطن للخفايا والسرائر فاي خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلثة
اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت بها الباطل فلا جرم اعذبك

مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه واما
الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر
فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق شن طبقة وافقه فاعتنقه
واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله
بالاضافة الى السكوت والفضول فاستمر عليه وسال الله تعالى ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك
الذي ذمت حياكته فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك الحياكة واصبح كناسا والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة
فقال لا انكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا اترك
الحياكة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم
غفلة القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين
لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغي ان يفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى ما قال القائل الصادق حسنات الابرار
سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي
ولذلك قال جعفر الصادق ان الله تعالى خبا ثلثا في ثلث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه
فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبا ولايته في عباده فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله

الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار

اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشا
على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليست له صبوة وهذا عزيز
نادر والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون الى مصرين والى تائبين وغرضنا ان نبين العلاج
في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم ان شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف
على الداء اذ لا معنى للدواء الا مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله
ولا يبطل الشيء الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الشهوة الا الصبر
على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال تعالى واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون
فلا دواء اذن للتوبة الا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة
الخل ويقصد بكل واحد منهما غرض اخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي ان تفهم علاج
القلب عما به من مرض الاصرار فاذن لهذا الدواء اصلان احدهما العلم والاخر الصبر فلا بد من بيانهما فان قلت
اينفع كل علم لحل الاصرار ام لا بد من علم مخصوص فاعلم ان كل العلوم بجملتها ادوية لامراض القلوب ولكن لكل مرض
علم يخصه كما ان علم الطب نافع في علاج الامراض بالجملة ولكن يختص كل علة علم مخصوص فكذلك داء الاصرار فلنذكر
خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض الى التصديق بامور الاول
ان يصدق على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان
باصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان باصل الشرع
وهو ان للسعادة في الاخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا وهي المعصية وهو الايمان باصل الشرائع وهذا لا بد

حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان الثاني انه لابد وان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب
حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه
العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف الثالث انه لابد وان يصغى
الى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والاسباب المضرة على الجملة حتى تغلب عليه الخوف في ترك الاحتما فيكون شدة الخوف
باعثا له على الاحتما ووزانه من الدين الاصغا الى الايات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب
واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر الذي
هو الركن الاخر في العلاج الرابع ان يصغى الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتما عنه ليعرفه اولا تفصيل
ما يضره من افعاله واحواله وماكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتما عن كل شي ولا ينفعه كل دوا بل لكل علة خاصة علم
خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مومن ذنب مخصوص او ذنوب
مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بافاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية الوصول
الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها اطبا الدين وهم العلما ورثة الانبيا فالعاصي ان علم
عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدرى ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك بان يتكفل كل عالم
باقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر
الى ان يسال عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الانبيا والانبيا ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا
ينادونهم في مجامعهم ويدورون على ابواب دورهم في الابتدا ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا يعرفون
مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين
كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم
في الاصل والفرع فالدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرض القلوب اكثر من مرض الابدان
والعلماء اطبا والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب
المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن سائر الناس وانما صار
مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلث علل احدها ان المريض به لا يدرى انه مريض والثاني ان عاقبته غير مشاهدة
في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع عنه وما بعد الموت غير مشاهد وعاقبة الذنوب الموت
وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال والثالث
وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطبا هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة
في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغوا الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الدا المهلك هو حب الدنيا
وقد غلب هذا الدا على الاطبا فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج وتنسون انفسكم
فبهذا السبب عم الدا وعظم الوبا وانقطع الدوا وهلك الخلق لفقد الاطبا بل اشتغل الاطبا بفنون الاغوا فليتهم اذ لم يصلحوا
لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون
الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لان ذلك الذ في الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن مجالس

الوعظ

الوعظ وقد استفادوا مزيد جراة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله تعالى ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا
اهلك بالدوا حيث يضعه في غير موضعه فالرجا والخوف دوا آن ولكن لشخصين متضادي العلة اما الذي غلب
عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فيكسر سورة اسرافه
في الخوف ويذكر اسباب الرجا ليعود الى الاعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس
فيتوب فاما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر اسباب الرجا حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة
المغرور المسترسل في المعاصي بذكر اسباب الرجا فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفا وذلك من دأب الجهال
والاغبيا فاذا فساد الاطبا هي المعضلة التي ليس يقبل الدوا فان قيل فاذكر الطريق الذي ينبغي ان يسلكه
الواعظ في وعظه مع الخلق فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاوه نعم نشير الى الانواع النافعة في حل عقدة
الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة انواع النوع الاول ان يذكر ما في القرآن من الايات المخوفة
للمذنبين والعاصين وما ورد من الاخبار والاثار مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع الفجر فيه وليلة
غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الاخر يا ليتهم اذ خلقوا
علموا لماذا خلقوا ويقول الاخر يا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعض الروايات يا ليتهم تجالسوا
فتذاكروا ما علموا فيقول الاخر يا ليتهم اذ لم يتجالسوا فتذاكروا اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف
اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها
عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من عبد يعصي الا استاذن مكانه من الارض ان يخسف به واستاذن
سقفه من السما ان يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى للارض والسما كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه
لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدل له حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا الاية وفي حديث عمر الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله تعالى
الطابع فيطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع حتى
ينقبض الاصابع كلها فيسد فذلك هو القفل وقال الحسن ان بين العبد وبين الله تعالى حدا في المعاصي معلوما فاذا بلغه
العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير والاخبار والاثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر
الواعظ منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما خلف دينارا ولا درهما وانما خلف العلم والحكمة وورثه
كل عالم بقدر ما اصابه النوع الثاني حكايات الانبيا عليهم السلام والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب
بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال آدم وعصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى
روي انه لما اكل الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه
فجاء جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني
من عصاني فالتفت آدم الى حوا باكيا وقال هذا اول شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب وروي ان سليمن عليه السلام
لما عوقب في خطيئة لاجل التمثال الذي عبد في داره اربعين يوما وقيل لان المراة سالته ان يحكم لابيها فقال نعم
ولم يفعل وقيل بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها منه فسلب ملكه اربعين يوما فهرب تائها على وجهه

وكان يسال بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعمونى فانى سليمن بن داود شج وضرب وحكى انه استطعم من بيت امراة فطردته
وبزقت فى وجهه وفى رواية فاخرجت عجوز جرة فيها بول فصبتها على راسه الى ان خرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد
انقضاء اربعين يوما ايام العقوبة فجاءت الطيور فعكفت على راسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله
واعتذر اليه بعض من كان جنا عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل انفسكم ولا احمدكم فى عذركم الان ان هذا امر كان من
السماء لا بد منه وروى فى الاسرائيليات ان رجلا تزوج امراة من بلده وارسل عبده ليحملها اليه فراودته نفسه وطالبته
بها فجاهدها واستعصم قال فنباه الله فلا ببركة تقواه فكان نبيا فى بنى اسرائيل وفى قصص موسى عليه السلم انه قال للخضر
عليه السلم بم اطلعك الله تعالى على علم الغيب قال بتركى المعاصى لاجل الله تعالى وروى ان سليمن عليه السلم كانت الريح تسيره
يوما وكان عليه قميص جديد فنظر الى قميصه نظرة فكانه اعجبته نفسه فوضعته الريح فقال لها لم فعلت ولم امرك قالت انما
نطيعك اذا اطعت الله تعالى وروى ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلم اتدرى لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا
قال لقولك لاخوته اخاف ان ياكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى
حفظى له وقد رددته عليك قال لانك رجوتنى وقلت عسى الله ان ياتينى بهم جميعا وكما قلت اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه ولا تايسوا من روح الله الى غير ذلك ولذلك لما قال يوسف عليه السلم لصاحب الملك اذكرنى عند ربك
قال الله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القران
والاخبار ورود الاسمار بل لغرض الاعتبار والاستبصار بها ليعلم ان الانبياء عليهم السلم لم يتجاوز عنهم فى الذنوب الصغائر
فكيف يتجاوز عن غيرهم فى الذنوب الكبائر نعم كانت سعادتهم فى ان عوجلوا بالعقوبة ولم يوخر الى الاخرة والاشقياء يمهلون
ليزدادوا اثما ولان عذاب الاخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغى ان يكثر امرار جنسه على اسماع المصرين فانه نافع ان شاء الله
تعالى فى تحريك دواعى التوبة النوع الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب
العبد من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل فى امر الاخرة ويخاف من عقوبة الله فى الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغى
ان يخوف به فان الذنوب كلها يتعجل فى الدنيا شومها فى غالب الحال كما حكى فى قصة داود وسليمن عليهما السلم حتى انه يضيق
على العبد رزقه بسبب ذنبه وقد تسقط منزلته عن القلوب ويستولى عليه اعداؤه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم
الرزق بالذنب الذى يصيبه وقال ابن مسعود انى لاحسب ان العبد ينسى العلم بذنب يصيبه وهو معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم
من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا فى الوجه ونقصانا فى المال انما اللعنة
ان لا يخرج من ذنب الا وقع فى مثله او شر منه وهو كما قاله لان اللعنة هى الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له الشر
فقد ابعد فالحرمان من رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه يدعو الى ذنب اخر ويتضاعف فيحرم العبد به من رزقه
وعن مجالسة العلماء المنكرين للذنوب وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون حكى عن بعض العارفين انه كان يمشى فى
الوحل جامعا ثيابه محترزا عن زلقه حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشى فى وسط الوحل ويبكى ويقول هذا مثل العبد
لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى اذا وقع فى ذنب وذنبين فعندها يخوض الذنوب خوضا وهذا اشارة الى الذنب يتعجل عقوبته
بالانجرار الى ذنب اخر ولذلك قال الفضيل ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك ورثتك ذلك وقال
بعضهم انى لاعرف عقوبة ذنبى فى سوء خلق حمارى وقال اخر اعرف العقوبة حتى فى فار بيتى وقال بعض صوفية الشام

نظرت الى غلام نصرانى حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بى ابن الجلاء الدمشقى واخذ بيدى واستحييت منه وقلت يا ابا عبد الله
سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة والصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدى وقال لتجدن عقوبتها بعد حين
فعوقبت بعد ثلثين سنة وقال الدارانى رحمه الله الاحتلام عقوبة وقال لا تفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب يذنبه وفى الخبر
ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم وفى الخبر يقول الله تعالى ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا اثر شهوته على طاعتى ان احرمه
لذيذ مناجاتى وحكى عن عمرو بن علوان فى قصة يطول قال فيها كنت قائما اصلى ذات يوم فخامر قلبى هوى طال فيه فكرى
حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت الى الارض واسود جسدى كله واستترت فى البيت فلم اخرج ثلثة ايام وكنت اعالج
غسله فى الحمام بالصابون فلا يزداد الا سوادا حتى انكشف بعد ثلث فلقيت الجنيد وكان قد وجه الى فاشخصنى من الرقة
فلما اتيته قال لى اما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فسامرت نفسك شهوة حتى استولت عليك فاخرجتك
من بين يدى الله تعالى فلولا انى دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون فعجبت كيف علم ذلك وهو
ببغداد وانا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر
وان كان شقيا اخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة فى افات الذنوب فى الدنيا من الفقر والمرض وغيره
بل من شوم الذنوب فى الدنيا على الجملة ان يكتسب ما بعده صفته فان ابتلى ببلية كانت عقوبة ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف
شقاوة وان اصابته نعمة كانت استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان تكون
كل نعمة فى حقه جزاء على طاعته وتوفيقا لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة فى درجاته النوع الرابع
ذكر ما ورد من العقوبات على احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن
حصره وذكره مع غير اهله وضع الدواء فى غير موضعه بل ينبغى ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض
والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتوجه
على ما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له واحد اوصنى وقال لا تكثر على فقال النبى صلى الله عليه وسلم
لا تغضب وقال اخر له صلى الله عليه وسلم اوصنى يا رسول الله فقال عليك باليأس مما فى ايدى الناس فان ذلك هو الغنى
اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصنى فقال
اوصيك ان تكون ملكا فى الدنيا والاخرة فقال كيف لى بذلك قال الزم الزهد فى الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم توسم
فى السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفى السائل الثانى مخايل الطمع فى الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع فى
السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لمعاذ اوصنى فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما وكان تفرس فيه اثار الفظاظة
والغلظة وقال رجل لابرهيم بن ادهم اوصنى فقال اياك والناس وعليك بالناس فلا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس
كل الناس بالناس ذهب الناس وبقى النسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا فى ماء الناس وكانه تفرس فيه افة المخالطة او اخبر
عما كان هو الاغلب على حاله فى وقته وكان الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل اولى من ان يكون بحسب حال
القائل وكتب معوية الى عائشة رضى الله عنها ان اكتبى كتابا الى توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت اليه عائشة سلام عليك
اما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله تعالى وكله الله الى الناس ومن التمس
رضى الله بسخط الناس كفاه الله تعالى مؤنة الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للافة التى تكون

الولاة بعهد دعا وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس
واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فاذن على كل ناصح ان يكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية
وتوسم الاحوال اللائقة ليكون اشتغاله بما يهمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن والاشتغال بوعظ بما هو
مستغنى عن الوعظ فيه تضييع للزمان فان قلت فان كان الواعظ يتكلم في جمع او سأله من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف
يفعل فاعلم ان طريقه الى ذلك ان يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم
الشرع اغذية وادوية والاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال لابي سعيد الخدري اوصني فقال
عليك بتقوى الله عز وجل فانه رأس كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في اهل
الارض وذكر لك في اهل السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن اوصني فقال اعز
امر الله يعزك الله وقال لقمن لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق
فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم
صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين وقال ايضا لابنه يا بني
لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت
ومال غيرك ما تركت يا بني انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك
لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه رأيته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك الموت عليه رأيته
مصيبة فاجتنبه وقال موسى للخضر عليهما السلام اوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع
عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال
رجل لمحمد بن كرام اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللفاف اوصني
فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف ان لا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك الدنيا الا ما لا بد منه
وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد
فخف مما خوفك الله واحذر مما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز
الى الحسن يسأله ان يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك اما بالنجاة
واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم
غنم ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع
واذا جهلت فسل واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة
ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما
يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله تعالى وعدوة
اعداء الله تعالى فاما اولياؤه فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم وكتب ايضا الى بعض عماله اما بعد فقد امكنتك القدرة
من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله تعالى عليك واعلم انك لا تأتي الى الناس شيئا الا كان زائلا عنهم باقيا عليك
واعلم ان الله تعالى آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص

واقعة

واقعة فهذه المواعظ مثل الاغذية التي تشترك الكافة في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هذا الواعظ انحسم باب الاتعاظ
وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة
علمهم ويتشبهون بحال غيرهم فيسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليصل الى القلب
بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف واذا كان طلب الطبيب اول علاج المريض فطلب العلماء
اول علاج العاصين فهذا احد اركان العلاج واصوله الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول مرضه
لتناوله ما يضره وانما يتناول اما لغفلته عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته فكلا السببين قد ذكرناه علاج الغفلة وبقي
علاج الشهوة وطريق علاجه قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا استولت ضراوته بمأكول مضر فطريقه
ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف
على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر وكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة
فصار لا يقدر على حفظ قلبه او حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر ذنبه بان يستقرئ المخوفات التي جاءت
فيه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج
هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول لذيذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم
وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد
فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع عن قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث
من تمامه لا محالة خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله تعالى وتيسيره من
وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى
وما على الانبياء الا شرح طرق الهدى وانما لله الآخرة والاولى فان قلت فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب
لا يكون الا بالصبر عنه والصبر لا يمكن الا بمعرفة الخوف والخوف لا يكون الا بالعلم بعظم ضرر الذنوب والتصديق بعظم ضرر
الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير مؤمن فاعلم ان هذا لا يكون
لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق بان المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب
وقوعه في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود عليه غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متاثرة بالحاضر فتاثيرها بالموعود
ضعيف بالاضافة الى تاثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق
وقد قوي ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والالف والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس
ولذلك قال الله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا وقد عبر عن
شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله
خلق النار وقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات
ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها وخلق الجنة وقال لجبريل اذهب
فانظر اليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال

وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد فاذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران
في الاسترسال مع حصول اصل الايمان فليس كل من يشرب في مرضه الثلج لشدة عطشه مكذبا باصل الطب ولا مكذبا بان ذلك مضر
في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الالم المنتظر الثالث انه ما من مذنب مؤمن الا وهو في الغالب
عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف
التوبة والتكفير فمن حيث رجاؤه توفيق التوبة ربما يقدم عليه مع الايمان الرابع انه ما من مؤمن موقن الا وهو معتقد ان
الذنب لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو مذنب وينتظر العفو عنه اتكالا على فضل الله تعالى فهذه اسباب اربعة
موجبات للاصرار مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس يخرم اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل
وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب عن تناول ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه
او هو في شك منه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الاسباب الخمسة فاقول هو الفكر وذلك بان يقرر
على نفسه في السبب الاول وهو تأخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا للناظرين قريب وان الموت اقرب الى كل احد من
شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قريب وان المتأخر اذا وقع صار ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف
امر في الاستقبال اذ يركب البحار ويقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره
طبيب نصراني بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده تركه مع ان الموت
المخوف الم لحظة ان لم يخف ما بعده ومفارقة للدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف
يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم يقم معجزة على طبه فيقول كيف يليق بعقلي ان يكون قول الانبياء عليهم السلام المؤيدين
بالمعجزات دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له الا عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار ادنى عندي
من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة مقداره خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة عليه ويكلف نفسه
تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك لذاتي في ايام العمر وهي ايام قلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الاباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر
فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر عن زخارف الدنيا مع كثرة همومها وكدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها
بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الآخرة واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف
يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شعري
هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها
الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة
في ان ترك الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة
فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازدادت رسوخا وهو كلما طال عمره ازداد ضعفا فلا حماقة
في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف
واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق فمن ينفق جميع امواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظرا من فضل
الله تعالى ان يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان امكان العفو عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من توقع النهب من الظلمة
في بلده وترك ذخائر امواله في صحن داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط غفلة

على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن والغفلة ممكنة ايضا
وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا انتظر من فضل الله تعالى مثله فمنتظر هذا منتظر امر ممكن ولكنه في غاية الحماقة
اما الخامس وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الاسباب التي تعرف صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب
يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات صدقه هل هو ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة
كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال اعلم استحالة ذلك فهو احمق معتوه وكان لا وجود لمثل هذا في العقلاء
وان قال انا شاك فيه فيقال لو اخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة انه قد ولغت فيه حية
والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله ام تتركه وان كان من الذ الاطعمة فيقول اتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا
يفوتني الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فيفوتني الحياة والموت بالاضافة الى الم الصبر
عن الطعام واضاعته شديد فيقال له يا سبحان الله كيف تأخر صدق الانبياء عليهم السلام كلهم مع ما ظهر عليهم من المعجزات
وصدق كافة العلماء والاولياء والحكماء بل جميع اصناف العقلاء ولست اعني بهم جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق
رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء الا من صدق باليوم الآخر واثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا
في كيفيته فان صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الاباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية
المكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الاباد بل لو قدرت الدنيا مملوءة بالذرة
وقدرنا طائرا يلتقط في كل الف الف سنة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص من ابد الاباد شيء فكيف يفتر رأي العاقل
في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة تبقى ابد الاباد وذلك لا منتهى له ولذلك قال ابو العلاء المعري قال
المنجم والطبيب كلاهما لا يحشر الاموات قلت اليكما ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما ولذلك قال
علي كرم الله وجهه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان متحيرا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا
وهلكت اي العاقل يسلك طريق الامن في جميع الاحوال فان قلت هذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر
فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من امن باصل الشرع وتفصيله
فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة واهوالها وشدائدها وحسرات العاصي
في الحرمان من النعيم المقيم وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة
والثاني ان الفكر شغل في الحال مانع من لذات الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله في كل حالة من احواله ونفس من
انفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخرا لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة
او في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك واما علاج هذين المانعين ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك في
الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألما بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز
عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به واما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو ان يتحقق ان فوت
لذات الآخرة اشد واعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها
لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته
وطول الانس به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك

كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الاخرة نعم هذه النعمة لا يكون في ابتداء التوبة ولكنه يصبر عليه مدة مديدة وقد
صار الخير ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها يتعود والخير عادة والشر لجاجة فاذن هذه الافكار هي المهيجة للخوف
المهيج لقوة الصبر عن اللذات وتهيج هذه الافكار وعظ الواعظ وتنبيهات يقع للقلوب بأسباب يتفق لا يدخل في الحصر
فيصير الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن سبب الذي وقع الموافقة بين الفكر الذي هو سبب الخير توفيقا اذ التوفيق
هو التاليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الاخرة وقد روي في الحديث الطويل انه قام عمار بن ياسر
فقال لعلي يا امير المؤمنين اخبرنا عن الكفر على ماذا بني فقال علي كرم الله وجهه على اربع دعائم على الجفا والعمى والغفلة
والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني
فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فاذا ذكرت بيان بعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر كاف
في التوبة واذا كان الصبر ركنا من اركان دوام التوبة فلابد من بيان الصبر فلنذكر في كتاب مفرد ان شاء الله تعالى

تم كتاب التوبة ويتلوه كتاب الشكر والصبر والحمد لله وحده وصلى الله تعالى

على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين الطيبين الاكرمين

الطاهرين الى يوم الدين

يا رب العالمين

كتاب الشكر والصبر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات
من كتب احياء علوم الدين وبه العون

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله اهل الحمد والثناء، المتفرد برداء الكبرياء، المتوحد بصفات المجد والعلاء، المؤيد صفوة الاولياء،
بقوة الصبر على السراء والضراء، والشكر على البلاء والنعماء، والصلاة على محمد سيد الانبياء، وعلى اصحابه سادة
الاصفياء، وعلى اله قادة البررة الاتقياء، صلاة محروسة بالدوام عن الفناء، ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء،
وسلم تسليما كثيرا كثيرا، اما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الاخبار وشهدت له الاثار
وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر
جهل بكلي شطري الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من اوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول للقرب من الله تعالى الا بالايمان وكيف
يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به
الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما احوج كلي الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلي الشطرين في كتاب لارتباط احدهما
بالاخر الشطر الاول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته، وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف اسامي
باختلاف متعلقاته، وبيان اقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف، وبيان مظان الحاجة الى الصبر، وبيان دواء الصبر وما
يستعان به عليه فهي سبعة فصول يشتمل على جميع مقاصده، بيان فضيلة الصبر وقد وصف الله تعالى الصابرين
باوصاف وذكر الصبر في القران في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال الله تعالى

ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر فانه
نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بانه معهم
فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملئكة وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال الله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصى جميع الايات في مقام الصبر يطول
واما الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سياتي وجه كونه نصفا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا
على ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان يفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم
بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق
ولنجزين الذين صبروا الاية وروى جابر انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل النبي صلى الله عليه وسلم مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله
عليه وسلم الحج عرفة وقال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقال اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال صلى الله عليه وسلم
امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر رضي الله عنه نعم يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر
على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال النبي عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الصبر
على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا لا تحصى واما الاثار فكتب عمر رضي الله عنه
الى ابي موسى عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم
الله واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي كرم الله وجهه بني الايمان على اربع
دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان
لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة
الهدى والعلاوة ما يحمل ما فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الاية
وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرأ هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي
للصبر وهو المثني به وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل
واما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة
فلا يحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه بيان حقيقة الصبر ومعناه اعلم ان الصبر مقام
من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما ينتظم من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال
فالمعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال

كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يخص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه
في اختلاف اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق
عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر منها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية
الانس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة اما في البهائم فلنقصانها واما في الملائكة فلكمالها وبيانه ان البهائم سلطت
عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة فترد بها عن
مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوات صبرا واما الملائكة فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية
والابتهاج بدرجة القرب منها ولم يسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة
الجلال بجند اخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي
هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن
ثبات جند في مقابلة جند اخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتها ومطالبها وليس في الصبى جند الهوى كما في البهائم ولكن الله
تعالى بفضله وسعة جوده اكرم بني ادم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين
احدهما يهديه والاخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله والاخرى
معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا هداية لها الى مصالح العواقب
بل الى مقتضى شهواتها في الحال فقط ولذلك لا يطلب الا اللذيذ فاما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فهو ما لا يعرفه ولا تطلبه
فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم يكن هذه الهداية كافية ما لم يكن له
قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة
وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا اخر يسدده ويؤيده
ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى
عبده بالتاييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم
في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قائم بين باعث
الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب
الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله والصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة
فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله تعالى والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة
ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذن ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث
الدين في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال يثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا
والاخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث
الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد
لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح معها الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين
باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الادميين واذ عرفت ان رتبة الملك الهادي

اعلى رتبة من الملك المقوي لم يخف عليك ان صاحب اليمين اولى من صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي
الاسترسال والمجاهدة وهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد
منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء فيكتب
سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيكتب له حسنة وانما يثبت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين
اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة واما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما
يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبهما وخطهما وصحائفهما
وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم
ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى واعني بالقيامة الصغرى حالة الموت
اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال له لقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق
لا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملاء من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا احادا والهول
الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع اهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك
الخاص تتزلزل بك في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت ارضهم وان لم يتزلزل
البلاد المحيطة بها بل لو تزلزل مسكن الانسان في داره فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بتزلزل
مسكنه غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك
فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من تزلزله
ان يتزلزل بدنك بسببه والا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض
كلها زلزلة بدنك فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك وراسك سماء ارضك وقلبك شمس
ارضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحار ارضك وشعورك نبات ارضك و
اطرافك اشجار ارضك وهكذا الجميع اجزائك فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصل
العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم
قلبك بالموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطلت الحواس جميعها فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك
فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك
بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى القت ما فيها
وتخلت واذنت لربها وحقت ولست اطول بموازنة جميع الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت يقوم عليك هذه
القيامة ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد
انتثرت حواسك التي بها ينتفع البصير بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانه قد
كسفت في حقه دفعة واحدة وهي حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق راسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء
عبارة عما يلي جهة الراس فمن لا راس له لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والهول بعد مدخر

وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال والقيمة
الصغرى وان طولنا في وصفها فلم نذكر عشر عشيرها وما فيها بالنسبة الى القيمة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة
الكبرى فان للانسان ولادتين احديهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم
وله في سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة الى علقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم
فنسبة عموم القيمة الكبرى الى خصوص القيمة الكبرى كنسبة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي
يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا الى الرحم بل اوسع واعظم فقس الاخرة بالاولى فما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشاة الاولى الا على عدد النشاة ليست محصورة في اثنتين واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم
فيما لا تعلمون فالمقر بالقيمة الكبرى مؤمن بعالم الغيب والشهادة ومؤمن بالملك والملكوت والمقر بالقيمة الصغرى
دون الكبرى ناظر بالعين العورا الى احد العالمين فذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما اعظم غفلتك
يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيمة الكبرى بالجهل والضلال افلا تكفيك
دلالة القيمة الصغرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا او ما سمعت كرب سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم
عند الموت حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم هون على محمد سكرات الموت او ما تستحي من استبطائك هجوم الموت والتباعة
اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
فياتيهم المرض نذيرا من الموت لا ينزجرون وياتيهم الشيب رسولا منه فلا يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤن افيظنون انهم في الدنيا خالدون اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون
ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا
عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة فنقول
قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الادميين لما وكل بهم
من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة
في الاعراض وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض عن
من القادر على الاقبال والاعراض ولعمري انه قد يظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وينمو على التدريج الى سن
البلوغ كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا يرشد الى مضار الاخرة بل الى مضار الدنيا
فلذلك يضرب على ترك الصلوة فاجرا ولا يعاقب في الاخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الاخرة بل على القيم
العدل والولي البر المشفق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار ان يكتب على الصبي سيئة وحسنة
على صحيفة قلبه فيكتب عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذه سيرته في حق الصبي
فقد ورث اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون
مع النبيين والمقربين والصديقين واليه الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص

بالاعمال الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان
نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين
وعلى مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والاخر الصبر والمراد
باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه
ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر
باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من اقل ما اوتيتم
اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى اخره الاعتبار الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع
ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والاخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه
حال الشكر فيكون الشكر احدى شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال
ابن مسعود الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع هذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث
الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب
للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال النبي صلى الله عليه وسلم بهذا
الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر على دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار
ربع الايمان فهكذا ينبغي ان يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان فالاصل فيه ان يعرف كثرة
ابواب الايمان فان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة

بيان الاسامي الذي يتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر

اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات
او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا
وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الاخر وهو الضرب النفسي بالصبر عن مشتهيات الطبع ومقتضيات النفس ثم هذا الضرب
ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال المكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه
الذي عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ويضاده حالة الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل
في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده حالة يسمى البطر
وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده الندم وان كان في نائبة
من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي
صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده
الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر فلذلك لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء
اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذن هذه اقسام الصبر
باختلاف متعلقاتها ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه احوال مختلفة في ذواتها وحقايقها من حيث راى ان الاسامي
مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقايقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت

اسامي

دلالة على المعاني والمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد ان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان انقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلثة احوال احدها ان يقهر دواعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل الى ذلك بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهم الذين لزموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمانت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الحالة الثانية ان يغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد لياسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله تعالى وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها الياس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال الله تعالى ان الله غفور رحيم فلا حاجة بي الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه بفاحش جنايته يشبه من يسخر باحق ان يستسخر ويسلط من حقه ان يسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون مسلطا لما فيه من معرفة الله تعالى وباعث الدين وانما استحق الكافر ان يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشيطان وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله تعالى وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن ارق على مسلم عبد مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى بعض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه نعمته واستيجابه نقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله تعالى والعقل اعز موجود خلق في الارض الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين لا يعد من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون البعض اولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له ذلك وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام وينقسم الصبر ايضا باعتبار العسر واليسر الى ما يشق على النفس ولا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك صبرا

والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حملة وايسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته اعياء ولا لغوب ولا يضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا يكون المصارعة باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضى كما سياتي في كتاب الرضا والرضى اعلى من الصبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضى فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضى بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسياتي في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضى كما ان مقام الرضى اعلى من مقام الصبر وكان هذه الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والرزايا والبلايا واعلم ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن يقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذا لا يستغني قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان راه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت ابواب الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة محزنة ولما نظر الى ابنه الحسن يعثر في قميصه نزل من المنبر واحتضنه قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني يعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع عنده وعسى ان يسترجع على القرب وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وان يراعي حقوق الله تعالى في ماله بالانفاق منه وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما انعم الله عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي وانما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه

والى ما يكون

ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير

ما اصاب من مصيبة الا باذن الله

غيرك ايسر من القعود لنفسك وجماعك لنفسك والجائع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة اللذيذة
وقدر عليها فلهذا اعظم فتنة السراء. النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد
كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي
من المؤذي بالانتقام منه فهي ثلثة اقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر افعاله التي توصف بكونها طاعة
او معصية وهما ضربان الضرب الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها والصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها
تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم
الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهره اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه
واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان انفعاله وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاد
ذلك ليس يصدر الا من اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذن العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من
العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر
على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلثة احوال الاول قبل الطاعة وذلك في تصحيح
النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد
عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكائد النفس وقد نبه عليه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال انما الاعمال
بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله تعالى
الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله تعالى في اثناء عمله
ولا يتكاسل عن تحقيق ادابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى الاخر فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا
من شدائد الصبر ولعل المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا الى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ
من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله
ويحبط اثره كما قال الله تعالى ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وكما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم فمن لم يصبر بعد الصدقة
عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى
في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى
هي المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر الضرب الثاني المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى
انواع المعاصي في قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال النبي صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من
جاهد هواه والمعاصي مقتضى بواعث الهوى واشد انواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فان العادة
طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث
الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب
والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب من الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار
وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم فان في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس وللنفس فيه شهوتان
احدهما في الصبر والاخرى في اثبات نفسه فيها يتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين

بتيسر تحريك اللسان بذلك في المحاورات وتعسر الصبر عنها حتى بطل عنها وهي اكبر الموبقات من بطل استنكارها واستقباحها
من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد منه وهو يطلق لسانه
طول النهار في اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات
ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة
ويختلف شدة الصبر في احاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة اللسان حركة الخواطر
باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر منه الا بان يغلب على القلب هم اخر في الدين يستغرقه
فيصبح وهمومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتوره القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره
وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول وجنى عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا
وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال الله تعالى ولنصبرن على ما
اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقسم النبي صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله تعالى فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي موسى فقد اوذي باكثر من هذا فصبر وقال الله تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فاصبر على ما يقولون
واهجرهم هجرا جميلا وقال الله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الآيات وقال الله تعالى ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا اي يصبرون عن المكافأة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن
حقوقهم في القصاص وغيره فقال الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال عيسى عليه السلم
لقد قيل لكم ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول
اليه الايسر ومن اخذ رداك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى
فالصبر على اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث
ما لا يدخل تحت الاختيار اوله واخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين
وفساد الاعضاء وبالجملة فسائر انواع البلاء فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس الصبر في القرآن
على ثلثة اوجه صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى وله ستمائة درجة وصبر على المصيبة
عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضلت هذه الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض
لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فاما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا ببضاعة الصديقين فان ذلك
شديد على النفس ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسالك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا صبر
مستنده حسن اليقين قال ابو سليمن والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم
القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال النبي صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من اصيب بمصيبة فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها

لا يجوز الكبر الا على المتكبر لانك اذا تواضعت له
تمادى في ضلاله واذا تكبرت عليه تنبه
والا عند القتال لكسر شوكة الكفار وايقاعا
للخوف في قلوبهم كما هو شأن الاصحاب
اشداء على الكفار انما هي في كافر محارب يقتل او يتبرا
واما ذمي فلا يجوز ايذاؤه فالبغض له انكف
عن مخالطته ومعاملته وموالاته فاما الانبساط
معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى
الاصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة
يكاد ينتهي ما يقوى منه الى حد التحريم لا تجد
قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله والا عند الصدقة
اظهارا لعدم تقدير بذله للاخفيه

الا فعل الله تعالى ذلك به وقال انس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه
قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال الله تعالى جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
عز وجل اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فاذا ابراته ابراته
ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما جزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك فقال الله
عز وجل جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه
وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل فضيل
عن الصبر فقال هو الرضى بقضاء الله تعالى قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في المارستان
فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احبابك جاؤوك زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم
على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا
ويقال ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت
عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضى فيما قد نال
وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك
ويروى عن بعضهم انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها لعله احوج اليها
مني وروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو
واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الاخرة على بلاء الله تعالى فان
قلت بماذا ينال درجة الصبر وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء ام ابى فان كان المراد به ان لا يكون في نفسه كراهية
المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة
في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب
جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة عنده فاسترجعت كما روي عن
الرميصاء ام سليم انها قالت توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب في صيد فقدم زوجي فقدمت له فطاره فجعل ياكل وقال كيف
الصبي قلت باحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى باسكن منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع له قبل ذلك
حتى اصاب مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال
بئس ما صنعوا فقلت هو ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله تعالى قبضه اليه فحمد الله واثنى عليه واسترجع ثم غدا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما في ليلتكما قال الراوي فلقد رايت لهم بعد ذلك
في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا القرآن وقيل الصبر الجميل انه لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين
اذ توجع القلب وفيضان العين يكون من جميع الحاضرين لاجل الموت سواء ولكن البكاء وتوجع القلب على الميت من مقتضى البشرية
فلا يفارق الانسان الى الموت ايضا ولذلك لما مات ابراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا
عن هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء وذلك ايضا لا يخرج عن مقام الرضى فالمقدم
على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة وقد يفيض عيناه اذا عظم الالم وسياتي ذلك في كتاب الرضى وكتب ابن

ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله عنده فيما ابقاه له واعلم ان الماضي قبلك
هو الباقي لك والباقي بعدك هو الماجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه
فاذن مهما دفع الكراهة بالشكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر
وسائر المصيبات وقيل من كنوز البر كتمان الاوجاع والمصائب والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر
عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد
ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اضطراب الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك
له او في مستقبل لا بد ان يحصل منه ما هو مقدور فهو كيف ما كان تضييع زمان والة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا اغفل القلب
في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله تعالى او عن فكر يستفيد به معرفة الله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى
فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسوسته في المباحات مقصورة عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات
اذ لا يزال ينازع كل من يتحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارات له
منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وقهرهم وجوابهم
عما يتعللون به من مخالفتهم له ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن
حركة جند الطيار والشهوة عبارة عن حركة جند السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال
كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار والطين طبع الطين السكون والنار طبعها الحركة فلا يتصور نار تشتعل ولا تتحرك
بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق من الطين فابى واستكبر واستعصى
وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذن حيث لم يسجد الملعون لابينا ادم عليه السلام فلا ينبغي
ان يطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وحداوته وطيرانه وجولانه فقد ظهر انقياده واذعانه والانقياد
بالاذعان سجود معنوي وهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع
الجبهة على الارض علامة الاستحقاق بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة
فلا ينبغي ان يندهش بصدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب فيكون ممن صده عالم الشهادة بالكلية
عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسوسة الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم
واحد فيشتغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء
عن سلطنة هذا اللعين ولا تظنن ان يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن ادم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح
فانك اذا اردت ان يخلو عن الهواء من غير ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء
لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان والا فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك
اللحظة قرين الا الشيطان قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره
فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم يزدوج فرخه ويبيض مرة اخرى ويفرخ وهكذا يتوالد
نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا يزال

مطارد الشيطان جندان

يتولد النار من الزناد ولا ينقطع البتة بل يسري شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحطب
اليابس للنار وكما لا يبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم يكن شهوة فاذا تاملت علمت
ان اعدا عدوك شهوتك وهي صفة نفسك [illegible] ولذلك قال الحسين بن الحلاج حين كان يصلب وقد سئل
عن التصوف فقيل ما هو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذن حقيقة الصبر وكماله الصبر على كل حركة مذمومة
وحركة الباطن اولى بالصبر عنها وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت **بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه**
اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد بالشفاء فالصبر وان كان شاقا او ممتنعا فتحصيله بمعجون العلم والعمل فالعلم
والعمل هما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم اخر وعمل اخر وكما ان اقسام
الصبر مختلف فاقسام العلل المانعة منه مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها
واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلب
عليه الشهوة بحيث ليس يملك فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال
تحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة
عن مصادمة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان نغلب احدهما الاخر فلا طريق لنا فيه الا بتقوية من اردنا
ان يكون له اليد العليا وتضعيف الاخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة
فسبيل تضعيفها ثلثة امور احدها ان ينظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث
كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم
والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك
القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على المشتهيات والفرار منها بالكلية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون فلا ترس يمنع منه الا تغميض
الاجفان او الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه والثالث
تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظورات
وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذا يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق اكثر الرجال
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلثة اسباب
فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فيسقط قوته والثاني
يضاهي تغييب اللحم عن الكلب والشعير عن البهيمة حتى لا يتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشي قليل
مما يميل اليه طبعه حتى يبقى معه من القوة ما يصبر على التاديب واما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه
في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي وردناها في فضل الصبر وفي حسن
عواقبه في الدنيا والاخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته
ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس
في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان وتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي باعث الدين هيجه تهيجا شديدا

وان ضعف ضعف واما قوة الايمان فيعبر عنه باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما اوتي الانسان عزيمة الصبر واليقين والثاني ان
يعود الباعث بمصارعتها قوما فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى الصادرة التي تصدر منها تلك الاعمال
ولذلك يزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة فقوة الممارسة للاعمال الشاقة يزيد على قوى الخياطين والعطارين
والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم يتاكد بالممارسة والعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة عند الغلبة
ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى عليه السلم حيث قال وانكم اذا لمن المقربين والثاني يضاهي
تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة اسباب ذلك منذ الصبى حتى يانس به ويستجرئ عليه ويقوى فيه
منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة
الهوى غلبها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشقها كف الباطن عن حديث النفس
وانما يشتد ذلك على من يفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة واثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال
تجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال
والجاه والرفقاء والاصدقاء والاعتزال الى زاوية بعد احتراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة ثم اذا تم ذلك
لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ما لم يكن له مجال في الفكر وسير في الباطن فلا
الا الاوراد المتواصلة المستوعبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى ان يكلف القلب الحضور
فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل كل ذلك لم يسلم من الاوقات الا بعضها ولا يخلو
في جميع اوقاته من حوادث تتجدد ويشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء انسان وطغيان من يخالطه اذ لا يستغني
عن مخالطة من يعينه في بعض اسباب المعيشة فهذا احد انواع الشاغلة واما النوع الثاني فهو ضروري اشد ضرورة من
الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش فان تهياة ذلك ايضا يحتاج الى شغل ان تولاه بنفسه فان تولاه غيره
فلا يخلو عن شغل قلب بمن تولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له اكثر الاوقات اذ لا تهجم به ملمة واقعة وفي تلك
الاوقات يصفو القلب ويتيسر الفكر وينكشف فيه من اسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره
في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان ينال بالاكتساب والجهد
فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الاحوال والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق
فقد يقل الجهد ويكثر الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن
فانها توازي اعمال الثقلين وذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب
الدنيا فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق
الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها
اسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من انواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندري
متى ييسر الله تعالى اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض
وينقيها عن الحشيش ويبث البذر وكل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله تعالى اسباب المطر الا انه يثق بفضل
الله تعالى انه لا يخلو سنة عن مطر وكذلك قلما يخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي ان يكون

قد طهر ارض القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيها بذر الارادة والاخلاص وتعرض فيها لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار
الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب
كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس بحكم وتقدير من الله تعالى سبب لاستدرار رحمة الله تعالى حتى تستدر بها
الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها
لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك وفي قلبك وانما انت
مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تكسر الشهوة ويرفع الحجاب فيشرق
انوار المعارف من باطن القلب واظهار ماء الارض بحفر القنى اهون واقرب من استنزاله اليه من الجبال والمكان البعيد
المنخفض عنه ولكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال تعالى ليتذكر اولوا الالباب
وقال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهذا اخر درجات الصبر
وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد المسير من الدنيا الى الاخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق
في جنب الحق شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله تعالى اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب
ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع
اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون اغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية فهي
مطلوبة محبوبة بالطبع لما في القلب من المناسبة للامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي اي فليس
القلب مذموما على حب ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع فيه بتغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه
من عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه من طلب سعادة الاخرة فليس يطلب الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه
وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق
كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا اخر له وطالب الملك طالب العلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب
بانواع الالام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا الم ولا يقطعه قاطع
ولكنه اجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة
وزين له الحاضر وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الاخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الاخرة قال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت و
الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا قدر امكانه ولم يتدلل الموفق
بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن الذين بقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة
وقال الله تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال الله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق ارسل الله تعالى الملائكة الى الرسل واوحى
اليهم بما على الخلق من اهلاك كثير من العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل
له ان سلم فلا دوام له اصلا فنادوا بقوله تعالى فيهم يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف
ابراهيم عليه السلام وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا

في الاخرة

في الاخرة فالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وقرة عين اخفيت في هذا العالم لا يعلمها نفس ومن
النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه فان ملك الاخرة يفوت به اذ الدنيا والاخرة ضرتان ولعلمه بان ملك الدنيا لا يسلم
له ايضا ولو كانت تسلم له لحسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والكدورات وطول الهموم في التدبيرات
ولذلك سائر اسباب الحيوة لا تسلم ولا تتم الاسباب بل ينقضي العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها
انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس فضرب الله تعالى مثلا لذلك
فقال واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد
في الدنيا وان كان ملكا حاضرا فلا مدان يحسده الشيطان عليه فيصده عنه ومعنى الزاهد ان يملك العبد شهوته وغضبه
فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه
يصير عبدا لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة اخذا بمخنقه الى حيث يريد
ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا يكون
الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الاخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف اطلب منك حاجة
وملكي اعظم من ملكك فقال كيف قال من انت عبده فهو عبدي فقال كيف ذلك قال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك
وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي فهذا اذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الاخرة فالمخدوعون
بغرور الشيطان خسروا الدنيا والاخرة جميعا والذين وفقوا للاستمداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والاخرة
جميعا فاذا عرفت الان معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط فيه وكيفية تلبيس الشيطان و
فيسهل عليك حينئذ النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنهما والصبر عنهما اذ يصير بتركهما ملكا في الحال ويرجو به ملكا
في الاخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس بها ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج
مجرد العلم والكشف بل لا بد ان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه لئلا يشاهد اسبابه
فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبة الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة للشهوة ومن لم يفعل ذلك فقد
كفر نعمة الله تعالى في سعة الارض اذ قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله
افعالا يخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن
وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد
ما رسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل
دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبدل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض نفسه
بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا
شيئا الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين
فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واليه الاشارة بقول النبي صلى الله
عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذن ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن
الجاه اضيف الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات ولنختم كتاب

لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الاحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى
به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر عما كان يشق عليه الصبر معه فينعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا
وما كان مكروها مرا هنيا عنده لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل
على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر
فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين اذ سال الشبلي عن الصبر
ايها اشد فقال الصبر في الله تعالى فقال لا الصبر لله فقال لا الصبر مع الله قال لا قال فايش قال الصبر عن الله تعالى
فصرخ الشبلي صرخة كاد روحه يتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله
وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله
جفاء وقد قيل في معنى ذلك ، الصبر عنك فمذموم عواقبه ، والصبر في سائر الاشياء محمود ، والصبر يجمل في المواطن
كلها ، الا عليك فانه لا يحمد ، هذا اخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره الشطر الثاني من الكتاب
في الشكر وله ثلث اركان الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه ، الثاني في حقيقة النعمة
واقسامها الخاصة والعامة ، الثالث في بيان الافضل من الصبر والشكر الركن الاول في نفس الشكر بيان
فضيلة الشكر اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر مع انه قال ولذكر الله اكبر وقال فاذكروني اذكركم واشكروا لي
وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال لاقعدن لهم صراطك المستقيم
قيل فهو طريق الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله
تعالى المزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة
والتوبة فقال الله تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال تعالى
ويرزق من يشاء بغير حساب وقال تعالى ويغفر لمن يشاء ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ
قال الله تعالى والله شكور حليم وجعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال تعالى
واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر وقال عطاء دخلت
على عائشة رضي الله عنها فقلت اخبرينا باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت اي شانه لم يكن
عجبا انه اتاني ليلة فدخل معي فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده صلى الله عليه وسلم ثم قال يا بنية ابي بكر ذريني
اتعبد لربي فقلت اني احب قربك فاذنت له فقام الى قربة له فيها ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت
دموعه على صدره صلى الله عليه وسلم ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذنه
للصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال صلى الله عليه وسلم افلا اكون
عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله تعالى علي ان في خلق السموات والارض لايات وهذا يدل على ان البكاء لا ينقطع ابدا
والى هذا السر يشير ما روي ان بعض الانبياء مر بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله سبحانه فقال منذ سمعت
قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فسأله ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد ذلك بسيل منه الماء
فقال لم تبكي الان فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا يزال قسوته

الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ينادي يوم القيمة ليقم الحامدون فيقوم زمرة فينصب لهم
لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ اخر على السراء والضراء وقال النبي صلى
الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن واوحى الله تعالى الى ايوب عليه السلم اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل
واوحى الله اليه ايضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلم اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر نستزيدهم
وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فاي المال نتخذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا امر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان
بيان حد الشكر وحقيقته اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم
هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه
والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك
ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم
وهو علم بثلثة امور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام
منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه يصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا
في حق غير الله تعالى فاما في حق الله تعالى فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله سبحانه وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته
وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد اذ دخل التوحيد والتقديس فيه بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم
اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود
من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فيقع المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة
والانفراد بالفعل ومن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله
الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء
الحمد لله وقال صلى الله عليه وسلم ليس شيء من الاذكار يتضاعف ما يتضاعف الحمد لله ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك
اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله تدل على التوحيد والحمد لله
تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة
ينفي الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان رأى لوزيره او وكيله دخلا في تيسير ذلك وايصاله اليه فهو اشراك
به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل هو يوجد من غيره فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم
لا يقصر عن توحيده في حق الملك وكمال شكره بان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتب بقلمه وبالكاغذ الذي كتب
عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما فعلا من حيث هما ماخوذان بانفسهما ومن حيث هما مسخران
تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطر من جهة الملك في الايصال وانه لورد الامر اليه ولم يكن من جهة
الملك ارهاق وامر جزم يخاف عاقبته كما سلم فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث
ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف افعاله عرف ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره كالقلم في يد الكاتب فان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله عز وجل هو المسلط للدواعي

عليها لم يفعل شيئا من ذلك فانت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما اعطى ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والآخرة ان يعطيك وما اعطاك وان غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الا به وهذا خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه فهو اذن انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما اعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذن انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت ما فعلت فكيف شكرك فقال عز وجل علم ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذن لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل

الاصل الثاني الحال المستمدة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا لشروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعلك تظن ان هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثالا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان تصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له من الملك بل من غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء وظفر به لكان فرحه مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في الصحراء او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس او لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك على احد الا بواسطته ثم ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة ايضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبه مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة او موافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة عليه ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد مهملج بل من حيث يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة

على المطعم

على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة كما قيل ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذن هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم يكن [illegible] فان لم يكن فالدرجة الثانية اما الاولى فخارج عن كل حساب وكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله تعالى لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه

الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مامور به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد النبي صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من اهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى الى غيره واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله قبيح قال الله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منه عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف فهذه اصول معاني الشكر المحيطة بجميع حقيقته فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض احوال القلب فقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وذلك جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيها طفيليا اشارة الى معنى [illegible] من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص وهؤلاء اقوالهم يعرب عن احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان يكون ما ذكرناه طعنا عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل يظن ذلك بعاقل اصلا الا ان يفرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني او يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون من توابعها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغة فليس في ذلك من علم

طريق الآخرة فشيء **بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى** لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يعقل
في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في قلوبهم ويظهر كرمهم عند الناس ويزيد به
صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم
وسبب لزيادة جاههم فلا يكون شاكرا إلا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين أحدهما أن الله تعالى منزه
عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء وعن تكثير سواد الخدم
بالمثول بين يديه راكعا وساجدا فشكرنا إياه بما لا حظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نركع
أو نسجد إذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها الوجه الثاني أن جميع ما نتعاطاه باختيارنا نعمة أخرى من نعم الله
إذ جوارحنا وقدرتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا أو نفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة
بنعمة ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه لم يكن شكرا للأول بل كان الثاني يحتاج إلى الشكر كما يحتاج الأول
ثم لا يمكن شكر النعمة إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نتشكك في
الأمرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام ولموسى عليه السلام فقال
يا رب كيف أشكرك ولا أستطيع الشكر لك إلا بنعمة أخرى من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة أخرى منك يوجب علي الشكر
فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعمة مني رضيت منك بذلك **فإن قلت**
فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن إدراك معنى ما أوحي إليهم فإني أعلم استحالة الشكر لله فأما كون العلم باستحالة الشكر شكرا
فلا أفهمه فإن هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكأن الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلعة من الملك
شكر للخلعة الأولى والفهم قاصر عن درك سر ذلك الشكر فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه **فاعلم** أن هذا قرع باب من المعارف
وهو أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها إلى ملامح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا
أنه الشاكر والمشكور وأنه المحب والمحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك
صدق في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد
إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فإن
اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره
بقي موجودا فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فإذن
ليس في الوجود غير الحي القيوم الواحد الصمد فإن نظرت من هذا المقام علمت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور
وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ قوله تعالى إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب فقال واعجباه
أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثني والمثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه
يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم وبحق يحبهم فإنه إنما يحب نفسه عز وجل إشارة إلى أنه المحب والمحبوب وهذه رتبة عالية
لا يفهمها إلا بمثال بحسب عقلك ولا يخفى أن المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه
والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو خلق الله سبحانه فإن أحبه فما أحب إلا نفسه
وإذا المحب لا يحب إلا نفسه فحق أن أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي فني عن نفسه

وعن غير الله تعالى فلم ير غير الله تعالى فلم يفهم هذا وينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل في كل
يوم أرطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وضرورة العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وإليه الإشارة
في قوله تعالى إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين
وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين **ثم** بين أن ضحك العارفين غدا عليهم أعظم بقوله تعالى
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وكذلك قوم نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال
إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فهذا أحد النظرين النظر الثاني نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء
قسمان قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم في كلتي العينين
لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم القائم بنفسه الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به
ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا
لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود إلا موجود واحد وموجد للأشياء فالموجود حق والموجد
باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان وأنه كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال
والإكرام الفريق الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الأخرى
إن تم عماها لم يبصر بها غير الموجود الحق فأثبت موجودا آخر مع الله وهذا مشرك تحقيقا كما أن الذي قبله جاحد تحقيقا فإن
جاوز حد العمى إلى العمش أدرك تفاوتا بين الموجودين فأثبت عبدا وربا فبهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص في الموجود الآخر
دخل في حد التوحيد ثم إن كحل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما أثبته
سوى الله فإن بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به إلى النقصان إلى المحو فيمحى عن رؤية ما سوى الله تعالى فلا يرى إلا الله عز وجل فيكون
قد بلغ كمال التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فيها تفاوت درجات الموحدين وكتب الله تعالى المنزلة على ألسنة رسله هي الكحل الذي
بها يحصل أنوار الأبصار والأنبياء هم الكحالون وقد جاؤوا داعين إلى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله إلا الله
ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقلون والجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف
الأقصى المقابلين لطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد
دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الأكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق
الخاطف لا يثبت ومنهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز ولكل إلى شأو العلى حركات ولكن
عزيز في الرجال ثبات ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطلب القرب وقيل له اسجد واقترب قال النبي صلى الله عليه وسلم في سجوده
اللهم أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك
وقول النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله تعالى فقط فكأنه لم ير إلا الله تعالى وأفعاله
فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال برضاك من سخطك
وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال أعوذ
بك منك وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارا منه إليه ومستعيذا به منه ففني عن مشاهدة
نفسه إذ رأى ذلك نقصا واقترب فقال أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصي ثناء عليك وقوله صلى الله عليه وسلم لا أحصي خبر

عن تغييبه وخروجه عن مشاهدة نهاه وقوله صلى الله عليه وسلم انت كما اثنيت على نفسك بيان انه هو المثني وهو المثنى عليه وان الكل
منه بدا واليه يعود وان كل شئ هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله تعالى وافعاله فيستعيذ
بفعله من فعله وانظر الى ماذا انتهى نهايته الى الواحد الحق حتى ارتفع في نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى الاخرى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه
وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة فكان
ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض واولها وان كان مجاوزا اقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى اخرها
وكان استغفاره لذلك ولما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال النبي صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد
في المقامات فان الشكر سبب الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فقد غرقنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق
بعلوم المعاملة فنقول الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة
بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر من مشاهدة اخرى
ومقام اخر فيظهر في ذلك المقام وبالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر ولا يعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان
تفهم ملكا من الملوك يرسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاخذ زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب
من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احداهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته
والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يتقوى بالقيام بخدمته بل يعني به غناه
والانعام عليه لا ينقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته
لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وبانتفاعه فمنزل العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال
على الله والثاني غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى الحضرة ما لم يقم بخدمته التي
ارادها الملك منه واما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره
بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان يستعمل منه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه
فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذ استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه
وان ركبه واستدبر حضرته ولقد استبعد عنه فقد كفر نعمته اي استعمله فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب
القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطله وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله تعالى الخلق وهم
في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعد لهم
من النعمة ما يقدرون على استعمالها في نيل درجة القرب وعن بعدهم وعن قربهم عبر الله تعالى فقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا الاية واذن نعمة الله تعالى الات يترقى العبد بها عن اسفل سافلين خلقها الله تعالى لاجل
العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله غني عنه قرب وبعد والعبد فيها بين ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه
وان استعمل في معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها ولم يستعملها
في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرة

وينال القرب من الله تعالى وكل مطيع فهو في طاعته شاكر لنعمة الله تعالى في الاسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك
الاستعمال او عاص استعمل في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة يشملهما المشيئة ولكن لا يشملهما
المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء ذلك ثبات الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال
الاول وهو انا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا ينحل الثاني فانا لم نعن بالشكر الا صرف نعمة الله
في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله تعالى فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث انك
انت محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذي اعطى وهو الذي اثنى وصار احد فعليه سببا لانصراف
فعله الثاني الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك على المعنى الذي الشكر عبارة عنه
لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له
وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات خصوصية لك وانت شئ اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانت
لا شئ اذ كنت انت انت لنفسك [illegible] فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء اشياء فانت شئ اذ جعلك
شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شئ تحقيقا والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له
قيل له يا رسول الله ففيما العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل فبين ان الخلق مجاري قدرة الله تعالى ومحل افعاله
ولكن بعض افعاله وان كان لو اهم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله محل البعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول
صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث
داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي ايضا من افعال
الله تعالى ولكن بعض افعاله سبب لبعض افعاله اي الاول شرط للثاني كما ان خلق الجوهر سبب لخلق العرض ولا يخلق العرض قبله
وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله تعالى وبعضه سبب للبعض اي هو شرط بمعنى
كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون
بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل يمهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى
درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فقد قال الله تعالى اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا
شئ فكيف يذم وانما الكل الى الله تعالى فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف
وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله تعالى والله مسبب الاسباب ومرتبها
فمن سبقت له في الازل السعادة تيسرت هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن
لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم
لم يخف فاذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا فاذا لم يترك بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا
تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه
وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة
قهرا والمجرمون يقادون الى جهنم قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن اعين
الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله

الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين
من كشف الاحوال حين لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك بيان تمييز ما يحبه الله عما
يكرهه اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله تعالى وتمييزه عما يكرهه اذ معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى
الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده
الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير ولاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل
وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك يبتنى على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لا يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله
لم يمكنه القيام بحق الشكر اصلا واما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار وادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما
خلق شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية
اما الجلية فكالعلم بان من الحكم في خلق الشمس ان يحصل النهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فينتشر الحركة عند الابصار
والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة
في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من
الحكم الجلية التي تحتملها افهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمها اذ قال الله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا الآية واما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها
كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها واشار بذلك الى قوله تعالى انا زينا
السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع اجزاء العالم سماؤها وكواكبها وجبالها ومعادنها ونباتها وحيواناتها واعضاء حيواناتها
لا تخلو ذرة من ذراتها عن حكمة الى عشرة الاف حكمة وكذلك اعضاء الحيوان ينقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار
لا للبطش واليد للبطش لا للمشي لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية والكبد وآحاد العروق والاعصاب
والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها
كافة الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى ما في علم الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذن
كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي اريد به فقد كفر نعمة الله تعالى فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر
نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع عن نفسه ما يكرهه ويأخذ بها ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى غير محرم له فقد كفر نعمة العين
ونعمة الشمس اذ الابصار تتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما
اريد بهما وهذا لان المراد من خلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به
في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء والهواء والغذاء ولا يتم ذلك
الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى
هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية وكل من استعمل شيئا
في غير طاعة الله تعالى فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية
التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما
قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه ومشربه

وملبسه

وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه
ومن يملك الجمل وربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطي منه مثله في الوزن والصورة
وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجمل كم يسوى بالزعفران
فتتعذر المعاملات وافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل ليعرف من كل واحد رتبته
ومنزلته حتى اذا تقدرت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدراهم والدنانير
حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة وهذا القدر من الزعفران يسوى
مائة فهما من حيث انهما مساويان بشيء واحد اذن متساويان وانما امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان
في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر
فاذن خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهو التوسل بهما الى سائر
الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما فلا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانما ملك كل شيء
لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى الطعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا
فاحتيج الى شيء هو في صورته كانه ليس بشيء وهو في معناه كانه كل الاشياء والشيء انما تستوي نسبته الى المختلفات اذا لم يكن له صورة
خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف
الواحد لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا
لا يليق بالحكمة بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله فيهما فاذن من كنزهما فقد ظلمهما وابطل الحكمة فيهما
وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت
الدراهم لزيد خاصة ولا لعمرو اذ لا غرض للآحاد في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقتا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين
بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات
الموجودات بخط الهي لا حرف له ولا صوت فيه الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة اخبرهم بكلام سمعوه من رسوله
صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال الله تعالى والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الآية وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من الذهب والفضة فقد كفر النعمة وكان
اسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي يقوم بها اخساء الناس فالحبس
اهون منه وذلك لان الخزف والحديد في المقصود الذي اريد به النقود فمن لم ينكشف له هذا الكشف بالترجمة الالهية
فقد قيل له من شرب في آنية من ذهب او فضة فكانما يجرجر في جوفه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير
فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما وقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة
اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر ان يشتري طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام
والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في اعيانهما
وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قاله النحويون ان الحرف هو ما جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الالوان
فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيع النقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز

وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا باتخاذ النقد مقصودا
للادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالاخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين
يخالف الاخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا
ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به الى غيره واما بيع درهم بدرهم يماثله فجائز من حيث
ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض واخذه
بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء ان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم على الارض واخذه بعينه فلا نمنع مما لا يتشوف النفوس
اليه الا ان يكون احدهما اجود وذلك ايضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الردي فلا ينتظم العقد وان طلب
زيادة في الردي فذلك مما يقصد فلا جرم نمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر
اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض فيه فلا ينبغي ان ينظر الى مصارفات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب
النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم
مثله نسيئة فانما لم يجز لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في القرض مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون
له حمد واجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا اجر فهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المسامحة واخرا
في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها او يتداوى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة
فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي لا بد منه فما خلق الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة
فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولا يعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان
محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه
بعين ذلك الطعام فهو ايضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب اداب
الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الاخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور
ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بمثله من الردي لا يرضى بها
صاحب الجيد واما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوي الردي في اصل الفائدة
ويخالفه في جودة التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة هذا في تحريم الربا وقد انكشف لنا التبع
بعد الاعراض عن فن الفقهيات فانه اقوى من جميع ما اوردناه في الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي في التخصيص بالاطعمة
دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكانت الدواب والثياب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك اقوم المذاهب فيه
اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى راعاه الشرع فلا بد ان يضبطه بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم
فراى الشرع التحديد بجنس المطعوم اقوى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف لا يقوى فيها
اصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم تحد لتحير الخلق في تتبع جوهر المعنى الباعث على الحكم
ولكن مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فتعين المعنى بمجال قوته يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا
فلذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وكانت اصول هذه المصالح لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف
في وجوه التحديد كما حد في شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حرم شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره

والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس لها دخل اصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال الحكمة الخفية من حكم النقد
فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها فلا يعرف هذا الا من عرف الحكمة
ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا يصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر
الا اولوا الالباب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء
واذا فهمت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفر
اذ لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه من لسان الفقه الذي يناطق به العوام بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك
عند ارباب القلوب موصوف بالحظر فاقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين اذ خلق الله لك اليدين وجعل احداهما
اقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يامر الا بالعدل
ثم احوجك الى ان تعاطي باليدين اعمالا بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها خسيسة كازالة النجاسة فاذا اخذت المصحف باليسار
وازلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت
مثلا في جهة القبلة او استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات
ليكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك
اليه ليتقيد به قلبك لديك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك فكذلك انقسمت افعالك الى ما هو
شريف كالطاعات والى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البزاق فاذا رميت الى جهة القبلة بزاقك فقد ظلمتها وكفرت
نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك ان لبست خفك فابتدات باليسرى فقد ظلمت
لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي ان تكون بالاشرف واخذ عليك الوفا بالحكمة ونقيضه ظلم
وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم جمع اكرارا من الحنطة
وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس فابتدات بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفره بالصدقة نعم
الفقيه لا يقدر على التشديد في هذه الامور لانه مسكين باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم
منغمسون في ظلمات اطم واعظم من ان تظهر امثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فيقبح ان يقال ان الذي شرب الخمر واخذ القدح
بيساره فقد تعدى من وجهين احدهما الشرب والاخر الاخذ باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء يوم الجمعة فيقبح ان
يقال خالف من وجهين احدهما بيع الخمر والاخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فيقبح
ان يذكر تركه الادب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض فيمحق بعضها في جنب
البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بتلك السكين اعز اولاده لم يبق لاستعمال السكين
بغير اذنه حكم ونكاية في نفسه فكل ما راعاه الانبياء عليهم السلام والاولياء من الاداب وتساهلنا به في الفقه مع العوام فهو ضرورة السياسة
والا فكل ذلك ظلم وعدول عن العدل وكفران النعمة ونقصان من الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر
في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين
ولذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الاشجار وخلق اليد
اما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة وللاعمال المعينة على الطاعة واما الشجرة فانما خلقها الله تعالى وخلق لها العروق

تساق اليها الماء وتخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع
عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح جاز ذلك لان الشجرة والحيوان جعل فداء لاغراض الانسان
فانهما جميعا كانا هالكين فانيان فافناء الاخس في بقاء الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله
تعالى وسخر لكم ما في الارض جميعا منه نعم اذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان الشجرة بعينها لا تفي بحاجات
عباد الله كلهم بل لا تفي بحاجة واحدة ولو خصص واحد من غير رجحان واختصاص كان ظالما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر
ووضعه في الارض وساق الماء وقام بالتعهد فهو اولى به من غيره فيرجح جانبه بذلك فان نبت ذلك في موات لا بسعي ادمي
اختص بغرسه او بغرس الله فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى الاخذ فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى
وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لملك الملوك الذي له ما في السموات والارض وكيف يكون
العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد اذن لهم في الاكل من مائدته
بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه فجاء عبد آخر واراد انتزاعها من يده لم يمكن منه
لا لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد
فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يد له بذلك
الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان يفهم عدل الله في عباده ولذلك يقول فيمن اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته
وكنزه وامسكه وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
تعالى وانما سبيل الله طاعته والصدقة وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم
نعم لا يدخل في حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة واواخر العمر
غير معلومة فتكليف العوام بذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكون عن كل كلام فضول وهم لا يحكم نقصانهم
لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا اياهم ذلك لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام
حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكوة لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن
اليه اذ قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا يأخذ احد من عباد الله
تعالى من مال الله الا بقدر زاد الراكب وكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ثم منعه
راكبا آخر محتاجا اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر لنعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل
وسائر الاسباب التي بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع انواع الموجودات
قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تفي الا بالقليل وانما اوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق
في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية
من لم يعرف هذا كله وامورا اخر وراء هذا تنقضي الاعمار دون استقصاء مباديها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفها كل
من يعرف اللغة وبهذا تبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجع حاصل الكلام الى ان لله حكمة في كل شئ
وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة
فكل فعل وافق مقتضى الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من ان تنساق الى الغاية المراد منها فهو كفران

وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى ما يتمم الحكمة والى ما يدفعها هو ايضا من فعل الله تعالى
فاين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم ان تمام التحقيق في هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفة
وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات بمباديها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن اواخرها وغاياتها يفهمها من عرف
منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في الملكوت جولان الطير فنقول ان لله تعالى في جلاله وكبريائه
صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى واجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة
تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن ان يمتد طرفهم
الى مبادي اشراقها فانخفض عن ذروتها ابصارهم كما ينخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن
لضعف في ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات
عبارة يفهم من مبادي حقايقها شيئا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا
لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انقسامها
واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعير لها مثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة فهي توهم منها امرا مجملا
عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها ومقصود لفظ المشيئة قاصر عن الدلالة على كنه تلك الصفة
وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة عن القدرة الى ما ينساق الى المنتهى التي هي غاية حكمتها
والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاص التي بها تمت القسمة والاختلاف
فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان
في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية اخرى في النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما امرين مجملين عند طالبي الفهم
من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا من خلقه واختراعه الى من سبقت لهم في المشيئة الازلية ان يستعملهم
لاستياق حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم
لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين
في اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم اسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب واظهر على من غضب عليه
في الازل فعلا وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال واظهر على من
ارتضاه في الازل فعلا انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر واردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا
والقبول والاقبال فكان الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال ثم قبح واردى وكان مثاله ان يتلطف الملك بعبده
فيغسله عن اوساخه ثم يلبسه ثيابه فاذا تمم زينته قال يا جميل ما اجملك واجمل ثيابك وانظف وجهك فيكون بالحقيقة
هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثني عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث
الصورة فهكذا كانت الامور في ازل الآزال وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب
ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم واستعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح بالبصر او هو اقرب
ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتيب آحاد المقدرات بعضها على بعض لفظ القدر وكان
لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى غير نهاية وقيل ان شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء

والقدر ويخطر لبعض العباد ان القسمة بماذا اقتضت هذا التفضيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان
بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر ولا الاحتواء على مجامعه فألجموا الجاما ليلجموا خوض غمرته بالجامع المنع وقيل لهم
اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله في السموات والارض وكان
زيتهم اولا صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها
فادركوا الامور كما هي عليها فقيل لهم تأدبوا باداب الله تعالى واسكتوا اذا ذكر القدر فان للحيطان آذانا وحواليكم
ضعفاء الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاككم فتخلقوا باخلاق
الله وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم
كما يقتبس الخفاش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليالي فيحيى به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيى حياة
المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل لهم وفيهم حيث يقول القائل ٭ شربنا شرابا طيبا عند طيب ٭ كذاك
شراب الطيبين يطيب ٭ شربنا واهرقنا على الارض فضله ٭ فللارض من كأس الكرام نصيب ٭ فهكذا كان اول هذا
الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا له فتحت العين وابصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك والاعمى
يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف وادق من الشعر قدر الطيار ان يطير عليه ولم يقدر
على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق المجال ولطف كالماء مثلا ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة
السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه آخر فاذا دق المجال ولطف كالماء فهذه امور نسبة السير عليها
الى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان تتعلم فاما المشي على
الماء فلا ينال بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام يقال انه مشى على الماء فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه امور واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضى والغضب والشكر
والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد ضرب الله لذلك مثلا تقريبا الى افهام الخلق اذ عرفوا انه ما خلق الجن والانس
الا ليعبدون وكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل والروح القدس
والامين وهو عنده محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد
الى جبريل عليه السلام فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال الله تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده
واحال الاغواء الى ابليس فقال الله تعالى ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيفاق العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف
نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك في العادة
لهذا امثال فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وينظف حوالي داره من القاذورات وكان له عبدان
فلا يعين للتنظيف والحجامة الا اقبحهما واخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب الا الى احسنهما واحبهما اليه واكملهما
ولا ينبغي ان تقول هذا فعلي ولم يكن فعله على وزن فعلي فانك اخطأت اذ اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف عبديك
لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك
فيه وتارة يتم بك فانك ايضا من افعاله وداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر اسباب حركاتك في التعيين هو فعله الذي رتبه
بالعدل ترتيبا يصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما ظهر عليك في عالم الشهادة ليس له

سبب من عالم الغيب والملكوت وكذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعبذ الذي يخرج
صورا من وراء حجاب يرقص ويزعق ويقوم ويقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بانفسها انما تحركها خيوط شعرية دقيقة
لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق
ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلاء فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله
والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الامر اليه والجاذب بيده وكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق
كلهم صبيان الا العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا
انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم ادركوا بحدة ابصارهم خيوطا
دقيقة عنكبوتية بل اكثر منها دقة معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص اهل الارض لا يدرك تلك الخيوط لدقتها
بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطاتها التي هي معلقة فيها وشاهدوا ان لتلك المناطات مقابض
هي في ايدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون ما ينزل
عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل
وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل اليهم من الامر والقدر فقيل خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله الآية وهذه امور لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم
قال ابن عباس عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال
لو ذكرت ما اعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام
عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منها فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون
العبد مستعملا في اتمام حكمة الله تعالى فاشكر العباد احبهم الى الله تعالى واقربهم اليه الملائكة ولهم ايضا ترتيب وما منهم الا له
مقام معلوم واعلاهم في رتبة القرب اسرافيل وانما علو درجتهم لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله بهم الانبياء
عليهم السلام وهم اشرف مخلوق على وجه الارض ويلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله تعالى
بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ اكمل به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء
الذين هم ورثة الانبياء فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد بقدر ما اصلح من نفسه
ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة
لنبينا صلى الله عليه وسلم كان افضل من سائر الانبياء فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك
لغيره من الانبياء عليهم السلام ثم يلي العلماء الصالحون الذين اصلحوا نفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم الا فيهم ثم من عداهم
همج رعاع واعلم ان السلطان به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص امام غشوم خير
من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم يكون عليكم امراء يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر
وعليكم الشكر وان اساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من انكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان
فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل اي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس
السلطان فقال مهلا ان لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال المسلمين ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع في صحيفته

فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من ستين قاضيا يقضون **الركن الثاني
من اركان ما عليه الشكر وهو النعمة** ولنذكر فيه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها
فيما يخص وما يعم فان احصاء نعمة الله تعالى على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الاحاد **بيان حقيقة النعمة واقسامها** اعلم
ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها
نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الاخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون
اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق وكل سبب يوصل الى سعادة الاخرة ويعين عليها اما
بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صدق صحيح لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة
نعمة نشرحها بتقسيمات **القسمة الاولى** ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والاخرة جميعا كالعلم
وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المال كالتلذذ باتباع الشهوات
والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المال كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمال هو النعمة تحقيقا
كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المال كالتلذذ واتباع الشهوات
والصواب من هذا الضار فيهما جميعا هو البلاء تحقيقا وهو مذموم والنافع في الحال المضر في المال بلاء محض عند ذوي
الابصار ويظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلاء
سيق اليه والضار في الحال النافع في المال نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشيع المر في الحال مذاقه
الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة ويتقلد المنة
ممن يهديه اليه او يهيء له اسبابه وكذلك تمنع الام الولد من الحجامة والاب يدعوه اليه فان الاب بكمال عقله يلحظ العاقبة والام
لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال والصبي بجهله يتقلد منة من امه دون ابيه ويانس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له
ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى الامراض والالام التي هي اشد من الحجامة ولكن
الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو **قسمة ثانية**
اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالاهل والمال والولد والاقارب والجاه
لكن تنقسم الى ما نفعه اكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ما ضره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص
كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافي ضرره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح
وان كثر فينفقه في سبيل الله تعالى ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل ايضا اذ لا يزال
مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه **قسمة ثالثة** اعلم ان الخيرات باعتبار اخر
تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته والى ما هو مؤثر لغيره والى ما هو مؤثر لذاته ولغيره فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى
وجه الله تعالى وسعادة لقائه وما حاصله سعادة الاخرة التي لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراءها
بل تطلب لذاتها الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي
والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة في انفسها

حتى يحبونها

حتى يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون عليها بالربا ويظنون انها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله
الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده
وهو الغاية في الجهل والضلال **الثالث** ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد لنفسها وليقدر بسببها على
الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله تعالى او ليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا وتقصد ايضا لذاتها فان الانسان وان استغنى
عن الشيء الذي يراد سلامة الرجل لاجله فيريد ايضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذن المؤثر لذاته فقط هو الخير
والنعمة تحقيقا وما يؤثر لذاته ولغيره فهو ايضا نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في انفسهما
من حيث هما جوهران بانهما نعمة بل من حيث انهما وسيلتان فيكون نعمة في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما
فلو كان مقصوده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده
بمثابة واحدة بل ربما يشغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكون بلاء في حقه ولم يكن نعمة **قسمة رابعة** اعلم ان الخيرات
باعتبار اخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي يدرك راحته في الحال والنافع هو يفيد في المال والجميل
هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم فكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد
فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة اما في الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة
واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل وذلك بان يرى غيره عالما
ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فينبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية
عن التعلم ثم يتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تالم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تالم بترك الشهوات
او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جمع بعض
الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع الزائدة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة
الى بعض الاحوال نافع اذ قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يجيء وقت هلاكه ورب نافع
من وجه ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار بالمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان ضروري
كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الاخرة واعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما البتة غيرهما والى ما ليس بضروري
ضروري كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينه بما يقوم مقامه **قسمة خامسة** اعلم ان النعمة
يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها او مشاركته لغيره ثلثة انواع عقلية وبدنية
مشتركة مع بعض الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن
والفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه اقل اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها
فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتسمين باسمهم والمترسمين
برسومهم واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة ودائمة لا ينقطع فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة
الوقاع يفرغ منه فيستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور ان يمل ويستثقل ومن قدر على الشريف الباقي ابد الاباد اذا رضي
بالخسيس الفاني في اقرب الاماد فهو مصاب في عقله محروم بشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان
وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق

والولاية يعزل عنها والعلم لا يمتد اليه يد السارق بالاخذ ولا السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال
والجاه في كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ في كل حال والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله
تعالى المال في القرآن في مواضع وان سماه خيرا في مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق
لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق تبع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل
ويراه مرا واما لقصور فطنتهم اذ لم يخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالصبي الذي لا يدرك لذة العسل ولا الطيور السمان
ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته للبن يدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة
الحكمة والعلم ثلثة اما لم يحي باطنه كالصبي واما من مات بعد الحيوة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى
في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله تعالى لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحي حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب
فهو عند الله تعالى من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا
موتى بالابدان الثانية لذة تشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد
والنمر وبعض الحيوانات والثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا وهي اخسها ولذلك
اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي اشدها التصاقا
بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته وافعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج حب الرياسة من القلب واخر ما يخرج من رؤوس الصديقين
حب الرياسة واما شره البطن والفرج فيكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الا الصديقون
فاما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب
لذة معرفة الله تعالى في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريها الفترات
فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا يقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم
القلوب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله تعالى ولا يستريح الا بزيادة المعرفة والفكر فيه وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى
الانس بالله تعالى وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله تعالى والتلذذ به
والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه
في بعض الاحوال التلذذ بالعلم والمعرفة اما الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد واما الثاني فالدنيا طافحة به
واما الثالث والرابع فموجود ولكنه على غاية الندور فلا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع الشذوذ يتفاوت في القلة
والكثرة وانما يكون كثرة في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء فلا يزال يزداد العهد طولا ويزداد مثل هذه القلوب
قلة الى ان تقرب الساعة ويقضي الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الاخرة والملك عزيز والملوك
لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الاخرة فان الدنيا مرآة الاخرة
لان الدنيا عبارة عن عالم الشهادة والاخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة في المرآة
تابع لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها اولى في حق رؤيتك فانك ما ترى نفسك
وترى صورتك في المرآة اولا وتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا

في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة
محاكية لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من تيسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت
فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة
وستفتح اليه ابواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا من شأنها ان تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراكه حجابا فاذا رفع
الحجاب بالموت فادرك وعن هذا اظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم يدرك
مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك اخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الاخرة وعلم اليقين قد يكون في
الدنيا ثم كبر فيها عين اليقين اي في الاخرة ولكن للذين وفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين
لترون الجحيم اي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في الاخرة فاذن قد ظهر ان القلب الصالح لملك الاخرة لا يكون الا عزيزا
كالشخص الصالح لملك الدنيا **قسمة سادسة** حاوية لمجامع النعم اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما
هي مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادة الاخرة ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم
لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الاخرة وقال ذلك
مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون الى
سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسألك تمام النعمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة واما الوسائل فانها تنقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس والى ما يليه
في القرب كفضائل البدن وهو الثاني والى ما يليه في القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال
والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي
اذا اربعة انواع النوع الاول وهو الاخص الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق
وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته وملائكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق وينقسم الى
قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع
اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذي انزله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال
الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن اخصى نفسه لترك شهوة النكاح او ترك النكاح مع القدرة
والامن من الافات او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج
فقد طغى في الميزان وانما العدل ان يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فيعتدل به كفتا الميزان فاذن الفضائل الخاصة
بالنفس المقربة الى الله تعالى اربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في الغالب الا بالنوع الثاني
وهو الفضائل البدنية وهي اربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث
وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة
والبدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي اربعة هداية الله ورشده
وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى اربعة وقسمنا كل واحدة الى اربعة وهذه الجملة يحتاج البعض
منها الى البعض اما حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الاخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل

الى الوصول الى سعادة الاخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد فى الاخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك
حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضرورى واما الحاجة النافعة على الجملة
هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجية مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة
فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الاخرة الى النعم الخارجية من المال والاهل والجاه والعشيرة فاعلم ان هذه الاسباب
جارية مجرى الجناح المبلغ والالة المسهلة للمقصود واما المال فالفقير فى طلب العلم والكمال وليس معه كفاية كساع الى الهيجاء
بغير سلاح وكبازى يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال النبى صلى الله
عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال كيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات فى طلب القوت وفى تهيئة اللباس والمسكن
وضروريات المعيشة ثم يتعرض لانواع من البلاء يشغله عن الفكر والذكر ولا يندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم فضيلة
الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقد قال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال الغنى فانى رايت الفقير لا عيش له
قيل زدنا قال الامن فانى رايت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال العافية وانى رايت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب
فانى رايت الهرم لا عيش له وكان ما ذكره اشارة الى نعم الدنيا ولكن من حيث انه معين على الاخرة فهو نعمة ولذلك قال النبى
صلى الله عليه وسلم من اصبح معافا فى بدنه امنا فى سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد
الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المراة الصالحة وقال فى الولد اذا مات العبد
انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فضائل الاهل والولد فى كتاب النكاح واما الاقارب
فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدى فيتيسر له من الامور الدنيوية المهمة فى دينه ما لو انفرد به لطال
شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذن نعمة واما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه
الضيم والذل ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه راس
ماله وانما يندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توامان وقال الله تعالى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت له
ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر والى جبة يدفع عنه شر البرد والى كلب يدفع
الذئب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة
يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستكثار والاستئثار
فى الدنيا بمتابعتهم ولا تظنن ان نعمة الله على رسوله حيث نصره وكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن له فى القلوب
حتى اتسع به عزه وجاهه كانت اقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة فان قلت
فكرم العشيرة وشرف الاهل هو من النعم ام لا فاقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش
ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم من اكرم ارومة فى نسب ادم عليه السلام ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم الاكفاء
وقال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء فى المنبت السوء فهذه
ايضا من النعم ولست اعنى به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى
الائمة العلماء والى الصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل فان قلت فما معنى الفضائل البدنية فاقول

لاخفاء

لا خفاء بشدة الحاجة الى الصحة والى القوة وطول العمر اذ لا يتم علم ولا عمل الا بهما ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم افضل
السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى وانما يستحقر من جملتها امر الجمال فيقال يكفى ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة
عن تحرى الخيرات ولعمرى الجمال قليل الغنى ولكنه من الخيرات ايضا اما فى الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما فى الاخرة فمن وجهين
احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه فى الصدور اوسع فكانه من هذا الوجه
جناح مبلغ كالجاه والمال اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء
الحاجات الدنيوية فمعين على الاخرة بواسطته والثانى ان الجمال فى الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه
تادى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول اصحاب الفراسة فى معرفة مكارم النفس على هيئات البدن
وقالوا الوجه والعين مراة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما فى النفس
وقيل ما فى الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المامون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن
فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة او على الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن
وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضى الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم
وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة فى العلم والجسم ولسنا نعنى بالجمال
ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعنى به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال فى اللحم وتناسب الاعضاء وتناصف
خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه فان قلت فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد فى حيز النعم
وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء وقال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم وقال عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة وقال على كرم الله وجهه فى ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقيمة
كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من ياخذ العلوم من الالفاظ المنقولة
المأولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك الامور على ما هى عليه ثم تنزيل النقل على وفق
ما ظهر له منها بالتاويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امر الاخرة لا سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنا ومخاوف فمثال
المال مثال الحية التى فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذى يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج
ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادى الغبى فهى عليه بلاء مهلك وهو مثل البحر الذى تحته اصناف الجواهر واللالى
فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهلا بذلك
فقد هلك ولذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم العون على التقوى المال
ولذلك مدح العز والجاه اذ من الله تعالى على رسوله بان اظهره على الدين كله وحببه فى قلوب الخلق وهو المعنى بالجاه ولكن
المنقول فى ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب
وانما كثر هذا وقل ذلك لان الناس جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص فى بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون
بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا فى اعيانهما مذمومين بالاضافة
الى كل واحد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان ينضاف اليه الغنى كما كان لسليمان
عليه السلام فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبى ما لا يضر المعزم نعم المعزم

لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل درياقها لافتدى به ولده واخذ الحية اذا لم
تلدغ بها فيهلك فلا غرض له في الترياق ولكن غرضه في حفظ الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد
فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها الصبي وتعظم ضرره بها ذكر فواجب عليه ان يهرب
عن الحية اذا الترياق فان ذلك ربما يضره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة ولذلك الغواص اذا علم انه لو غاص في البحر
بمراى من ولده لاتبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما
راى اياه يحول حول الساحل فواجب عليه ان يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب من البحر بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء
كالصبيان الاغبياء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد لولده وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم تتهافتون
على النار كتهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ اولادهم في المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم
في المال حظ الا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت فما فضل فلم يمسكوه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق
والامساك فيه السم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك
قبحت الاموال والمعني به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها
فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر
اذا صمم العزم على ان يختص بما يحمله فاما اذا سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا باس بالاستكثار وقوله
صلى الله عليه وسلم ليكن بلاغ احدكم من الدنيا بقدر زاد الراكب معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان فيمن يروي هذا الحديث
ويعمل به من ياخذ مائة الف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضع واحد ولا يمسك منها حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا لشدة ثروته استاذن عبد الرحمن بن عوف ان يخرج عن جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبريل
عليه السلام وقال مره بان يطعم المسكين ويكسوا العاري ويقري الضيف فاذن النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها
ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها منتقيا داءها مستخرجا دواءها ومن
لا يثق فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا يعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله
تعالى وهداه لطريقه فان قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق
لا يستغني عنه احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله تعالى وقدره وهذا يشمل الخير والشر
وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى كما ان الالحاد
عبارة عن الميل فخصص بمن يميل الى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل اذا لم يكن
عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده فاما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان
قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح اخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح اخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد الارادة
فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال الله تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال
الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ولا انا وللهداية
ثلاث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله به على كافة الخلق

بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال الله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى واسباب الهدى
هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع بعضها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب
وان كانت لا تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا اباءنا
على امة وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى ابشرا منا واحدا نتبعه
فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله العبد بها حالا بعد حال وهي ثمرة
المجاهدة حيث قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
والهداية الثالثة وراء الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدى بها الى ما لا يهتدى
اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه
الله تعالى بتخصيص الاضافة وان كان الكل من جهته فقال سبحانه وتعالى قل ان هدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة في قوله تعالى
افمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وبقوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان على توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه
فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال الله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية
باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ومع ذلك يبذر ولا يريد
الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره وقد اعطي الهداية وميز بها
عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطي الرشد فالرشد بهذا الاعتبار اكمل من مجرد الهداية
الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب
في اسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات
بمساعدة الاعضاء والالات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية
لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد واما التاييد فكانه جامع للكل وهو عبارة عن
تقوية امره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس ويقرب
منه العصمة وهي عبارة عن وجود الهي يسبح في الباطن يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه
غير محسوس واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن يستتب جميع ذلك
الا بما خوله الله من النعم الثاقب الصافي والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر
عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعي كل واحد من هذه
الاسباب الستة عشر اسبابا وتستدعي تلك الاسباب اسبابا الى ان ينتهي بالاخرة الى دليل المتحيرين وملجا المضطرين وذلك
رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها انموذجا ليعلم به معنى قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء
اعلم انا جعلنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتاخرة فهذه النعمة الواحدة
لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تتم هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الاكل احد اسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي

ثم نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها
من قدرة على الحركة ولا بد لها من ارادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من ماكول ولا بد للماكول من اصل
منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادة ثم اسباب القدرة ثم اسباب الماكول على سبيل
التلويح لا على سبيل الاستقصاء **الطرف الاول في نعم الله في خلق اسباب الادراك** اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل
وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذى وان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء
الى نفسه من جهة اصله وعروقه التي في الارض وهي له آلات فيها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل
ورقة تغلظ اصولها ثم يتشعب ولا تزال تستدق وتنشعب الى عروق شعرية تنبسط في اجزاء الورق حتى تغيب عن البصر
الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه غذاء يساق اليه ومماس اصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء
من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك
ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكم الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك
فاولها حاسة اللمس فانها خلقت لك حتى اذا مستك نار محرقة او سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا اول حس يخلق
للحيوان ولا يتصور حيوان الا ويكون له هذا الحس لانه ان لم يحس اصلا فليس بحيوان وانقص درجات الحس ان يحس بما يلاصقه
ويمسه فان الاحساس بما يبعد منك اتم احساس لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها
اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس
لكنت ناقصا كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت
الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري انها جاءت من اي ناحية فتحتاج ان تطوف
كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لا تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك
البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا
تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه واما ما بينك
وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو منك فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات
من وراء الجدران عند جريان الحركات ولانك لا تدرك بالبصر الا شيئا حاضرا واما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام منظوم
من حروف تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم
يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك او هو مخالف فتاكله فتهلك كالشجرة يصب في اصلها كل مائع
ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدم دماغك ادراك آخر يسمى
حسا مشتركا تتادى اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئا اصفر مثلا فوجدته
مرا مخالفا لك تركته فاذا رايته مرة اخرى فلا تعرفه انه مر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة
ولا تدرك المرارة فكيف يمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا
حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها
فلو لم يكن لك الا ذلك لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تتخلص اذا قيدت وقد تلقي نفسها في البئر

ولا تدري ان ذلك يهلكها وكذلك قد تاكل البهيمة ما يستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت اذ ليس
لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فميزك الله تعالى واكرمك بصفة اخرى هي اشرف من الكل وهي
العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ونفعها وما يضر في المآل وبه تدرك كيف طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها
فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوائد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله
تعالى ومعرفة افعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك ينقلب فائدة الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس
واصحاب الاخبار الموكلين بنواحي المملكة قد وكلت واحدة منها باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين
والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس
المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص الواردة من نواحي العالم فياخذها
وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وجمعها وحفظها فاما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي
هو الامير والملك سلم الانهاءات اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع فيها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة
لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء مرة في الطلب ومرة
في اتمام التدبيرات التي تعن له فهكذا ينبغي ان تفهم نعمة الله تعالى عليك في الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة
هي بعض الادراكات والبصر واحدة من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها
رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض
وبعضها كانه الجمد ولكل واحدة من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة
منها من جملة العشرة او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجزت عنه الاطباء والكحالون كلهم فهذا في
واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن ان يستوفى في حكم الله تعالى وانواع نعمته في جسم البصر وطبقاته
في مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد على قدر جوزة صغيرة فكيف الظن بجميع البدن وجميع اعضائه وعجائبه فهذه
من نعمة الله تعالى بخلق الادراكات **الطرف الثاني في اصناف النعم في خلق الارادات** اعلم انه لو خلق لك البصر حتى
تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له يستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم
من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه
فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة
فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذى
فتبقى بالغذاء وهذا مما تشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت
واهلكت نفسك فخلق الله تعالى الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب
في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه اخرى وكما خلقت لك
هذه الشهوة حتى تاكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجائب
صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من المني ودم الحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق الساكنة
اليهما من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المراة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر

الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فيتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فيتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها
في اطوار خلقتها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزائها الى رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر
الاعضاء لتقضيت من انواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقتك كل العجب فضلا عما تراه الان ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا
لنعم الله تعالى في الاكل وحده كيلا يطول الكلام فاذن شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه يأتيك المهلكات
من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لكنت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته
للغذاء فان كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك اذا
الشهوة والغضب لا تدعوان الا الى ما يضر وينفع في الحال اما في المآل فلا يكفي فيها هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة اخرى
مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فيتم بها
انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا يضرك ولا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل
بموجب المعرفة وهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما لبني ادم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة
باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا **الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات**
الحركة اعلم ان الحس لا يفيد الا بالادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب الى الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن
له آلة الطلب والهرب فكم من زمن يشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله او لا يمكنه ان
يتناوله لفقد يده او لفلج او خدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة
طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعالى الاعضاء وليس ينظر الا الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب
كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفي هذا يختلف
الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها
ما خلق له اربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي يتم الاكل بها فقط لنكس
عليها غيره فنقول ترى الطعام من بعد وحركتك اليه لا يكفي ما لم يمكنك ان تأخذه فافتقرت الى آلة باطشة فخلق الله تعالى
لك اليدين وهما طويلتان فتمتدان الى الاشياء وتشتملان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك فلا تكون
كخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام
في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها تعالى وضعا ان بسطتها
ثم قبضتها كانت لك مغرفة وان ضممت بينها كانت لك معرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب وان بسطتها ثم قبضتها
كانت لك آلة للقبض ثم خلق الاظفار واسند اليها رؤوس الاصابع حتى لا يتفتت وحتى يلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا يحويها
الاصابع فيأخذها برؤوس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن
فلا بد ان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى
كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم اذا وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة
يطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا الى السفلى ليطحن بها الطعام
طحنا ثم الطعام تارة تحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم تحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحن

كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك
الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولا ذلك لما تيسر الا ضرب احدهما على الاخر كتصفيق اليدين
مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى
فان كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى الا هذا الرحى الذي صنعه الله تعالى اذ يدور منه الاسفل على الاعلى
فسبحانه ما اعظم شأنه واعز سلطانه واوسع امتنانه واظهر برهانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف
يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان او كيف يستجره الاسنان الى نفسها او كيف يتصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف
انعم الله تعالى عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة
التي ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب في ذكرها ثم هب انك قطعت
الطعام وطحنته وهو يابس فلا يقدر على الابتلاع الا ان يزلق الى الحلق بطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا
يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعيد
فتثور الحنكان للخدمة وتنصب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام المطحون المعجون
من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا يقدر على ان تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيأ
الله المريء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطه
فيهوي الى المعدة في دهليز المريء فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما ودما
وعظما على هذه الهيئة بل لا بد ان يطبخ طبخا تاما حتى يتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام
فيحتوي عليه وينغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة
او من جانبه الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدام الترب ومن خلف لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين
هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه
ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجاري من العروق
وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه عروق
كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء الكبد فينصب الطعام الدقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى تستولي عليه قوة الكبد فيصبغه
بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد
هي التي تنضج هذا الدم فتتولد من هذا الدم فضلتان كما تتولد في جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط
السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم يفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة
والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا الى الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب
الطحال العكر السوداوي فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر
في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها صاعدا الى الاعضاء فخلق الله تعالى الكليتين واخرج من كل واحدة عنقا طويلا
الى الكبد ومن عجائب حكمته عز وجل ان عنقها ليس داخلا في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد
حتى يجذب ما فيها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق

واذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلث نقيا من كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد
عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب كل قسم بشعب انتشرت في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا
فيجري الدم الصافي فيها ويصل الى سائر الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق في الاشجار بحيث
لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح الى سائر الاجزاء ولو خلت المرارة عن افة فسد الدم وحصل منه الامراض الصفراوية
كاليرقان والبثور والحمرة وان خلا الطحال عن افة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا
وغيره وان لم يندفع المائية نحو الكلاء حدث منه الاستسقاء وغيره ثم انظر الى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات
الثلث الخبيثة اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بعنق اخر الى الامعاء لتحصل بها في ثفل الطعام رطوبة مزلقة
وتحدث في الامعاء لذعا يحركها للدفع فتضغطه حتى يندفع الثفل وتنزلق ويكون صفرته لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة
احالة تحصل بها فيه حموضة وقبض ثم ترسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فتحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويخرج الباقي
مع الثفل واما الكلية فانها تغتذى بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة ولنقتصر على هذا القدر كافيا من بيان نعم الله
في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية احتياج الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية
انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن التي بواسطتها يصل الروح وكيفية انشعاب الاعصاب من الدماغ الى سائر البدن
وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد الى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركيب الاعضاء
وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج
اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الادمي الاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظة وكثرة
الانشعاب وقلته ولا شيء منها الا وفيه حكمة او اثنتان او ثلث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعمة من الله تعالى عليك لو سكن
من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله ولا تتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف
من نعمة الله تعالى الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع وتاكل والحمار ايضا انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع
ويستريح فيشمص ويرمح فاذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله تعالى عليك وهذا الذي رمزنا
اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله تعالى فقس على الاجمال ما اهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة
ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى اقل من قطرة من بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شيئا من معاني
قوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار
لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ويستقر القلب ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن
الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرهما كالسراج الذي يدار في اطراف البيت
فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكن جعل السراج سببا له بحكمته وهذا البخار
اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب فمثاله جرم نار السراج والقلب كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن
القلب كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر اعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج
اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد يحترق فيصير رمادا بحيث لا يقبل
الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فهكذا الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي

مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا يتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفي
بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح ينطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل
وكما ان انطفاء السراج بنفاد الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصف او باطفاء انسان لا يكون الا بسبب مقدرة في علم الله تعالى
مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده اجله الذي اجل له في ام الكتاب
فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله والروح اذا انطفى اظلم البدن كله وفارقه انواره التي كانت
تستفيدها من الروح وهي نور الاحساسات والقدر والارادات وسائرها بجمعها معنى لفظة الحياة فهذا ايضا من وجيز الى عالم اخر
من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فتعسا لمن كفر بالله
تعالى تعسا وسحقا لمن كفر نعمته سحقا فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح
فلم يزد على ان قال الروح من امر ربي فلم لم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم فان هذه غفلة من الاشتراك الواقع في لفظ الروح
مطلق على معان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفته ووجوده
وكيفية سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء به حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع
سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواضع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان
هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتادى من القلب الى سائر الاعضاء وما يرتقي اليه معرفة الاطباء فامره سهل
نازل واما الروح التي هي الاصل وهي اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من اسرار الله عز وجل لم نفهمه
ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو امر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها
بل تتحير فيها عقول اكثر الخلق اما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات ويتزلزل
في ذكر مبادي وصفها معاقل العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور اخر
اعلى واشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل كنسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق
الله تعالى الخلق اطوارا فكما يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف
ومشرب عذب ورتبة عالية بل هي الجناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل
لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر
لذلك الامر الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان فكيف بالانتهاء
الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه فاني يصادف هذا من خزائن الاطباء ومن
اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالاضافة
الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني فكان كمن راى الكرة التي يحركها الصولجان للملك فظن انه راى الملك
ولا شك في ان خطاه فاحش وهذا الخطا افحش منه جدا ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها يدرك مصالح الدنيا
عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم ياذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتحدث عنه بل امر ان يكلم الناس على قدر عقولهم
ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته ففي قوله تعالى من امر ربي واما فعله
فقد ذكر في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ولنرجع الان الى الغرض

فان المقصود ذكر نعم الله تعالى في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الاكل **الطرف الرابع في نعم الله تعالى في الاصول**
التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب
كثيرة لا تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية واما فواكه واما اغذية فلنأخذ
الاغذية فانها الاصل ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها لفنيت
وبقيت جائعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق الله تعالى في حبة الحنطة
من القوى ما تغتذي به كما خلق فيك فان النبات انما تفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجذبه
الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير
الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج
الى شيء مخصوص بدليل انه لو تركتها في البيت لم تزد لانه ليس يحيط بها الا الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها
في الماء لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة
بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو ترك في ارض ندية
صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها
بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء او تضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح
لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات
فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذاء النبات الى هذه الاربعة فانظر الى ما ذا يحتاج كل واحد فيحتاج الماء ليساق
الى ارض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما
يكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب
ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الخريف والربيع على قدر الحاجة وانظر كيف خلق الجبال
حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة واحدة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في الجبال
والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف
سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها من الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة
اليه فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فيفتقر
الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير
الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان
الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها الشجرة الكبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك بالليل فيغلب على راسك الرطوبة التي
تعبر عنها بالزكام فكما ترطب راسك ترطب الفواكه ايضا ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر
لنوع فائدة كما سخر الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان
خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وكما انه
ليس في اعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد اجسامه كالاعضاء

وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر
مسخرات بامره تعالى في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم
بل المنهي في النجوم امران احدهما ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها
وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا تشترك كافة الخلق في دركها لانهم
يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز
فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات والحيوان ليس قادحا
في الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته
وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه
بحواله حمي الهواء على طلوع الشمس واذا سالت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فتغير وجهي لم يلزمك
تكذيبه وقس بهذا سائر الآثار الا ان الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم به والمعلوم بعضه
معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذن الكواكب
ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه
ان يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما يعرفه البهائم ايضا
فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات والآفاق والانفس والحيوانات والنبات عجائب يطلب
معرفتها المحبون لله تعالى فان من احب عالما فلا يزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك
الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده
فان تعجبت من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده
وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها خرق محركة لا متحركة
ولكن تتعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذن المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء
والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها
الا بملائكة سماوية يحركونها فكذلك يتمادى الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا
من ذكر اسباب غذاء النبات **الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك** اعلم ان هذه الاطعمة كلها
لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض
وقد يبعدون عنهم الاطعمة ويحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص طلب
المال وشهوة الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الحال شيئا بل يجمعون فاما ان تغرق بها السفن او تنهبها قطاع الطريق
او يموتون في بعض البلاد فياخذها السلاطين واحسن احوالهم ان ياخذها ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوهم فانظر
كيف سلط الله تعالى الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسون الشدائد في طلب الربح ويركبون الاخطار ويغررون بالارواح
في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن

وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سخرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر يحملون اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتامل ما يحتاج اليه الحيوانات من اسبابها وادواتها وعلفها وما يحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى الحد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى هذا الى امور خارجة عن الحصر فنؤثر تركها طلبا للايجاز

الطرف السادس في اصلاح الاطعمة اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان تقضم وتؤكل وهي كذلك بل لا بد لكل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير به الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الالات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح الات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى اخر الاعمال من جهة الملائكة حتى ينتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة الاف صانع كل صانع اصل من اصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في تلك الالات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يدي الابري خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة فيها عملا فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي يحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الاخر فيتناولان الشيء معا ويقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله تعالى طريق ايجاده بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الالات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح عليه السلام واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الالة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من الحق ذوي البصائر بالعجائب وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الان لو خلا بلدك عن الطحان مثلا او عن الحداد او عن الحجام الذي هو اخس العمال او عن الحائك او عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف يضطرب عليك امورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء

الطرف السابع في اصلاح المصلحين اعلم ان هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت اراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحوش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا

وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات واصناع البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يؤدي الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله السلاطين وايدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا اجزاء البلد فكانها اجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلاطين وجمعه كما يتعاون جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء صلوات الله عليهم حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف اصلح الله الانبياء بالملائكة وكيف اصلح الله الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يصلح العجين بالطبخ والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح الات الحراث والنجار يصلح الة الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لالات الاطعمة والسلاطين يصلحون الصناع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثة الانبياء والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة يصلحون الانبياء الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتاليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزلنا عن ان يطمح بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوفنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا اذن بسطنا واذا سكتنا قبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى لكنا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار

الطرف الثامن في بيان نعم الله تعالى في خلق الملائكة ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله تعالى في الملائكة باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم مقصورون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وتفاوت مراتبها تنحصر بالجملة في ثلث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك ومن اجزاء النبات لا يغتذي الا بان يوكل به سبعة من الملائكة هذا اقله الى عشرة الى مائة الى ما زاد على ذلك وبيانه ان معنى الغذاء ان يقوم جزء من جوهر الغذاء مقام جزء وقد تلف وذلك الغذاء يصير دما في اخر الامر ثم يصير لحما وعظما ثم اغتذاؤك والدم واللحم اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مطبوخا الا بصناع وكذلك الدم لا يصير بنفسه لحما وعظما وعرقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد وقد اسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي ان تغفل عن نعمه الباطنة فاقول لا بد

من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من
ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم او العظم او العرق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة
الغذاء ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى
المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد
قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على انف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان يسوق
الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث
القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما عظم بعض المواضع وضعف البعض بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق
الى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به الا الى احدى رجليه مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن
لكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فرعاية هذه الهندسة من القسمة
مفوض الى ملك من الملائكة ولا تظنن ان الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان من يحيل هذه الامور على الطبع جاهل ليس يدري ما يقول
فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك فانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك
منهم وذلك في كل جزء من اجزائك الذي لا يتجزى حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك
للايجاز والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله عز وجل ومدد الملائكة السماوية
من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد القدوس المهيمن المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت
الحي الذي لا يموت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والارضين
واجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان يحصى عددهم فلذلك تركنا الاستشهاد بها

فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك والحنطة ايضا يحتاج الى من يطحنها اولا
ثم يحتاج الى من يميز عنها النخالة ويدفع عنه الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعها
كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك
رجل واحد ويستقل به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة يخالف خلقة الانس وما من
واحد منهم الا وهو واحد فانه ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله عز وجل
وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعيين مرتبة كل واحد وفعله مثال الحواس
الخمس فان البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما يتنازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش
باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي
يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه
فانه ليس واحدا في الصفة فلم يكن واحدا في الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه مرة اخرى لاختلاف دواعيه
وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع ابدا والساجد منهم ساجد ابدا والقائم منهم
قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله من حيث لا مجال للمعصية في حقهم

يمكن ان يشبه بطاعة اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك
مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه
اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا وانطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذن هذه نعمة الله عليك في
الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهم في غرض الاكل دون ما عداه من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة
اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف احاد ما يدخل تحت الحصر من مجامع الطبقات فاذا قد اسبغ الله
عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة
واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر النعم الظاهرة
بل اقول كل من عصى الله ولو في تطرفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات
والارض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد
من العباد قد تم بها انتفاعه وان انتفع غيره ايضا به فان لله تعالى في كل تطرفة نعمتين في نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات
ولها اوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود
ونعمة الله تعالى في سوادها انها تجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا
ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومقتنصا للاقذاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث
لين اصلها ومع اللين قوام نصبها ولك في اشتباك الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو
طبقت لم تبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء اشتباك الشعور فيكون الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع
من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد خلق الله تعالى اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة
فيطبقها مرة او مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته
جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بها حدقته ليصقلها عن الغبار وانما تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل
يزيد على اصل الكتاب ولعلنا نستأنف له كتابا مقصودا فيه ان امهل الله في العمر وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع
الله تعالى ولنرجع الى غرضنا فنقول تذكر بفتح العين نعم الله تعالى في الاجفان ولا يقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا بالرأس ولا
الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شيء
من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض كارتباط اعضاء البدن
بعضها ببعض فاذن قد كفر نعمة الله تعالى في الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق ملك ولا فلك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد
الا ويلعنه بكفران النعمة ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع الناس فيها اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك
ورد ان العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وان الملائكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك
اشارة الى ان العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه الا ان يتبع السيئة بحسنة تمحوها
فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحى الله تعالى الى ايوب عليه السلام ما من عبد من الآدميين الا ومعه ملكان
فاذا شكرني على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين
علو رتبة عندي اني اشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع يحبهم والآثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعم

كثيرة فاعلم ان في كل نفس تنبسط وتنقبض نعمتان اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك واليوم
والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس في قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة
الف الف نعمة في كل جزء من اجزائك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف لموسى عليه السلام
حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان اذ لينت اصلها
واطمنت راسها وورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه
يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر بما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق
ان الله تعالى فيه نعمة عليه ولنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة
الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل
النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله تعالى فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة
واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم
نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا منه
فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله تعالى على روح الهواء ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا
في بيت حمام فيه هواء حار او في بئر فيه هواء ثقيل برطوبة الماء ماتوا فان ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك
نعمة وشكر الله تعالى عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم النعم ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة
في جميع الاحوال اولى بان يشكر من النعمة في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا ان يعمى عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس
وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذلها في جميع الاحوال فلم يعده الجاهل نعمة وهذا الجاهل مثل
العبد السوء حقه ان يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلب عليه البطر وترك الشكر
فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله عليهم كما شكى
بعضهم فقره الى بعض ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك
انك اخرس ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الفا فقال لا فقال ايسرك
انك مجنون ولك عشرة الاف درهم فقال لا ولم يزل يعد عليه الاعضاء ويزيد في المال فقال اما تستحي ان تشكو مولاك
وعندك عروض بمائة الف واكثر وحكي ان بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فراى في المنام كان قائلا يقول له
اتود انا انسيناك من القرآن سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا فعد عليه سورا فقال له
فمعك قيمة مائة الف دينار وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء
يشربه فقال له عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه فقال نعم فقال ولو لم تعط
الا بملكك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يسوي شربة ماء فبهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد في
شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد
ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله راى من الله نعمة او نعما

كبير نعمة تخصه لا تشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيه احد وذلك يعترف
به كل عبد في ثلاثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى في عقله يعتقد انه
اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب عليه وان لم يكن ولكن يعتقد انه كذلك فهو نعمة في
حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره
لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه يرى نفسه
بريا عنها وان لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء واما العلم
فما من احد الا ويعرف من بواطن امر نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه احد من الخلق لافتضح
فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا كان لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله تعالى فلم لا يشكر ستر الله الجميل
الذي ارسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن الخلق وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلث
من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض الامور فلننزل من طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد
الا وقد رزقه الله تعالى في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او اقاربه
او عزه او جاهه او في سائر محابه امورا لو سلب ذلك منه واعطي ما خصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا
لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان
فيها عموم ايضا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض به بل له امور لا يبدلها باحوال الادميين ايضا وذلك
ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذن حاله
احسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذن لله تعالى
عليه نعمة ليست له على احد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين
عنده فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدري
نعمة الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعمة الله تعالى وما باله لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه على سيئة
يقارفها يعتذر اليها بان في الفساق كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك
فاذا كان حال اكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ومن نظر في الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في
الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به
تعالى وجد لله على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعم العلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال النبي صلى
الله عليه وسلم من آتاه الله عز وجل القرآن فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزأ بآيات الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم
كفى باليقين غنا وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب اي عبد اغنيته عن ثلث لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان
ياتيه وطبيب يداويه وغنا عما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال اذا ما القوت ياتي لك والصحة والامن واصبحت

وقلما يسأل الله تعالى العقل وانه من شرف العقل ان يفرح به المصنف به فاذا كان اعتقاده انه الخالي عنه كما يفرح به اعقل الناس صح صح صح

اخاخرس فلا انا رفعك الحزن بل ادق العبارات وافصح الكلمات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى
فقال من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تاملت الناس كلهم وجدتهم
يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعم الله تعالى عليهم في هذه الثلث ولا يشكرون نعمة
الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم
من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من اموال واتباع وقيل له خذها عوضا
عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم يفضي به الى قرب الله تعالى في الاخرة بل لو قيل له ولك
الاخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا ياخذه لعلمه ان لذة العلم
دائمة لا تنقطع وثابتة لا تسرق ولا ينافس فيها وهي بلا كدورة ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة ومشوشة ولا يفي مرجوها
بمخوفها ولا المها بلذتها ولا فرحها بغمها هكذا كانت الى الان وهكذا يكون ما بقي الزمان اذ ما خلقت اللذات الا لتجلب بها
العقول الناقصة ويخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليها واستعصت كالمراة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق
الغني حتى اذا تقيد بها استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر
اليها ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع العمر وبهذا وقع ارباب الدنيا في شبكاتها وحبائلها فلا ينبغي
ان يقول المعرض عن الدنيا اني متالم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متالم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع
اللصوص عنها وتالم المعرض يفضي الى اللذة في الاخرة وتالم المقبل يفضي الى الالم في الاخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى
ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فاذن انما انسد طريق
طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة **فان قلت** فما علاج هذه القلوب
الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر **فاقول** اما القلوب البصيرة فعلاجها التامل فيما رمزنا اليه من اصناف نعم الله تعالى
العامة واما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا خصتها واشعرها بالبلاء معها فسبيله ان ينظر ابدا الى من دونه ويفعل
ما كان يفعله بعض الصوفية اذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود ليشاهد انواع بلاء الله
تعالى عليهم ثم يتامل في صحته ويشكر الله تعالى ويشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ويشاهد الجناة الذين
يقتلون ويقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب فيشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر على نعمة
الامن ويحضر المقابر فيعلم ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا اما من عصى فليتدارك واما من اطاع
فليزيد من طاعته فان يوم القيمة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت اقدر على اكثر من هذه الطاعات
فما اعظم غبني اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات واما العاصي فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر علم ان احب الاشياء اليهم ان يكون
قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر الى ما يشتهي اهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله تعالى في بقية العمر
بل في الامهال في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكرها بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزود من الدنيا
للاخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة ليشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر ولقد كان الربيع بن خثيم مع تمكنه واستبصاره
يستعين بهذا الطريق تاكيدا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا وكان يضع غلا في عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد ومما ينبغي ان يعالج به

القلوب البعيدة عن الشكر ان يعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بمداومة الشكر
على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله
على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم فهذا تمام هذا الركن **الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر** فيما يعم الصبر والشكر ويرتبط احدهما
بالاخر **بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد** لعلك تقول ما ذكرته في النعم اشارة الى ان لله تعالى
في كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر اذا وان كان البلاء موجودا فما معنى الشكر
على البلاء وقد ادعى مدعون انا نشكر على البلاء فضلا من الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر
على ما يصبر عليه والصبر يستدعي الما والشكر يستدعي فرحا وهما متضادان وما معنى ما ذكرتموه من ان لله تعالى في كل
ما اوجده على عباده **فاعلم** ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما
متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه اما في الاخرة
كسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى واما في الدنيا فالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه
دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق
في الاخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة واما ابدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسائر الاخلاق المذمومة وهي التي تفضي
الى البلاء المطلق واما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين فالشكر المطلق
للنعمة المطلقة اما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق
الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتالم بها لغشية او غيرها فلا صبر عليه
والعاصي يعرف انه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء
مع طول العطش حتى عظم المه فلا يؤمر بالصبر بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على الم ليس الى العبد ازالته فاذن يرجع الصبر
في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى
مثلا يجوز ان يصير سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل اولاده والصحة كذلك ايضا فما من نعمة من هذه النعم
الدنيوية الا ويجوز ان يصير بلاء ولكن بالاضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز ان يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله
رب عبد يكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الارض وقال عز وجل ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه
كما يحمي احدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان
وحسن الخلق فانها يتصور ان يكون بلاء في حق بعض الناس فيكون اضدادها اذن نعما في حقهم اذ قد تبين ان المعرفة
كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد يكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل
الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه
من معارفه واقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال المه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك
جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفه ابغضه واذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والاخرة بل جهله

بالخصال المحمودة فيه وفي غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو مضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف
وادرك انه اعظم لا محالة فليس من اذى نبيا او وليا وهو يعرف كمن اذى وهو لا يعرف ومنها ابهام الله تعالى [illegible]
وابهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب
والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك موجود
في حق كل احد ولا يستثنى عنه بالظن الا الالام التي يخلقها في بعض الناس وهي ايضا قد تكون نعمة في حق المتالم بها فان لم تكن نعمة
في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووشمه بشرته فانه يتالم به وهو عاص به والم الكفار في النار فهي ايضا نعمة
ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم فان مصائب قوم فوائد ولولا ان الله خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون
قدر نعمته ولا كثر فرحهم بها ففرح اهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في الام اهل النار اما ترى اهل الدنيا ليس يشتد
فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي احسن
من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح
ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذا في خلق الله
البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى او على غير المبتلى فاذن كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها
على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح
فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه اخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل
فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر الله عليها احدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور
ان يكون اكثر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر اذ لم يكن اعظم منها
في الدنيا الثاني انه كان يمكن ان يكون مصيبة في دينه قال رجل لسهل دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله
لو دخل الشيطان قلبك وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه فقال اللهم لا تجعل مصيبتي
في ديني وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى علي فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منها
واذ لم احرم الرضى بها واذ ارجو الثواب عليها وكان لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه يعلمه فقال اشكر الله
تعالى فضربه فقال اشكر الله فجيء بمجوسي محبوس مبطون وقيد وجعل حلقة من قيده على رجله وحلقة على رجل المجوسي فارسل
اليه فقال اشكر الله تعالى فكان المجوسي يحتاج ان يقوم مرات وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يقضي حاجته
فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال له لو جعل الزنار الذي في وسطه على
وسطك ماذا كنت تصنع فاذن ما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه
لكان يرى انه يستحق اكثر مما اصيب عاجلا واجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق
للشكر ومن استحق ان يقطع يديك فترك احداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه
طست من رماد فسجد لله سجدة الشكر فقيل ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان يصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة
وقيل لبعضهم الا تخرج للاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر فان قلت
كيف افرح وارى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد خبئ له ما هو

اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال الله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين تعلم
ان في العالم من هو اعصى منه فكم من خاطر بسوء ادب في حق الله تعالى وفي صفاته اعظم واطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي
بالجوارح ولذلك قال الله تعالى في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخر عقوبته
الى الاخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى عليه وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة
الا وكان يتصور ان يؤخر الى الاخرة ومصائب الدنيا تتسلى عنها باسباب اخر فتهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الاخرة
تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته
في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابه شدة او بلاء في الدنيا
فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه
وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامس ان ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا
طرق الى الاخرة من وجهين احدهما الوجه الذي به يكون الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من اسباب اللعب نعمة
في حق الصبي فانه لو خلي في اللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب وكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب
والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء قد يكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور
قد يكون سببا لهلاكه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله وشريعته فما من
شيء من هذه الاسباب يوجد في العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة
ويشكره عليه فان حكمة الله تعالى واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب
البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء
تاديب من الله تعالى وعنايته بعبده اتم واوفر من عناية الاباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصني فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تتهم الله تعالى في شيء قضاه عليك ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك
فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي فكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له
والوجه الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا وراس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على
وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة يورث طمانينة القلب الى الدنيا وانسا بها حتى يصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه
عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يانس بها وصارت الدنيا سجنا
المؤمن وجنة الكافر كل من اعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحياة الدنيا ورضي بها واطمان اليها والمؤمن كل من انقطع بقلبه
عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك
الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذن في البلاء نعم من هذه الجهة فيجب الفرح به واما التالم فهو ضروري
وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء نافعا بشيعا مجانا فانك تتالم
وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في
المال بل من دخل دار ملك للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء عليه
لانه يورثه الانس بمنزل لا يمكن المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى

نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه وآكدين منزل وقد دخلها الكافر من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب الحمد كل
ما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان الشكر على البلاء
ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لم يوقن بان ثواب المصيبة
اكبر من المصيبة لا يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس على ابيه فقال اصبر نكن بك من الصابرين فانما صبر
الرعية بعد صبر الراس خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس فقال ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاخبار
الواردة في الصبر على المصائب كثيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له
ميزانا او انشر له ديوانا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من سلبت كريمتيه فجزاؤه
الخلود في داري والنظر الى وجهي وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في
عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليكون
له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وقال خباب بن الارت اتينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو متوسد برداء في ظل الكعبة وشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله تعالى وتستنصر لنا فجلس محمارا لونه
ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له حفيرة في الارض ويجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن
دينه وقال علي كرم الله وجهه ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال رضي الله عنه
من اجلال الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء تولدون للموت وتعمرون للخراب
وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلث الفقر والمرض والموت وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فان دعاه قالت الملائكة صوت معروف
فان دعاه ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئا الا اعطيتك او دفعت عنك ما هو خير
وادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيمة جيء باهل الاعمال فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلاة والصيام والصدقة
والحج ثم يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب عليهم الاجر صبا كما صب عليهم البلاء صبا فيود اهل
العافية في الدنيا انهم لو كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال ابن عباس شكى نبي من الانبياء الى ربه فقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك
تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا
فاوحى الله عز وجل اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض
له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وازوي عنه البلاء
فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به فقال الصديق رضي الله عنه
كيف الفرح بعد هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك الاذى الست تحزن قال
ما يجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة ذنوبك وقال عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رايتم الرجل

بعطيه

يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب
كل شيء يعني لما تركوا ما امروا به فتحنا عليهم ابواب الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير اخذناهم بغتة وعن الحسن
ان رجلا من الصحابة راى امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حائط
فاثر في وجهه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه
في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله عز وجل قالوا بلى فقرا عليهم وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير فالمصائب في الدنيا تكون بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم ان يعذبه
ثانيا وان عفى عنه في الدنيا فالله اكرم ان يعذبه يوم القيمة روي انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تجرع عبد
جرعتين احب الى الله تعالى من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرة قطرت احب الى الله من قطرة
دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد لا يراه الا الله تعالى وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى
من خطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم وعن ابي الدرداء انه قال توفي ابن لسليمن بن داود عليهما السلم فوجد
عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين يديه بزي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر
هذا فافسده فقال للاخر ما تقول فقال اخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه
فقال سليمن عليه السلم ولم بذرت على الطريق اما علمت ان لا بد للناس من الطريق قال فلم تحزن على ولدك اما علمت
ان الموت سبيل الاخرة فتاب سليمن الى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه على ابن له
مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال يا ابت لان تكون ما تحب احب الي من ان
اكون ما احب وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نعي اليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله
واجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا كما امرنا الله تعالى حيث قال واستعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع
الصابرين وعن ابن المبارك انه مات له ابن فعزاه مجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة
ايام فقال ابن المبارك اكتبوها عنه وقال بعض الحكماء ان الله تعالى ليبتلي العبد المؤمن بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على
الارض وما له ذنب وقيل ان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم الاصم ان الله تعالى
يحتج على الخلق يوم القيمة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمن بن داود عليهما السلم وعلى الفقراء بعيسى عليه السلم
وعلى العبيد بيوسف عليه السلم وعلى المرضى بايوب عليه السلم وروي ان زكريا عليه السلم لما هرب من الكفار من بني اسرائيل
واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار راس زكريا عليه السلم فان انة فاوحى الله تعالى
اليه يا زكريا لئن صعدت منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلم على الصبر حتى قطع بشطرين
وقال ابو مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه وقال لقمن لابنه
يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط
فله السخط وقال الاحنف بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلثا
فقال لقد اكثرت من الم ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلثين سنة وما علم بها احد واوحى الله تعالى
الى عزير اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي اذا صعدت مساويك وفضائحك بيان

فضيلة النعمة على البلاء لعلك تقول هذه الاخبار تدل على ان التأخير في الدنيا من النعيم فهل لنا ان نسأل
الله تعالى البلاء فأقول لا وجه لذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء
الآخرة وكان يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من
شماتة الاعداء وغيره وقال علي كرم الله وجهه اللهم اني اسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء
فاسأله العافية وروى الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما اعطي احد
افضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب افضل من عافية
البدن وقال الحسن الخير كله الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبد الله
لأن أعافى فأشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه وعافيتك احب الي وهذا
اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكثر منه
اما في الدنيا واما في الدين والآخر بالاضافة الى ما يرجى من الثواب فينبغي ان يسأل الله تعالى تمام النعمة في الدنيا
ودفع ما فوقه من البلاء ويسأله الثواب والاجر على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطي على
الصبر **فان قلت** فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار وقال
سمنون المحب رحمه الله تعالى وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني وهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم
انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بالحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم
الكذاب واما محبة ان يكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب
بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة
لها فما سمعته من هذا الفن هو كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي
ان فاختة كانت يراودها زوجها فيمنعه فقال لها ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان عليه السلام ظهرا لبطن
لفعلته لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال وقيل
اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وهذا ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد من ترك الوصال
واريد ما اراد من الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتأويلين احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال
حتى يكتسب رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال
للمحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو يحب الدرهمين بترك
الدرهم في الحال الثاني ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضا فقط ويكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه
يزيد بذلك لذة على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور ان يريد ما فيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين
الى ان صارت لذتهم في استشعارهم رضا الله تعالى عنهم اكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا فهؤلاء اذا قدروا رضاه
في البلاء صار البلاء احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبة الحب ولكنها لا تثبت فان ثبتت مثلا
فهل هي حالة صحيحة ام هي حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق
بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة **بيان الافضل**

من الصبر والشكر اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر
افضل وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب
بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بذكره بل المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول في بيان ذلك مقامان المقام الاول
البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش حقيقته وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام
الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي ان يعتمده الوعاظ اذ مقصود
كلامهم في مخاطبة العوام اصلاحهم والطير المشفقة لا ينبغي ان تطعم الصبي بالطيور السمان وضروب الحلاوات بل باللبن
اللطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته ويفارقه الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول
هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل
الصبر فان الشكر وان وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضائل الصبر اكثر بل فيه
الفاظ صريحة في التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم من افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يؤتى باشكر اهل
الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم
يا رب فيقول الله تعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين
وقد قال الله عز وجل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر
فهو دليل على الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته
ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج
المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل وكقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد وثن وابدا المشبه به ينبغي ان يكون
اعلى رتبة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله صلى الله عليه وسلم
الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل
فالعمل نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال آخر الانبياء دخولا
الجنة سليمان عليه السلام لمكان ملكه وآخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي لفظ آخر يدخل سليمان عليه السلام
بعد الانبياء باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول من يدخله اهل
البلاء وامامهم ايوب عليه السلام وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال الفقير والشكر
حال الغني فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه من صلاح دينهم المقام الثاني
هو البيان الذي يقصد به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول في كل امرين
مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم ينكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على اقسام لا يمكن
الموازنة بين الجملة بل يجب ان يفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة
فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلاثة امور علوم واحوال
واعمال والصبر والشكر وسائر المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة اذا وزنت بعضها بالبعض لاح للناظرين الى
الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان ... مراد لغيره

للاعمال فالاعمال افضل واما ارباب البصائر فالامر عندهم
بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم صح

لا محالة افضل منه واما احاد هذه الثلثة فالاعمال قد يتساوى وقد يتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا
احاد الاحوال اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا احاد المعارف وافضل المعارف علوم المكاشفة وهي ارفع من علوم المعاملة
بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة ففائدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد
اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى علم خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر فنقول
فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله
فارفع علوم المكاشفة معرفة الله عز وجل وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة ينال بها بل هي عين السعادة ولكن قد
لا يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الاخرة فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا يتقيد بغيرها وكل
ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مراده لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها
في الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة او بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين
معرفة الله تعالى اقل فهي افضل واما الاحوال فنعني بها احوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى
اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذن فضائل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان يحصل له
علوم المكاشفة فكما ان تصقيل المرآة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمرآة بعضها اقرب الى الصقالة من بعض
فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفاء القلب افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود وهكذا
ترتيب الاعمال فان تاثيرها من تاكيد صفات القلوب وجذبها الى الاحوال وكل عمل اما ان يجذب اليها حالة مانعة من المكاشفة
موجبة ظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجذب اليها حالة مهيئة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا
عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير
القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق ربما نقول
الصلاة النافلة افضل من كل عبادة نافلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان
الغني الذي معه مال وقد غلب عليه البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من صيام ايام وقيام ليال لان
الصيام يليق بمن غلبه شهوة البطن فاراد كسرها او منعها الشبع من صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب
بالجوع فاما هذا المدبر اذا لم يكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم
خروج منه عن حاله الى غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان ينظر
في المهلك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام الف ليلة ذرة منه بل لا
يزيله الا اخراج المال فعليه التصدق بما معه وتفصيل هذا ما ذكرناه في ربع المهلكات فاذا باعتبار هذه الاحوال تختلف
وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق به خطاء اذ لو قال لنا قائل الخبز افضل من الماء لم يكن فيه جواب حق الا ان نقول
الخبز للجائع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا فلينظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء افضل وان تساويا فهما
متساويان ولذا اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب النيلوفر لم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل اما السكنجبين افضل
او عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجبين يراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذن في بذل المال
عمل وهو الانفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب في تهيئة القلب بسبب خروج حب الدنيا

من القلب لمعرفة الله تعالى وحبه فالافضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال
وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال تعالى ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون
الفعل والانفاق هو الافضل فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء يراد لعينه او على انه افضل من الصحة والشفاء
الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه فانه لا يشعر
به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص
حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك
العلاج وزعم ان وجهي لا عيب فيه ولنضرب مثلا اقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم واراد ان يثبت ذلك في حفظه
بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة بي الى التكرار والدراسة
لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل ليتوفر دواعيه
على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم العبيد القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيستثقل مؤنته
فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبد لقدر عليه
دون تكليفي واعلم انه لا نقصان لابي في فقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين
فيترك تعليمهم اعتمادا على استغناء ابيه او على كرمه بالعفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري
وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا
فاي معنى لقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله لاطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف
اموالنا اليهم كما اخبر الله تعالى عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم
من لو يشاء الله اطعمه الاية وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وقد هلكوا
بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا
انهم يستخدمون لاجل المساكين والفقراء ولاجل الله ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله تعالى فينا ولا في اموالنا
سواء انفقنا او امسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود
ثبات صفة العلم في نفسه وتاكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا والاخرة وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به في
استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل في هذا الطريق فاذن المسكين لا يحمل المال يستوفي
بواسطة المال خبث البخل وخبث الدنيا من باطنك فانه مهلك لك كالحجام يستخرج الدم منك فيخرج بخروج الدم العلة
المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض في ان
يصبغ ثيابا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذها
ونهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال
مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب تاثيرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي
والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الان الى خصوص مقصودنا
من الشكر والصبر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز ان يقابل المعرفة في احدهما بالحال والعمل في الاخر

بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التناسب فبعد التناسب يظهر الفضل ومثالهما قولك معرفة الشاكر بمعرفة
الصابر ربما رجعتا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر ان يرى
العمى من الله تعالى وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان هذا اذا اعتبر في المصائب والبلاء فقد بينا ان الصبر قد يكون
على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الشكر والصبر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف
نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر
فيهما اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى
ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه
الى المقصود بالحكمة فهما عبارتان عن معبر واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذن مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية
والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية اما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ان تكون ضرورية كالعينين
مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال اما العين فصبر الاعمى عنها بان لا يظهر الشكوى
ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليها من حيث العمل بامرين احدهما
ان لا يستعين بها على معصية والاخر ان يستعملها في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر
عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر عنه كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة
العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذا ان استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها
بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله تعالى فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكان رتبة شعيب مثلا
وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر ولكان الكمال في
ان يسلب الاطراف كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين تفوت
بفواتها ذلك الركن من الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يقع في محل
الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة
وهو جهاد الفقراء ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان يصرف الى الخيرات او ان لا يستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى
الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل لانه يتضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه احتمال الم في صرفه
الى الفقراء وترك صرفه الى التنعيم والمباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من
البعض وهذا فيه خلل اذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين بعضها واما ان كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه
الى التنعم بالمباح فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الممسك ماله الصارف له الى المباحات
لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة
تستدعي لا محالة قوة والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح وفي المباح مندوحة عن الحرام ولكن لا
بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي تصدر منها صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي عنها تصدر الاقتصار
في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي تدل الاعمال عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة
للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد في تفضيل اجر الصبر

على اجر الشكر في الاخبار والايات انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال
والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة
فاذن الصبر افضل من الشكر اي الصبر الذي يفهمه العامة افضل من الشكر الذي يفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص
اشار الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما
المدح في الاثنين قيامهما بشروط عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه
فيما عليه اشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي الم صفته
وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قال وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي
ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر
فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف امواله وزوال عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة
الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من
القولين وجها في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني
الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد
انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرفه اليها ثم اذا صرفه لم يصرفه لطلب جاه او صيت ولا
تقليد منة بل اداء الحق لله تعالى في تفقد عباده فهذا افضل من الصابر فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل
عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر الم الصبر فانه ان كان يتألم ايضا بفراق المال فيجبر ذلك بلذة في
القدرة على الانفاق فاعلم ان الذي يراه ان الذي ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس اكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل
وانما يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتاديبها
وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب افضل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب وكذلك
يحتاج الى الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليها في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا عنده كما يصير
التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلون في البداية بل قبل البداية كان
الصبيان اطلق الجنيد القول بان الذي تؤلم صفته افضل وهو كما قال صحيح فيما اراد من عموم الخلق فاذن انما كتب لا يفصل
الجواب ويطلقه لارادة الاكثر فاطلاق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما ان اريد
التحقيق فتفصيل لان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا وهذا مقام وراء الصبر ووراءه الشكر
على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح
به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل في جملتها امور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر
ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف
بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من الله تعالى وموهبة منه شكر وحسن التواضع
بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد
ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكوة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول

واستعظام صغيرها شكر فما يندرج من الاعمال والاحوال تحت احوال الشكر والصبر لا ينحصر احادها وهي درجات مختلفة
فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار
وقد روي عن بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري
اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلت تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله
على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل
فمنذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما
لو صبرا على بلاء الفرقة ان لو يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا الشكر
افضل فاذن لا وقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم آخر كتاب الصبر والشكر

والله الحمد والمنة والصلاة على خير البرية محمد النبي وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا كثيرا الى يوم الدين
وحسبنا الله ونعم
الوكيل

كتاب الخوف والرجاء وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف
آلائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه وصرف بسياط التخويف وزجره العنيف
وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض لنقمته والتهدف لسخطه ونقمته قودا لاصناف
الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلوة على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى اله
واصحابه وعترته اما بعد فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع طريق
الآخرة كل عقبة كؤود فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب
ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات
الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما
وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف اما الشطر الاول
فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي به يجتلب الرجاء **بيان حقيقة
الرجاء** اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى
حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما هو
بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم الى هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل
وصف من اوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل
وكان الرجاء اسم للحال من جملة الثلثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى

والى المنتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا
وادراكا وانما يسمى وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي
انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به
واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن
ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا
مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم
التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال
ارجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد
علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى
حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمي فيها البذر ويوم القيمة يوم
الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمي زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمي بذر في ارض
سبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس
ثم امده بما يحتاج وهو سوق الماء اليه في اوقاته ثم نقى الارض عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا
من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة
سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث
البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن
اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره
وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية
وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له
على المواظبة والقيام بمقتضى اسباب الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا
برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور وقال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وهو ظالم لنفسه وقال
ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذن العبد المجتهد في الطاعات
المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط
منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه
ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى
السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تاكد الاسباب ولذلك قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه اولئك يستحقون ان يرجوا وما اراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجوا

ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة
حمق كرجاء من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهده بسقي ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب
على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار
الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الافراط فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب
وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطاب ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال
يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء
يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الارض والتعب
في تعهدها والرجاء محمود لانه باعث واليأس مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي
بيانه بل هو باعث اخر بطريق الرهبة كما ان الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة
على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال ومن اثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال
لا بد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان لا يظهر فليستدل
على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما اثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل
ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسالك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته
فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شيء سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء منه حزنت
عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك بالاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر عليه السلام
علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله تعالى احبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما
خوفا من عقابه والاخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما في وقت الموت قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله
فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب ان الله تعالى اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف عليه السلام لقولك اخاف ان ياكله الذئب
وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن
بالله وقال عليه السلام يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني
اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال عليه السلام ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجاه وامنه مما يخاف وقال علي كرم
الله وجهه لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال سفيان من اذنب ذنبا
فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال لان الله تعالى عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم
وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال عليه السلام ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره فان
لقنه الله حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى فقد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز
عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله تعالى من احق بذلك منا فعفا عنه بحسن ظنه ورجائه انه يعفو عنه مع افلاسه عن
الطاعات وقال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور
ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون الى ربكم

فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود
عليه السلام احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الائي واحساني
وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ورؤي ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجاء فقال اوقفني الله بين
يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ورؤي يحيى بن اكثم في النوم بعد موته
فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا
حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عنك
انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبيي وصدق
انس وصدق زهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها
من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقول الله تعالى يوم القيمة اليوم اويسك
من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان
فيقول الله لجبريل اذهب فائتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول
ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله تعالى الى اي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني
منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب

اعلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل
غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفي
الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصي المغرور المتمني على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام
المعاصي فادوية الرجاء تنقلب سموما في حقه مهلكة وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب
عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل في حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى
مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والاخلاق كلها وخير الامور
اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي ان
يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغة في التخويف ايضا يكاد ان لا يردهم الى جادة الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء
فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق
الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا قال علي كرم الله
وجهه انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر اسباب الرجاء ليستعمل في حق الآيس او فيمن غلب
عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جامعان
لاسباب الشفاء في حق اصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال المتطبب الاخرق
الذي يظن ان كل شيء من الادوية صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجاء يغلب بشيئين احدهما الاعتبار والاخر استقراء الايات
والاخبار والاثار اما الاعتبار فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه في اصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في
الدنيا وعجائب حكمته التي راعاها في فطرة الانسان حتى اعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج

اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك
مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزيد جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقايق حتى
لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا
علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة في الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت
مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم للعدم الا لان اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذي يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا في حالة
نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان حال اكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله تعالى لا تجد لها تبديلا
فالغالب ان امر الاخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والاخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تامل
حق التامل قوي به اسباب الرجاء ومن الاعتبار ايضا النظر في حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها
حتى كان بعض العارفين يرى اية المداينة في البقرة من اقوى اسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق
الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله تعالى فيه اطول اية ليهدي عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه
فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه الفن الثاني استقراء الايات والاخبار فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر اما الايات
فقد قال الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
لمن في الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدائه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي
كذب وتولى وقال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسال في امته حتى قيل له اما ترضى
وقد انزلت عليك هذه الاية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى
محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى اية في كتاب الله تعالى قوله
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى واما الاخبار فقد روى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الاخرة عجل عقابها
في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفي لفظ
اخر ياتي كل رجل من هذه الامة بيهودي او نصراني الى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح
جهنم وهي حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه عليه السلام
اني اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال تعالى اذن لا اخزيك فيهم وروي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سال ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه هم امتك وهم عبادي
وانا ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا ينظر في مساويهم انت ولا غيرك وقال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي
خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رايت
منها سيئا استغفرت الله لكم وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل اتدري ما تفسير يا كريم العفو ان عفا عن السيئات
برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال هل تدري ما تمام النعمة قال

قال دخول الجنة فقال العلماء قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال تعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر الله تعالى يقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب
وياخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد حتى يبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي
الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات
فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ اخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير
عليه الق هذه السيئة حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة وروى انس
حديثا انه عليه السلام قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال اعرابي وان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد قال يكتب عليه فقال
الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله تعالى ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار
فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتب عشر حسنات ثم يضاعفها الله تعالى الى سبعمائة
ضعف واذا هم بخطيئة لم يكتب عليه فان عملها كتب خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله تعالى وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر لا ازيد ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا
اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب
وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي الحديث الطويل لانس ان
الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي عليه السلام صدق الاعرابي الا لا كريم اكرم من الله تعالى هو اكرم
الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم احرقها ما بلغ من استخف
بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اولياء الله اما سمعت قول الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من
الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المؤمن افضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن اكرم على الله من الملائكة وفي الخبر خلق
الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر اخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا
علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيئا الا
جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ
بن جبل وانس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان اخر كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار
ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من ايمان وفي خبر اخر لو علم الكافر سعة رحمة الله
ما ايس من جنته احد ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال تدرون اي يوم هذا يوم
يقال لادم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة
قال فابلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما لكم لا تعملون
فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك وياجوج وماجوج امم لا يحصيها
الا الله تعالى انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق
بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجاء الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف اولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط اليأس

داوم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للاول ولكن ذكر في الاول ما راه سببا للشفاء
واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال اخبار الخوف
والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا
يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم
ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة
بولدها وفي الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وفي الخبر
ان لله تعالى مائة رحمة ادخر عنده منها تسعا وتسعين رحمة واظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فتحن الوالدة على ولدها
وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيمة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات
والارضين فلا يهلك على الله تعالى يومئذ الا هالك وفي الخبر ما منكم من احد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا انت
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة وقال عليه السلام اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال صلى الله عليه وسلم اني اختبأت
شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة
وقال عليه السلام احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم ولا تحمل علينا اصرا
وقال ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي كرم الله وجهه انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح
الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال يا جبريل فالله اكرم من ان يعاتب من عفا
عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت
عنه هذا ما لا يشبه كرمي والاخبار الواردة في اسباب الرجاء اكثر من ان تحصى واما الآثار فقد قال علي كرم الله وجهه من اذنب
ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فالله اكرم ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله اعدل من ان
يثني عقوبته على عبده في الآخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما وقال بعض السلف
المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره الله عن ابصار الملائكة كي لا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى اسود بن سالم بخطه ان العبد
اذا كان مسرفا بنفسه فرفع يديه يدعو يقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب
قال الله تعالى حتى متى تحجبون عني صوت عبدي وقد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال
ابرهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك
ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابرهيم انت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر
وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت
المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار ابانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو
الله يوم القيمة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفي حديث ربعي بن حراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت
قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح
وريحان ورب غير غضبان واني رأيت الامر ايسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني واصحابه حتى ادفع اليهم
قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله فكان احدهما

بسوء ظنه

بسوء ظنه بنفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب
فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيمة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد
وانت فقد اوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه وآخرته وروي ان لصا كان يقطع الطريق
في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى
جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا
يمشي الى جنب هذا العابد قال واحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم نفسه وتقدم الى عيسى فمشى الى جانبه
فبقي اللص خلفه قال فاوحى الله تعالى الى عيسى قل لهما يستأنفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت حسناته
لعجبه بنفسه واما الآخر فقد احبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حوارييه وروي عن
مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض البغاة عنقه حتى الزق الحصا بجبهته قال فرفع النبي عليه السلام راسه مغضبا فقال
اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له ويقرب من هذا ما روي عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى
عامتهم اولئك الى الاسلام وفي الاثر ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فاذا ادخلا الى الجنة رفع احدهما
في الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته علي في عليين فيقول الله تعالى انه كان يسألني
في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسألني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة
اغلب على الراجي منها على الخائف فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك
امر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسألون كريما وقال اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة
وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها
فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى اغمضناه
وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها
وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف
ابرهيم الخليل عليه السلام فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله تعالى الى ابرهيم يا ابرهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين
سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ماذا كان عليك فمر ابرهيم يسعى خلف المجوسي فرده واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك
فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم ورأى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي
في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر اسهل مما توهمنا ورأى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام
على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان ابا العباس بن سريج رحمه الله
رأى في مرض موته في منامه كأن القيمة قد قامت واذا الجبار سبحانه يقول اين العلماء قال فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال
فقلنا يا رب قصرنا واسأنا قال فاعاد السؤال كانه لم يرض بالجواب واراد جوابا غيره فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت
ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلث ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له
اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل الفقير شيئا ويقول

من رفع اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك
فقال لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخر فقال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا ثم قال الاخر فقال ان يتوب الله على سيدي
فدعا ثم قال الاخر فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال
وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر واي شئ الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم
واي شئ الثالث قال ان يتوب الله عليك فقال تبت الى الله تعالى واي شئ الرابع فقال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر فقال هذا الواحد
ليس لي فلما بات تلك الليلة راى في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك افترى انى لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام وللمنصور
بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رايت جنازة تحملها ثلاثة من الرجال وامراة قال
فاخذت مكان المراة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفناه فقلت للمراة من هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران
قالت بلى ولكن صغروا امره فقلت واي شئ كان هذا فقالت مخنث قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة وثيابا
فرايت تلك الليلة كانه اتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموني
اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال ابراهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة اذ مر قوم احداث في زورق
يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا
ففرحهم في الاخرة فقال القوم انما سالناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول في دعائه يارب
واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دار سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة
وتدر الرزق حتى كانك يا ربنا انما تطاع سبحانك ما احلمك نعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كانك يا ربنا لا تغضب فهذه هي
الاسباب التي تجلب بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين والايسين فاما الحمقى المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون
ما سنورده في اسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم الذي لا يستقيم الا بالسوط والعصا واظهار
الخشونة في الكلام واما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان
دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبياء والصالحين

بيان حقيقة الخوف

اعلم ان الخوف
عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن انس بالله وملك الحق قلبه
وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء
فانهما زماما يمنعان النفس من الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا
اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا
في الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الان نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل
اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون
تالم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا
بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم
بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تالم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها

الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس
غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل وجوار حريق فان الماء يخاف لانه
بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتالمه وذلك
الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع
وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى
وتعاليه واستغنائه وانه لا يسال عما يفعل يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض
اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد
تنشق به المرارة فيفضي الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل ويقوى فيورث القنوط والياس واما في الجوارح فبكفها
عن المعاصي وتقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف
ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا
قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام واما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة
عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتادب الجوارح ويحصل
في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته
فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات
والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت او يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه
مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين
وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تالم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله
وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى الكف
الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف ايضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ
التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه
التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا
من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة
فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف من المحذور
والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل
كما انك تقول الانسان اما عربي او عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما
حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما فوقه مما هو اعم منه فكذلك
اذا قلت صديق فقد قلت انه تقي وورع وعفيف فلا ينبغي ان يظن ان كثرة هذه الاسامي تدل على معان كثيرة متباينة فيختلط عليك
كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو

كالمعرفة الموجبة له او من جانب السلف كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما **بيان درجات الخوف**
واختلافه في القوة والضعف اعلم ان الخوف ممدوح ومحمود وربما يظن ان كل ما هو محمود فكل ما كان
اقوى واكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة
القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمود
فكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط واما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة
النسا يخطر بالبال عند سماع اية من القران فيورث البكا ويفيض الدمع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك
السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي يضرب به
دابة قوية لا يولمها ايلاما مبرحا ولا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفون والعلماء
ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني به العلماء بالله وبايامه
وباياته وافعاله وذلك مما عز وجوده الان ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك تخاف الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت
وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يوثر في الجوارح
فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى
الياس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يخرج من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه
لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فهو انه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن
خائفا لان المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالاضافة
الى نقص الادمي وانما المحمود في ذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تعالى به فليس بكمال في ذاته وانما يصير محمودا
بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدواء محمودا لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم
وقد يخرج الخوف ايضا الى المرض والضعف والوله والدهش وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم
وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسباب الرجاء واكثر منه ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط واحد هذه الامور فكل ما يراد لامر
فالمحمود منه ما يفضي الى المراد المقصود منه فما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة
والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل
فكل ما يقدح في هذه الاسباب فهو مذموم **فان قلت** من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم
ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة
فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك سبيل الله تعالى
بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل
او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي وولي يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان يظن هذا بل افضل السعادات
طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما ابطل العمر او العقل او الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالاضافة
الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة

الى درجة المتقين والصديقين فاذن الخوف ان لم يوثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة
وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة واذا اثمر الورع فهو اعلى
واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا
اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه
ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة
احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل **بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه** اعلم ان الخوف
المتحقق لا يكون الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها في ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضي
الى المكروه كما يكره المعاصي لادائها الى المكروه في الاخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت فلا بد لكل خائف
من ان يتمثل في نفسه مكروها من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام
الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذي يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره
كالذي يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام
حقوق الله تعالى او خوف زوال رقة القلب وتبديلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف استيلاء العادة
في اتباع الشهوات المالوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله او خوف البطر
بكثرة نعمة الله عليه او خوف الاشتغال عن الله بغير الله عز وجل او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف
غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش واضمار السوء
او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا او افتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف
الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته في حالة غفلته او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت
له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف
فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل
بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطور
واعلى الاقسام واجلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة يتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب
كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين
وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع
اليهما بعد فيرتبط احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه ماذا يظهر ويرتبط قلب الاخر بحالة توقيع الملك وكيفية
وانه ما الذي خطر له وقت حال التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع وكذلك
الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر في الابد واليه اشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله تعالى كتب فيه اهل الجنة باسمائهم وانسابهم
لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيهم
ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت

ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله تعالى
قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد بقضاء الله تعالى والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم وهذا كانقسام
الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه بصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة
فهذا اعلا رتبة وكذلك يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما الاخر فهو في عرضة الغرور والامن ان واظب
على الطاعات والخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة
بالله تعالى ومن عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل لو عرف حق المعرفة لخاف
الله تعالى ولم يخف معصيته ولولا انه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له اسبابها فان تيسير اسباب
المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية يستحق بها ان يسخر للمعصية ويجري عليه اسبابه ولا سبق قبل الطاعة له
وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات بالعطا فقد قضى عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذا المطيع فكذلك
رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلا عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل السافلين
من غير جناية منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فان من اطاع اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة واتاه
القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا وكذى عصى عصى لانه سلط ارادة قوية
جازمة واتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه
بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذي اوجب اهانة الاخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على
العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد حزم
عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهيم الخوف منه في صفات الامثال لولا اذن
الشرع لم يستجر على ذكره دون بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع
فهذا المثال تفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقف بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك
الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل
ولا يبالي فانه قتلك لم يرق قلبه ولم يتالم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل انت عنده
اخس من ان يلتفت اليه حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده سواء اذ لا يقدح ذلك في عالم
ملكه وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى
واوثق واجل من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك
من موجبات الهيبة والخوف والمعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة الطبقة الثانية من الخائفين ان يتمثل في انفسهم ما هو
المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدته وسؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله
عز وجل والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير والخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او
الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة من دار النعيم والملك المقيم عن نقصان الدرجات او الخوف
من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة مخوفة ويختلف احوال الخائفين فيها واعلاها
رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين

وكافة العالمين ومن لم يكمل معرفته ولم ينفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر لذة
العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله
تعالى ولا منع النظر اياه من انكاره فيكون اعترافه باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا
لذة الفرج والبطن والنظر والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة يشاركه البهائم فيها فاما
لذة العارفين فلا يذكرها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس له اهلا ومن كان اهلا له يستبصر بنفسه ويستغني
عن ان يشرحه غيره له فالى هذه الاقسام رجع خوف الخائفين **بيان خوف الخائفين والترغيب فيه** اعلم
ان فضيلة الخوف تارة تعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالايات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر غنائه
في الافضاء الى سعادة لقاء الله تعالى اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء الله تعالى مولاه والقرب منه
فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الاخرة الا بتحصيل محبته
والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام
الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا
وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار
المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك
باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي
الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب الى الله زلفى واما بطريق الاقتباس من الايات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف
خارج عن الحصر وناهيك به دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع
مقامات اهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ووصفهم
بالعلم لخشيتهم وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف
لان الخوف ثمرة العلم وكذلك جاء في الخبر عن موسى عليه السلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه
فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء
ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في
الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول صلى الله عليه وسلم اسالك الرفيق الاعلى فاذن ان نظر الى مثمره فهو العلم وان
نظر الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما
صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين
والصلوة على محمد وآله اجمعين وقد خص الله التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم واما التقوى عبارة عن كف النفس بمقتضى الخوف كما سبق وكذلك قال الله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقيكم ولذلك وصى الله تعالى الاولين والاخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
واياكم ان اتقوا الله وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك
مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة

التقوى اذا جمع الله الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها
الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت نسبا
وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم الا فلان بن فلان فاليوم اضع نسبكم
وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى الجنة الى منازلهم فيدخلوا الجنة بغير حساب وقال صلى الله
عليه وسلم راس الحكمة مخافة الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي
وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما
رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سوء الا ويلحقه حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين
وفي خبر موسى عليه السلام انه تعالى يقول اما المتقون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه الا الورعون فاني
استحييهم واجلهم ان اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامي اشتقت من معان شرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم يسم بتلك
الاسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد جعله الله مخصوصا بالخائفين فقال تعالى سيذكر من يخشى وقال تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني
في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال صلى الله عليه من خاف الله تعالى خافه كل شيء
ومن خاف غير الله خاف من كل شيء وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله تعالى به
ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن ادم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذو النون من خاف الله تعالى
ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وقال ايضا ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان
ابو الحسين البصري يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه
هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من امن الخلق غدا قال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال
وقيل للحسن يا ابا سعيد كيف نصنع بمجالس اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله لان تخالط قوما يخوفونك
حتى يدركك امن خير من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب
وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني فقال
صلى الله عليه وسلم لا بل الرجل الذي يصوم ويتصدق ويصلي ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن
من مكر الله تعالى وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء لضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما
ان ضد الرجاء الياس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك يدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول
كل ما ورد في فضل الرجاء فهو يدل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته فان كان
لا يخاف فوته فهو اذن لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا والخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الاخر نعم يجوز ان يغلب احدهما
مجتمعا ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما
بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذن المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح
القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه
نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا غلب على الظن

وجود

وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال الله تعالى
يدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء وقال تعالى ما لكم لا ترجون لله
وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القران الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير بالشيء عما يلازمه بل اقول
كل ما ورد في القران في فضل البكاء من خشية الله فمظهر لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية قال الله تعالى فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا وقال الله تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه
الا حرمه الله على النار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات
من الشجرة ورقها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة بن عامر
ما النجاة يا رسول الله قال النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة
رضي الله عنها يا رسول الله يدخل الجنة احد من امتك بغير حساب قال عليه السلام نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
ارزقني عينين هطالتين تسقيان القلب بذروف الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم سبعة
يظلهم الله تعالى يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله تعالى في خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر رضي الله عنه من استطاع
ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه وقال بلغني ان النار
لا تاكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم احدكم
لصرخ حتى ينقطع صوته او قال حتى ينكسر صلبه وقال الداراني ما اغرورقت عين بدمعها من خشية الله وانهارت الا لم
يرهق وجهه قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت دموعه اطفأ كل قطرة منها بحارا من النار ولو ان رجلا بكى في امة ما عذبت تلك
الامة وقال ابو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والكرب والشوق وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله
حتى تسيل دموعي على وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل ذهب وقال ابن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي من ان
اتصدق بالف دينار وقال حنظلة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت
بها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى شيء من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت في نفسي قد نافقت حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف
والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر رضي الله عنه وقال كلا لم ينافق يا حنظلة فدخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق يا حنظلة فقلت يا رسول الله كنا
عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت بها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا
ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى
فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة فاذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم وذم الامن
فهو دال على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق المسبب **بيان ان الافضل هو غلبة الخوف
او غلبة الرجاء او اعتدالهما** اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما فيعتريه شك

في انه لا فضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه
ان الخبز افضل للجائع والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل وان استويا فهما
متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواآن يداوى بهما
القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب
هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا
الخوف افضل على التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء
ومرض الجوع اكثر واغلب فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب
وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله
تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي
تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء وهو بالجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل
فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه
فالاصلح ان يعتدل رجاؤه وخوفه ولذلك قيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وروي ان عليا كرم الله وجهه قال
لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو اتيته بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله تعالى رجاء ترى انك
لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت
ان اكون انا ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء
واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التساوي والتقاوم فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي ان يساوي خوفه رجاؤه
فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين امروا بدخول النار كان ذلك دليلا على الاغترار فان قلت مثل عمر رضي الله عنه
لم ينبغي ان يساوي خوفه رجاؤه بل ينبغي ان يغلب رجاؤه كما سبق في اول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي ان يكون بحسب قوة اسبابه
كالمثال بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهدها راجيا لجميع شروطها فيغلب على قلبه
رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان يكون حال المتقي فاعلم ان من ياخذ المعارف من الالفاظ
والامثلة يكثر زلله وذلك وان اوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة
اذ علم بالتجربة صحة الارض وطهارتها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع واما مثال مسئلتنا بذر
لم يجرب جنسه وقد بث في ارض غريبة لم يمتحنها الزارع ولم يخبرها وفي بلاد ليس يدري اتكثر الصواعق بها ام لا فمثل هذا الزارع
وان ادى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسئلتنا الايمان وشروط صحته دقيقة والارض
القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخبايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا
والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق
مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد والادراك
عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه رجاءه
لا محالة كما سنحكي في احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه

فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفة انه هل يعرف به من
آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق
والشرك الخفي وان اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن اين يامن مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفاء عيبه منه وان وثق به فمن اين يثق
ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه
وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وفواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح
انما هو خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذن اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه
واما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال
يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى يدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف
بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل والانهماك في المعاصي
فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه
الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث دون الياس الموجب للقنوط وقال
يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف
والرجاء استقام في محجة الاستبصار وقال مكحول من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده
بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فاذن لا بد من الجمع بين هذين الامرين وغلبة الخوف
قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد
انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل
موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا للقاء الله
فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجاء يقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال
كلها معرفة الله تعالى حتى يثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته
ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان القلب عند الموت غالبا عليه حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار
والرفقاء والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته والجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة
وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاما اذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره
ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس
عن الانشراح الى محابه فموته قدوم به على مولاه ومحبوبه وخلاصه من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه
بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا عما اعد لعباد الله الصالحين مما لا
عين ولا خطر على قلب بشر فضلا عما اعد للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمانوا اليها من الانكال والاغلال
وضروب من الخزي والنكال فنسال الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة الدعاء الا باكتساب
حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالاولى ان يدعو
بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب من يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء

البادر والغرض ان غلبة الرجاء عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات
واقمع لمحبة الدنيا من القلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بربه وقال الله تعالى
انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضر سليمن التيمي الوفاة قال لابنه حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى القى الله على
حسن الظن به ولذلك لما حضر الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال احمد لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار
التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله تعالى الى نفسه ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان حببني
الى عبادي فقال بماذا فقال بان تذكرهم آلائي ونعمائي فاذن غاية السعادة ان يموت العبد محبا لله تعالى وانما يحصل الحب بالمعرفة
وباخراج حب الدنيا من القلب حتى يصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب ولذلك راى بعضهم ابا سليمن الداراني في المنام
وهو يطير فساله فقال الان افلت فلما اصبح سال عن حاله فقالوا انه مات البارحة

بيان الدواء الذي يستجلب به حال الخوف

اعلم ان ما ذكرناه في دواء الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان اول
مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف
من النار والرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا صبر على تحملها الا بقوة الرجاء
والنار قد حفت بالشهوات فلا صبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة اشفق من النار
ورجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام
ويؤدي دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل
وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام
سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية الا المعرفة ولا مقام بعد
المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذن فيما ذكرناه في علاج الصبر
كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول يحصل الخوف بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الآخر ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت ودخل
عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد الى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية
وهرب فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد فرائصه ويحتال في الهرب قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الاب
عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما خوف الابن فانما يحصل بمجرد التقليد
لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يدري وجهه فاذا عرفت هذا المثال
فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وارباب
القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى واتقوا الله
حق تقاته فاما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان وانما يزول بزوال الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في اهوال
القيمة واصناف العذاب في الآخرة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين في مجالستهم ومشاهدة احوالهم فان قلت لا اشاهد
السماع فلا يخلو عن تاثير قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي واما الثاني وهو الاعلى ان يكون
الله هو المخوف فاخشى ان يخاف البعد والحجاب منه ويرجو القرب منه وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك

لا يستند الى بصيرة لا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم على اخذ الحية وينظر اليه ويغتر
به فيجترئ على اخذها تقليدا له كما احترز تقليدا لابيه في اخذها والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت
بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على
الاستمرار فاما من ترقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج يجلب الخوف كما ان من عرف
السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج يجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة شاء ام ابى ولذلك اوحى
الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا بمعرفة السبع ومعرفة الوقوع
في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف من الملائكة من غير
وسيلة سابقة وابعد ابليس من غير خطيئة سابقة بل صفته ما ترجيه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي
وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتامل انه لم يعط المطيع بواعث الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يعط
العاصي دواعي المعصية حتى يعصي شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا
بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك بمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية او يقف لا محالة
على اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال حاج آدم موسى عليهما السلام
حيث قال موسى عليه السلام خلقك الله في الجنة ونهاك عن الشجرة وفعل بك كيت وكيت فاكلت الشجرة واخرجت نفسك وذريتك
من الجنة فقال آدم عليه السلام وهل كان ذلك مكتوبا علي في الازل قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى
فمن عرف السنة في هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا
فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة
وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق وذلك الاتفاق له
اسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن اذا اضيف الى من لا يعرفه سمي اتفاقا واذا اضيف الى علم الله تعالى لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع في
مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلى
وترك وانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست اقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم ان الخوف
من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى فاعلم ان سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله
خلق اسباب العذاب واسباب الثواب وخلق لكل واحد اهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الازلي الى ما خلق له فخلق الجنة
وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاؤوا ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاؤوا ام ابوا فلا يرى احد نفسه
في ملتطم امواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى بقاع
الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار ويطالع احوال الخائفين واقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب
الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء واما الآمنون فهم الفراعنة والجهال
الاغبياء اما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والآخرين وكان اشد الناس خوفا روي انه كان يصلي على طفل وسمع في دعائه
اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وروي انه سمع قائلا يقول لعصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك ان ذلك كذلك
والله اني رسول الله وما ادري ما يصنع بي ان الله تعالى خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروي انه

صلى الله عليه وسلم قال ذلك على جنازة عثمن بن مظعون وكان من المهاجرين الاول فقالت ام سلمة هنيئا لك الجنة
وكانت تقول ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكي احدا بعد عثمن وقال محمد بن الحنفية والله لا ازكي احدا غير رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا ابي الذي ولدني فغارت الشيعة فاخذ يذكر من فضائل علي رضي الله عنه ومناقبه وروي ان رجلا من اهل الصفة
استشهد فقالت امه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم
وما يدريك لعل ابنك كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وقد دخل على رجل من اصحابه وهو عليل فسمع امراة تقول هنيئا لك
الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتالية على الله تعالى فقال المريض هي امي يا رسول الله وقال وما يدريك لعل فلانا كان
يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة هود واخواتها
وسورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود الا بعدا لعاد الا بعدا لثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم انه لو شاء الله ما اشركوا ولو شاء لاتى كل نفس هداها
وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة اي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا
مرفوعين في الدنيا واما رافعة قوما مخفوضين في الدنيا وفي سورة التكوير اهوال القيمة وانكشاف الخاتمة اذا الجحيم سعرت
واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون الا من اذن له
وقال صوابا والقران من اوله الى اخره مخاوف لمن قراه وتدبره ولو لم يكن فيه الا قوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا
ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن احادها وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فهذه اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء
مع ما افيضت عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجبريل عليه السلم بكيا خوفا من الله تعالى فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك وكانهما
اذ علما ان الله تعالى هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون قوله تعالى قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا
ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابرهيم عليه السلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله
وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبريل عليه السلم في الهواء حتى قال الك حاجة فقال اما اليك فلا وكان
ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله عنه فقال تعالى وابرهيم الذي وفى اي بموجب قوله حسبي الله ومثل هذا اخبر عن موسى
عليه السلم حيث قال اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال الله تعالى لا تخافا انني معكما اسمع وارى ومع هذا لما القى السحرة
سحرهم اوجس في نفسه خيفة اذ لم يامن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل لا تخف انك انت الاعلى وكما ضعفت
شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان كسرها ولم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر دع مناشدتك
ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد الله تعالى وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقام الخوف من مكر الله تعالى وهو اتم لانه لا يصدر الا من كمال المعرفة باسرار الله تعالى وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر
عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة بقصور معرفته
عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلم لما قيل له أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله قال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ثم قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم

الا من فوض الامر كله اليه فاخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشيئة
ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمالوفات فلا يمكن الحكم بقياس وحدس فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي
قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك ولم
يزل في الدنيا يعذبهم بانواع العذاب بالالام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم
ابد الاباد ثم اخبر عنه بقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم وكيف لا يخاف ما حق
من القول في الازل فلا مطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى الحيلة فيه ولكن ليس الا التسليم والاستقراء
لخفي السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت
علاقته مع الدنيا فكانه كشف له عن التحقيق في سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت
الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان
الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنه الامن من تقلب الحال وكيف يؤمن تغير
وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وان القلب اشد تقلبا من القدر في غليانه وقد قال تعالى مقلب القلوب جل وعز ان عذاب
ربهم غير مامون فاجهل الناس من امنه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح
الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة من الله تعالى واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف
الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب ومن خوف تقلب القلوب قال بعض العارفين لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد
خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب وقال لو كانت الشهادة على باب الدار
والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار وكان
ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة
عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع فقيل يا ابا
عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى
الله تعالى بامثال الجبال من الخطايا وحكي ان بعض الخائفين اوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان
رايتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على الصبيان في البلد وقل هذا عرس المنقلب وان مت
على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة
قال فوجدته علم ذلك فذكرت علامة التوحيد عند موته فرقها فاشتريت السكر واللوز ففرقته وكان سهل يقول المريد يخاف
ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنارا اخاف ان يذهب
بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس مرات وروي عن عيسى عليه السلم انه قال
يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وفي اخبار الانبياء ان نبيا شكى الى الله الجوع
والقمل والعري سنين كثيرة وكان لباسه الصوف فاوحى الله تعالى اليه عبدي اما رضيت ان عصمت قلبك ان يكفر بي حتى تسالني
الدنيا فاخذ التراب فوضعه على راسه وقال بلى يا رب قد رضيت فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ
اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخاف الضعفاء ولسوء الخاتمة اسباب يتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق

والكبر وجملة من الصفات المذمومة وكذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق الذي هو ضد اصل الايمان حتى قال الحسن لو اني
اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع
مع الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام
وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان
واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر اذا عاهد غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عنها الا صديق اذ قال
الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي ينجو عن هذه المعاني
بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قريب عهد بزمان النبوة فكيف
الظن بزماننا حتى قال حذيفة كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا اني لاسمعها
من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر
كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما ياتي مثله وان تحب
على كل شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق من اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر
انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروي انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا
نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه وكانوا
يتكلمون في شيء من شانه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول ياتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان
حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة وياتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا ان
خوف العارفين من سوء الخاتمة والكبيرة امور متقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن جملة
ذلك ان ظن انه قد خلي عنه فهو النفاق اذ قيل من امن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق
فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق ولا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما وكذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله
قاض فيه **بيان معنى سوء الخاتمة** **فان قلت** ان اكثر هؤلاء يرجع الى سوء الخاتمة **فاعلم** ان سوء الخاتمة
على رتبتين احداهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك
واما الجحود فيقبض الروح في حالة غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله
ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب امور الدنيا
وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة
فيكون استغراق قلبه به منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله حصل الحجاب ومهما حصل
الحجاب نزل العذاب نار الله الموقدة لا ياخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه
الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حال غلبة حب الدنيا فالامر مخطور

لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة اذ لا تصرف في
القلوب الا باعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في الرجوع الى الدنيا
لتداركه عند ذلك فتعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتاكد ذلك
بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت لها عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من
النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد ان يخرجه من النار ولو بعد
الف سنة **فان قلت** فما ذكرته تقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيمة ويمهل طول هذه المدة **فاعلم**
ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صح به الاخبار وهو
ان القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنان وانه قد ينفتح الى قبر المعذب سبعين بابا من الجحيم كما وردت
به الاخبار فلا يفارقه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما يختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات
فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ الاشهاد في
القيمة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى ما ورد به الاخبار ولا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف
العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل
جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فيجتمع الاجزاء المتفرقة ويعاد الروح اليه التي هي محل الايمان وقد كان
من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كان مسعودا واما على حالة تضاد هذه الحالة
ان كانت شقية والعياذ بالله تعالى **فان قلت** فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة **فاعلم** ان اسباب هذه الامور
لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن على الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين احدهما
يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله
صالحة ولست اعني مذهبا واقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل
في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقد على خلاف ما هو عليه اما برايه ومعقوله ونظره الذي به
يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت ناصية ملك الموت
واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف
الغطاء ومبادي سكراته منه وقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له
عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لاجل التجائه فيه الى رايه العاطل وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده
لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون
انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطوة
قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرج روحه على الشرك والعياذ بالله منه تعالى فهم المرادون
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في
الحيوة الدنيا الآية وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال الدنيا على القلب فكذلك
ينكشف في سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت فيطالع

ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليها فيكون مثل هذه الحالة كسببا للكشف ويكون الكشف سبب
الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا
بالراي والمعقول فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن
هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام
الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وكذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش
عن هذه الامور وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جاءت من الظواهر مع اعتقاد نفي
التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباتها كؤود ومسالكها وعرة والعقول
عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله بنور اليقين عما جبلت عليها من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة
عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القي اليها في مبدا النشو قد ربها متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير
مؤكدة للعقائد الموروثة الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وبشهوات
الدنيا بمحقها وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في الله تعالى وصفاته بالراي والمعقول مع تفاوت الناس في
قرائحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي كمال الاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما يقع
لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص
عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى
العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان
ويظن ان ما وقع له من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين وسيعلمن نباه بعد حين وينبغي ان ينشد في هولاء عند
كشف الغطاء حيث يقول * احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما ياتي به القدر * وسالمتك الليالي
فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر * واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الصافي بالله ورسوله وكتبه
وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثل من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج يرمي به موج الى موج فربما
يتفق له ان يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم
اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو امن من مكر الله
مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة
الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام او الذين شغلهم خوف
النار بطاعة الله تعالى فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة واما الثاني فهو ضعف الايمان في
الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب
موضع لحب الله الا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك
في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب فلا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه
حتى يصير رينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهو

المحبوب الغالب على القلب فيتالم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله تعالى فيختلج ضميره بالانكار لما قدر
عليه من الموت وكراهيته ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما ان الذي يحب ولده حبا
ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق
روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه
الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد في قلبه
حب الله اغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال
وقد عم اصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها الاية فاذن من فارقت روحه في حالة خطرة
الانكار على الله فيما فعله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفرقته بينه وبين اهله وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه
وفراقا لما احبه فيقدم على الله تعالى قدوم العبد المبغض الابق اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال
واما الذي يتوفى على الحب فانه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار
طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام واما
الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والاخر
ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع
ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وان كان
ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي
فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد من هذا الخطر والذي لا يقارف
ذنبا اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا
خطره عظيم في حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى
انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي
كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما يراه
التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر
في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف او بسبب اخر والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه
من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوف وعوده الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف
فطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجح وكذلك تخالف منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان
يتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل اليه نفسه فربما تقبض عليه روحه فيكون ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان
باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك احاد المنامات لها اسباب
عند الله نعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما بالمقارنة
بان يكون قد ورد على الحس معه اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا اخر واما المضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر

فيها ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما بالمقاربة فبان ينظر الى فرس قد راه مع انسان فيتذكر به ذلك الانسان
وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وكذلك انتقالات الخواطر وفي انتقالاتها اسباب من هذا الجنس
وكذا عند سكرات الموت ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات وكذا عند سكرات الموت ومن اراد
ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في طاعة الله في فطام نفسه وفي قمع
الشهوات من القلب فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير والفكر عن الشر عدة وذخيرة
لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه وكذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمة
الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة كان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت ولقد قال بعض العارفين
من السلف ان العرش جوهرة تتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فاذا كان
في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له في القيمة فيرى احوال نفسه
فياخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الحصر والوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم
يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذن رجع سوء الخاتمة الى احوال القلب
واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء الخاتمة غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان
كان لطول الالف فيه تاثير فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين
واحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال
لا تدخل بالكلية تحت الضبط فان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي
يصف لي وجوب حسن ادب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي
ابي القاسم الكرماني مناما لي وقلت رايتك قلت لي كذا فقلت لم ذلك فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك
تجويز المطالبة وانكار ما اقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف
ما غلب عليه في اليقظة فهذا هو القدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار امر الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم
المكاشفة وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء على ما هي عليها من غير جهل وتوجه جميع العمر في طاعة
الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلا بد ان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول
بكاؤك ونياحتك ويدوم حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك
احد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضائعة ان لم يسلم في النفس الاخير
الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني
لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن
قد مات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري يبكي فقيل له
لم تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالان نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت الرياح
العاصفة واضطربت الامواج فالنجاة ابعد من الهلاك وقلب المؤمن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم
التطاما من امواج البحر وانما الخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل

عمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة ويختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق
ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رايت كاني ادخلت
الجنة فرايت ثلثمائة نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت
الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاءة مكروها اما الموت فجاءة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب
لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة وبنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق
في القلب سوى حب الله تعالى وخروج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال
ولا يوطن نفسه على الموت الا حبا لله تعالى وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله تعالى به اذ قال
تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب
ومجرد حب العوض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح
فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة
فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذ بان لك معنى سوء الخاتمة
وما هو مخوف منه فاشتغل بالاستعداد له فواظب على ذكر الله تعالى واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي
جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يؤثر في قلبك
ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك ان تسوف وتقول ساستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من انفاسك
خاتمتك اذ يمكن ان تخطف روحك فيه فراقب قلبك في طريقة واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك هذا
ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة ظاهرة وباطنة وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله تعالى
على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان بمجرده ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان
قبل النوم غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا تنبعث من نومك الا على ما غلب على قلبك في نومك
فالموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان في نومه فكذلك
لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث حالتان من احوالك
كما ان النوم واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين
ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك على خطر
عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وهي مطعم وملبس ومسكن والباقي
كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا يكون رغبتك
فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون
قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل قلبك بها فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك
فقيمتك ما يخرج منه وان لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك وعلامة ذلك
يظهر في ثلاثة امور من ماكولك في وقته وقدره وجنسه اما الوقت فاقله ان يكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فواظب على

الصوم واما قدره فبان لا يزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا يطلب اللذائذ من الاطعمة بل يقنع بما يتفق فان قدرت على
استعمال هذه الثلث وسقط عنك مؤنة الشهوات واللذائذ فقدرت بعد ذلك على ترك الشهوات والشبهات وامكنك ان
تاكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفي بالشهوات واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع
البرد عن راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك وتضييع لزمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء في تحصيله
بالكسب مرة وبالطمع من الحرام والشبهة وقس بهذا ما يدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود الكسوة ان لم تكتف
به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف تقف معه بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت
بمقصوده كفاك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك
وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك
وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة بعيدة
ترقيك منها وهكذا جميع ضرورات امرك ان اقتصرت عليها تفرغت لله تعالى وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد
لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله تعالى في اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة
ممن هو احوج اليها منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فلو دفعته يوما بيوم في تسويفك
واغفالك وغفلتك اختطفت فجاة في غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة
ما ارشدتك اليه لضعف خوفك اذ لم يكن ما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فاما نورد عليك من احوال الخائفين
ما نرجو ان يزيل بعض القساوة من قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى
لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فتامل مع كلال بصيرتك وعمش عينك في احوالهم لم كثر بهم الخوف وطال بهم الحزن
والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا ولا عجب ان ذلك لا يؤثر في قلبك
فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان منها لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها
لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

بيان احوال الخائفين واحوال الانبياء في الخوف

روت عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة
ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله تعالى وقرا صلى الله عليه وسلم آية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى
صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بالابطح فصعق وقال النبي عليه السلام ما جاءني جبريل قط الا وهو
يرتعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان
كل هذا البكاء فقالا يا رب لا نامن من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا مكري وقال ابن عمر خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر وياكل فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن عمر ما لك لا تاكل
قلت يا رسول الله لا اشتهيه فقال صلى الله عليه وسلم لكني اشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت
ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين قال فوالله ما
برحنا ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله لم يامركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فان الحياة بيد الله تعالى

الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبا رزقا لغد وقال ابو الدرداء كان يسمع ازيز قلب ابراهيم الخليل عليه السلام اذا قام
في الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه عز وجل وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت
المرعى من دموعه وحتى غطى راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود
فاحترق من حر خوفه ثم انزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة
وكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما الا راها فابكته وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته
فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى انه عليه السلام ما رفع راسه الى السماء حتى مات حياء من الله تعالى
وكان يقول في مناجاته الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتد الي روحي سبحانك
الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك دلني فبؤسا للقانطين من رحمتك وقال الفضيل بلغني ان داود
عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا
لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان
يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا وقبل ان يؤمر بي ملائكة
غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقيل لما احدث داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي
في صفاء اصوات الصديقين وروي انه لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه وكثر همه وغمه فنادى يا رب اما ترحم
بكائي فاوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وتذكرت بكاءك فقال الهي كيف انسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري
عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير على راسي وانست الوحوش الى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني
وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داود ذلك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت
فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكى الي الوحدة فزوجته حواء امتي واسكنته
جنتي حتى عصاني فطردته عن جواري عريانا ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك
وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وكان داود عليه السلام اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك
سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج له منبر الى البرية وامر سليمان عليه السلام
ان ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع الا من اراد
ان يسمع نوح داود عليه السلام فلياتي فياتي الوحوش من البراري والآكام والسباع من الغياض والآجام والهوام
من الجبال والطير من الاوكار والاشجار وتاتي العذارى من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم وياتي داود عليه السلام
وسليمان عليه السلام قائم على راسه فياخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة والنار فتموت طائفة
من الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع
طائفة فاذا راى سليمان عليه السلام كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل
ومن الوحوش والهوام فياخذ في الدعاء فبينا هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء
على ربك فخر داود مغشيا عليه فلما راى سليمان ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا من كان له حميم
او قريب فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار وكانت المراة تاتي بالسرير وتحمل قريبها

ويقول يا من قبله ذكرنا ربا من قبله خوف الله تعالى فاذا افاق داود وضع يده على راسه ودخل بيت عبادته ويغلق
بابه ويقول يا اله داود غضبان انت على داود فلا يزال يناجي ربه فياتي سليمن عليه السلم ويقعد على الباب ويستاذن ثم
يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا ابتاه تقوى بهذا على ما تريد فياكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني
اسرائيل فيكون بينهم قال يزيد الرقاشي خرج داود عليه السلم ذات يوم يعظ بني اسرائيل ويخوفهم فخرج في اربعين الفا
فمات منهم ثلثون الفا ورجع في عشرة آلاف وكان لداود عليه السلم جاريتان فكانتا اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدت واحدة
على يديه والاخرى على رجليه مخافة ان يتفصل اعضاؤه ومفاصله مما يرتعد وروي ابن عمر رضي الله عنهما ان يحيى بن
زكريا عليهما السلم دخل بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهدهم
قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوها الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون
فقالوا يا يحيى هلم نلعب فقال اني لم اخلق للعب فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه بالشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس فكان يخدمه
نهارا ويصبح فيه ليلا حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم اطواد الجبال فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة
الاردن وقد نقع رجليه في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى اعلم اين
مكاني منك فسالاه ابواه ان يفطر على قرص شعير كان معهما ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرده
ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليه السلم لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي
حتى احرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيئا تواري به اضراسك
عن الناظرين فاذن فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه وكان اذا قام يصلي بكى واذا استنقعت القطعتان من دموعه
اتت امه اليه فعصرتهما والصقتهما فاذا راى دموعه تسيل على ذراعي امه قال اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك
وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا عليه السلم يا بني انما سالت ربي ان يهبك لتقر عيناي فقال يحيى عليه السلم يا ابت ان جبريل
اخبرني ان بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلم فابك يا يحيى هكذا وقيل كان الخليل عليه السلم
اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل عليه السلم فيقول له الجبار يقرئك السلام
ويقول هل رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي وقال عيسى عليه السلم معاشر الحواريين
خشية الله تعالى وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على
المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس كثير وقيل كان الخليل عليه السلم يقول مثل ذلك فهذه احوال الانبياء عليهم السلم فدونك
والتامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله وبصفاته تعالى

بيان احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف

قال الصديق رضي الله عنه لطير ليتني كنت مثلك يا طير ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت اني شجرة تعضد
وكذا قال طلحة وقال عثمن رضي الله عنه وددت اني اذا مت لم ابعث لما ارى الاقي من الحساب وقالت عائشة رضي الله عنها
وددت اني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان اسودان من الدموع وقال رضي الله عنه من خاف الله لم يشف
غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وكان قرا رضي الله عنه اذا الشمس كورت وانتهى الى
قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر بدار انسان يصلي ويقرا سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب
ربك لواقع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه

وقال علي

وقال علي رضي الله عنه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كابة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فلم ار اليوم احدا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا
وقياما يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا وذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم
الريح وهملت اعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله كاني بالقوم كانوا غافلين ثم قام فما روي بعد ذلك ضاحكا حتى مات
وروي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القران مغشيا عليه ويعاد اياما واخذ يوما تبنة من
الارض فقال يا ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم اك شيئا مذكورا ليتني لم تلدني امي ليتني كنت نسيا منسيا وقال
عمران بن الحصين وددت اني رماد تسفه الريح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني
اهلي وياكلون لحمي وكان علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند
الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري كان النار قد احاطت
بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقال مالك بن دينار بينما انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة
وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة الا النار وتبكي فما زالت
ذلك مقامها الى الفجر فلما رايت ذلك وضعت يدي على راسي صارخا اقول ثكلت مالكا امه وراى الفضيل يوم عرفة
والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال
واسوأتاه منك وان غفرت ثم انقلب مع الناس وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم
باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيمة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا
موقفنا وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمانت فيقول تلك جلسة الامنين وانا
غير امن اذ عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة رحمة في قلوب العباد كيلا يموتوا من خشية
الله تعالى وقال مالك بن دينار لقد هممت ان اوصي اذا انا مت فقيدوني وغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد
الابق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة فلقي ادم فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة
فان ابليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يعلم اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر
برؤية الصالحين ولقائهم فلا شخص اكبر قدرا من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال
السري اني لانظر الى انفي في اليوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر
الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وخرج ابن مبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترات على الله عز وجل البارحة فسالته
الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت حدثا موبقا
لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي في بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي
لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيمة انما
اغبط من لم يخلق وروي ان فتى من الانصار دخلته الخشية من النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم فدخل عليه فاعتنقه فخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده
وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمس مائة عابدة لباسهن الصوف

والمسوح فذكرت ثواب الله وعقابه فمن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين وكان لا يسال الله تعالى الجنة
ابدا وانما كان يسال العفو والاجارة من النار وقيل له في مرضه الا يشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم في يوم واحد لا يدع في قلبي
موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع راسه من السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع راسه يوما ففزع وسقط فانفتق في بطنه
فتق وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ وكان اذا اصابهم ريح او برق او غلاء الطعام قال هذا من اجلي يصيبهم لو مات
عطاء لاستراح الناس وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت
اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون
كان جلودهم قشور البطيخ وكانهم خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم المطيعين وكيف اهان العاصين فبينما هم يمشون
اذ مر بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله وكان يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه وافاق
فسالوه عن امره فقال لنا اني ذكرت اني كنت عصيت الله تعالى في ذلك المكان وقال صالح المري قرات على رجل من المتعبدين
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فصعق ثم افاق وقال زدني يا صالح فاني
اجد غما فقرات كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا وروي ان زرارة بن ابي اوفى صلى بالناس صلاة الغداة
فلما قرا فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحرك فاذا هو ميت ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني
فقال يا امير المؤمنين اعلم انك لست اول خليفة تموت فبكى وقال زدني فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم
اب الا ميت فبكا وقال زدني فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل الا فاعلم فخر مغشيا عليه
وخرج يزيد وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الاية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده
على راسه هاربا ثلثة ايام لا يقدر عليه وراى داود الطائي امراة تبكي على راس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه ليت شعري
باي خديك بدا الدود فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض الثوري فعرض بوله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف
كبده ثم جاء وجس نبضه وقال ما علمت في الحنفية مثله وقال احمد سالت الله ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت
على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والذي
نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكان اشارة الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم
لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل فاطلع عليهم من الكوة
وهو يبكي ولحيته ينتفض فقال عليكم بالقران عليكم بالصلاة ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة
ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف عملك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وروي
الفضيل يوما يمشي فقيل له الى اين فقال لا ادري وكان يمشي والها من الخوف وقال ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد
فاذا تكلمت سمعت البكاء من كل جانب فقال ابني ليست النائحة الثكلى كالمستاجرة وحكي ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكي
فقالوا اما الذي تبكيك رحمك الله قال روعة تجدها الخائفين في قلوبهم وقالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله
تعالى وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك
مرة فقال ارني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستاذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا
فقرات اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة خر مغشيا عليه فخرجنا

من عنده وتركناه على حاله ودخلنا على اخر فقرات هذه الاية فشهق ايضا وتركناه واستاذنا على ثالث فقال ادخلوا
ان لم يشغلونا عن ربنا فقرات ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة وبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط
في دمه حتى يبس فتركناه على حاله فادرته على ستة انفس كل يخرج ونتركه مغشيا عليه ثم اتيت به السابع فاستاذنا فاذا
امراة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا فلم تشعر بسلامنا فقلت بصوت عال
ان للخلق غدا مقاما وقال الشيخ بين يدي من ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت ضعيف اوه اوه حتى
انقطع ذلك الصوت فقالت المراة اخرجوا فانكم لا ينتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلث قد
افاقوا وثلثة لحقوا بالله تعالى واما الشيخ فمكث ثلثة ايام على حاله مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ذلك عقل
ودخلت مولاة لابن عبد العزيز فسلمت ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت ركعتين ثم غلبتها عيناها فرقدت ثم استيقظت
فقالت يا امير المؤمنين اني رايت والله عجبا رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال
بقيته فقالت ثم جيء بعبد الملك بن مروان فحمل به فامر به فما مضى عليه يسير حتى انكفى به الصراط فهوى الى جهنم فقال
عمر فاكت ثم جيء بالوليد فحمل عليه فما مضى الا يسير حتى انكفى به الصراط فهوى فاكت ثم جيء بسليمن بن عبد الملك فما مضى
الا يسير حتى انكفى به الصراط فهوى فاكت ثم جيء بك والله يا امير المؤمنين فصاح عمر صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه
فقالت يا امير المؤمنين اني رايتك والله حتى نجوت وهي تنادي وهو يفحص برجليه وصبح زمانا طويلا وحكي ان اويس
القرني كان يحضر مكان العاص فكان يبكي حين يسمع كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس
فيقولون مجنون وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا يسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفترش فراشه
ثم يضطجع فيتقلى كما يتقلى الحب في المقلاة ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير نوم الخائفين ذكر
جهنم وقال الحسن يخرج من النار رجل بعد الف عام ويا ليتني ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه الخلود بسوء الخاتمة
وروي انه ما ضحك اربعين سنة وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قدم ليضرب عنقه فاذا تكلم كانه يعاين الاخرة فيخبر
عن شاهد بها واذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب في شدة حزنه فقال ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد
اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا اغفر لك فانا اعمل لك في غير معمل فهذه مخاوف الانبياء والاولياء
والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم ولكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا
ولا لكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصرفنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوة قلوبنا فلا
قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب يحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين يخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله العظيم
ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحنا ان كان يحرك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب
انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا واذا اردنا طلب رتبة العلم
تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا واجتهدنا في طلب اقواتنا ولا نثق بضمان الله عنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول
اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا ان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه
رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يزعجنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا واماننا فما هذه الا محنة هائلة

لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسأل الله تعالى ان يتوب علينا بل نسأله ان يشوق الى التوبة سرائرنا
وقلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا وكيف نقتصر من حكاية احوال الخائفين على ما اوردنا بان القليل
من هذا يصادف القلب القابل ويكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عيسى
بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقى دمعه
من كثرة البكاء قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال يا اخي ما اوصيك
ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو
فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله ونهاره وان فرح البطالون ثم ولى عني فقلت لو زدتني شيئا
عسى ان ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء ايسره وقد صدق فان القلب الصافي يحركه ادنى مخافة والقلب الجليد ينبو
عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان تقدر بل هو تحقيق فانك لو شاهدت
بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا باصناف الصفات السبعية وانواع السباع والهوام وهي التي لا تزال تفترسك
وتنهشك ان سهوت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها
وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات قد احدقت بك في قبرك وانما هي
صفاتك الحاضرة الان قد انكشف لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها فانت قبل الموت قادر
على ذلك فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم فؤادك
فضلا عن بشرتك والسلام تم كتاب الرجاء والخوف بحمد الله
وحسن توفيقه وصلى الله على محمد واله
اجمعين ويتلوه كتاب الفقر والزهد
ان شاء الله تعالى
والحمد لله
وحده

كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من جملة كتب احياء علوم الدين وبه ثقتي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين

الحمد لله الذي يسبح له الرمال، وتسجد له الظلال، ويندكدك من هيبته الجبال، خلق الانسان من طين لازب
والصلصال، وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال، واذن له
في قرع باب الخدمة بالغدو والاصال، ثم كحل بصيرته بنور العبرة حتى لاحظ به حضرة الجلال
فلاح له من البهجة والبهاء والكمال، ما استحقر دون مبادي اشراقه كل حسن وجمال، فاستثقل ما صرفه عن مشاهدته
وملازمته غاية الاستثقال، وتمثلت له ظاهر الدنيا في صورة امراة جميلة تميس وتختال، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء
تجلببت من لبسة الخزي وترت في قالب التمثال، وهي تتلفع بجلبابها لتخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال،

وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال، فهي تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال، ثم لا تحري معهم بالحلف في مواعيد
الوصال، بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال، وتبليهم بانواع البلايا والانكال، فلما انكشفت
للعارفين منها قبائح الاسرار والافعال، زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال، واقبلوا
بكنه هممهم على حضرة الجلال، ففازوا منها بوصال ليس منه فصال، ومشاهدة ابدية لا يعتريها فناء ولا زوال، والصلاة
على سيد الانبياء محمد وعلى اله خير ال اما بعد فان الدنيا عدوة الله تعالى بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل
من زل فحبها راس الخطايا والسيئات وبغضها ام الطاعات وراس الحسنات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها
وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الان نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه راس المنجيات
ولا مطمع في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان يكون بانزوائها عن العبد ويسمى
ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة وحظ في الاعانة
على الفوز والنجاة ونحن الان نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر
الفقر في شطر من الكتاب والزهد في الشطر الاخر منه ونبتدا بذكر الفقر الشطر الاول وفيه بيان حقيقة الفقر
وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضيلة الفقر على الغنى وبيان اداب الفقير في فقره وبيان
ادابه في قبول العطايا وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان احوال السائلين

بيان حقيقة الفقر واختلاف احوال الفقير واساميه

اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد
ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج اليه فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك
في ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى
وجوده فان كان في الوجود موجود ليس له وجود مستفاد من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود
الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون لتمد وجودهم بالدوام والى هذا الاشارة بقوله تعالى
والله الغني وانتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص
والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا تنحصر ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليها بالمال وهو
الذي نريد الان بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا
اليه في حقه ثم يتصور ان يكون له خمس احوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حال منها باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر
احكامها الحالة الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتاذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا من شره
وشغله وهي الزهد واسم صاحبها الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتاذى
ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا والثالثة ان يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه
ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به فان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب
هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون
تركه الطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه او هو مشغول بالطلب وصاحب هذه
الحالة نسميه الحريص الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب

ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما ينفك هذه الحالة عن الرغبة
فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو اقصى درجات الزهد كما سياتي ووراء
هذه الاحوال الخمس حالة هي اعلا من الزهد وهو ان يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتاذ وان فقده
فكذلك بل حاله مثل حال عائشة رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها
لو اشتريت لنا بدرهم لحما فقالت ما ذكرتيني فمن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم يضره اذ هو
يرى الاموال في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره وينبغي ان يسمى صاحب هذه الحالة
المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر
ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال في يده وانما هو غني عن وجود المال في يده لا عن
بقائه فهو اذا فقير من وجه واما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه
ليس يتاذى به ليحتاج الى الخروج وليس يفرح به ليحتاج الى البقاء وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول فغناه الى العموم اميل
فهو الى الغني الذي هو وصف الله تعالى اقرب وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه
الحال غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شيء واما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم
يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله تعالى له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال
رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه من هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق
والحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني عليه مع هذا الكمال الا مجازا
واعلم ان الزهد درجة من كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات
الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بها كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب
عن الله عز وجل اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات
والارضون حجابا بينك وبينه فانه اقرب اليك منك ولا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك
شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا بشهوات نفسك فكذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول
ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله تعالى بل كل ما سوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق
فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ
بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور
المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر الى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الآخر بل الكمال في
ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة لا يجتمع ايضا بغض وحب في حالة واحدة
فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد
والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي حاله الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود
فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله تعالى فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها
وتسييرها ولكن احدهما مستدبر الكعبة والآخر مستقبل لها فهما سيان بالاضافة الى الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة

ومشغول

ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمودة بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف
في الكعبة الملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان يظن ان بغض الدنيا
مقصود في عينه بل الدنيا عائق عن الله تعالى ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال ابو سليمان الداراني من زهد
في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما
ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذن قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به عدم الرغبة في وجوده
وعدمه فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمه فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان
بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان يستوي عنده الماء والمال وكثرة الماء في جوارك بان تكون على شط
البحر لا تقلقه ولا يؤذيك الا في قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا
ببغض الماء الكثير بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا ابخل به على احد فهكذا ينبغي ان يكون
المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة انما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره
الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز ياتيك لا محالة ما دمت حيا كما ياتيك قدر حاجتك من الماء على ما سبق
بيانه في كتاب التوكل قال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة
التي اهديتها الي فان العدو يوسوس لي ان اللص اخذها فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية قد زهد في الدنيا
ما عليه من اخذها فبين ان كراهة كون الركوة في بيته التفات اليها بسبب الضعف والنقصان **فان قلت** فما بال الانبياء
والاولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار **فاقول** كما هربوا من الماء بمعنى انهم ما شربوا اكثر من حاجتهم ففروا عما
وراءها ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونها مع انفسهم بل تركوها في الانهار والبراري للمحتاجين لا انهم كانت قلوبهم
مشغولة بحبها او ببغضها وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها
في مواضعها وما هربوا منها اذ كان يستوي عندهم الماء والذهب والحجر وما ينقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن خاف
لو اخذه ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم
كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء واما ان ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار نزولا
الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ هلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي اولاده من الحية
به والسيرة بسيرة الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء فقد بان اذا ان المراتب ستة اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد
ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص ثم المضطر واما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف
باختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل ان يسمى فقيرا
فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم
العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الجاهل وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك الاسم عام
ومن عرف نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك
فهمت ان قوله عليه السلام اعوذ بك من الفقر وقوله صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم
احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار

الى الله تعالى في دعائه هو الذي ساله صلى الله عليه وسلم في دعائه **بيان فضيلة الفقر مطلقا** قوله تعالى للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف ساق سبحانه وتعالى الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار
وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقراء واما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من ان تحصى فقد قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى في نفسه وماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل
هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم فقير يعطي جهده وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله
فقيرا ولا تلقاه غنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء
امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث اخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم
الحريص على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه من درجات
اختلاف الفقير يعرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة
من الفقير الزاهد وهذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا
او بالاتفاق بل لا يستنطق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله
صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من اجزاء النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره
صلى الله عليه وسلم ان تعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به
غيره وهو يختص بانواع من الخواص احدها ان تعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الاخرة كما لا يعلمه غيره
بل يخالفه بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني ان له في نفسه صفة بها يتم له الافعال الخارقة للعادات
كما ان لنا صفة بها يتم الحركات المقرونة بارادتنا واختياراتنا وهي القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله
تعالى الثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات الرابع
ان له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب اما في اليقظة او في المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات
وصفات يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم انقسام كل واحد الى الاقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين وخمسين وستين
ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ستة واربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة واحدا من جملتها ولكن تعيين طريق واحد
من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون الا بظن وتخمين لا بدري تحقيقها انه الذي اراده رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا وانما
المعلومات بجامع الصفات التي بها يتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علم التقدير وكذلك نعلم ان الفقراء
بهم درجات كما سبق واما لو كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتصر له على التقدم
باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس في قوة غير الانبياء الوقوف على ذلك الا بنوع من
التخمين ولا وثوق به والغرض التنبيه على منهاج التقدير في امثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله
صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا لله ان منصب النبوة يكون لذلك فلنرجع الى تقدير الاخبار قال النبي صلى الله
عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن
احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وروي ان جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق النبي
صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليه السلام يا محمد
ثبتك الله بالقول الثابت وروي ان عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فايقظه وقال يا نائم قم
فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذن يا حبيبي ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب
وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فاوحى الله تعالى اليه يا موسى
اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن ابي رافع انه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود وقال قل له يقول محمد صلى الله عليه وسلم اسلفني او بعني دقيقا الى
هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي عليه السلام اما والله اني لامين
في اهل السماء امين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه
الاية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الاية تعزية له عن الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم امنا في سربه معافا في جسمه عنده
طعام يومه فكانما حيزت له الدنيا وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار
الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا رجل يصطاد حيتانا
فقال بسم الله تعالى والقى شبكته فلم يخرج فيها الا حوت واحد ثم مر باخر فقال بسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها من الحيتان
ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي عليه السلام ما هذا يا رب وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا
لعبدي عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضيت يا رب وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء والنساء
وفي لفظ اخر فقلت اين الاغنياء فقال حبسهم الجد وفي حديث اخر فرايت اكثر اهلها النساء فقلت ما شانهن قيل شغلهن
الاحمران الذهب والزعفران وقال عليه السلام تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر اخر الانبياء دخولا الجنة سليمان لمكان ملكه
واخر اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي لفظ اخر رايته يدخل الجنة زحفا وقال عيسى عليه السلام بشدة
يدخل الجنة الغني وعن اهل البيت انه قال عليه السلام اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه
قال لم يترك له اهلا ولا مالا وقال موسى عليه السلام الهي من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان
يكون الثاني للتاكيد ويمكن ان يكون المراد به الشديد الفقر وقال عيسى عليه السلام اني لاحب المسكنة وابغض النعماء وكان احب
الاسماء اليه ان يقال له يا مسكين ولما قال سادات العرب واغنياؤها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون
اليك ولا نجيء ذلك اليوم فيعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وابي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر
وابي هريرة واصحاب الصفة فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك لانهم شكوا اليه انهم يتاذون برائحتهم لانه كان
لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الاغنياء ذلك منهم الا قرع بن حابس التميمي
وعيينة بن بدر وعباس بن مرداس فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وقيل الحق

من ربكم الآية فلما استأذن ابن ام مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اشراف قريش شق ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى الآية يعني ابن ام مكتوم واما من
استغنى يعني به هذا الشريف من قريش وقال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال
ونظرت في اعلاها فاذا فقراء امتي واولادهم ونظرت الى اسفلها فاذا فيه من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم
قال اما النساء فاضر بهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن
بن عوف ثم جاءني وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال اما والله يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المحنات وظننت اني لا اراك
فقلت ولم قال كنت احاسب بمالي فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من
العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا
وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغناء الى هذا الحد ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا
على اهل الارض لوسعهم وقال عليه السلام الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم كل ضعيف مستضعف
اغبر اشعث ذي طمرين لو اقسم على الله لابره وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال
يا عمران بن حصين ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة فقلت نعم بابي انت يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف
بباب فاطمة رضي الله عنها فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل فقال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال
عمران فقالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة فقال صلى الله عليه وسلم اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي
فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه
كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكني آثرت الآخرة
على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امرأة فرعون
ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء
عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة
اما الآثار قال ابو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا من ذي الدرهم وارسل عمر رضي الله عنه
الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا فقالت امرأته احدث امر فقال اشد من ذلك ثم قال ارني درعك الخلق فشقه
وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل
الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيخرج وقال ابو هريرة رضي الله عنه ثلثة يدخلون
الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشراب فلا يقال له
ايها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري فقال له تخط لو لم تكن فقيرا وكنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون
انهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير
اعز منه في مجلسه وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب
في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله تعالى في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون

من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمن لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ
حبك الفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي اخبار
الكتب السالفة ان الله اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وكانت عائشة رضي الله عنها
تفرق مائة الف درهم في يومها وهما وجههما اليها معاوية او ابن عامر او غيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها جاريتها
لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان قد اوصاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعا حتى ترقعيه وجاء
رجل الى ابرهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى ان يقبلها فالح عليه القول فقال له ابرهيم تريد ان امحو اسمي من ديوان الفقراء
بعشرة آلاف لا افعل

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين

قال النبي صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضى من قلوبكم
تظفروا بثواب فقركم والا فلا الاول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر مفهومه بان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات
الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله تعالى في حبس الدنيا
عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله وكراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصابرين هم جلساء الله تعالى
يوم القيمة وروى علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه
الراضي عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد غني ولا فقير الا ود
يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا كفافا واوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال
الفقراء الصادقون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله
تعالى يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فيقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري
ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون هذا في القانع والراضي فاما الزاهد فسنذكر
فضله في الشطر الثاني من الكتاب واما الآثار في القناعة والرضا فكثيرة ولا يخفى ان القناعة مضادة للطمع قال عمر رضي الله عنه
الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في ايدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت
العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا
بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وسئل
حكيم ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابرهيم بن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينا هو يشرف من قصر له ذات
يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وبيده رغيف ياكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا استيقظ فجئني به فلما جاء به اليه قال له
ابرهيم ايها الرجل اكلت الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابرهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس
تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك
على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء وياكل
بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن لعن الله اقواما اقسم الله تعالى لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء

وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امراته فقالت له اتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة من دقيق فقال يا هنه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفرة ذو فاقة لا صبر له وقيل لحكيم ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس عما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقد قيل في القناعة ، اضرع الى الله تعالى لا تضرع الى الناس ، واقنع بيأس فان العز في اليأس ، واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ، ان الغني من استغنى عن الناس ، وقال الآخر ، يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ، مقدرا اي باب فيه يغلقه مفكرا كيف تاتيه منيته ، اغاديا ام بها يسري فيطرقه ، جمعت مالا فقل هل جمعت له ، يا جامع المال اياما تفرقه المال عندك مخزون لوارثه ، ما المال مالك الا يوم تنفقه ، ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ، ان الذي قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون ما يدنسه ، والوجه منه جديد ليس يخلقه ، ان القناعة من يحلل بساحتها ، لم يلق في ظلها هما يؤرقه

بيان فضل الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابو عباس بن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال دعا الجنيد على ابن عطاء لمخالفته اياه فيه فاصابته محنة وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل واما الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يشك من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات والصدقات ليس بحريص على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنها وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولون فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء لما سئل عنه فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليل الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد يا رسول الله اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ الفقراء عني ان لمن صبر واحتسب منكم ثلث خصال ليست للاغنياء اما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا لا يبلغها اهل الجنة ينظرون اليها كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير الثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام الثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال

الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي يزيد ثواب الفقراء على الذكر واما قوله ان الغنى وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال اترى ان الحق غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب اخرون فقالوا الكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال الله تعالى فيما رواه عنه نبينا صلى الله عليه وسلم العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى فهذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصلها تعلق بعمومات تحتمل التأويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما تناقض قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغنى لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب والجهل والغفلة وصفا العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم التشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله مثل سليمان بن داود وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله تعالى في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضراء اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم قال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر ان لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى عليه السلام من حلية الذهب والفضة ايضا فاستوى المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله عز وجل بطول المجاهدة اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها وكان علي كرم الله وجهه يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه مبادي الاغترار بها لولا ان راى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذن الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا وصرفوها الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة وبقدر ما يأنس بصفة

من صفاته سوى صفة المعرفة لله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطع أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب إذا تجافى عما سوى الله وكان مؤمنا بالله عز وجل انصرف لا محالة إلى الله تعالى إذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله وغيره فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده عن الآخر ومثالهما مثل المشرق والمغرب فإنهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد من الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض حب الله فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا وأنسه بها فإذا فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فإن تساويا فيه تساوت درجتهما إلا أن هذا مزلة القدم وموضع الغرور فإن الغني ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا فقده فليجرب نفسه بتفرقته أو إذا سرق منه فإن وجد لقلبه إليه التفاتا فليعلم أنه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق به أنه كان مغرورا فإن العشق كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء وإذا كان ذلك محالا أو بعيدا فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لأن علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فإن حركة اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور فلا يكون تأثيرها بإثارة الأنس في قلب فارغ عن غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال أبو سليمان تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد أضر بي العيال فقال إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فإن دعاءك أفضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وكانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء وقد قال الصديق رضي الله عنه اللهم إني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف وإذا كان مثله في كمال حاله يحذر الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن فقد المال أصلح من وجوده وهذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن يكون لي حانوت على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأربح كل يوم دينارا وأتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من أن الغنى وصف الحق فهو أفضل صحيح ولكن إذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بأن يستوي عنده كلاهما فأما إذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا إلى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لأن الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق وما ذكره في الرد عليه من أن الله تعالى ليس غنيا بالأعراض والأسباب صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول إن سالك الطريق إلى الله قبل أن يقطع الطريق

يصير الأسماء التسعة والتسعون وصفا له أي يكون له من كل واحد نصيب فأما التكبر فلا يليق بالعبد فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله عز وجل وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والإيذاء وليس ذلك من وصف الله وإنما وصف الله أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك والعبد مأمور بأن يطلب أعلى المراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب إلى الله تعالى منها ولو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكانت صفة الكبر حاصلة له ولائقا به وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف يتفق فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق الكافر إذ ربما يختم للكافر بالإيمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالا في حقه لأنه من صفات الله عز وجل ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار العلم بها في حقه نقصا إذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي يتصور في العبد من صفات الله تعالى فلا جرم هي منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء فإذا استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله عز وجل فهو فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغني الشاكر المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص إلى الغني الحريص ولنفرض ذلك في شخص واحد وهو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فأي حالتيه أفضل فنقول ينظر إن كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل لأن الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر إلا قدرا مدخولا بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وإن كان المطلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك السبيل فحالة الفقد أصلح وأفضل لأنهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد ليس يقصد الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن إلى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا ويكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما تمت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركونا إلى الدنيا فحاله أشد لا محالة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب ما لا يفارقك وهو الله ولا تحب ما يفارقك وهي الدنيا فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقدر أنسه وأنس الواجد للدنيا القادر عليها بالدنيا أكثر من أنس الفاقد لها وإن كان لها حريصا فإذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأصلح والأفضل لكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما غنى مثل عائشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا له إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالأصلح له أن يموت جوعا ولا يجد ما يضطر إليه أيضا فهذا تفصيل القول

في الغنى والفقير وتبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه لفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقده فهذا في محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله تعالى بقدر تفجعهما بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه

بيان اداب الفقير في فقره

اعلم ان للفقير ادابا في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما ادبه في باطنه فان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله عز وجل به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه به ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقرا اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنا ويكون متوكلا في باطنه على الله عز وجل وانقا به في قدر ضرورته انه ياتيه لا محالة رزقه ويكون كارها للزيادة على الكفاف قال علي كرم الله وجهه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات به فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع فيه ربه ولا يشكو حاله ويشكر ربه على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضا فهذا يدل على ان كل فقير ليس بمحمود بل الذي لا يتسخط ويرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته في الثاني وهذا قيل ما اعطي عبد شيا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلث شغل وهم وطول حساب واما اداب ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره في الحديث ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال قال الله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا وقال سفين افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر واما في اعماله فان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال علي كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله عز وجل واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة واقل منها ان لا يخالط الاغنيا ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري رحمه الله اذا خالط الفقير الاغنيا فاعلم انه مراي واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنيا انحلت عروته واذا طمع فيهم انقطعت عصمته واذا سكن اليهم ضل وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنيا وطمعا في العطا واما ادبه في افعاله فان لا يفتر عن عبادة بسبب الفقر ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة الف درهم وينبغي ان لا يدخر مالا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلث درجات احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلما ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلم ففهم منه الرخصة في امل الحيوة اربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنته وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الاقسام الثلثة فبعضهم كان يعطيها عند حصول ما يحصل قوت سنة وبعضهم

قوت اربعين يوما وبعضهم يوما وليلة كعائشة وحفصة رضي الله عنهما

بيان اداب الفقير في قبول العطا اذا جاءه بغير سؤال

ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلثة امور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من اخذه فقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب توقيه واما غرض المعطي فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة او الزكوة او الذكر والريا والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة فان كان فيه منة فالاولى تركها فان علم ان بعضها مما يعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل الاقط والسمن ورد الكبش وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض ويرد على بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي او ثقفي او انصاري او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجا بصرة الى فتح الموصلي فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة واخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن البصري يروي هذا الحديث ايضا وحمل اليه رجل كيسا وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم القيمة وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد في قبول العطا وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابرهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوهما ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيا يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى اخذه والا فلا وامارة هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقرا الصادقين وقال بشر ما سالت احدا قط شيا الا سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عونا له على ما يحب وجا خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله فقال افرقه على الفقرا فقال ما اريد هذا فقال ومتى اعيش الى ان اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد امن علي منك فقال الجنيد وما ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او زكوة فعليه ان ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكوة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولم يتقرب الى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه الثالث ان يكون غرضه الشهرة والريا والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان سفين الثوري يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان ياتيه من صلة فقال اني ارد عليهم صلتهم اشفاقا ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه فيما لا بد له منه او هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والافات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له الاخذ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الاخذ اذا كان محتاجا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اتاه شي من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليك وفي لفظ اخر فلا ترده وقال بعض العلما من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط وكان سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل

شيئا فرده فقال له سري يا احمد احذر آفة الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد علي ما قلت فاعاده عليه فقال
احمد ما رددت عليك الا ان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقال العلماء يخاف في الرد مع الحاجة
عقوبة من ابتلاء الطمع او دخول في شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما ان كان حاله الاشتغال بنفسه
او التكفل بامور الفقراء والنفقة عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان
طالبا طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله تعالى فهو من سبيل الشيطان او داعي اليه ومن حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او ينفق في السر وهذا مقام الصديقين
وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه او
ياخذ ويوصل الى من هو احوج فيفعل كلاهما في السر او كلاهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ او اخفاؤه
في كتاب اسرار الزكاة مع جملة من احكام الفقر فليطلب منه وامتناع احمد من قبول عطاء سري انما كان لاستغنائه عنه اذ كان
عنده قوت شهر فلم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات
اذ لم يامن مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ
من طوافه وهو يقول بصوت خفي انا جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى وعليه خلقان لا يواريه فقلت في نفسي
لا احد لدراهمي موضعا امثل من هذا فحملتها اليه فاخذ منها خمسة دراهم وقال اربعة ثمن ميزرين ودرهم انفقه ثلاثا ولا حاجة
لي في الباقي فرايته في الليلة الثانية وعليه ميزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي فاخذ بيدي فاطافني معه اسبوعا
كل شوط منها في جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر وغير ذلك
ولم يظهر للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه وآخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذاك للعباد
فيه رحمة ونعمة والمقصود من هذا ان الزيادة على قدر الحاجة انما ياتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله تعالى اليك ماذا تعمل
فيه وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت
يكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في اخذ قدر الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب
وان عصيت الله تعالى متعرض للعذاب ومن الاختبار ان يعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله تعالى وكسرا لصفة النفس
فياتيك عفوا صفوا لتمتحن به قوة عقدك فالاولى الامتناع عنه فان النفس اذا رخصت في نقض العزم الفت نقض العهد
وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان اخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه
الا الصديقون فاما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك
فان اخذت زائدا على حاجتك فاعطه للفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخر فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة
واختبار فربما يحلو الادخار في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك فقد تصدى لخدمة الفقراء بعض جماعة اتخذوها وسيلة الى
التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن
الظن بالله تعالى لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله تعالى من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله عنه وارضى
غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه ولا يغر المقرض ويخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم

على اقراضه

على اقراضه عن بصيرة ودين مثل هذا واجب ان يقضى من مال بيت المال والزكوة قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق
مما آتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل معناه ليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم ان لله عبادا ينفقون على قدر
بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم واوصى بماله لثلث طوائف الاقوياء والاسخياء
والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال الاقوياء هم اهل التوكل على الله والاسخياء هم اهل حسن الظن بالله تعالى واما الاغنياء فهم اهل
الانقطاع الى الله فاذا مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فلياخذه وينبغي ان يرى ما ياخذه من الله تعالى
لا من المعطي فان المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات وقد حكى ان بعض
الناس دعى شقيقا البلخي في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني
صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل
لشقيق ما اقصدت بهذا فقال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي
بني اسرائيل تغديني هذا يوما وتعشيني هذا ليلة فاوحى الله اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين
من عبادي ليوجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه

اعلم انه قد وردت مناه في السؤال وتشديدات ووردت فيها ما يدل على الرخصة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا
لما جاز اعانة المتعدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل لانه لا ينفك عن ثلثة امور
محرمة الاول اظهار الشكوى من الله تعالى اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى فكما ان
العبد المملوك لو سال لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا لضرورة
كما لا تحل الميتة الا لضرورة والثاني ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن ان يذل نفسه لغير الله تعالى بل عليه
ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه وسائر الخلق عباد الله امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا بضرورة وفي السؤال ذل للسائل
بالاضافة الى المسؤل والثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسؤل غالبا لانه ربما لا يسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلبه فان بذل حياء
من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل
نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه
المحذورات الثلث فهمت معنى قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسئلة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر
كيف سماه فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة انما يباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم
وفي لفظ آخر كانت مسئلته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يامر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول صلى الله عليه وسلم من سالنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ومن لم يسالنا فهو احب الينا وقال النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله
قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسال بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسال

فقال الم اقل لك عش فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ
المخلاة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولا اخذ مخلاته ولعل الفقيه
الضعيف المنة يستبعد هذا من فعل عمر رضي الله عنه ويقول اما ضربه فهو تاديب وقد ورد الشرع بالتعزير واما اخذ ماله فهو مصادرة
والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه فاين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة
عمر رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله تعالى ومصالح عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة بالمال غير جائزة او علم ذلك
ولكن اقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعه نبي الله صلى الله عليه وسلم وهيهات
فان ذلك معصية بل الفقه الذي لاح له فيه انه راه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من اعطاه شيئا فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج
وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز الكسرة وردها اذ لا يعرف اصحابها باعيانهم فبقي مالا لا مالك له
فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح وتنزل اخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوي
كاذبا فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفي الصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما
اعطاه وقد ذكرنا في مواضع انما اخذوه لا يملكونه وهو حرام يجب عليهم الرد على المالك فاستدل بفعل عمر على صحة هذا المعنى الذي
يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر رضي الله عنه واذا عرفت
ان السؤال يباح لضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة او مستغنى عنه فهذه اربعة
احوال اما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف وليس معه ما يواريه وهو
مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول بكونه مباحا والمسؤول منه بكونه راضيا في الباطن والسائل بكونه عاجزا عن الكسب
فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة
واما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وامثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة
فكالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص تحتها في الشتاء وهو
يتاذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسال لاجل الكراء وهو قادر على المشي فهذا ايضا ينبغي ان يسترسل عليه
الاباحة لانها ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عليه اولى وهو بترك السؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال
وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني اذى اطيقه ولكن يشق علي فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى واما الحاجة
الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه فيستر به الخروق التي في ثيابه من اعين الناس وكمن يسال لاجل الادم وهو
واجد للخبز وكمن يسال الكراء للفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار او يسال كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس
حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاث من الشكوى او الذل او ايذاء المسؤول فهو حرام
لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت
فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله تعالى والاستغناء عن الخلق ولا يسال
سؤال محتاج لكن يقول انا مستغن بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة على الحاجة وفضول
من النفس فيخرج به عن حد الشكوى واما الذل فبان يسال اباه او قريبه او صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا
يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط

عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي
الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا
ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسال
معينا فلا ينبغي ان يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك
لرغبته وانه غير متاذ به وينبغي ان يسال من لا يستحيي منه لو رده او تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير السائل
يؤذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحياء منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتداه به فهو حلال او شبهة
فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب
ظاهر جلده بسياط الخشب او يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وسوط الباطن اشد نكاية في قلوب العقلاء
ولا يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم انما احكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة
القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر الكلام وهو اللسان مع انه
ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب عنده
كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك فان المفتي معلم القضاة والسلاطين ليحكموا في عالم الشهادة
ومفتي القلوب هم علماء الاخرة وبفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الاخرة كما ان بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا
فاذا ما ياخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه الرد على صاحبه فان كان يستحيي من ان يسترده ولم يسترده فعليه
ان يعطيه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة فيتقصى عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته
فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت
فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا
فاقول فلهذا ترك المتقون السؤال راسا فكانوا لا ياخذون من احد شيئا فكان بشر لا ياخذ من احد شيئا اصلا الا من السري وقال
لاني علمت انه يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على ما يحب وانما عظم النكير في السؤال والامر بالتعفف لهذا لان هذا الاذى
انما يحل للضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح
له ذلك كما يباح له اكل لحم الخنزير عند الضرورة فكان الامتناع طريق الورعين ومن كان من ارباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع
على قرائن الاحوال فكانوا ياخذون من بعض الناس دون بعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان ياخذ مما يعطى
بعضه ويرد بعضه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشاة والاقط فكان هذا فيما ياتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون
الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فاما السؤال فقد امتنعوا
راسا عنه الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سال ثلاثة من الانبياء عليهم السلام في مقام الضرورة سليمان وموسى والخضر
عليهم السلام ولا شك في انهم ما سالوا الا من علموا انه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان وفي حق الاخوان
فقد كانوا ياخذون اموالهم بغير سؤال واستيذان لان ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا
وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بانبساطهم فكانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اعتقاد اخوانهم على ما يريدونه
والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال انه يعلم ان المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك دون السؤال

فلا يكون لسؤالك تأثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعية بالحيل فلا ويتصدى السائل لحالة لا
يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى مباح حلال مطلق
وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين احوال يشك فيه فليستفت فيها قلبه وليترك حزاز القلب فانه الاثم وليدع
ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص
وضعفت الفطنة ترا اى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتي والله جوامع الكلم لانه من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب ابيه ولا احد قريبه
فياكل من ايدي الناس وان اعطي بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لما اعطي بدينه فيكون ما ياخذه
حراما وان اعطي بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل واين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت احوال
من ياكل من ايدي الناس علمت ان جميع ما ياكله او اكثره سحت فان الطيب هو الكسب الذي اكتسبته انت او مورثك فاذا بعيد ان يجتمع
الورع مع الاكل من ايدي الناس فنسال الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه وكرمه **بيان
مقدار الغنى المحرم للسؤال** اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم صريح في التحريم
ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث
استغنوا بغنى الله تعالى قالوا وما هو قال غداء يوم او عشاء ليلة وفي حديث اخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب
فقد سال الحافا وفي لفظ اخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على احوال مختلفة
فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين
فنقول قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حق لابن ادم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب
فلنجعل هذه الثلث اصلا في الحاجات في اجناسها واقدارها واوقاتها فاما الاجناس فهي هذه الثلث
ويلحق بها في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفقة عياله وولده
وكل من تحت كفالته كالدابة ايضا واما الاقدار فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص وسراويل
ومنديل ومداس فاما اثنان من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث البيت ولا ينبغي ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني
من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على اخس الاجناس منه ما لم يكن
في غاية البعد عن العادة والطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو الشعير والادم على الدوام فضلة
وقطعه بالكلية اضرار فيجوز طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقل ما يجزئ من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما
السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال الغنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى
يكنه فلا شك فيه فاما سؤاله للمستقبل عن قصد فهذا له ثلث درجات احداها ما يحتاج اليه في غده والثانية ما يحتاج اليه بعد اربعين
يوما او خمسين والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسؤاله
حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير يكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد
اما المعيل فربما لا يكفيه وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا يفوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه مستغن
في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير

بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو اخر فيباح له السؤال لان امل البقاء سنة غير بعيد فهو
بتاخير السؤال خائف ان يبقى مضطرا عاجزا عما يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال
خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهة ويكون كراهيته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة
التي فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتي فيه
قلبه ويعمل به ان كان سالكا طريق الاخرة وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت
اظهر فدرجته عند الله تعالى اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد اتاك الله قوت يومك ولعيالك الا من ضعف اليقين
والاصغاء الى تخويف الشيطان قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء التي ابيح بالضرورة وحال من يسال لحاجة متراخية من غير يومه
عن يومه وان كان داخل السنة اشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى
الظاهر ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله تعالى وهي من امهات المهلكات **بيان احوال السائلين**
كان بشر يقول الفقراء ثلثة فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا مع
المقربين في جنات الفردوس وفقير يسال عند فاقته فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذا قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى
انه مع الفاقة يحط الدرجة والمرتبة وقال ابراهيم بن ادهم لشقيق البلخي اخوهم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء
من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثنى عليهم بغاية الثناء
فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا
وان اعطوا اثروا فقبل راسه وقال صدقت يا استاذ فاذا درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد
لسالك طريق الاخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها الى
ارتفاعها ومن اسفل السافلين الى اعلى عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر بان يترقى
الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب
الاحوال قد يغلبهم حالة يقتضي ان يكون السؤال لهم مزيدا في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات
وذلك كما روي ان بعضهم راى ابا الحسين النوري مد يده ويسال الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته
فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم انما سالهم ليثيبهم في الاخرة فيؤجرون
من حيث لا يضره وكانه اشار به الى قول النبي صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الاخذ للمال
لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما ياخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها
اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت ان اساله فذهبت بالصرة
الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسالته
فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله تعالى فاخذت
ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله ورد ما لنا والله المستعان فانظر الان كيف صفا
قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله تعالى اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب

ومناجاة الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكلية على الله تعالى فمن انكر ذلك قبل تجربته فهو جاهل كمن ينكر كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه امن بذلك وصدق به فهذا صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كانت دون عين اليقين ومن خلى عن علم اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيمة في زمرة الجاحدين المستكبرين من الدنيا هم قتلى الفضول واتباع الشياطين فنسأل الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن وضروريات المعيشة وبيان علامة الزهد

بيان حقيقة الزهد

اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكأن القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن الحال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذن يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا هو مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك التراب والحجر والحشرات لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لان التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشرى بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف عليه السلام بالزهد وطمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب اليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا بالاخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الاخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن زهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب بغير الاحب محال والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الاخرة بل طمع في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة ولا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيح

فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر على بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات ولا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبة عن الدنيا عدولا الى الاخرة او عن غير الله عدولا الى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب اليه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك تتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها فاما انا ففيماذا زهدت واما العلم الذي هو مثمر لهذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان يزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الثلج مثلا وهي ابقى كما يكون الجوهر ابقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجوهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والاخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والاخرة كالجوهر الذي لا فناء له فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والاخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الاخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الاخرة الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير يعني ثواب الاخرة خير فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرا في نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بايع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى نفسه لا الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لانه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر عن عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض يوجب الترك والتسليم فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن سلم حاضرا في غائب وسلم الاخر واخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف عليه السلام بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا

على يوسف حتى ينتفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم بالزهد في يوسف عليه السلم عند العزم على اخراجه الا عند التسليم والبيع
فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجته
فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لانه لا يقدر على ما لا يقدر على
تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك انك وان اتاك فانت زاهد فيه فلا ينبغي ان يتدلى بحبل غروره دون
ان يستظهر بموثق غليظ من الله تعالى فانك اذا لم تجرب حال القدرة ولا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة
المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات
فاياك وان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام
مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس ان تثق بوفائها ولكن تكون من تغيرها ايضا على حذر فانها سريعة
النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة
قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا يفتي في مسئلة الا رد علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري
اهو ابن الحائك ام ما هو ولكني اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها ولذلك قال جميع المسلمين انا نحب الدنيا
ولو علمنا اي شيء يحبه لفعلنا حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الى قوله ما فعلوه الا قليل منهم
قال ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم اي من القليل فما عرفنا ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل
قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة وليس من الزهد ترك المال على سبيل النجابة والفتوة وعلى سبيل استمالة
القلوب ولا على سبيل الطمع في الثناء فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تترك الدنيا لعلمك
بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة فاما كل نوع من الترك يتصور ممن لا يؤمن بالاخرة فذلك قد يكون مروة وفتوة وسخاء
وحسن خلق ولكن لا يكون زاهدا وحسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي الذ واهنى من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا
في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء او استثقالا له لما في حفظ الاموال
من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال حظ اخر للنفس بل الزاهد من
اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون
انسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حبه غير الله او تركها طمعا في ثواب الاخرة كترك التمتع باشربة الدنيا طمعا
في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها
وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا فاثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الاخرة خير
وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الاخرة اصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في
زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء
وقال الله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال الله تعالى من كان يريد
حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به

ازواجا

ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال الله تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة
فيه وصف الكفار فمفهومه ان المؤمن هو يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الاخرة على الحيوة الدنيا والاخبار في ذم الدنيا كثيرة
وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الان نقتصر على فضيلة بغض الدنيا
فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل
فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه
واتته الدنيا وهي راغمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه
يلقي الحكمة قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة
في قلبه وانطق بها لسانه وقيل يا رسول الله اي الناس خير فقال النبي صلى الله عليه وسلم كل مخموم القلب صدوق اللسان فقلنا
يا رسول الله ما مخموم القلب فقال صلى الله عليه وسلم التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على
اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الاخرة ومفهوم هذا ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان اردت ان
يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات
ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وقيل عن اهل البيت قال الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة
فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش
ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الايمان قلبه فانظر كيف بدأ في اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا
وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الايمان قلبه ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح
له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم
استحيوا من الله تعالى حق الحياء قالوا انا نستحيي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك يناقض الحياء
من الله ولما قدم عليه الوفد قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا
بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم ان كنتم كذلك فلا تبنوا ما لا تسكنون
ولا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقال علي كرم الله وجهه يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها
صفه لنا وفسره فقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون اقوال الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة
فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك
ولا يدخل الجنة من شك وقال صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من
النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما

الى دار السلام وروى انه صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم اليهم
وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت فاعرض عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها فقال صلى الله عليه وسلم
قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية وروى مسروق عن عائشة
رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم
يا عائشة والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن
اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا ينبغي لمحمد ولا لال
محمد يا عائشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان
كلفني ما كلفهم قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا
بجهدي ولا قوة الا بالله تعالى وروي عن عمر رضي الله عنه انه قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها حين فتح الفتوحات
البس لينا من الثياب اذا قدمت عليك الوفود من الافاق ومر بصنعة طعام تطعم وتطعم من حضرك فقال عمر يا حفصة الست
ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت نعم فقال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة
كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولم تشبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهله حتى فتح الله عليهم خيبر وناشدتك الله
هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر
بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك او وضع بالارض وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
ينام على عباءة مثنية فثنيتموها له ليلة باربع اثناء فنام عليها فلما استيقظ قال صلى الله عليه وسلم منعتموني قيام الليلة
بهذه العباءة فاثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه
ليغسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ما يخرج به الى الصلاة حتى ييبس فيخرج الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين
ان امراة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الاخر فخرج الى
الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال حتى ابكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى
ظننا ان نفسه ستخرج وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء يبتلى احدهم
بالفقر فلا يجد الا العباء وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله ذلك وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس رضي الله
عنه انه قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين قال رب اني لما انزلت الي من خير فقير وان خضرة البقل كانت ترى في بطنه من
الهزال فهذا كان مما اختاره الانبياء والمرسلون وهم اعرف خلق الله تعالى بالله وبطريق الاخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما
نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية قال عليه السلام تبا للدنيا وتبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله
عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر فقال عليه السلام ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وامراة صالحة تعينه على امر
وفي حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اثر الدنيا على الاخرة ابتلاه الله بثلث هم لا يفارق قلبه ابدا
وفقر لا يستغنى ابدا وحرص لا تشبع ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى لا يعرف احب اليه من ان يعرف

ومتى يكون

ومتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله
لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال عليه السلام اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال فكيف
يستقيم عبادة على حب الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب
ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك
واثني عليك وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الاخرة وبصره بعيوب نفسه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة
سارع الى الخيرات ومن خاف النار لها عن الشهوات ومن يرقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
وعن عيسى عليه السلام مثل كلام نبينا صلى الله عليه وسلم انهما قالا اربعة لا يدركن الا بتعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع
وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن فان الانبياء عليهم السلام من الدنيا
الى الاخرة فاليه يرجع كلامهم فقدا ودنا ما فيه كفاية اما الاثار قيل لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله
تعالى ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم او ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله
تعالى كذبتم لستم بها بصادقين وعن بعض الصحابة انه قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ من زهد في الدنيا وقال
بعضهم لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك
قال كانوا ازهد في الدنيا منكم وقال ابن عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد
كفى بذنبنا ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك
ضالة لا توجد وقال ابن عمر ان للجنة ثمانية ابواب فاذا جاء اهل الجنة جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها
احد قبل الزاهدين في الدنيا والعاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله تعالى ثلث خصال ان اموت
حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك وروي ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء
بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة الاف درهم فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبلها الفقهاء وانت ترد وانت على
حالتك هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها
قبل ان لا ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال
عبيد كان عيسى عليه السلام يلبس الشعر وياكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اينما ادركه المساء نام
وقالت امراة ابي حازم له هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الثياب والطعام والحطب فقال ابو حازم من هذا كله
بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك
قال الامر اعجل من ذلك وقال ابرهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى يرفع عنه
الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص وان حزنت على المفقود
فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط وقال ابن مسعود رضي الله عنه
ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله تعالى من عبادة المتعبدين المجتهدين الى اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعضهم نعم الله

علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف إلينا وكان التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحمي عبده عن
الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه وإذا فهم هذا إن النعمة في المنع المؤدي إلى الصحة
خير منه في الإعطاء المؤدي إلى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها
لم يفرح بها فرحا ولم يحزن على بلائها أسفا وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من أربعة أشياء من الجوع والعري
والفقر والذل وقال الحسن أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من أمر الدنيا إذا أقبل ولا يأسفون على
شيء منها إذا أدبر ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين لم يطو له ثوب ولم ينصب
له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ولا أمر في بيته بصنعة طعام فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم
تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها
وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة

بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت
بحسب تفاوت قوته على ثلاث درجات الدرجة السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه إليها مائل ونفسه إليها
ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب
أولا نفسه ثم كيسه والزاهد أولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فإنه ربما
تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره
إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لأجل درهمين فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل
ولكن هذا معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة
وهي العليا أن يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئا إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك
خزفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من
خزفة بالإضافة إلى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا كما
أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الإقالة في البيع قال أبو يزيد لأبي موسى عبد الرحيم في أي شيء تتكلم قال في الزهد
قال في أي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت أنك تتكلم في شيء الدنيا لا شيء إيش تزهد فيه ومثل من ترك
الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة
من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب من عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفترى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك
بلقمة ألقاها إلى الكلب في مقابلة ما ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب
مرفوع والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي
إلى النتن والقذر ويحتاج إلى إخراج ذلك الثقل فمن يتركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها ونسبة الدنيا كلها أعني ما يسلم
لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا إذ لا نسبة للمتناهي إلى ما
لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت باقية ألف ألف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا تناسب نعيم الأبد فكيف ومدة
العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فأي نسبة لها إلى نعيم الأبد فإذا لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما

زهد فيه ولا يلتفت إلى ما زهد فيه إلا من يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به إلا لقصور معرفته وسبب نقصان الزهد نقصان
المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات إذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر
المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر التفاته إلى زهده وأما الانقسام بالإضافة إلى المرغوب فيه فهو أيضا
على ثلاث درجات السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر
ما بين يدي العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار إذ فيها أن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء
فهذا زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم الثانية أن يزهد رغبة في ثواب
الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغير ذلك وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة
بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم قائم لا آخر له الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي
لقائه فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله وهو الذي
أصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله لأن من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد
بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله خاصة إلا من عرفه وكما
أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار فكذلك من عرف الله تعالى وعرف لذة النظر إلى وجهه
الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يحب
إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك
اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور
واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك
لقصوره عن إدراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق وأما انقسامه
بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الأقاويل ولكن نشير
إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح به أكثر ما ذكر فيه فنقول المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها
أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمل للجمل أما الإجمال في الدرجة الأولى فهو كل ما سوى الله تعالى فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد
في نفسه أيضا الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة
والمال والجاه الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع حظوظ النفس الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة
والدينار والدرهم إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم
والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن معنى المال
ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل يكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة
سبعة منها فقال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ثم رده في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل إلى
واحد فقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون

الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا ينافي البعض وانما يفارقه في الشرح مرة وفي الاجمال
اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا
فقصر امله لا محالة لانه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحياة
الا حب دوام ما هو موجود اذ يمكن ذلك في هذه الحيوة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا
لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اى لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا
فظهر عند ذلك حال الزاهدين وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص
فانتظروا احدى الحسنيين واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم
فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا
تمتع عشرين سنة او ثلثين بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به هذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما
ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد ما راه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال بشر
الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهو اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف
بقدر ما يملك من بطنك كذلك يملك من الزهد وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر
وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الامل
وهذا جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات
كلها وقال اويس اذا خرج المريد لطلب ذهب الزهد وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال
ايضا رحمه الله الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هي العمل بالراي والمعقول
والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح
ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه خاصة والى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيها في الاخرة وقد طولوها
حتى ينقضي عمر الانسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد
الذي اذا راى احدا قال هذا افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد
وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال اويس ولا شك في انه اراد به طلب الحلال
وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من الحلال فقد اخذ باصل الزهد وفي الزهد
اقاويل وراء ما نقلناه لم نر في نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل الناس راها مختلفة فلا يستفيد
الا الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من
قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصاد من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته ولا حكيم اقتصر الا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا
ما ذكروا عند الحاجة فلاجرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلاجرم الكلمات تختلف وقد يكون سببه اقتصار الاخبار
عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال مختلفة فلاجرم ان الاحوال المخبرة عنها تختلف فاما الحق في نفسه
فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه بان يكون فيه تفصيل قال ابو سليمان

اذ قال

اذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله تعالى وقد فصل مرة وقال من تزوج
او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقرا ابو سليمان قوله تعالى الا من
اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للاخرة فهذا
بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قال
ابراهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل
درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ لا نهاية لما يتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات
لا سيما خفايا فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الامور الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا يتناهى فمن اقصى درجاته
زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي
تجدد فقال توسدت حجرا اي تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي ان يحيى
عليه السلام لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس والاستراحة فسالته امه ان يلبس مكانها جبة صوف ففعل فاوحى
الله تعالى اليه يا يحيى آثرت الدنيا علي فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه وقال احمد الزهد زهد اويس بلغ من العري
الى ان جلس في قوصره وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط انسان فاقامه صاحبه فقال ما اقمتني انما اقامني الذي لم يرض لي
ان اتنعم بظل حائطك فدرجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقلها الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد
في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم راوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد
الان فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب ومخالطة الناس
ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى الانصراف من الدنيا الى الله الاقبال بكل القلب عليه ذكرا
وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن
وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله تعالى فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف
الدابة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج
ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات حتى يسير بك الى مقصدك وكذلك ينبغي ان يكون
في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك بالكسوة والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة
فلا تقصد التلذذ بل التقوي على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرطه فان قلت لا بد ان اتلذذ بالاكل عند الجوع
فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ وقد يستلذ بالشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضي
حاجته قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسحار وصوت الطيور ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه

ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده مطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فان الانسان قد يستريح صح

من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به والانس الذي
معه فيكون فيه انس الى الدنيا ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان لداود الطائي حب ماء
مكسور فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا
فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء يسيرة
للتنعم على التابيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة العاقبة

التي هي الدنيا والدين **بيان فضيلة الزهد فيما هو من ضروريات الحيوة** اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول
والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ يقتنيها الانسان للركوب وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل
اصناف الفضول لان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من
بيان وجه الزهد والمهمات اربعة المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الاربعة من جملتها
وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الان نقتصر على هذه المهمات
الاربعة الاول المطعم ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه
حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من الناس من يملك طعام يومه ولا يقنع به واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه
ووقت تناوله اما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدته وخوف المرض ومن
هذا حاله فاذا استقل بما يتناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه الدرجة العليا الثانية ان يدخر لشهر او لاربعين يوما
الثالثة ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لان من امل بقاء
اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا ولا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من الايدي كداود الطائي فانه
ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرطا واما عرضه
فبالاضافة الى المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى
في اطعام المساكين في الكفارة وما زاد على ذلك فهو اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن
له من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة
واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز من النخالة او صار حواريا فقد دخل في التنعم وخرج عن ابواب الزهد فضلا عن اوائله واما
الادام فاقله الملح والبقل والخل واوسطه الزيت ويسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع
مرة واحدة او مرتين فان صار دائما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج من اخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن
اصلا واما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب ليلة ولا ياكل
وياكل ليلة ولا يشرب واعلاه ان ينتهي الى ان يطوي ثلثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر
شرهه في ربع المهلكات ولتنظر الى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادام
قالت عائشة رضي الله عنها كانت تاتي اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم
كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادام وقال الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم يركب
الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبيد وقال عيسى
عليه السلام بحق اقول لكم انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير وقيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز البر منذ قدم المدينة ثلثة ايام وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير
واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف من المطعم في ربع المهلكات ولما اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل قبا اتوا بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقال يحيى بن معاذ
الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه

من لبن مشوبة من عسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه ولكني اتركه تواضعا لله تعالى واتي بشربة صح

والاعتبار فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه
والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة
حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى المهم الثاني الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى
به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط
الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين
فقد خرج عن جميع ابواب الزهد هذا من حيث القدر واما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه
القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان
يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى اكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد
الزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي ان يتصدق به فان امسكه
لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولتنظر فيه الى احوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت لنا عائشة
رضي الله عنها كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهورا ابدا ولا انام بليل على دثار ابدا
ولا اركب على ماثور ابدا ولا املا جوفي من طعام فقال عمر رضي الله عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله عنه حتى ينزعه وان كان عنده
حبيبا واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكانت ملبسه شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى
حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ وفي حديث انه كان قميص رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانه قميص زيات ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم
وكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل عليك هذا من الجنة تعجبا وكان اهداه اليه ملك الاسكندرية فاراد ان
يكرمه فلبسه ثم نزعه فارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج فكانه لبسه اولا تاكيدا للتحريم
كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه وحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضي الله عنها في شان بريرة اشترطي لاهلها
الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلثا ثم حرمها لتاكيد وافر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم واتوني بانبجانيته يعني كساء فاختار لبس الكساء
على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه ثم سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا
الجديد فاني نظرت اليه في الصلوة ولبس خاتما من ذهب فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه
ونظرة اليكم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال اعجبني حسنهما فتواضعت
لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين راه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من خيار امتي فيما انباني الملا
الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذاب ربهم مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون
الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش فهذه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللباس
وقد اوصى امته عامة باتباعه اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم من احبني فليستن بسنتي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي

وسنة الخلفاء المهديين وعضوا عليها بالنواجذ وقال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى عائشة
رضي الله عنها خاصة وقال لها ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعد على قميص لعمر
اثنا عشر رقعة بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلثة دراهم ولبسه وهو خليفة وقطع كمه من الرسغين وقال الحمد لله
الذي هداني من رياشه وقيل البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان الثوري يقول للفقير
يمر بي وانا اصلي فلا ادعه يجوز واحد من ابناء الدين وعليه هذه البزة فامنعه فلا ادعه يجوز قال بعضهم قومت ثوبي سفين
رحمه الله ونعليه بدرهم واربع دوانيق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال البس من الثياب
ما لا يخالطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمان الثياب ثلثة ثوب لله تعالى وهو ما يستر العورة
وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقيل من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء
من التابعين قيمة ثيابهم من العشرين الى الثلاثين درهم وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته وربما عطف
ذيله على راسه وقال بعض السلف اول النسك الذي وفي الخبر البذاذة من الايمان وايضا من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه
تواضعا لله تعالى وابتغاء لمرضاته وجهه كان حقا على الله تعالى ان يدخله من عبقري الجنة في تخت الياقوت واوحى الله تعالى الى بعض
انبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخلهم فيكونوا اعدائي ونظر ابن جريج الى ابن مروان على منبر
الكوفة وهو يعظ الناس فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر
بن ربيعة الى ابي ذر في بزة فجعل يتكلم في الزهد فضرب ابو ذر فشكاه ابن عامر الى ابن عمر فقال انت صنعت بنفسك تتكلم
في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي كرم الله وجهه ان الله تعالى اخذ على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس
ليقتدي بهم الغني ولا يزدري الفقير فقره ولما عوتب علي عليه السلم في خشونة لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به
المسلم ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله المخلصين ليسوا بالمتنعمين وراى فضالة بن عبيد وهو والي مصر
اشعث حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا
وقال علي رضي الله عنه ان اردت ان تلحق صاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر
رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والثياب ويتشدقون في الكلام
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما سفل ففي النار ولا ينظر
الله تعالى الى من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مرائي او احمق وقال
الاوزاعي لبس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة وقال محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له ما دعاك
الى مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال كعب لما
اتخذ الله ابراهيم خليلا اوحى اليه ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شيء الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ
سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسليمن ما لك لا تلبس الجيد من الثياب فقال
ما للعبد والثوب الحسن فاذا عتق فوالله ثيابا لا تبلى ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة شعر وكساء يلبسهما من الليل
اذا قام لورده وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية نفاقا

وقال ابن معين رايت ابا معوية الاسود يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى
خيرا منها فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة فجعل يحيى يحدث به ويبكي المهم الثالث المسكن
وللزهد فيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقتنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة واوسطها
ان يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف او خص او غير ذلك وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء او اجارة
فان كان قدر سعته على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد فان طلب التشييد
والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في المسكن واختلاف جنس
البناء بان يكون بالجص والقصب او بالطين او بالاجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى
الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة فكل ما يراد للضرورة فلا ينبغي
ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا الة الدين ووسائله وما جاوز ذلك فهو مضاد الدين والغرض من
المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والايدي واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول
كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا قيل اول شيء ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
التدرير والتشييد يعني درز الثياب فانها كانت تشل شلا والبناء بالجص والاجر هو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف
والجريد وقد ورد في الاخبار يأتي على الناس زمان يوشون بنيانهم اعلاما كوشي البرود اليمانية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
العباس ان يهدم علية كان قد علا بها ومر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيده معلقة معلاة فقال عليه السلم لمن هذه فقالوا
لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه ولم يكن يقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر
بذلك فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع ولم يرها فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد شرا
اهلك ماله في الماء والطين وقال ابن عمر رضي الله عنه مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال
صلى الله عليه وسلم ما هذا فقلنا خص لنا قد وهى فقال عليه السلم ارى الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلم بيتا
من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له
لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة
وفي الخبر كل نفقة يوجر عليها العبد الا ما انفقه في الماء والطين وقوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة
الا ما اكن من حر وبرد وقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكى اليه ضيق منزله اتسع في السماء اي في الجنة ونظر
عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص واجر فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان
هامان لفرعون يعني به قول فرعون لهامان فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا يعني به الاجر فرعون اول من بني
بالجص والاجر واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر عن بعض السلف انه دخل جامعا في بعض
الامصار فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهوص ثم رايته الان مبنيا باللبن
فقال وكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهوص واصحاب الرهوص خيرا من اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره

مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده في احكام البنيان وكان منهم من حج او غزا فنزع بيته او وهبه
لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من حشيش وجلود وهي عادة العرب الان ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة
وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار
اذا اعلى العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين ونهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال
لولا نظر الناس لما شيدوا فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكن ممن نظر ولم يعتبر وقال ابن مسعود
يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم المهم الرابع
اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات فاعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته
باصابعه فرمى المشط ورأى اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه يراد لمقصود فاذا استغني
عنه فهو وبال في الدنيا والاخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون
مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه لكن يستعمل الالة الواحدة
في مقاصد كثيرة كالذي معه قصعة يشرب فيها ويأكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال الة واحدة
في اشياء للتخفيف ولا يستحب ان يكون له بعدد كل حاجة الة من الجنس النازل فان زاد في العدد او نفاسة الجنس خرج عن جميع
ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قالت عائشة رضي الله عنها كان
ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم وروي ان عمر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على
سرير مرمول بشريط فجلس فرأى اثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي
ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول
بشريط فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان يكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك
ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا اثاثا فقال ان لنا بيتا نوجه اليه
صالح متاعنا فيه فقال انه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص
على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جراب
احمل فيه طعامي ومعي قصعة اكل فيها واغسل رأسي وثوبي ومطهرة احمل فيها شرابي وطهوري للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا
فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها
فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأله فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت به فضعه
حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها فقال
بابي انت قد احسنت ورأى النبي صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به الى آل فلان
وفرشت له ذات ليلة فراش جديد وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال ما
اعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني فقد اسهرني الليلة وكذلك اتيته دنانير خمسة او ستة عشيا فسهر ليله حتى اخرجها

من اخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال
الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر
الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه المهم الخامس المنكح قال قائلون لا معنى للزهد في اصله ولا في كثرته واليه ذهب سهل
بن عبد الله وقال قد حبب النساء الى سيد الزاهدين فكيف يزهد فيهن ووافقه سفيان بن عيينة وقال كان ازهد
الصحابة علي كرم الله وجهه وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني كل ما شغلك عن الله
من اهل ومال وولد فهو عليك شوم والمرأة قد تكون شاغلة وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال
كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف
يكون من الزهد تركه وان لم يكن عليه افة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب الى الانس بهن بحيث يشتغل
عن ذكر الله تعالى فذلك من الزهد وان علم ان المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك النظر احترازا من لذة النظر والمضاجعة
والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات
واللذة التي تلحق الانسان فيما هو ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هو المطلب والمقصد وهو كمن يترك اكل الخبز وشرب الماء
احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد لان في تركه فوات بدنه وفي ترك النكاح انقطاع نسله ولا يجوز
ان يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف افة اخرى فهذا ما عناه سهل رحمه الله ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا ثبت هذا فحال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغل كثرة النساء عن الله عز وجل ولا اشتغال القلب باصلاحهن
والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن انى يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء
فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان يشغله الكثرة منهن او
جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمان الزهد في النساء ان يختار المرأة الدون او اليتيمة
على المرأة الجميلة الشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج
وقال احب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرأ لانه اجمع لهمه فاذا ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا
المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو الجاه والمال اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل
بها الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لا محالة
في قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن
يتمادى به الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر
او لخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستأجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه
في قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها او ان يكون بين جيران يظلمونه
ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف
وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا
فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين
واما التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا

لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بالطلب فاذن طلب المحل في القلوب لا رخصة
فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحذر من قليله وكثيره واما المال فهو ضروري
في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه
وقام وهذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزاهدين واقويائهم جميعا
وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفيه ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر من الزهد
بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه
اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد به الزاهدين في الدار الاخرة من
المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة واما المنفرد فهو في جميع ذلك
اخف من المعيل وقال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه
ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله ولا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد
الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر وقلبين لان ذلك
من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة
دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو
وان لم يكن دواء نافعا ولكنه يسير الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه
ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الاخذ
بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا
هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي ان ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب
الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت
مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها شيئا فاوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراء
ذلك وبال في الاخرة وهو من الدين ايضا كذلك يعرفه من جرب احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه
واحتمال الذل فيه وغاية سعادته به ان يسلم لورثته فياكلونه وهم اعداؤه وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم
عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد
مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده
بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده بالمال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراءاة الاصدقاء
وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطا فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه وراى قلبه مقيدا بسلاسل
واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكها الى ان يفرق
ملك الموت بينه وبين محبوبه جميعا دفعة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا
ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجاذبه الى الاخرة فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر
بالمنشار ويفصل احد جانبيه من الاخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل الالم ببدنه وتألمه حتى

يسري اثره الى قلبه فكيف الظن بالم يتمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول
عذاب يلقاه قبل ما يلقاه من حزن فوات النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب
عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم قرن العذاب بالنار وعلى الم الحجاب وكان من غير علاوة النار كفى فكيف
اذا اضيف العلاوة اليه فنسال الله تعالى ان يقذف في سمعنا ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه وقيل في ذلك كالدود ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه ولما انكشف
لاولياء الله تعالى ان العبد يهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه هلاك دود القز رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال
الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ اخر كانوا بالبلاء اشد
منكم فرحا بالخصب والرخاء لو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم قالوا
ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له المال فلا ياخذه يقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب
يخاف من فساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبرنا الله عنهم اذ قال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا
بها والذين هم عن اياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال
تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم
ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني فقال لا استطيع فقال عليه السلام
بعجب يدخل الغني الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة املاك ينادون في الافاق باربعة اصوات
ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهما بالمشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الاخر اللهم اعط
منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان في المغرب احدهما لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا لطول
الحساب **بيان علامات الزهد** اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار
الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين يردون انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا
الديارات وانما سرورهم معرفة الناس لحالهم ونظرهم اليهم في مدحهم لهم فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد
من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد بل في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف
الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخرة من اللباس يموهون
بذلك على الناس ليهدى لهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء المحتقرين فيعطوا كما يعطى المساكين
ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة
غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب
اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم مائلين الى الدنيا متبعين للهوى فهذا كلام الخواص
فاذن معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح
بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك
وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده والثاني ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد في المال والثاني

علامة الزهد في الجاه والثالث ان يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة
المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله تعالى وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل
من انس بالله تعالى اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ما افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله تعالى فاما
الانس بالدنيا وبالله تعالى فهما جميعا لا يجتمعان وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والاخرة جميعا
وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء ابرهيم
وادم عليهما السلام اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي وقال ابو سليمن من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين
ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد ان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل
بنفسه وعند ذلك يستوي عنده المدح والذم والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا
قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمن ان داود الطائي كان زاهدا قال نعم قلت قد بلغني انه ورث من ابيه عشرين دينارا فانفقها
في عشرين سنة فكيف يكون زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية وان الزهد
ليس غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه
ان يتوسد حجرا كما فعل عيسى عليه السلام فنسال الله تعالى ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قل فان امثالنا لا يستجرئ على الطمع في غاياته
وان كان قطع الرجاء عن فضل الله تعالى غير ماذون فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا ان الله تعالى لا يتعاظمه
شئ فلا بعد في ان يعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذن علامة الزهد استواء الغنى والفقر والعز والذل
والمدح والذم وذلك لغلبة الانس بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها
وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي لا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود
وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال
ابو سليمن الصوف علم من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل
وسفين علامة الزهد قصر الامل وقال السري لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل
بنفسه وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الاخرة وقال ابن معاذ الزهد ثلثة عمل بلا رياء وقول
بلا طمع وعز بلا رياسة وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل
حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك
الرزق ثلثة ايام لم يضعف في نفسك فاما ما لم يبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا امن ان تفتضح
وقال الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسود وجهها وينتف شعرها ويحرق ثوبها والعارف يشتغل
بالله لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شئ من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه
وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فهذا
ما اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه تم كتاب الفقر والزهد

ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب التوحيد والتوكل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
واله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا كثيرا يا رب
العالمين

كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله المدبر الملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع السماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق العباد
الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات
الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحققا بان جميع اصناف
الخلائق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا
انه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد قامع الاباطيل
الهادي الى سواء السبيل وعلى اله واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام
من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم وشاق من حيث العمل ووجه غموضه
من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح
في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان يرى اسبابا تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل
على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة
الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب
عما شاهدوا من حيث استنطقوا ونحن الان نبدا بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر
الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني

فضيلة التوكل

قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين وقال الله تعالى فليتوكل المتوكلون وقال عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين
واعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز
الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك
للتوكل وهو المكذب بهذه الاية جل الله عن ذلك فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين
من الدهر الاية وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا
الى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
فبين ان كل ما سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف تتكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى ولله خزائن السموات والارض وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا
من بعد اذنه وكل ما ذكر في القران من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار واما
الاخبار فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملاوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئتهم
فقيل لي ارضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون
ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك

بها عكاشة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله تعالى كفاه الله تعالى كل مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع
الى الدنيا وكله الله اليها ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اصاب اهل بيته خصاصة قال قوموا الى الصلوة
ويقول بهذا امرني ربي قال الله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروي انه لما قال جبريل عليه السلم لابرهيم عليه السلم وقد رمي
من المنجنيق الى النار الك حاجة فقال اما اليك فلا وفا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى
فانزل الله تعالى وابرهيم الذي وفى واوحى الله تعالى الى داود عليه السلم ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فكاده اهل السموت
والارض الا جعلت له مخرجا واما الاثار فيه قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين فناولت
الراقي يدي التي لم يلدغ وقرا ابرهيم الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه
الاية ان يلجا الى احد غير الله وقيل لعالم في المنام من وثق بالله فقد احرز قوته وقال اخر لا يشغلنك المضمون لك من
الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ في
الوجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابراهيم سالت بعض الرهبان من اين تاكل
فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما الى
الشام قال هرم كيف المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما ينفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت
بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم ان التوكل من ابواب الايمان
وجميع ابواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد
باسم التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم
واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه
قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل
عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد تم له الايمان الذي
هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه طويل
وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفة يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذن
لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول التوحيد اربع مراتب وهو
ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز واللوز في قشرته العليا
فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل
عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة
ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها
صادرة عن الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد
لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى

انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم بذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى
انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح
ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة ان توفي عليها ولم يضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله
وتسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها احكام هذه العقدة وشدها على القلب تسمى كلاما
والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام حتى تنحل
عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذا انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا
وقد انكشف له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين
اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد
بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد
فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان
القشرة العليا لا خير فيها بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفا النار واكثر الدخان
وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى
كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب
والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب جسم البدن وهو
القشر وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا
فانه يصون اللب ويحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب
وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة
التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكانه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة
الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى
الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء
والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة وكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات
واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر
ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع اخر من المشاهدة
والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى
واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه
وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده واعضائه والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس
فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة وكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات
كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواها كثير وبعضها اشد كثرة من بعض ومثال

الانسان وان كان لا يطابق بالغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما امنت به صفتك كما انك اذا امنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرى كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور حيث راى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما انت فقال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول وهو النفاق فواضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تاكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث فهو الذي يبتنى التوكل عليه اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما يطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتغي به ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك لسببين احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات اما الالتفات الى الجمادات فاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال الله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه والتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والقلم والكاغد الذي به كتب الملك التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الكاتب عن ان يخطر بباله القلم والدواة والكاغد فالشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو الكاتب للتوقيع والحق ان الله تعالى هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فربما ياتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله تعالى

وهذا

وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول لك نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زل اقدام الاكثرين من العباد الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشياطين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة لو كانت تدب على الكاغد فرأى راس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا من صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقتها وكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا للكل فوقفت في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ذلق يتكلم بلا حرف ولا صوت ولا يسمعه الذين هم عن السمع لمعزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريكك فيه ولا قدر لما تشارك فيه البهيمة وانما اريد به سمعا تدرك به كلاما ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان كل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وهذا مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا نهاية ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لوم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى به على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر لهم ذلك حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة ببعض الاسرار فاذن عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد راه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والان قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطبعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سال القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من وطنه فقال اسال اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحت عني قشرتي ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي وفصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة راسي فلقد نثرت

الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت فسأل اليد عن ظلمها للقلم واستخدامها له فقالت اليد
ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة
فهي التي تردني وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر لا يتعدى شي منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبها مثل هذا
الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ولا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا
من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم لولا القدرة فسلها عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سال
القدرة عن شانها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وكثرة ترديدها لها فقالت القدرة دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم
ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك امري وكيف ظننت اني ظلمته لما ركبته ولقد كنت راكبا اياه قبل التحريك
وما كنت احركه ولا استسخره بل كنت نائما ساكنا نوما يظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى
جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني فركبت ولي قوة على مساعدته ولم يكن لي قوة على مخالفته بل وهذا الموكل يسمى
الارادة ولا اعرفه الا باسمه وبهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورايي فقال
صدقت ثم سال الارادة ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد
عنه مخلصا ومناصا فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت
ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل
بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له
والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقفت
عليه وقفا والزمت طاعته الزاما لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري ما دام هو في التردد على نفسه والتحير في حكمه
فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه انزعجت بطبعي وفرحت تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب
حكمه فسل العلم عن شاني ودع عني عتابك فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على
استنهاض الارادة وتوسيخها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب
اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل
وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا عني فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا يتتعتع السائل
ولم يقنعه جواب وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في فهم هذا الامر منه على غيره
ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني
خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا
الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد منه شيئا اسمع جعجعة ولا ارى
طحنا فقال له القلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق التي توجهت
اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه وكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام
الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان
الكاغذ والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل بسهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني

انتهيت الى منازل وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم منها والثالث عالم الجبروت
وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاثة منازل في اوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة
بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم
الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي بين الارض والماء فلا هو في حد اضطراب الماء ولا هو في حد سكون الارض وثباتها
وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم
الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة يمشي في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء
فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق الا الماء الصافي واول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به
العلم وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى
على الهواء لما قيل له انه يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر
الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك
وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به الكتب في لوح القلب فتشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز
عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره كوشف بالقلم
اذ انزل عليه اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى
قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال القلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت
ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر
الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله عز وجل في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم
ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص
فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك لا الى هؤلاء
ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف
في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر
فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا
بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالوادي المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك
تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك فاخلع نعليك فلما سمع السالك من القلم ذلك
استشعر في نفسه قصورا وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما راها بعين النقص ولقد كان زيته
الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه القلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له القلم اغتنم
الان هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم
في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم
وكان له في كل قلب راسا ولا راس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الان ظهر لي صدق انبائه عن
اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادتي لك وانا عازم على ان اسافر

الى حضرة العلم فسأله عن شأنه وسافر اليه وقال ايها القلم ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تنبعث به الارادات
الى اشخاص القدر وصرفها الى المقدورات فقال لقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ سألته
فاحالك على اليد قال لا قال فجوابي مثل جوابه قال وكيف وانت لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله تعالى خلق ادم على صورته قال
نعم قال فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي
في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال ومن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قول الله تعالى والسموات مطويات بيمينه
قال نعم قال فالاقلام ايضا في قبضة يمينه هو يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد
على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشيره والجملة فيه انه يمين لا كالايمان
ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه القلم فقال
جوابي كما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها
القدرة لا محالة فسافر الى عالم القدرة ورأى من العجائب ما استحقر فيها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما
انا صفة فسل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول
الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته
مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك وتوكلت عليك وامنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف
غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا ان اسألك واتضرع اليك وابتهل
بين يديك فاقول اشرح صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء
وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما اتاك فخذه وما نهاك عنه فانته وما قاله فقله صلى الله عليه وسلم فانه ما زاد في هذه
الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك
فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك ان تتخطى رقاب الصديقين وارجع الى الصديق الاكبر رضي الله عنه فاقتد به فان
اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا
انك تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسئلته ومعاتباته
وقال لليمين والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا جديد العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل
دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والان قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت
هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والاخر وهو الظاهر والباطن فلما
ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن
والاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد
وهو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة
فيكون ذلك اخر السفر فهو اخر في المشاهدة اول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين
لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت
فهكذا كان توحيد السالكين بطريق التوحيد في العمل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد فان قلت فقد انبنى هذا

التوحيد على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه فاقول اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال له انكارك
لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها
لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة فان قال انا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس
الخمس ولا اعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه فيما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم
قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد
مزاجه وامتنع علاجه فيترك اياما قلائل فما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء هذا حكم الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم
فطريق السالكين فيه ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في الاصل نزل فيها ماء اسود
يقبل التنقية اشتغلوا بتنقيتها اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره ارشدوه الى الطريق ليسلكه كما فعل ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد
ولم يمكنه ان يسمع كلام ذوات الملك والملكوت بمشاهدة التوحيد كلموه بحروف وصوت وردوا ذروة التوحيد الى حضيض
فهمه فان في عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله
ان العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس
اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل
القران بلسان العرب وعلى حد عادتهم في المحاورة فان قيل فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح ان يكون عماد التوكل
واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب
والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هذا الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقنها
من استاذه او من ابويه او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء
ما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان
ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة
فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف
لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي
فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغير واما اصحاب السامري لما كان
ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى فنسي
انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وكل من امن بالنظر الى ثعبان فيكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم
الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فمن عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا
اصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان
فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا يشاء ان لم يشأ لكان هذا
مزلة القدم وموقع الغلط ولكن عليه ان يفعل ان شاء وما شاء ان لم يشأ فليست المشية اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت
الى مشية اخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشية اليه فمهما وجدت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت

بالقدرة لا محالة ولم يكن له سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة للقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة
تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها على البعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة
الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد انبعاث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض
الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فاقول لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار
مجبور فهو اذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا
يليق بما ذكرنا متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لا نقصد به الا علم المعاملة ولكني اقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلثة
اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس بالرية والحنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء
والتنفس والكتبة وهذه الثلثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فاعرب
عنها بثلث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا ويسمى تنفسه فعلا اراديا ويسمى كتبته فعلا
اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء او تخطى من السطح الهوى خرق الهواء لا محالة فيكون الخرق
بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما
كان الثقل موجودا كان الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان
اضطرارا ولو اراد ان يتركه مفتوحا لم يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته
بالادراك حدثت الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة ولو اراد ان يتركه لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة
فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا فاما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتبة والنطق وهو الذي
يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهو الجهل بمعنى الاختيار فلنكشف
عنه وبيانه ان الارادة تبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة
بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد ان يقصد عينك بابرة او بدنك
بسيف فلا يكون في علمك تردد ان في دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة ويحصل
حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير فكر وروية ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف
التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر
والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكرة وانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف
والسنان فاذا انبعث لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه
خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية
في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية والاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة
العقل فيما في دركه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة
الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم
السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل والحس بكون الفعل
موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل ههنا يتوقف

في الحكم

في الحكم ويتردد لانه متردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان
القتل اقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف عنه انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل
فانه يرمي نفسه من السطح وان كان مهلكا فلا يبالي ولا يمكنه ان لا يرمي وان كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح
حكم العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان داعية الارادة
مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري
فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا فاذن معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى
كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جزما فاذن هو مجبور على الاختيار
وفعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار
فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما كان فنا ثالثا واتبعوا فيه كتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار
بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك
في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن ان يستعمل في حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك
لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت
الحركة وان كل متاخر حدث من متقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى وان ابيت ذلك فما
معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره
بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهذا الاصل الذي لم يقف عليه كافة الخلق الا الراسخون في العلم
على كنه معناه بل على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتب
على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة
الا بعد محل الحيوة وكما لا يجوز ان يقال الحيوة حصلت من الجسم الذي هو شرط الحيوة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن
بعض الشروط ربما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق
واللزوم وكذلك جميع افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عز وجل عن قول
الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشارة قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور ان يكون
الا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تاخر متاخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف
بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحيوة ولا يتاخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك
على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب
لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان نقدر انسانا
محدثا قد انغمس في ماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فتقدر القدرة الازلية
حاضرة كالماء انتظار الشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع
الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء

لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل جعل ارتفاع الحدث من اليد عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع
للحدث عن اليد وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطا بل عند
ارتفاع الحدث عن الوجه يرتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم يتغير ولم يحدث فيها
شيئا ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان يفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع ان القدرة
قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب لعالم اخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد
في الفعل وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة
من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك
ينطوي تحت قولك لا اله الا الله وما اخف مؤنته على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما اعز حقيقته ولبه
عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم **فان قلت** فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد هو ان لا فاعل الا الله
ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين
غير مفهوم **فاقول** نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد فان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض
كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى اخر وكذلك العبد فاعل بمعنى والله
تعالى فاعل بمعنى اخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع والموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق
فيه الارادة وبعد ان خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة
الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيف
ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فكذلك يسمى
فعلا لهما وكذلك ارتباط المقدور بين القدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه الا بان يدور بينهما وهذا نسب الله تعالى الافعال
في القران مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم
ثم قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال تعالى افرايتم ما تحرثون اضاف ذلك الينا ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال تعالى فنفخنا فيها من روحنا
وكان النافخ جبريل عليه السلم وكما قال تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه قيل في التفسير معناه اذا قرا عليك جبريل عليه السلم وقال تعالى
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذي يكون
العبد به راميا فما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال الله تعالى الذي علم بالقلم ثم قال الرحمن علم
القران وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي
ام معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ اخر ويصور الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة او الشقاوة وقال
بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه
روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق يشاهده ارباب القلوب ببصائرهم فاما كون

الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم دون النقل به تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القران الادلة والايات
في الارض والسموت ثم قال تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه
وذلك ليس بمناقض لما ذكره بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات
بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهو معنى قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف
الله تعالى نفسه بالمحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحيوة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت
الاحياء وقال ملك الاحياء انا احيي الاموات فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي
لا مميت ولا محيي سواي فاذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا يتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة تاتي لا على الوجه الذي ياتي الانسان
اليها وكذلك لما قال للتائب اتوب الى الله تعالى ولا اتوب الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل
الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لاهلها ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز المستعير في كلامه وللتجوز وجه كما ان
للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن من ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه
تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف
الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله تعالى فالاسم له بالحقيقة
ولغيره بالمجاز اي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال النبي عليه السلم اصدق بيت قالته الشعراء الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه
بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته
وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل وكذلك قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم
وصرت تقول انا وانا كن الان كما لم تكن فانه اليوم كما كان **فان قلت** فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب
والرضى وكيف غضبه على فعل نفسه **فاعلم** ان ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي رايناه
الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب
والايمان بالرحمة وسعتها يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سياتي الا بالثقة بالوكيل وطمانينة القلب الى حسن نظر الوكيل
والكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام
التوكل اعتقادا لا يستريب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله تعالى لو خلق الخلق كلهم على عقل
اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما يحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم
علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا
على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكمة لما اقتضى تدبير جميعهم مع
التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله تعالى الخلق به في الدنيا والاخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص فيها جناح بعوضة
ولا ان يرفع فيها ذرة او يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة او كمال
او غنى او نفع عمن انعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما راوا فيها

من تفاوت ولا قصور وكل ما قسم الله عباده من رزق واجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية
فكله عدل محض وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن
منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا
لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة من الاخرة وكل نقص في الاخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة
الى غيره اذ لولا الليل لما عرف النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان
فداء ارواح الانس بارواح البهايم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم
النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران فداء لاهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل
ولولا خلق البهايم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا
وكما ان قطع اليد اذا تاكلت قطعا ابقاء على الروح عدل لانه فدى كاملا بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق
في القسمة في الدنيا والاخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الان بحر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج
قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوايف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر
سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب
الحصول بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك
لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع
الى علم المعاملة **الشطر الثاني في احوال التوكل واعماله** وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل
وبيان التوكل في الكسب للمنفرد وللمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي
وغيره **بيان حال التوكل** قد بينا وذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم واما الحال فالتوكل
بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخايضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد
من مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فايدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل
مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه
ومتوكلا عليه مهما اطمانت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب
على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس
لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن القلب بتوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى الفصاحة
ومنتهى القوة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا واما القدرة
والقوة فليستجري على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه
الخوف او الجبن او الحياء او صارف اخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها
قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرى القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على
عقدته واما منتهى الشفقة فليكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود فان قدرته لا تغني دون العناية
اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر خصمه او لم يظفر هلك به حقه او لم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة او في واحد منها

اوجوز ان قلوب خصمه الحيل في هذه الاربعة منه لم يطمئن نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير
ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده
لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف متفاوتة تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت احوال المتوكلين في قوة
الطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يجمع
الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فيصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعيا وكذلك ساير
الخصال يتصور ان يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة
الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك
بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله تعالى كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام
العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته
بك ورحمته عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة
الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد
هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحد هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن
عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلا
فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في القبر او في فراش او بيت نفر
طبعه وان كان متيقنا بكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الان ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما
انها مطردة بانه لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين فينفر
طبعه عن مضاجعة الميت في البيت ولا ينفر عن ساير الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء
منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة
القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء اخر فكم من يقين لا طمانينة
معه كما قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمين قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت في خياله
فان النفس تتبع الخيال وتطمين به ولا تطمين باليقين في ابتداء امرها الى ان تبلغ بالاخرة الى درجة النفس المطمينة وذلك لا يكون
في البداية اصلا وكم من مطمين لا يقين له كساير ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمين القلب الى تهوده وكذا النصراني
ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه
فاذن الجبن والجراءة غرايز ولا ينفع اليقين معهما فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال
الاربع احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته بانسان
مثله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم
ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته
وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهو اقوى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع
الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان راها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه

بامه وأول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه لانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع
ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على احضاره
مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان ملتجأه الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون
متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت
قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس
فانيا عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعورا به وكل ذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة
اشار سهل حيث قال حين سئل عن التوكل ما ادناه قال ترك الاماني قيل فاوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة
الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله تعالى في حركاته
وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما يحرك الغاسل الميت وهو
الذي قوي يقينه بالله عز وجل مجري الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وانه كان يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار
لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله مثال صبي علم انه
وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وان لم يسألها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل
يثمر ترك الدعاء والسؤال فيه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط **فان قلت** فهذه الاحوال هل يتصور وجودها
فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث
والثاني فدوامه ابعد منه بل يكاد ان لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة
الحول والقوة والانبساط طبيعي وانقباضها عارض كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض فان الوجل
عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى يمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستره
فان البشرة ستر رقيق يتراءى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وهو لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية
عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا تدوم واما المقام الثاني يشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما
ويومين والثالث يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول **فان قلت** فهل يبقى مع العبد
تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال **فاعلم** ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها
كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله تعالى بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط
والمقام الثالث لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله بالخصومة فانه يترك تدبيره
من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته
فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول له لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا
توكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة والى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له
اذ لو لم يكن متوكلا عليه ومعتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واظهار سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج
الخصم الا من السجل فتمام توكله ان من هو متوكل عليه ان يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل
في نفسه عند مخاصمته فاذن لا يستغني عن التدبير بسبب الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك

كان نقصانا في توكله وكيف يكون نقصانا فيه وهو بعد ان حضر وفاء باشارته واحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا
الى محاجته فقد ينتهي المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حول وقوة اذ لم يبق له
حول وقوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا سكون
النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط
التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ان يضامه التوكل بل هو على انقسام وسيأتي تفصيله في الاعمال فان
فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا ينافي التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا
وتعبا محضا بلا جدوى فاذن لم يصر مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا بمحاجته وعرفه ذلك
باشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لانه ليس هو خالق الحول
والقوة بل هو جاعل لهما مفيدين في انفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك في الوكيل الحق وهو الله تعالى
اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما يستخلفه من بعدهما من
الفوائد والمقاصد واذن لا حول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة
مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها
في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احديهما الى الاخرى اذ في هذه الكلمة
اضافة شيئين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة للكل اليه فانظر الى التفاوت بين
الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين فكذلك
لهذه الكلمة ولسائر الكلمات واكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طمحوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
من قال لا اله الا الله صادقا مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير الصدق والاخلاص اراد بالمطلق المقيد كما اضاف
المغفرة الى الايمان والعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب ايضا حديث ولكنه حديث نفس
وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون ثم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب
اليمين ايضا درجات عند الله وان كان لا ينتهي الى الملك اما ترى ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين وعرض
لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل
والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والماكول والمنكوح وتتصور ذلك للبهائم على الدوام
واين لذة البهائم من لذة الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسع على البهائم
ولما رفع عنها درجة الملائكة افترى ان احوال البهائم وهي منتشرة في الرياض متنعمة بالمياه والاشجار واصناف الماكولات متنعمة
بالنزوان والسفاد اعلى والذ واشرف واجدر بان يكون عند ذوي الكمال مغبوطا من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب
من جوار الله تعالى في اعلى عليين فهيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا خير بين ان يكون حمارا او يكون في درجة جبريل عليه السلام
فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى ان شبه كل شيء ينجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعة الاساكفة
اكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة اشبه في جوهره منه بالكتابة وكذلك من نزوع نفسه الى لذات البهائم اكثر
من نزوعه الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء هم الذين يقال فيهم اولئك كالانعام

في بعض المواضع واضافه الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح صح

بل هم اضل وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب رتبة الملائكة فتركها للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال فاذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول لا حول ولا قوة الا بالله ومن ليس قائلا بهما عن مشاهدة لم يتصور منه حال التوكل **فان قلت** ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله نسبة شيئين الى الله تعالى فلو قال قائل السماء والارض خلق الله تعالى فهل يكون ثوابه مثل ثوابه **فاقول** لا لان الثواب على قدر درجة المثاب ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة انحاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور تعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسماء ليسا من جهة الادميين وهما من الله تعالى فاما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والقدرية وطوائف كثيرة ممن يدعي انه يدقق في الراي والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الهالكون اذ انهم اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد عقبتان احديهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والغيم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هي الكلمة ترجمتها فاذن مرجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل

بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل

ليتبين منها تخرج على ما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال قال ابو موسى الديلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت قلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة منعمون واهل النار يعذبون ثم وقع بك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن احد احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل الجنة واهل النار بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس بترك الاحتراز من الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات الا ان يقال فعل ذلك بيده ولم يتغير نفسه مرة او يقال فعل ذلك في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه فانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره لانه يرجع الى نفسه النظر في هذا مجال ولكن شيئا من امثال ذلك واكثر منه يحتمل فيه التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله وان احترز ولم يكن اتكاله على حوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون فقال خلع الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط وسئل حمدون عن التوكل فقال ان كان لك عشرة الاف درهم وعليك دانق دين لم تامن ان تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة الاف درهم دين من غير ان يترك لها وفاء لا تياس من ان الله يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدور اسبابا خفية سوى الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال

السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك والاول عام للمقامات الثلث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم عليه السلام اذ قال له جبريل عليه السلام الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله يفضي الى سبب يفضي الى حفظ جبريل عليه السلام له فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان اراد سخر جبريل عليه السلام لذلك ويكون هو المتولي لذلك وهذا حال المبهوت الغائب عن نفسه بالله فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وتصديقه واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه اشارة الى تفاوت درجات نظيره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول به فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب والحركة بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض مثل الخرقة الملقاة كاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين فنكشف الغطاء عنه فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع **الفن الاول** في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا يثق النفس به ثقة تامة ولا يطمئن اليه **الدرجة الاولى** المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرا عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل **الدرجة الثانية**

الاسباب التي ليست معينة لكن الغالب انها اسباب لا يحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار
والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل
استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل
ذلك وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم
ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا
فما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت
بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع من ان يلقاه
ادمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه
من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه
علمه ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل
والدلو في البراري كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوءه كل يوم مرات ولعطشه في يوم او يومين مرة فان المسافر مع
حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض
والابرة في البوادي غالبا عند كل صلوة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شئ مما يوجد في البوادي فكل ما في معناهما
ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به اذ يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على [illegible]
من سفيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام مصبوبا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انجاء
الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو اثم به ساع في اهلاك نفسه
كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسأل احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا
فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي
لا رزقتك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في
نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي
من ان ارزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال
على الله دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية
فيصرف المتوكل نفسه الى الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب فان قلت
فما قولك في القعود في البلد بغير كسب اهو حرام ام مباح او مندوب اليه فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في البادية اذا
لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد
يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت
وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج له اولى ولكن فعله ليس حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج
والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه بل تطلعه
الى فضل الله واشتغاله بالله تعالى فهذا افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق ياتيه

لا محالة

لا محالة وعند هذا يصح ما قال بعض العلماء وهو ان العبد اذا هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سأل
الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك وكذلك ابن عباس رضي الله عنه اختلف
الناس في كل شئ الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت الا الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى عليه السلام
انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام
كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون
مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم ياكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار
وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة الدرجة
الثالثة ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل
الاكتساب ووجوهه فذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي الناس فيه كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا
مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة او الاكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا
يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار
فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يجلسون في الامصار ولا ياخذون من
احد شيئا بل وصفهم بذلك وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤه وقال سهل في
التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجبهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب
البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذن قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها
عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان المظنون لا يخرج عن التوكل عند وجود حال
التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل فاما المقطوعات فالتوكل بالحال والعلم والعمل
جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلث مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير
زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تسخير حشيش له او قوت او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر
شئ من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يوجد زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن في الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام
الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار وهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب
الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبيره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب
الجلية الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخر له سكان الامصار لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل
جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم حاله وتحريك دواعيهم المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا
على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب اداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن
طمانينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ
جميع ذلك وتيسير اسبابه بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الكاتب فلا يكون نظره
الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يحركه والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا للعيال او يفرقه على المساكين

فهو بيده مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ذكره ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اخذ الاثواب والذراع بيده وتحت حضنه ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضيعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت لمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل على انه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله تعالى هو ميسر الاكتساب ومسبب الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الاكتساب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها فلا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح فيه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته ويقول استحي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي والجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف فلم امروا الخادم بالخروج لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن معنى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسالوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار القوم بذلك صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق **فان قلت** فالافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب **فاعلم** انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل فيحمل اليهم شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استاجره عليه فرده فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فاخذه فسال احمد عن ذلك فقال قد استشرف نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذه وكان الخواص اذا نظر الى العبد في العطا او خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئا وقال الخواص وقد سئل عن عجب ما راه في اسفاره فقال راني الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي فاذن المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروطه كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا **فان قلت** فما علامة عدم اتكاله على بضاعته وكفايته **فاقول** علامته انه ان سرقت بضاعته او خسرت تجارته او يعوق امر من اموره كان راضيا به ولم يبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركه وذلك ان البعلوي كاتبه بلغني انك استعنت على رزقك بعمل المغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك في قلبه فاخرج آلة المغازل من يده وقيل تركها لما توجهت باسمه وجهه لاجلها وقيل ترك ذلك لما ماتت عياله كما كان سفين عنده خمسين دينارا يتجر فيه فلما ماتت عياله فرقه **فان قلت** فكيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن **فاقول** بان يعلم ان الذي يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة كثيرة

وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وضاعت منهم كثيرة وان يوطن نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان هلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سببا لفساد دينه فقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعل لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا بتطير بجاره ومن سبقه ويقول من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله تعالى بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمن الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله تعالى ولا رازق سواه وان كل ما يقدر على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال تبتني على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام محمود وذلك يستدعي قوة القلب وقوة النفس ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد **فان قلت** فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية **فاقول** نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل حكي ان عابدا اعتكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال الامام بالمسجد لو اكتسبت لكان افضل فلم يجبه حتى اعاد القول ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي في كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فقعودك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما لقد فرقت بين الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى لي بالرزق وقال امام مسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان يسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجائب قهر الله تعالى في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما حكي عن حذيفة المرعشي وقد خدم ابرهيم بن ادهم مدة فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا اياما في طريق مكة لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابرهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جايع انا نايع انا عاري ثم دفع الرقعة الي وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها وبكى فقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسالته عنه فقال هذا نصراني فجئت الى ابرهيم واخبرته القصة فقال لا تمسها فانه يجي الساعة فدخل النصراني بعد ساعة واكب على راس ابرهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت بالحرم

محي ستة وانا الضمين بنصفها فكن الضمين بنصفها يا جاري
ما وجي لغيرك حسبنا رحضها فانا جريء لامن فدا بالنار

مرة عشرة ايام فوجدت ضعفا اشتهت نفسي فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت سلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت
في قلبي منها وحشة وكان قائلا يقول جعت عشرة ايام فاخره تكون حظك سلجمة متغيرة فرميتها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل
عجمي جاء وجلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت
السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع بصري عليه من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت
افتحها ففتحها فاذا فيها كعك بسميذ ولوز مقشر وسكر فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني
لكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان
علي دين واشتغل قلبي فرايت في النوم كان قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت
بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وقال بنان الحمال كنت اجي من مصر الى مكة حرسها الله ومعي زاد فجاءتني امراة فقالت
يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك فرميت بزادي ثم اتى علي ثلث ثم اكل فوجدت كيسا من الذهب
فقلت في نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت انت تاجر تقول يجي صاحبه فاخذ
منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم فقالت انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر ويحكى ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط
الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجي النفر فنشتري ما يوافق فلما ورد النفر اجتمع رايهم على جارية وقالوا انها تصلح له فقالوا
لصاحبها بكم هذه فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من اهل سمرقند فحملت الى
بنان وذكرت له القصة وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله به ملكا وقيل له ان اكله فارزقه
وان لم ياكله فلا تعطه شيئا فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقي عنده القرص وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير
زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره وآليت
ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا في نصف
الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي
ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر يا هذا اهاجرت الى عمر ام الى الله تعالى اذهب فتعلم القران فانه سيغنيك عن باب
عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر رضي الله عنه اني اشتقت اليك فما الذي
شغلك عنا فقال اني قرات القران فاغناني عن عمر وال عمر فقال عمر رضي الله عنه رحمك الله فما وجدت فيه فقال وجدت
فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر رضي الله عنه
بعد ذلك ياتيه ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت في بعض السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني
نفسي ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلان فقال احدهما للاخر تعال
حتى نسد راس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البئر فهممت ان اصيح فقلت في نفسي الى من هو اقرب منهما
وسكنت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشي جاء وكشف عن راس البئر وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة له اعرف
ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع وتركني ومر فهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف
وانشد ؛ نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى ؛ واغنيتني بالفهم منك عن الكشف ؛ تلطفت في امري فابديت شاهدي
الى غائبي واللطف يدرك باللطف ؛ ترايت لي بالغيب حتى كانما ؛ تبشرني بالغيب انك في الكف ؛ اراك وبي من هيبتي

لك وحشة ؛ فتحييني باللطف منك وبالعطف ؛ وتحيي محبا انت في الحب حتفه ؛ وذا عجب كون الحياة مع الحتف ؛ وامثال
هذه الوقائع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم
يسق اليه الرزق في اسبوع فالموت خير له عند الله تعالى فلذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم
ابدا

بيان توكل المعيل

اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته
على الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والاخر ابواب من الايمان ذكرناها من جملته ان يطيب نفسا بالموت ان لم ياته
رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في الاخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق
الاخرة فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقرر عنده الايمان بالتوحيد وان الموت على الجوع
رزق مغبوط في نفسه وان اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر ابواب الايمان فاذا لا يمكن في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث
كتوكل ابي بكر رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم والقعود عن الاهتمام بامرهم توكلا
في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مواخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال
على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الاخرة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده
لا يجوز له ان يضيعها الا بان يساعده على الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عبادته لم يجز له
التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي قد مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك
التصوف الزم السوق اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من ثلثة ايام وقال ابو علي الروذباري
اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه
كتوكله في عياله وانما يفارقه في شي وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان
التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تاخر الرزق نادرا وملازمة الامصار
والبلاد او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى
الذي يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس
عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الاخرة
واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن بطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله دبر الملك
والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن
امه لما كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين
وكذا لما انفصل سلط الشفقة والحب على الام لتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله تعالى اليه بما اشعل في قلبها من نار الحب
ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف
فدبر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته اوكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه
الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الاخرة فجبنه
بعد البلوغ جهل محض اذ ما نقص من اسباب معيشته ببلوغه بل زاد فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والان قد قدر فزادت
قدرته نعم كان المشفق عليه شخص واحد فهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا وكان يسقيه ويطعمه في اليوم مرة او مرتين

وكان الطعام بتسليط الله الشفقة والحب على قلبه وكذلك قد سلط الله تعالى الشفقة والمودة والرقة والرحمة على المسلمين
واهل البلد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق
عليه واحدا والآن المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم يرونه في كفالة الاب والام وهو مشفق خاص فلما
راوه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذوه ويكفلوه فما رئي الى الآن
في سني الخصب يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الرحمة والشفقة
التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل به في الصبى وقد كان المشفق واحدا فالمشفق
الآن الف نعم كانت شفقة الام اقوى واخص ولكنها واحدة وشفقة احاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد
الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالا هو احسن من حال من له ابوان فينجبر ضعف شفقة الاحاد بكثرة المشفقين وبترك
التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر حيث قال ٭ جرى قلم القضاء بما يكون ٭ فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق ٭ ويرزق في غشاوته الجنين ٭ فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بسبب
واما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا فقد
صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال والتوكل
وان كان مشتغلا بالله تعالى ملازما لمسجد او بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه
ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى الجبل من
بين الناس فما رئي الى الآن عالم او عابد استغرق الاوقات بالله عز وجل الموثر لله حبه وهو في الامصار فمات جوعا قط بل لو اراد ان يطعم
جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله تعالى القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب
كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر
واشتغل به وآمن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلوا والطيور السمان والثياب
الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادته
في كل اسبوع قرص من شعير او حشيش يتناوله ولو الغالب انه يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل
الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاطعمة اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا
يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر ايضا قد يحصل بغير
اضطراب فان الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز في
عبد من عباده رزقه وان سكن الا نادرا والنادر لا عبرة به يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشف هذه الامور وكانت مع
قوة في القلب وشجاعة اثمرها قال الحسن البصري لوددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد
لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم
في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين الافلاسين
الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذن عليك بالقناعة بالنذر القليل والرضى بالموت فانه
ياتيك لا محالة وان فررت منه وعند ذلك على الله تعالى ان يبعث اليك رزقك على يد من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى

والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ثم لم يتكفل له
ان يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي تدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل
بالضامن واطمأن الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله تعالى من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل
الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليه وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال الله تعالى وفي السماء رزقكم
وما توعدون واسرار السماء لا يطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فان اي موضع هو فاطلبوه
قالوا فنسأل الله تعالى قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل ونتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا
فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فاردت ان اسال الله تعالى طعاما فقلت
ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتني ان اسال الله تعالى صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول ٭ ويزعم انه منا قريب
وانا لا نضيع من اتانا ٭ ويسألنا القوى جهدا وضعفا ٭ كانا لا نراه ولا يرانا ٭ فقد فهمت ان من انكسرت نفسه وقوي قلبه
ولم ينضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس ابدا واثقا فان اسوا احواله ان يموت ولا بد من
الموت كما ياتي من ليس مطمئنا فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذي ضمن رزق القانعين
بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع وجرب فتشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن
في ظنك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظر الاسباب بل مسبب الاسباب كما لا يكون منتظر القلم بل الكاتب فانه اصل تحريك
القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد او يقعد في مساجد
وهو خامل فاما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ
وبثوب خشن يليق باهل الدين فهذا ياتيه من حيث لا يحتسب ويجيئه على الدوام بل ياتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق
غاية الضعف والقصور فان اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فاهتمامه
بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا
معه الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل
ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر بالباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله
بما يعطيه ولكنه تفرغ لله واعانة للمعطي على نيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تعالى علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب
ولذلك لما سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق
كل عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال اعلم ان مثال الخلق مع الله تعالى مثال طائفة من السؤال
وقفوا في ميدان على قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة وامرهم ان يعطوا بعضهم
رغيفين وبعضهم رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم فامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني
اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن
تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيفين فاني افتح باب الميدان واخرجه واتبعه بغلام يكون موكلا به الى ان اعاقبه بعقوبة في ميعاد
معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم يوذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية في ميعاد

المذكور لعقوبة الاخرة ومن ثبت في مكانه ولكن اخذ برغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطاه فلما في قوا وسلوا
اليه شيئا فبات ليلة جايعا غير متسخط على الملك ولا قائل ليته اوصل الي قاني غدا كسوة وزده وافوض ملكي اليه فانقسم
السؤال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الان
جايعون وبادروا الى الملك واذوه واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا فلم ينفعهم
الندم وقسم تركوا التعلق بالملك خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة
وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الملك حتى يعطونا ولكن لا ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به ولعلنا نفوز بالخلعة
ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان واعرضوا عن مرأى العين وقالوا ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطأونا
تكلفنا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك
اذ يتبعهم الملك في كل زاوية واعطوا كل واحد ضرب مثل ما قضينا كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا وجرى مثل ذلك اياما
حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلثة في زاوية ولم يقع عليهم ابصار الملك وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع
شديد فقال اثنان منهم لو تعرضت للملك واخذت منهم طعامي فليس لي طوق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة
القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحياة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيامة والوعد بالوزارة
هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جايعا راضيا من غير تاخير ذلك الى ميعاد القيمة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون
والمتعلق بالملك هو المعتدي للاكتساب والملك المسخرون هم الاسباب والجالسون في ظاهر الميدان بمرأى الملك هم المقيمون
في الامصار والرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم
والرزق يأتيهم لا محالة الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جايعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق
الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون واقام سبع من العشرة الباقية في الامصار متعرضين للسبب
بمجرد حضورهم واشتهادهم وساح في البوادي ثلثة فتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة
واما الان فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة الاف الفصل الثاني في التعرض للاسباب بالادخار فمن حصل له مال
بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في ادخاره ثلثة احوال الاول ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل ان كان جائعا
ويلبس ان كان عاريا او يشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا ياخذه ولا يدخره الا القدر الذي
يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا الحالة الثانية
المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات
الا ثلثة الفارة والنملة وابن ادم الحالة الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود
الموعود في الاخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج
بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا الاختلاف لا معنى له بعد تجويز
اصل الادخار نعم يجوز ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود
على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات
اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذا السابقون واعالي درجات اصحاب اليمين يلاصق اسافل درجات

السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار ولا يتم الا بقصر الامل واما عدم اصل البقاء
فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس فيتفاوتون في طول الامل وقصره واقل درجات الامل
يوم وليلة فما دونه من ساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يأمل اكثر من شهر اقرب
الى المقصود ممن يأمل سنة وتقييده باربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلم بعيد فان ذلك لواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما
يرخص الامل فيه ولكن لاستحقاق موسى عليه السلم لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به سنة الله تعالى
في تدريج الامور كلها كما قال عليه السلم خمر الله طينة ادم بيده اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة لتخمير الله كان موقوفا
على مدة مبلغها ما ذكر فاذن ماوراء السنة لا يدخرها الا بحكم ضعف القلب والركون الى الظاهر الاسباب فهو خارج من مقام التوكل
غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان الاسباب الداخلة في الارتفاقات والزكوات يتكرر بتكرر السنين
غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين لم يكن درجته درجة من امل شهرا ولا درجة من
امل ثلثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر فان ضعف قلبه فليعلم انه كلما قل
ادخاره كان فضله اكثر وقد روي في الفقير الذي امر صلى الله عليه وسلم عليا واسامة رضي الله عنهما فغسلاه وكفناه ببردة
فلما دفنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه
كالشمس الضاحية قلنا يا رسول الله وما هي قال صلى الله عليه وسلم كان صواما قواما كثير الذكر لله غير انه اذا جاءه الشتاء ادخر حلة
الصيف لصيفه الاخرى واذا جاءه الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه الاخر ثم قال عليه السلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر الحديث وليس الكوز والسفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك وادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء
لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا يستشرف نفسه الى ايدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى
الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة
يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب ليتجرد لذكر الله تعالى
ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله تعالى والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا
وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق ومنهم التجار والمحترفون واهل الحرف و
الصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعى الكل الى الله تعالى
وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم من الدنيا الى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله تعالى القلب وصواب الضعيف
الادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت
سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخاره
ما يزيد عليه منشؤه ضعف قلب وذلك يناقض قوة التوكل فالتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى
واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر
شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها وقال انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال
صلى الله عليه وسلم له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ فالاقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر امله
بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان النبي صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله

اذ كان لا يثق بما يدخره ولكن ترك ذلك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة
لا لضعف قلبه فيه وفي عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله تعالى يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه تطييبا
لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما
ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم وان فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض
الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال النبي صلى الله
عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين في داخل ازاره فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليك كيتان وقد كان غيره من المسلمين
يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لا محالة يحتملهما اثنين احدهما انه اراد كيتين من النار كما
قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس
والثانية ان لا يكون عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كمال كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك لا
يكون عن تلبيس وان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الآخرة
واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن الادخار ليس من ضرورة بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر قال الحسن المغازلي
من اصحابه كنت عنده في ضحوة النهار يوما فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر وما رايته قام لاحد غيره ثم
دفع الي كفا من دراهم وقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام وما قال لي قط مثل ذلك فجئت بالطعام فوضعته
فاكل معه وما رايته اكل مع غيره فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف
فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله فقلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك اخونا فتح الموصلي
زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة
للضرر المعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما
في النفس فكالنوم في الارض المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل او السقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه
وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم منها
من شرط التوكل وهو الذي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقى فان الكي والرقية قد يتقدم على المحذور دفعا لما يتوهم
وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم
بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة يلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار
باكل الثوم عند الخروج الى السفر في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها
فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة وكترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة وجهه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر
وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا
وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فاصبر
كما صبر اولو العزم من الرسل وقال تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس واما
الصبر على اذى السباع والعقارب وترك دفعها فليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي لعينه
بل لاعانته على الدين وترتيب الاسباب ههنا كترتيبها في الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة

عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا
واما ظنا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما اهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا
حذركم وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا اسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال تعالى لموسى
عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين العدو ونوع تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار
اختفاء عن اعين الاعداء دفعا للضرر واخذ السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا
ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت
فقد حكي عن جماعة ان الاسد وضع يده على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي
ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك
شرطا في التوكل وفيه اسرار لا يقف عليها من لم ينته اليه فان قلت وهل من علامة اعلم بها اني وصلت اليه فاقول الواصل
لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة عليه ان يسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك
ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يسط الا باشارتك وكان مسخرا لك فمن كلب البوادي فكلب
اهابك اولى بان يسخر او لا من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في ان يسخر لك الكلب الظاهر فان قلت
فان اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من ان يطلق فباي اعتبار يكون متوكلا
فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال فاما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع
الا بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او ينفلت وكم من آخذ سلاحه يغلب فلا يتكل في
الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضرب المثل في الوكيل بالخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله
بل على كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه فيقول اللهم ان سلطت
على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا ترجعها او عارية او وديعة
فتستردها ولا ادري انه رزقي او سبقت مشيتك في الازل بانه رزق غيري فكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب
تحصنا من قضائك وسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان حاله ما ذكرنا وهو الذي
علمه لم يخرج عن حد التوكل بعقل البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد ما في البيت فينبغي ان يكون ذلك نعمة
جديدة من الله تعالى وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله
تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقام التوكل وظهر له صدقه وان تالم قلبه ووجد قوة الصبر فقد بان له انه
كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لم يأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما ياتي
بل قد يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في
الطلب والتجسس وان لم يقدر حتى تاذى بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له
في دينه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق
نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء ومدعية للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل
مال حتى يوجد فاقول المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يشرب فيها واناء يتوضأ فيه وجراب يحفظ به زاده وعصى يدفع

عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون
ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده
وانما ذلك في المأكول وفي كل مال زاد على قدر الضرورة لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين في زوايا
المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان ولا يتعذر في كل يوم وفي كل اسبوع والخروج عن سنة الله تعالى ليس شرطا في التوكل
ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله جارية بالفرق بين الامرين
فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يكلف عليه فان كان لا يشتهيه فلم امسكه
واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه **فاقول**
انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله
ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله تعالى وحسن الظن بالله مع ظنه ان ذلك معينا له على اسباب ولم يكن ذلك عنده
مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون الخيرة في ان يبتلى بفقده حتى يتعب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في التعب اكثر
فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن فيقول لولا ان الله تعالى علم ان الخيرة
كانت لي في وجوده الى الآن والخيرة الآن لي في عدمه لما اخذها مني فبمثل هذا يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ يخرج
عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث انه يسر مسبب الاسباب عناية به وتلطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب
الشفيق الوالد يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني ومن قويت على احتماله لما قدمه الي
وان اخره عنه الغذاء بعد ذلك فرح وقال لولا ان الغذاء يضرني ويشرف بي الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في
لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى عرف افعاله
وعرف سنته في اصلاح عباده ولم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا
او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل يسرق متاعه او لا يسرق فانه لا يدري ايهما خير له في الدنيا
ولا في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاكه وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه يقول ليتني كنت فقيرا **بيان آداب
المتوكلين اذا سرق متاعهم** للمتوكل آداب في متاع بيته اذا خرج الاول ان يغلق الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه
من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا
الكلاب ما شددته الثاني ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون سبب معصيتهم وامساكه يكون سبب هيجان
رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال خذها لا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس الي الشيطان بسرقته
وكذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها الثالث انه ما يضطر الى تركه
في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق
فهو منه في حل او في سبيل الله وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو اولى ويكون له نيتان لو اخذه
غيره غني او فقير احداهما ان يكون مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام
لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء مال مسلم آخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى دفع
المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة

الظالم يمنعه من الظلم فعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيه ما يسلط
السارق ولا يغير القضاء الازلي ولكنه يتحقق بهذه نيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان
لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في من ترك العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر ولد
يولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس اليه في امر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحياة
والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم وكذلك امر السارق الرابع انه اذا وجد المال مسروقا
فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله تعالى
فلا يبالغ في طلبه وفي اساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله تعالى وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول
بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وروي ان ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى اعيا ثم قال في سبيل الله تعالى ودخل
المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس
فقيل له الا تذهب فتأخذها فقال اني كنت جعلتها في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رأيت بعض اخواني في النوم بعد موته
فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وادخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرأيتها وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد غفر لك ودخلت
الجنة وغفر لك وانت حزين فتنفس صعداء ثم قال نعم اني لا ازال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذلك قال اني لما رأيت منازلي
في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بالدخول اليها نادى مناد من فوقها
اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه لمن امضى السبيل فقلت وما امضاء السبيل فقيل لي كنت تقول في الشيء انه في سبيل الله ثم ترجع
فيه فلو كنت امضيت السبيل امضيناه لك وقال بعض العباد كنت نائما بمكة الى جنب رجل فانتبه الرجل وقد فقد هميانه فاتهم رجلا
فاتهمني به فقلت له كم كان فذكره وحملته الى البيت ووزنته من عندي ثم اعلمه اصحابه انهم كانوا اخذوا الهميان مزاحا معه
فجاء هو واصحابه معه وردوا الذهب فابيت وقال خذه وهو حلال لك فقلت ما لي لا اعود في مال اخرجته في سبيل الله تعالى والحوا عليه
فدعا بابنه وجعل يصرها صررا ويبعث بها الى الفقراء الى آخرها فهكذا كانت اخلاق السلف وكذلك من اخذ رغيفا
ليعطي فقيرا فغاب عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطي فقيرا آخر والدراهم وسائر الصدقات كذلك وهو افضل
الدرجات الخامس ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل على كراهيته وتأسفه على ما فات وبطل زهده وان
بالغ فيه بطل ايضا اجره فيما اصيب في الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وقد حكي ان الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان
ثمنه عشرين الف درهم وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني قد كنت رأيته وهو يحله
قيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا
فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء سرق له الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل أرأيت
لو رد عليك قال ما كنت آخذه ولا انظر اليه لاني قد احللته له وقيل لآخر ادع الله على ظالمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم
نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه نفسه حتى ازيده شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان
الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله ودمه وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم
ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه
وتعرضه لعقاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصان دنياه لا نقصان دينه فقد شكى

بعض الناس العالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن لي غم انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمي
بما اخذ لله فانا صح للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف فراه ابوه وهو حزين يبكي فقال اعلى الدنانير تبكي فقال
لا والله ولكن على المسكين بانه يسئل يوم القيمة ولا يكون له حجة وقيل لبعضهم ادع الله على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن
عليه عن الدنيا الفن الرابع في السعي في ازالة الضرر كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا ينقسم الى مقطوع
كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وسائر ابواب الطب اعني
معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية اما المقطوع
فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة اخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة
وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف
المقطوع بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي
غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وامره به اما قوله صلى الله عليه وسلم ما من داء الا له دواء عرفه من عرفه
وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال النبي صلى الله عليه وسلم تداووا عباد الله فان الله تعالى خلق الداء والدواء وسئل صلى الله
عليه وسلم عن الدواء والرقاء هل ترد من قدر الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم هي من قدر الله تعالى وفي الخبر قال صلى الله عليه وسلم ما مررت
بملاء من الملائكة الا قالوا امر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم احتجموا لسبع عشرة وتسعة عشرة
واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ
لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل
ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من شرط التوكل الخروج عن سنة الوكيل
اصلا وفي خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة واما امره صلى الله عليه وسلم فقد امر
غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى سعد بن زرارة وقال لعلي رضي الله عنه وكان به
رمد العين لا تاكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير وقال لصهيب وقد راه ياكل
التمر وهو وجع العين تاكل تمرا وانت رمد فقال اني اكل من الجانب الاخر فتبسم واما فعله فقد روي في حديث من طريق اهل البيت
انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة وتداوى صلى الله عليه وسلم من العقرب مرة وروي انه كان اذا نزل الوحي
عليه يصدع راسه وكان يغلفه بالحناء وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد روي انه رد على قرحة خرجت به
ترابا وما روي في تداويه وامره بذلك كثير وقد صنف كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان موسى عليه السلام اعتل
فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرات فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو عز وجل من غير دواء فطالت
علته فقالوا ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرا فقال لا اتداوى فدامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لا
ابراتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرئ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت
ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروي ان نبيا شكى علة يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل
البيض وشكى نبي اخر من الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم واللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وشكى قوم الى نبيهم

نبي اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا النساء الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك في الشهر الثالث
والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فبهذا يتبين ان مسبب الاسباب اجرى
سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب وكما ان الخبز دواء الجوع
والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع
والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة
التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء المسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط اخرى في الباطن واسباب في المزاج
ربما يعسر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال واما زوال العطش لا يستدعي
سوى الماء شروطا كثيرة فقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب ولكنه نادر والاختلاف فيخص
ابدا في هذين الفنين والا فالمسبب مثل المسبب لا محالة بهما ثم شروط السبب فكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه
بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روي عن موسى عليه السلام انه
قال يا رب ممن الدواء والشفاء فقال عز وجل مني قال فما يصنع الاطباء قال الله تعالى ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي
حتى ياتي شفائي او قضائي واذن معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة
للنفع فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه **فان قلت** فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع **فاقول** ليس كذلك
اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت
البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهو من الاسباب الموهومة كالرقى
الا انه يتميز عنها بامر وهو انه احراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه ما من وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه ليس فيه
احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد
مسدهما غيرهما ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد من التوكل وروي ان عمران بن الحصين
اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت
انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب الى الله فرد الله تعالى عليه
ما كان يجده من امر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله الم تر الى الكرامة التي اكرمني الله بها قد ردها الله تعالى علي بعد ان كان اخبره
بفقدها فاذا الكي مما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو موهوم فقال ذلك يدل
على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها فبان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك
لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة
من الاكابر وربما يظن ان ذلك نقص لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اقوى من
حاله وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي فقال اني فعال لما اريد وقيل
لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل لو سالت الله تعالى ان يعافيك فقال سالته فيما هو اهم علي منهما
وكان اصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء

فهلك المداوي والمداوى ولم يغن الرقي شفاء فمن اعتقد التوكل ويسلكه بهذا الطريق سلك سبيل التداوي من شرب الدواء
وغيره وكان به علل فلا يخبر المتطبب ايضا اذا سأله وقيل لسهل متى تصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص
في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه فاذن منهم من ترك التداوي ورآه نقصا ومنهم من كرهه ولا يتضح
وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم الا بحصر الصوارف عن التداوي فنقول ان لترك التداوي اسبابا الاول
ان يكون المريض من المكاشفين قد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفع ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة
وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه كان من
المكاشفين فانه قال لعائشة رضي الله عنها في امر الميراث انما هما اخواك واختاك وما كان لها الا اخت واحدة ولكن كانت امرأته
حاملا فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف ايضا السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى

ورآها حاملا بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف صح

عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل قوله نظر الي فقال اني فعال لما اريد وقيل لابي
الدرداء وقد رمدت عيناه كلام ابي ذر وقال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكي ذنوبي وكان تالم قلبه
خوفا من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك
ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافعا من الجوع
ولا طعنا فيمن ياكل ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له ما القوت فقال هو الحي القيوم فقال انما سألناك عن القوام فقال
القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد فقال ما لك وللجسد دع من تولاه
اولا يتولاه اخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها السبب الثالث
ان يكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير
قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى اي ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون
كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته الطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب
المجرب اشد اعتقادا في الادوية فهذا من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب من غيره فيكون الثقة والظن
بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما
لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا
فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقي فيتركه توكلا السبب الرابع ان يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض لينال
ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرضى ما يكثر ذكره وقال النبي
صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان
شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار
فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى
اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال النبي صلى الله عليه وسلم يحبون ان يكونوا كالحمرة الضالة
لا يمرضون ولا يسقمون وقال ابن مسعود تجد المؤمن اصح شيء قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء جسما وامرضه قلبا فلما عظم
الثناء على المرض احب قوم المرض واغتنموا ذلك لينالوا ثواب الصبر عليه وكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب

العلة والمرض ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم
قاعدا صابرين على قضاء الله تعالى افضل من الصلاة قائما مع العافية وفي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح
ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقال صلى الله عليه وسلم
افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات
وكانت به علة عظيمة ولم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر
للامراض فيتداوى للقيام في الصلاة والنهوض يتعجب من ذلك وقال صلاته من قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي
للقوة والصلاة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فانما هو سعة من الله لاهل الضعف ومن لم
يدخل في شيء منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء ولو كان هذا الماء البارد سئل عنه لم اخذه ومن لم ياخذ فلا سؤال
عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر
والرضا والتوكل افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المرض غالبا مدهشا
وقال سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة السبب الخامس ان يكون للعبد قد سبقت له ذنوب وهو خائف منها عاجز
عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه من ذنب وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لانه يهد
قوة سنة وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فيدخل الحمى في جميعها ويجد من كل واحد المها فيكون كل الم كفارة يوم ولما
ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم يكن الحمى تفارقه
حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه وسلم من اذهب الله تعالى كريمتيه
لم يرض الله له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان في الانصار من يتمنى العمى قال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب
والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال
يا رب ارحمه فقال تعالى كيف ارحمه مما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجاته السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه
مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان
او طول الامل والتسويف في تدارك الفائت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى
وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال للربح العظيم في مخالفة النفس
وملازمة الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله من التنبه بالامراض والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة
او قلة او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من احب من خلقي واذا كان المرض حبسا عن الطغيان
وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولم ينبغي ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية بترك المعاصي فقال بعض العارفين
لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء ادوى من المعصية ما عوفي من عصى الله تعالى وقال علي
كرم الله وجهه لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيد ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال
كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد وقال تعالى من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العوافي وان الانسان ليطغى ان رآه استغنى

فكذلك انا استغنى بالعافية وقال انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه مكث اربعمائة سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن الربوبية لعنه الله فقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات وقيل الحمى بريد الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال الله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضين ثم لم يتب قال ملك الموت يا فلان جاءك مني رسول فلم تجب وقد كان السلف يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل انها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي بها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا لانه ورد في الخبر ان الحمى حظ المؤمن من النار وفي حديث انس وعائشة يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيمة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ اخر الذي يذكر ذنوبه فيحزنه ولا يشك ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوائد المرض راى جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي نقصا وكيف يكون نقصانا وهو فعل صلى الله عليه وسلم

بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال

فلو قال قائل انما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ليسن لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فقلنا فينبغي ان يكون من شروط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم فان قيل ذلك ايضا شرط فليكن من شروطه ان يلدغه العقرب والحية فلا ينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب يلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل قيل فينبغي ان لا يريد لدفع العطش بالماء ولدفع الجوع بالخبز ولدفع البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شروط التوكل ما روي عن عمر وعن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا الى التهلكة وقالت الطائفة الاخرى بل ندخل ونتوكل على الله تعالى ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت الاية فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رايه انفر من قدر الله تعالى فقال عمر رضي الله عنه نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى ثم ضرب لهم مثلا وقال ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف يساله عن رايه وكان غائبا فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن فساله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا عليه واذا وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله تعالى اذ وافق رايه ورجع بالناس من الجابية فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان هذا من شروط التوكل فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد بسبب الوباء في الطب الهواء وا ظهر

طرق التداوي الفرار من المرض والهواء هو المضر فلم لا يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار من المضر غير منهي عنه اذ الحجامة والفصادة فرار من المضر فترك التوكل في امثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي يتقدح فيه والعلم عند الله ان الهواء لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه ان كان فيه عفونة ووصل الى الرية والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول مكث في الباطن والخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه امر اخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتها بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر اعضائه فهذا هو الذي يتقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا لاهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان يتقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب لبقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والاثار يتناقض عنده اكثر ما يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا يكثر وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك فان قلت في ترك التداوي فضل لما ذكرتموه فلم لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم التداوي لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى الادوية من المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقى او كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجميع فالى هذا المعنى ترجع الصواب عن ترك التداوي وكل ذلك كمال بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه المقامات كلها اذ كانت تقتضي ان تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن ينظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم يضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كرامة وان كان كمالا ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فيها فاستوى الحجر والذهب فكمل من هرب من الذهب دون الحجر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستوي عنده المدر والذهب لانه يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا طوقه على نفسه من امساكه فانه اعلى رتبة من ان يغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى ان يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها بمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما يحتاجون اليه مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا بنفسه بل من حيث انه لا يجعل الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه اذا اكتسب للاستعانة على الطاعة او على المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح

فالحكم فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان بعض التداوي قد يكون
افضل من بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا
في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبير لا يليق بالمتوكلين بيان حكم المتوكل في اظهار
المرض وكتمانه اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا بحكم الله تعالى
والصبر على بلائه معاملة بين العبد وبين الله تعالى وكتمانه اسلم من الآفات ومع هذا فالاظهار لا بأس به اذا صحت فيه النية و
معانيه عدة الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه
من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب العلل وكان احمد رضي الله عنه يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف
قدرة الله تعالى في الثاني ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان متمكنا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه الصبر في
المرض بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقال الحسن اذا حمد المريض الله
وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله عز وجل وذلك يحسن ممن يليق به
القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي كرم الله وجهه في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم
كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله تعالى فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضراوة وتأدب فيه
بادب النبي صلى الله عليه وسلم اياه حيث مرض فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال صلى
الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية فهذه النية رخصة في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية
والشكوى عن الله تعالى حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقراء الا بضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة الحال من السخط
واظهار الكراهة لفعل الله تعالى فان خلت عن قرينة وعن السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان
الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن يترك التداوي توكلا فلا
وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقال بعضهم من بث لم يصبر وقيل في معنى قوله تعالى
فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب ما الذي اذهب بصرك فقال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي
الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين
المريض لانه يظهر معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب عليه السلام في مرضه الا انينه فكان حظه منه وفي الخبر
اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظروا ما يقول لعواده فان حمد الله واثنى عليه بخير دعوا له وان شكى وذكر شرا
قالا كذلك تكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه
فلم يدخل عليه احد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم فضيل بن عياض رحمه الله ووهيب بن الورد وبشر وكان فضيل يقول اشتهي ان
امرض بلا عواد وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه ويتلوه
من الذي يليه ان شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والرضا والحمد لله
وحده وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا
كثيرا

كتاب المحبة والشوق والرضا والانس وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا وخضرتها، وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته،
ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته، ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته، ثم كشف لها عن سبحات
وجهه حتى احترقت بنار محبته، ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته، فكلما اهتزت
لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما غبر في وجه العقل وبصيرته، وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات
الجمال صبرا ايها الآيس عن نيل الحق بجهلك وعجلته، فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته
ومحترقة بنار محبته، والصلوة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته، وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته، وقادة
الحق وازمته، اما بعد فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة
مقام الا وهو ثمرة من ثمراتها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة
من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب من الايمان بامكانها واما
محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة
فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من
كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بحمد الله وتوفيقه بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها
واسبابها ثم بيان انه لا يستحق المحبة الا الله تعالى ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر
في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور
الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة الله تعالى ثم بيان معنى
الانس بالله ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعاء وكراهة المعاصي
لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي لا يبطل الرضا ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة بيان شواهد الشرع في حب العبد
لله تعالى اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله فرض وكيف يفترض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة
تبع الحب وثمرته فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى
والذين آمنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب لله تعالى واثبات التفاوت وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله
من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما
وفي حديث آخر لا يؤمن احد حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه
من اهله وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله
احب اليكم من الله ورسوله الآية فان ذلك جرى في معرض التهديد والانكار وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمحبة
فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال استعد للفقر
فقال اني احب الله تعالى فقال استعد للبلاء وفي الخبر المشهور ان ابرهيم عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه

هل رأيت خليلاً يميت خليله فأوحى الله إليه وهل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده
إلا عبد يحب الله عز وجل بجميع قلبه فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه وقد قال
نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد
وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال ما أعددت كثير صلاة ولا صيام
إلا أني أحب الله ورسوله فقال له عليه السلام المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام فرحهم بذلك
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن
من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني إن من خلق الله
تعالى خلقاً لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم
وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى

فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً صح

فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً كأن على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الحب لله تعالى فقال أنتم المقربون أنتم المقربون
وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت أما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري
السقطي قال تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائهم فيقال يا أمة موسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فإنهم ينادون يا أولياء الله
هلموا إلى الله فتكاد قلوبهم تنخلع وقال هرم بن حيان المؤمن إذا عرف ربه أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم
ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وكان بجسده في الدنيا وبروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه
يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف
لطفه وقال يحيى بن معاذ إلهي إني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيراً أخذتني إليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك ونقلتني
في الأحوال وقلبتني في الأعمال ستراً وتوبة وزهداً وشوقاً ورضاً وحباً تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازماً لأمرك
ومشغوفاً بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيراً وقد اعتدت ذلك منك صغيراً فلي ما بقيت حولك
دندنة وبالضراعة إليك همهمة لأني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار
والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإنما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به **بيان حقيقة المحبة وأسبابها
وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى** اعلم أن المطلوب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة
شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة
وإدراك إذ لا يحب الإنسان ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها
تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلام وإلذاذ فكل ما في إدراكه
لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف
بكونه محبوباً ولا مكروهاً فإذاً كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوباً أن في الطبع ميلاً إليه ومعنى كونه مبغوضاً أن في
الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقاً والبغض عبارة عن نفرة
الطبع عن المؤلم المتعب فإذا قوي سمي مقتاً فهذا أصل في حقيقة معنى الحب ولا بد من معرفته **الأصل الثاني** أن الحب لما كان تابعاً للإدراك
والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات

والطبع

والطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبة عند الطبع السليم فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور
المليحة الحسنة ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في المطعوم ولذة اللمس
في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال صلى الله عليه وسلم
حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة فسمى الطيب محبوباً ومعلوم أن لا حظ للعين والسمع
فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن إلا للبصر واللمس فقط دون الشم والذوق وسمى الصلاة قرة عين
وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب ولذات
الحواس الخمس يشاركه فيها البهائم للإنسان فإن كان الحب مقصوراً على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك
بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فإذن قد بطلت خاصية الإنسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل
أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب
أشد إدراكاً من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه
من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى
للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة كما سيأتي تفصيله فلا ينكر إذاً حب الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة البهائم
فلم يجاوز إدراك الحواس أصلاً **الأصل الثالث** أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب
غيره لذاته لا لأجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب
سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلنبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى
حبه نفسه أن في طبعه ميلاً إلى دوام وجوده وأي شيء أتم ملايمة من بقاء نفسه في دوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة
له من عدمه وهلاكه وكذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من
سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب وعقاب لم يرض به وكان كارهاً لذلك ولا يحب الموت والعدم
المحض إلا لمقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء
فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضاً محبوب لأن الناقص فاقد
للكمال والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود
كما أنه محبوب في أصل الذات فوجود الصفات الكمال محبوب كما أن دوام الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى
ولن تجد لسنة الله تبديلاً فإذاً المحبوب الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالأعضاء
محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود موقوف عليها والمال محبوب لأنه أيضاً آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الأسباب
فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى إنه ليحب ولده وإن كان لا يناله منه حظ
بل يتحمل المشاق لأجله لأنه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم
مقامه وكأنه حين عجز عن أن يطمع في بقاء نفسه أبداً نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقياً على اعتداله آثر بقاء نفسه
على بقاء ولده لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه
فإنه يرى نفسه كثيراً بهم قوياً بسببهم متجملاً بكمالهم فإن العشيرة والمال والأسباب الخارجة كالجناح المكمل للإنسان وكمال الوجود ودوامه

محبوب بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حى ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول
الاسباب السبب الثانى الاحسان فان الانسان عبيد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبى اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه فهو جبلة وفطرة
لا سبيل ويفر عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملايم للمحب واى شى اتم ملاومة من نفسه دوام وجوده الى تغييرها وبهذا
السبب يحب الانسان الاجنبى الذى لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة
وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التى بها يتهيا الوجود الا ان الفرق بينهما ان اعضاء
الانسان لان بها كمال وجوده وهى عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب
الذى يكون سببا فى دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وحب الطبيب الذى هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب
مطلوب لا لذاته بل لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم
المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام
فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا
بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال لزال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان
بحسب زيادة الاحسان ونقصانه السبب الثالث ان يحب الشى لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا
هو الحب الحقيقى البالغ الذى يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين
الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا يظن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة
فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف
ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوبة لا لتشرب الماء ولا لتوكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجارى والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والطيور المليحة الالوان الحسنة
النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان ليتفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب
وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من
انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال الاصل الرابع فى بيان معنى الحسن والجمال اعلم
ان المحبوس فى مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض
مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم
الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن
فى ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطا ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج
البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا كوز حسن فاى معنى
لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا فى الصورة ومعلوم ان العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ
باستماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شى من المدركات الا وهو منقسم الى الحسن والقبيح فما معنى الحسن الذى تشترك فيها هذه
الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شى فجماله وحسنه

فى ان يحضر كماله الممكن له اللايق به فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو فى غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن
والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى يجمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر
عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها فلكل شى كمال يليق به
وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شى فى كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت
ولا يحسن الاوانى بما يحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها بحس البصر مثل
الاصوات والطعوم فانها لا ينفك عن ادراك الحواس لها فهى محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة
بادراك حسنها وانما ينكر ذلك فى غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود فى غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق
حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة
والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير وشى من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة
وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته والدليل ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة
على حب الانبياء وعلى حب الصحابة مع انهم لم يشاهدوهم بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعى وابى حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان
الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله فى نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه
فى قتال من يطعن فى امامه ومتبوعه فكم من دم اريق فى نصرة ارباب المذاهب فليت شعرى من يحب الشافعى مثلا فلم يحبه ولم يشاهد
قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته واستحسانه الذى حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة
فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك
الدين وانتهاضه لافادة علم الشرع وكثرة هذه الخيرات فى العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما
الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضى الله عنه ويفضله ويتعصب لهم فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم
والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله
وكل ذلك قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقى ما كان الصديق به صديقا وهى الصفات المحمودة التى هى مصادر السير الجميلة وكان
الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك يرجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقايق الامور وقدر على حمل نفسه
عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى
فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذى لا يتجزى صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود فى السير ولو
صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهى الاخلاق الحميدة والفضائل
الشريفة ويرجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبى المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب
اليه غايبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب فى وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد
ذلك لم يتمالك فى نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابى جهل وبغض ابليس الا بالاطناب فى وصف المحاسن
والمقابح التى لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاوة ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك
عن صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك فى بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة
الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحب مع بعد المزار وتباين الديار فاذن ليس حب الانسان

مقصوراً على من احسن اليه مع فقد الاحسان الى كل احد بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب في الصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها فلا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشاً مصوراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبياً من الانبياء لجمال صورته الباطنة السادس المجانسة المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال وحظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف وقد وصفنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله تعالى فليطلب منه لانه ايضاً من عجائب اسباب الحب فاذاً ترجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسناً في نفسه الى الناس وان لم يكن محسناً اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوباً لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخصال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله عز وجل

بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده

وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله تعالى فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى وان حب الرسول محمود لانه عين حب الله وكذا حب الانبياء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان يرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره الا احادها وانها حقيقة في حق الله ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة عكس ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب احداً غير الله تعالى فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه هلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وبالله والى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقاً موجداً ومخترعاً ومبقياً وقيوماً بنفسه ومقوماً لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر

الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشخص بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافاً اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وحسنها وشكلها وصورتها ايضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب الحقائق فاذاً ان كان حب الانسان نفسه ضرورياً فحب من به قوامه اولاً ودوامه ثانياً في اصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره واعراضه ايضاً ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة التي تشاركه في التنعم بها والاتساع فيه البهائم دون عالم الملكوت الذي لا يطأ ارضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهائم واما السبب الثاني وهو حب من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعداءه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعده اذ ليس يحيط به حصر حاصر كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الان على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك ما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه او دنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر فيه اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسناً او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب او عاجل وهو المنة والاستسخار والاستمالة والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد انسان الا لغرض له وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فلست مقصوداً بل يدك آلة في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء والشكر والثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذن محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضاً هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسناً بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل مسلم لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه ديناً ودنياً في بذله

فيبذل لذلك والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو اوفى عنده واحب اليه مما بذله فكما لا يعد البايع محسنا لانه بذل بعوض هو
احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثناء او غرضا اخر وليس من شرط العوض ان يكون عينا متمولا
بل الحظوظ كلها اعراض مستحقرة الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ
يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه
يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد
والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله تعالى
اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته
واما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك عالم
عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك اخر ظالم متكبر
فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة
عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث
انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث انه يتعلق منه بسبب
فان الله هو المحسن الى الكافة والمتفضل على جميع اصناف الخلائق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من
ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم يكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا
والزوائد التي هي مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والكبد
ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما
لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورة من النعم الخارجة من بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم
والفواكه ومثال المزايا والزوائد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم
بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الثلثة اقسام موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش
الى منتهى الثرى فاذا هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن
وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة ايضا لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى
واما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال
ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول
يدركه الصبيان والبهايم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكل جمال فهو
محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوي المكارم
الحسنة والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشويش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس
لا يدركه نعم يدرك بالحس اثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن يحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه او الشافعي رحمه الله فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر لهم وليس ذلك لحسن صورهم ولكن لحسن افعالهم
بل دل حسن افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال اثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف

وحسن شعر

وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف من هذه الافعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع
حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة وكلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة كان العلم اشرف واجمل وكذا المقدور
كلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هداية فلا جرم احسن العلوم
واشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب
طبعا يرجع الى ثلثة امور احدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرايع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم
واصلاح عباد الله تعالى بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة
عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم اهل العدل والكرم فانسب
هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن
النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا
بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا يحيطون
بشيء من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال الله تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان
جمال العلم امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلماء جهل
بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان
الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلائق اكثر من التفاوت بين علم اعلم الخلق
واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد
وفضل علم الله على علوم الخلائق كلها خارج عن النهاية لان معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية واما صفة
القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص وكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان
ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلائهما على الاقران فيصادف
في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا ضروريا بالمتصف فانه
نوع كمال فانسب الان قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم
للشهوات واقمعهم لخبائث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر
على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا
بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه
وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها
وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر
عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط
بعوضا على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض
ذي القرنين انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله في مدرة من الارض والارض كلها مدرة
بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك المدرة ايضا من فضل الله

وتمكينه فيستحيل ان يحب عبد من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وملكها في قبضته وناصية جميع
المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف مرة لم يعي بخلقه
فلا يمسه لغوب وفتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر
والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب لكمال القدرة سواه اصلا واما صفة التنزه عن العيوب
والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصورة الباطنة والانبياء
والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزيه الا للواحد الحق الملك القدوس
ذو الجلال والاكرام واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص ونقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال
لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره فان منتهى الكمال اقل درجاته
ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب
وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه عن النقائص يطول وهو من اسرار علوم المكاشفات فلا نطول به فهذا الوصف ايضا ان
كان كمالا وجمالا محبوبا فلا يتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا كما ان للفرس
كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمال بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل للكل وانما يتفاوتون في درجات النقص
فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له
القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات
والارض القاهر الذي لا يخرج من قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الازلي الذي
لا اول لوجوده والابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم
بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت
ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة
الذي كمال معرفة العارف الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء
عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضي الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك
فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف هي اوصاف الجمال والمحامد ونعوت
الكمال والمحاسن او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون الجمال والجلال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع
عند من ادركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين
هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان
لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله الى داود عليه السلام ان اود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية
حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة
من العباد وقد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا

نعبده حبا وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبده للعقاب
والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكون احدكم كالاجير السوء
ان لم يعط لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة اذ شبه الشيء ينجذب اليه
والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير يالف الكبير ويالف الطير بالف نوعه وينفر عن خلاف
نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر تشهد به التجربة وتشهد له
الاخبار والآثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب المحبة
فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما يرى من الاتحاد
الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال وطمع في مال وغيره كما اشار اليه عليه السلام اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة
باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر
بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليها السالكون في الطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد
من الله في الصفات التي امر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد
الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم
الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله تعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات
واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يومي اليها قوله تعالى ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن حد عقول الخلق وتشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض
اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه يومي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته حتى
ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى رب العالمين عما يقول
الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لبعض الاحاديث مرضت فلم تعدني فقال وكيف ذلك فقال مرض فلان
ولو عدته لعدتني وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا الكتاب
يظهر الا بالمواظبة على النوافل موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى
غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى عليه السلام
فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه
والتمثيل واستحالة الحلول والاتحاد واتضح مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل ابو الحسين النوري من هذا المقام كان
او غلبه الوجد في بيت القائل لا زلت انزل من ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله فلم يزل يعدو في وجده على اجمة قصب
قد قطعت رؤسها حتى تقطع قدماه وتورمت ومات منه وهذا هو اسباب الحب وجملتها متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا
وفي اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المنقول عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما ان المعقول الممكن عند العميان
حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره بمشاركته اياه في السبب والشركة

نقصان في الحب وغض عن كماله ولا ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجمال والكمال ولا شريك له فيه وجودا ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا يتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم عن هذه اللذة

سل الله السلامة اعلم ان اللذات تابع للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها بمقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل خلقت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع وغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام التي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم فلا يخلو غريزة من هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة يسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد يسمى العقل وقد يسمى البصيرة الباطنة وقد يسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي بها فارق الانسان البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان يذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى طبع سائر الغرائز هي لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدث بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة والعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعر من كمال ذاته به فان العلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس يجد لذة وان جهله يتقاضاه طبعه ان يتفحص فان علم بواطن احوال رئيس البلد وانه ليس له تدبير في رياسته كان ذلك الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حائك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن امور الملك والسلطان الذي هو مستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن امور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاشرف والاجل والاكمل والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلا واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء

كلها

كلها ومكملها ومرتبها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور ان يكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من حضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجايب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فينبغي ان لا تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيط بكل الموجودات هو اعلا انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها واحرى ما يستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها واجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا يتبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة اقوى من سائر اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذة مختلفة بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة الوجه الجميل البالغ الجمال بالاضافة الى ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان يكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى رؤية جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روايح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم ان الصورة الجميلة عنده الذ من الروايح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب فترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول ان اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذات للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للشم ولا للذوق ولذات المعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار الهريسة والحلاوة وان كان عالي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر على ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره للرياسة يدل على انها الذ عنده من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه فلا يبعد ان يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسات وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلا اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الان لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذي رؤسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا الاية فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى العليين الى اسفل السافلين فانه خال عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا يضيق عنهم لكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا جاوز النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها وهو امن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح

الذي هو امر رباني سماوي انما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
الاية ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الاخرة ان يرد
الى الدنيا فيقتل مرة اخرى لعظمة ما راه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذن
جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه
فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض ولكل عارف مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا
انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر
تفاوت درجاتهم وقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى عند ذوي الكمال من لذات الحواس كلها فان هذه اللذة لا تكون للبهيمة
ولا للصبي ولا للمعتوه ولا لذة المحسوسات والشهوات يكون له في الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثر الرياسة فاما كون معرفة الله وصفاته
وافعاله وملكوت سمواته واسرار ملكه اعظم من لذة الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك
عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانها
على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها يدرك هذه اللذات ولكن من سلم من افة العنة وسلمت حاسة شمه ادرك
التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية
فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم
وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله تعالى وقد انكشف له من اسرار ملك الله
ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره
وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها
ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ورجاء الجنة فكيف يشغلهم الدنيا عن الله ولذلك
قال بعض اخوان معروف له اخبرني يا ابا محفوظ اي شيء هاجك الى العبادة والانقطاع من الخلق فسكت ثم قال ذكر القبر والبرزخ
فقال واي شيء القبر فقال الخوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا بيده هذا كله ان احببته انساك جميع ذلك
وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا في طلب الرب تعالى فقد الهاه ذلك
عما سواه وراى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين
يدي الله تعالى ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق
انه قال رايت في النوم كاني دخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو
ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حضيرة القدس فرايت في
سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله تعالى
لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيمة وذكر ان الاخران بشر بن الحرث واحمد
بن حنبل وكذلك قال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول
بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا لناره ولا حبا الجنة فاكون كالاجير السوء بل عبدته

حبا له وشوقا اليه وقالت نظما في معنى المحبة
احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل لذاك
فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا
واما الذي انت اهل له فكشفك للحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا
ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله تعالى لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله
الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها صلى الله عليه وسلم حيث قال عن ربه عز
تبارك وتعالى انه قال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد يتعجل بعض هذه اللذات
في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال لان النداء
يكون من وراء حجاب وهل رايت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه
عن حد عقلهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين وصله ولقاؤه فقط فهذه قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم
منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو
عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف
يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وما له صورة وشكل فاي معنى لوعد الله تعالى عباده به وذكره انه اعظم النعم بل من عرف الله عرف
ان اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم في معنى ذلك
كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
وقال بعضهم
وهجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته
وما ارادوا بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح
فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول
حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها للوصول
اليه ثم يظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي اخر لذات الدنيا واعلاها واقواها كما قال الله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم الاية ثم بعد هذا يظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع
ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة
بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء
وطلبهن وكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر
منكم كما تسخرون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الاخرة على المعرفة في الدنيا

اعلم ان المدركات تنقسم الى ما
يدخل في الخيال كالصورة المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة في اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات
الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله
كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة
المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق في مزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية اتم انكشافا
ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء فانه لا يفارق احدى الحالتين
الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي
ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر استحق

ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احديهما
اول والثاني استكمال له وبين الثاني والاول من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني
ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان
سنة الله جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب
لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل بالتخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى وسنته ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض
البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة
عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونها حجابا يطول
ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال الله تعالى لموسى عليه السلام لن تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما راى الله عز وجل ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة
عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدا فصارت كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها
فلا يقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ بالله تعالى منه ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع
ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض بقدر الحاجة
الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق المؤمنين كما ورد به الاخبار سبعة الاف سنة ولكن لن تخلو نفس في هذا العالم
اولا وتصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فاذا اكمل الله تطهيرها
وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ من جملة ما وعده الشرع من العرض والحساب وغيره ورأى استحقاق الجنة وذلك
وقت مبهم لم يطلع عليه احد من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن
الكدورات حيث لا يرهق وجوههم كدر ولا غبرة ولا قترة ان يتجلى فيه الحق فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة
الى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذا الرؤية حق بشرط
ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا
بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير بشكل وصورة فتراه في الاخرة كذلك بل اقول المعرفة
الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الاخرة
والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في
معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة
لانها هي بعينها لا تفترق الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها لا تفترق الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية
الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرا والبذر زرعا ومن لا نواة
له فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع البذر فكيف يحصد الزرع فمن لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الاخرة ولما كانت المعرفة على درجات
متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف

البذور اذ يختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس
عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر
عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره وكما فضل الناس بشيء وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما انك ترى في
الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض
وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والمشروب جميعا فكذلك يكون في الاخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله
تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حظهم في الدنيا ما وصفناه من ايثار لذة
العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية لا على المنكوح والمشروب وسائر ما الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة
ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه
في الاخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الاخرة اذ ليس يستانف لاحد في الاخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا
يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط
الا انها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق
رؤية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيب الجنة ان لكل احد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله تعالى فلا لذة له
في غيره بل ربما يتأذى به فاذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر
الشرع عنها بالايمان **فان قلت** فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كان اضعافها لان لذة المعرفة
في الدنيا ضعيفة وتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر سائر لذات الجنة فيها **فاعلم** ان هذا الاستحقار للذة
المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا
فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها
لم يستبدلوا بها نعيم الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق
الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت
بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق
ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه
كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذ برؤية جمال المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من
بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكها مع التجرد
والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ
الخائف المذعور او المريض المتألم او المشغول قلبه من المهمات وقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر
رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه
الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجاءة حالة انهتك بها الستر واشرق بها الضوء واندفع
عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة
حتى لا يبقى للاولى اليه نسبة يعتد بها فكذلك فافهم لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به

والعقارب والذباب مثل الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب
مثال القصور في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الاعلى والتفاته الى اسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ادراك
لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور فالعارف وان فوتح في الدنيا معرفة فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور
ان يخلو عنها البتة نعم قد يضعف هذه العوايق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت
العقل ويعظم اللذة بحيث يكاد القلب ينفطر لعظمه ولكن يكون كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار
والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة قائمة في هذه الحياة الفانية فلا يزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة
الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الاخرة وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه
يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه الا من حيث ينتظر استكمالا في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والاحاطة
بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله تعالى وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته وقويت كثرت النعم في الاخرة وعظمت
كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد
الا في الاخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل السعادة طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع
في العمر الطويل بمداومة العلم والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة
فمن احب الموت احبه لانه راى نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى ما يتيسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة يحصل له بطول
حياته وراى نفسه مقصرا عما يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل المعرفة واما ساير الخلق فنظرهم مقصور على شهوات
الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة
مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة وقد عرفت مما ذكرناه معنى المحبة ومعنى الشوق فانه المحبة المعرفة القوية
ومعنى لذة المعرفة ومعنى الروية ومعنى لذة الروية ومعنى كونها الذ من ساير اللذات عند ذوي العقول الكمال وان لم يكن
كذلك عند ذوي النقصان كما لم يكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان **فان قلت** فهذه الروية محلها القلب او العين
في الاخرة **فاعلم** ان الناس اختلفوا فيه وارباب البصاير لا يلتفتون الى ذلك الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال
عن المبقلة ومن يشتهي روية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى روية يخلق في عينه او في جبهته بل يقصد الروية ولذتها
سواء كان بالعين او غيره فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يحكم عليها
بالقصور عن احد الامرين هذا في حكم الجواز واما الواقع في الاخرة من الجائزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة
والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الروية والنظر وساير الالفاظ الواردة في الشرع مجريا على
ظاهرها اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا بضرورة والله اعلم

بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم ان اسعد الخلق حالا
في الاخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الاخرة معناها القدوم على الله ودرك سعادة لقايه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه
بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الاباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف
انقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا
واصل الحب لا ينفك عنه مومن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاوه حتى ينتهي الى الاستهتار الذي يسمى
عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون فانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علايق الدنيا واخراج حب غير الله تعالى من القلب

فان القلب

فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب ان يحب الله تعالى
بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغول بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله تعالى وبقدر ما يبقى
من الماء في الاناء ينقص الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وبقوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود سواه ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان العبد
هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ابغض اله عبد في الارض الهوى وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه
لله فلا يبقى فيه شركة لغير الله فيكون الله تعالى محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها
مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه
وتمادى عنه حبسه من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن ابدا فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى في القلوب قوة حب الدنيا ومنه
حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح
نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما انس بالدنيا فينقص انسه بالله تعالى ولا يوتى
احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الاخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب
بقدره ولا يطيب قلب امراة الا ويضيق قلب ضرتها فالدنيا والاخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك
لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قطع حب الدنيا من القلوب سلوك الزهد وملازمة الصبر والانقياد
اليهما بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب احد ركني
المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله واوله الايمان بالله واليوم الاخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما
التوبة والصبر عليها ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب
عن غير الله تعالى فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله تعالى وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة السبب الثاني لقوة المحبة قوة المعرفة
لله تعالى واتساعها واستيلاوها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلايقها يجري مجرى وضع
البذر في الارض بعد تطهيره من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة
التي ضرب الله لها مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليها الاشارة بقوله
تعالى اليه يصعد الكلم الطيب فهي المعرفة ثم العمل الصالح يرفعه والعمل الصالح كالحمال لها وكالخادم وانما العمل الصالح كله
في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل
والعلم هو الاول وهو الاخر وانما الاول علم المعاملة وغرضها العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح
فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل
المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة
والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم
والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وملكوت سماواته وساير مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة

يقتبسون الانوار ويكونون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يرتقون
منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو ومنه
نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم وبقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
وبقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر
كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه دعوة القران عند
الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في ايات خارجة عن الحصر **فان قلت** كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به
على تحصيل المعرفة والتوصل بها الى المحبة **فاعلم** ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد بالحق على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه
خارج عن حد فهم اكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره خارج عن حد الافهام وانما قصرت
الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب
ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعلى السموات الى تخوم الارض وفيها عجايب وايات على كمال قدرة الله وكمال
حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فالخوض فيه
انغماس في بحار علوم المكاشفة فلا يمكن ان يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع
التنبيه بجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها
ولننظر في عجايبها فاقل المخلوقات هي الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيها من
حيث الجسم والعظم والشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض مائة ونيف وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة
اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة
الى ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص
من حيث المقادير وما اصغر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما اصغر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة
صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الادمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى ساير الحيوانات والى صغره
بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوضة والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على
صغر قدره وتامله بعقل حاضر وفكر صاف وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما
مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير ساير الاعضاء كما خلقه للفيل وزيادة جناحين وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة
فانبت جناحه يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء الغذاء ما دبره في ساير الحيوانات وركب فيها من
القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في ساير الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف
هداه الله عز وجل الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت له الة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم
الطويل وهو محدد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم
وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في ساير

اجزائه

اجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعمال الته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف
حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين يبصر بهما مواضع غذائه
فيقصده مع صغر حجمه ووجهه وانظر الى حدقة كل حيوان صغير لما لم يكن له اجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمراة الحدقة
من الغبرات خلق للبعوض والذباب يدين فينظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير خلق
لحدقته الاجفان حتى ينطبق احدهما على الاخر واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى الاطراف الاهداب
وخلق الاهداب السود ليجمع ضوء العين ويعين على الابصار ويحسن صورة العين ويشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء
شباك الاهداب فاشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير اجفان
وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا راى
المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي
نفسها الى الكوة فاذا جاوزها وراى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة اخرى الى ان
يحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الادمي في الاكباب على شهوات
الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للادمي انوار الشهوات من الدنيا من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان
تحتها السم الناقع القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها فيهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الادمي
كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء اذا احترقت تخلصت في الحال والادمي يبقى في النار ابد الاباد ولذلك كان ينادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم فهذه لمعة من عجايب صنع الله تعالى
في اصغر الحيوانات وفيها من العجايب ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها ولم يطلعوا على امور
جلية من ظاهر صورتها واما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصها لا يشاركها فيها غيرها
فانظر الى النحل وعجايبه وكيف اوحى الله تعالى اليه حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما
ضياء والاخر شفاء ثم لو تاملت عجايب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد
منها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما اودع الله تعالى اميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ
ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها اخر العجب ان كنت بصيرا في نفسك فارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة
اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل
المسدس فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندس عن دركه وهو
ان اوسع الاشكال واحواها المستديرة مستطيل فترك المربع حتى لا يضيع الزوايا فيبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج
البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا بيوت في الاحتواء
من المستدير ثم يتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله النحل
على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليهنى عيشه فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه
اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجايب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا منه تنقضي الاعمار دون
ايضاحه ولا نسبة ما احاط به علمنا الى ما احاط به العلماء والانبياء ولا نسبة ما احاط به الخلائق كلهم الى ما استاثر الله تعالى

هو وما يقرب منه فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل صح

بالاضافة اليه بل كلما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة بالسهل القريب
وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر
اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المؤمنين مشتركون في اصل المعرفة لاشتراكهم في اصل المحبة ولكنهم يتفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء
انما يتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرع سمعهم فتلقنوها وحفظوها
وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا بها على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق
واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم
المقربون وقد ذكر الله تعالى حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان الآية وان كنت لا تفهم هذا
الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي العوام والفقهاء لانهم يشتركون
في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فيكون معرفة الفقيه
اتم واعجابه به وحبه له اشد فان من راى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان راى تصنيفا
آخر احسن واعجب منه تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من
غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل فالعامي قد يسمع ان
فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه محبة مجملة والبصير اذا فتش
عن التصانيف واطلع على ما فيه من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل
والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى
يرى في البعوض مثلا من عجائب صنع الله تعالى ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظم الله تعالى وجلاله وكمال صفاته
في قلبه فيزداد حبا وكلما ازداد على عجائب صنع الله تعالى اطلاعا استدل به على عظم الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا
وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا جرم ان تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت
بسببه الحب ايضا اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله تعالى مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته او
مستحق للحب بكماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت
في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال الله تعالى وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان السبب في تفاوت قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي
ان يكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان
السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها بمعنى لا يفهم الا بمثال وهو انا اذا راينا انسانا يكتب او يخيط كان
كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة
اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعلم بعضها وبعضها نشك فيه
كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا
من غير ان يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان نعرف

حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد
وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس
الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض
بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا
واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات
له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها
ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كان حياة الكاتب ظاهرة
عندنا وليس يشهد له الا شاهد واحد وهو ما احسسناه من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء
داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها
بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها تشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وائتلاف عظامنا
ولحومنا الى موجد ومحرك لها تشهد بذلك لولا اعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة
والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود من مدرك
ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما
تقصر عن فهمه عقولنا له سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش
يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس
اذا اشرق فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا ترى الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره
وكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن
ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار
بظهوره فلا بد من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه
فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون البعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر
ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت
الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن انه لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرها فانا لا نشاهد
في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا
تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور
بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور
هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره
بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت
السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك به التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها
موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في

الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم او رب شدة الظهور خفاء فهكذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته
ولم يضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله اثر من اثار
قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء
من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الله
فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره لمن راى في شعر انسان او خطه او تصنيفه فراى فيه الشاعر والمصنف وراى اثاره من
حيث انه اثاره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون نظره الى غير المصنف وكل العالم تصنيف
الله تعالى فمن نظر الى العالم والدنيا من حيث انها فعل الله وعرفها من حيث انها فعل واحبها من حيث انها فعله ولم
يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا الله تعالى وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه
من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال
كنا بنا فغبنا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي الابصار اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور
قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم
ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي
شاهدة على الله تعالى انما يدركها الانسان في الصبى عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم
بشهواته وقد انس بمدركاته ومحسوساته والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاة
حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو
يرى طول النهار نفسه واعضاءه وسائر الحيوانات المالوفة وكلها شواهد ناطقة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها فلو فرض
اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عن عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة
لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وامثاله من الاسباب مع الانهماك في الشهوات هي التي
سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالكل في طلبهم معرفة الله تعالى كالمدهوش
الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا
الامر فليتحقق قيل لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا على اكمه لا يعرف القمرا لكن بطنت بما اظهرت محتجبا فكيف
تعرف من بالعرف قد ستترا

بيان معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد ان ينكر حقيقة
الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار
والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والاثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب فكل محبوب يشتاق
اليه في غيبته فان الحاصل الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى نيل امر والموجود لا يطلب لكن بيانه ان الشوق
لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فمن لم ير شخصا ولم يسمع
وصفه لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مديما
للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا
ينكشف الا بمثال من المشاهدات فمن غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه

ذكره

ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق
نفسه الى استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف
في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر اعضائه فيشتاق الى رؤيتها وان لم
يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية
فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين
فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية
الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيال لا يفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرة
للمعارف ومنغصات فكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك
الا في الاخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح
فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية
لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال
متشوقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة
والشوق الاول ينتهي في الدار الاخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان
ابراهيم بن ادهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن قلوبهم قبل لقائك
فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في المنام انه اوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم اما استحييت مني ان تسالني
ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر
ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك
فان هذا الشوق يسكن في الاخرة واما الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الاخرة من
جلال الله تعالى وصفاته وافعاله وحكمته ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من
الجلال والجمال ما لم يتضح له فلا يزال يسكن شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال
مع حصول اصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا ولا يظهر فيه الم ولا يبعد ان تكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية
فلا يزال النعيم واللذة متزايدا ابدا وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا
بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا
على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم باتمام النور مهما تزود في الدنيا من اصل النور ويحتمل ان يكون المراد باتمام النور في غيره مما استنار
في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هذا المراد بتمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم
قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد ان يتزود اصلها في الدنيا ثم يزداد في الاخرة اشراقا فاما ان يتجدد
نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا بعد فيه ما يوثق به فنسال الله تعالى ان يزيدنا علما ورشدا
ويرينا الحق حقا فهذا القدر كاف من انوار البصائر فهي كاشفة لحقائق الشوق ومعانيه واما الاخبار والاثار

فاكثر من ان يحصى فقد قال ابو الدرداء لكعب اخبرني عن اخص اية في التورية فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم اشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد اني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا في اخبار داود عليه السلم ان الله تعالى قال يا داود ابلغ اهل الارض اني حبيب من احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكرى وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا اوانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابرهيم عليه السلم خليلي وموسى نجي ومحمد صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وقال بعض السلف ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني فاذكرهم وينظرون الي فانظر اليهم فان وجدت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلى كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد وبين ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي اول ما اعطيهم ثلثة اقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموت والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم افترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عليه السلم اوحى الله تعالى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها في سمائي ثم ادعو نجباء ملئكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين واباهي بكم اهل الشوق الي وان قلوبهم لتضيء في سمائي لملئكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي واعددتهم لنفسي وجعلت ابدانهم موقع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان وكهول ومشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلم وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلم ويقول لكم الا تسالوني حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلم فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله تعالى فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود عليه السلم اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا باسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلم ويقول لكم الا تسالوني حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا من ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن

فيما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسئلك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك

علينا

علينا بحسن النظر فيما بينك وبيننا وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك انجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الاخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك انجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبنا الدنو من نورك وقال الاخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال الاخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال الاخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ امرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات وقال الاخر ندعوك ان تقبل علينا بفضلك وتديمه عندنا وقال الاخر قد عرفتك تباركت وتعاليت نسالك تمام النعمة فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الاخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الاخر اسالك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالاخرة وقال الاخر قد عرفتك تباركت وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلم قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني ساكشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بما قالوا هذا قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف قلبه وافرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي في كل ساعة واقربه من نور وجهي وان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش اروية واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت به ذلك يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها ولم احببها اليه لا يفتر من الاشتغال بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت اعضاؤه وانخلع قلبه اذا يذكرني اباهي به ملئكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق الرضا وفي اخبار داود عليه السلم ايضا قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت من خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم سخط الخلق اذا التمستم رضاي وفي اخباره ايضا ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاطرح حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص اهل محبتي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الى احد من الرجال اما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه حقا علي ان اسارع الى سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطيك من غير ان تسالني واعينك على الشدائد فاني قد حلفت على نفسي اني لا اثيب عبدا الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عن قلبك وجعلت الغنى في قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها احب الاشياء الي لا يضاد عملك فيكون مستغنيا ولا ينتفع بمن يعجبك ولا يجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطيتك ولا يجد لزيادة في حد ثم اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فليعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضع بين عينيك وانظر الي ببصر قلبك ولا تنظر بعينك في راسك الى الذي حجبت عقولهم عني فامرجوها وسمعت بانقطاع قولك عنها فاني خلقت لعزتي

وجلالى لا افتح ابدا لعبد دخله طاعتى للتجربة لانه تخرج مزيدا من شكره وحرفيها فيستنفده فالعبد عبدى جهيدا
ومن لبيته جهيدا لا يكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتى
فيها فاحجب محبتى عنك لا تؤيس عبادى من افضل شهواتك فانى ما اثنى للشهوات لضعفة خلقى ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات
فانها ينقص حلاوة مناجاتى فانما عقوبة عندى فى موضع التناول لا ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عنى فانى لم ارض
الدنيا لحبيبى ونزهته عنها يا داود لا تجعل بينى وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتى اولئك قطاع الطريق على عبادى
المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة فى الافطار فان محبتى الصوم اذما به يا داود تحبب الى
لمعاداة نفسك امنعها من الشهوات انظر اليك وترى الحجب بينى وبينك مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى على ثوابى
اذا امتننت به عليك وكن لحبسته عنك وانت متمسك بطاعتى واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود لو يعلم المدبرون
عنى كيف انتظارى بهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت اوصالهم من محبتى يا داود هذه ارادتى فى
المدبرين عنى فكيف ارادتى فى المقبلين على يا داود احوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عنى وارحم ما اكون بعبدى اذا ادبر عنى
واجل ما يكون عبدى اذا رجع الى فهذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى يدل على اثبات المحبة والشوق والانس واما تحقيق
معناه فينكشف فيما نستوفيه

بيان محبة الله للعبد ومعناه

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب
عبده فلا بد من معرفة معناه ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال الله تعالى ان الله يحب الذين
يقاتلون فى سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد على من ادعى انه حبيب الله فقال تعالى
فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من
الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احب الله عبدا تاب عليه قبل الموت فلم يضره الذنوب الماضية
وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضى بعد الاسلام وقد شرط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان
كذلك وقال النبى صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال
النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاكون سمعه الذى يسمع به الحديث وقال
زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة
خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة ليست بمجاز اذ المحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشىء الموافق
والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق وان الجمال والاحسان تارة يدرك
بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى
اصلا بل الاسامى كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم ينطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذى هو اعم
الاشياء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا
للوجود المتبوع وانما الاستواء فى اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر فى اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة
فيهما من غير استحقاق احدهما لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولخلقه
وهذا التباعد فى سائر الاسامى ولا للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها فى حق الخالق

اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامى صح

طريق

بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصور فى نفس ناقصة
فاتها ما يوافقها فيستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وبهاء وجلال ممكن فى الالهية فهو حاضر
وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غير بل نظره الى ذاته والى افعاله
فقط وليس فى الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهنى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم
فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وانه ليس فى الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز
حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته فهو اذن لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ فى حبه لعباده فهو مؤول ويرجع
معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه من القرب منه والى ارادته ذلك به فى الازل فحبه لمن احبه ازلى مهما
اضيف الى الارادة الازلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق القرب واذا اضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب
عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء
باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا
الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له فى كل وقت فى حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح
بمشاهدته او ليستشيره فى رأيه او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق
الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستخدام ولكن لكون العبد فى نفسه موصوفا بالاخلاق
المرضية والخصال الحميدة مما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملوك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا
رفع الملك الحجاب بينه وبينه فيقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توسل وحبب نفسه
الى الملك فحب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثانى لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الذى ذكر بشرط ان لا يسبق الى فهمك
دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله فى البعد عن صفات البهائم والسباع
والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التى هى الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير
فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال فى حق الله اذ التغير
عليه محال بل لا يزال فى نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه فى ازل الآزال ولا ينكشف هذا الا بمثال القرب بين الاشخاص فان
الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير فى احدهما من غير تغير فى الآخر
بل القرب فى الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه فى كمال العلم وجماله والاستاذ واقف فى كمال
علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائما فى التغير
والترقى الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغى ان يفهم ترقى العبد فى درجات القرب فكلما صار اكمل
صفة واتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة فى قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذائل
صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من
الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك فى حق الله محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد فى درجات الكمال متناه
ولا ينتهى الا الى حد محدود فلا مطمع له فى المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية
عن ذلك الكمال فاذن محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصى عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع

الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه
بادراكه فلا يشتاق الى ما فاته واذا ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى **فان قلت**
محبة الله للعبد ملتبس فمن اين يعرف العبد انه حبيب الله تعالى **فاقول** يستدل عليه بعلاماته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا اهلا فعلامة محبة الله للعبد ان يوحشه
ويشغله ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حمارا فتركبه فقال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وفي الخبر
اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رايتك تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه
يريد يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه
قال لا فقال لا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه
وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله
فان ذلك يدل على حب الله تعالى واما الفعل الدال على كونه محبوبا هو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه
والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه
والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله
للعبد فلنذكر الان علامات محبة العبد لله فانها ايضا علامات حب الله العبد **القول في علامات محبة العبد لله تعالى**

اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما
ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء
وثمارها يظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الاثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار
ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب
محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبا للموت
غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة
قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال
بعض السلف ما من خصلة احب الى الله تعالى ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله تعالى على السجود
وقد شرط الله تعالى لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله تعالى فجعل القتل في سبيل الله تعالى وطلب
الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم
يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وروي عن اسحق
بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا ندعو الله تعالى فخلوا في ناحية فدعا عبد الله
بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني
فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول
صدقت قال سعد فلقد رايته اخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان في خيط وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله اخر قسمه كما ابر

اوله وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي
لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل
فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فقال انما قال لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله افضل من طلب
الفرار منه **فان قلت** فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله **فاقول** كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف
على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال محبة الله لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب لكن لا يبعد ان يكون له
مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس يتفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا
حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة
من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها وكان قوله اشد عليهم من فعله فقالوا وكيف
وهي اختك وهو مولى لك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله تعالى بكل قلبه فلينظر
الى سالم فهذا يدل على ان في الناس من لا يحب الله تعالى بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون تنعمه بلقاء الله عند
القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها واما السبب الثاني في الكراهة ان يكون العبد في
ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله تعالى فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي
يصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب
عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب في العمل واستغراق الهم
ومنها ان يكون مؤثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا
على طاعة الله تعالى ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزايا القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله
تعالى المحبين بالايثار فقال عز وجل يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة الاية ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى
فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد بل الحب
اذا قوي قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما امنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة
وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت الى النهار ثم قالت
يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذ عرفته فما ابقت محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله تعالى
امرني بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله امرك بذلك وجعلني طريقا اليه
فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذن من احب الله تعالى لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه تعصي الاله وانت تظهر
حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وقيل واترك ما اهوى لما قد هويته
وارضى بما يرضى وان سخطت نفسي وقال سهل علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا
وانما الحبيب من اجتنب النهي وهو كما قال لان محبته لله سبب محبة الله تعالى له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تعالى
تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله تعالى ولا يكله الى نفسه وهواه وشهواته ولذلك قال الله تعالى
والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا **فان قلت** فالعصيان هل يضاد اصل المحبة **فاقول** انه يضاد كمالها
ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم

لنفسه فكذلك المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية عن
كمال المحبة قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ
وترك المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة الخطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله فاسكت فانك ان قلت لا
كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم
اهل المعرفة والمحبة ولا في عذاب جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومنها ان يكون
مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة
حب الله تعالى حب ذكره وحب القران الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا
يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب
فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله تعالى
على قلبه احب جميع خلق الله تعالى لانهم خلقه وكيف لا يحب القران والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في
كتاب الاخوة والصحبة قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم
من نعمه واحبوني بحبكم الله تعالى وقال سفيان من احب من يحب الله فانما احب الله تعالى ومن اكرم من يكرم الله فانما يكرم الله تعالى
وحكي عن بعض المريدين قال كنت وجدت حلاوة المناجاة في شدة الارادة فادمنت قراءة القران ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة
فانقطعت عن التلاوة فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي فاصبحت
وقد انعقدت في قلبي محبة القران فعاودت الحالي وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا ينبغي ان يسال احد عن نفسه الا القران فان كان يحب القران
فهو يحب الله تعالى وان لم يكن يحب القران فليس يحب الله تعالى والقران هو المعيار وقال سهل علامة حب الله تعالى حب القران
وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة
حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا تاخذ منها الا زادا وبلغة الى الاخرة ومنها ان يكون انسه بالخلوة
ومناجاته الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدء الليل وصفاء الوقت له بانقطاع العوائق فاقل درجات الحب التلذذ
بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم او الاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله تعالى كيف تصح محبته
قيل لابرهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله تعالى وفي اخبار داود عليه السلام لا تستانس الى احد
من خلقي فاني انما اقطع من رجلين رجل استبطا ثوابي فانقطع ورجل نسيني ورضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه
في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ
وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخ نعم العبد هو الا ان فيه عيبا قال يا رب
وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى شيء وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا
فنظر الى طير قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت هذا
الطائر ففعل فاوحى الله تعالى الى النبي عليه السلام قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك

ابدا فعلامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوقه
عن لذة المناجاة وعلامة الانس مصير الفهم والعقل كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه
اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره ولم يشعر به وقطع رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به
ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين تدفع جميع الهموم بل يستغرق الانس قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا
ما لم يكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا بمحبوبه
وقال قتادة في قول الله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستانست به
وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن
ابي بكر المحب لا يسام من حديث حبيبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب
يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى عليه السلام يا رب اين انت فاقصدك فقال عز وجل اذا قصدت فقد وصلت
وقال يحيى بن معاذ من احب الله تعالى ابغض نفسه وقال من لم يكن فيه ثلث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق ولقاء الله
على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لا يتاسف على ما يفوته مما سوى الله تعالى ويعظم تاسفه على فوت كل ساعة
خلت من ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستغفار والتوبة قال بعض العارفين ان لله عبادا
احبوه واطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما
كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب
ويساله ويقول يا رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان فيستخرج
ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب
ولم ير شيئا الا منه لم يتاسف ولم يشتك واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويتذكر قوله تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم
كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب بشهوة وان تفتر بدنه فلا تفتر
قلبه وقيل العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال عليه السلام والله ما اشتفى محب الله تعالى من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل وكل
هذا المثال موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه
ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا
قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته ومن كان احب اليه من المال ترك المال في حبه وقيل
لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه
وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال
يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا
سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما عليهم شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه
الله تعالى كما قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا ياخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله
اولياءه اذ قال في بعض الكتب الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون الى ذكري كما ياوي النسر الى وكره

ويبغضون لحاسديه كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الكلاب او كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشي
لم يفارقه اصلا فان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد
وتمسك به ومهما فارقه يبكي ومهما وجده فرح وضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه اياه احبه واما النمر فانه لا يملك
نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته
وخلصت محبته وصفت في الاخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الاخرة بقدر حبه اذ
يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف
الذي للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال الله تعالى ان كتاب الابرار
لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكانت امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما ان الابرار
يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الاخرة ولذلك قال تعالى ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال الله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وقال الله تعالى جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص
بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا رجاء لنعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوا منها حيث
يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق
انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون
ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فاقوام بقضاء شهوة البطن والفرج
مشغولون وللمجالسة اقوام اخرون ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب
ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما ادراك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة وما ادراك
ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك
العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد
من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب
سيد المحبين صلى الله عليه وسلم اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين وانما تعظم هيبة البعد
وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين شيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب
من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب
لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون
ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون وكذلك قال ايضا صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم سبعين مرة فاستغفر
الله تعالى وانما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة على الفتور
في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي في بعض الكتب ان الله تعالى يقول ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوات الدنيا

على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم فاما الخصوص فحجبهم عن المزيد بمجرد الدعوى و
العجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة
ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابن ادهم قائلا ينشد في ساحة على جبل وهو يقول: كل شي لك مغفور سوى الاعراض
عني ؛ قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات مني ؛ فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرات عليه احوال ثم قال سمعت
النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا قال فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث
فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل
عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة
البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله تعالى المكر به واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء او يغتر
بحسن الظن او بغلبة الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر
والبيان ثم كما ان من اوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهو اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح
فيورث السلو كاوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاوة والحرمان ثم خوف الاستبدال بانتقال
القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر
بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الاوراد اسباب هذه الكل ومقدماتها فظهور هذه الاسباب دليل
على النقل من مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منه بصفاء المراقبة
دليل صدق الحب فان من احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته قال بعض
العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع
عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق الخوف والمحبة احبه الله تعالى فقربه وعلمه ومكنه والمحب لا يخلو من خوف
والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة
ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم يثبت لذلك طاقة البشر فانما
الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب وروي ان بعض الصديقين ساله بعض الابدال ان يسال الله تعالى ان يرزقه ذرة
من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام لا ينتفع بشي ولا ينتفع به شي فسال له
الصديق ربه فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة
وذلك ان مائة الف عبد سالوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سالني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك
فيما سالت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال سبحانك يا احكم
الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي فيه عشر معشاره وهو جزء من الف جزء من مائة الف جزء من
ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقيل في حال العارف ؛ قريب الوجد ذو مرمى
بعيد ؛ على الاحرار منهم والعبيد ؛ غريب الوصف ذو علم غريب ؛ كان فؤاده زبر الحديد ؛ لقد عزت معانيه فغابت
عن الابصار الا للشهيد ؛ يرى الاعياد في الاوقات تجري ؛ له في كل يوم الف عيد ؛ وللاحباب افراح بعيد ؛ ولا تجد
السرور له بعيد ؛ وقد كان الجنيد ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار احوال العارفين وان كان لا يجوز اظهاره

تسرح بالكاس في الغيوب قلوبهم ٭ فتخلو بقرب الماجد المتفضل ٭ عراضا بقرب الله في ظل قدسه ٭ تجول بها ارواحهم
وتنقل ٭ موارده م فيها على العز والنهى ٭ ومصدرهم عنها لما هو اكمل ٭ تروح بعز مفرد من صفاته ٭ وما كتمه
اولى لديه واعدل ٭ سا كتم ما علمي به ما يصونه ٭ وابذل منه ما ارى الحق يبذل ٭ واعطي عباد الله منه حقوقهم
وامنع منه ما ارى المنع افضل ٭ على ان للرحمن سرا يصونه ٭ الى اهله في السر والصون اجمل ٭ وامثال هذه المعارف
التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شيئا منها لمن لم ينكشف
بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة بعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم
حلالا اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا
بانفسهم ولتوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم
كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي
من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه
يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتعجل
عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه ويضطرب احواله فيظهر عليه
حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه
وقد يفيض على القلب فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول ٭ وقالوا قريب قلت ما انا صانع ٭ بقرب
شعاع الشمس لو كان في حجري ٭ فما لي منه غير ذكر بخاطري ٭ يهيج نار الشوق والحب في صدري ٭ والعاجز عنه يقول
يخفي فيبدي الدمع اسراره ٭ ويظهر الوجد عليه النفس ٭ ويقول ايضا ٭ ومن قلبه مع غيره كيف حاله ٭ ومن سره
في جفنه كيف يكتم ٭ وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به كانه اراد من يكثر التعريض
في كل شيء ويكثر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون على بعض
اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضره فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم
بضره فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة
منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلم يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر
بها لما يدخل فيه من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وافعاله وينبغي ان يظهر
حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب
اطلاع الحبيب فقط واما ارادته لاطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت
فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن
راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت
الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي فتبسم ثم
قال يا اخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه
ان المحب ان كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون

ولا يعصون ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته
وان حبه انقص من حب كل محب لله تعالى قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح
على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشياء من مكاشفات ايات السموات في قصة طويلة
قال في اخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت ما انتم فقالوا نحن المحبون لله تعالى نعبده
ههنا منذ ثلثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد
تخفيفا عنهم في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد
على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وترددانه كما حكي عن الجنيد قال مرض استاذنا السري فلم نعرف لعلته دواء
ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليه الطبيب مليا وكرر النظر ثم قال اراه بول عاشق
صعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم وقال قاتله الله ما ابصره قلت
يا استاذ وتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا نحل جسمي الا حبه
ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه افصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات المحبة وثمراتها ومنها
الانس والرضا كما سياتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو
من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله تعالى لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون
عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه
وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم
القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق
عندهم المحبة بذلك لانه اهل لذلك ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس
على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن انه محب لله تعالى وهو الذي فقد فيه العلامات او يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه
عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السوء وقراء السوء اولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل اذا
تكلم مع انسان قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن القائل سرا لا يخلو اما ان
يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقال ابو تراب النخشبي في علامات
المحب ٭ لا تخدعن فللحبيب دلائل ٭ ولديه من تحف الحبيب وسائل ٭ منها تنعمه بمر بلائه ٭ وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ٭ والفقر اكرام وبر عاجل ٭ ومن الدلائل ان يرى من عزمه ٭ طوع الحبيب وان الح العاذل ٭ ومن
الدلائل ان يرى متبسما ٭ والقلب فيه من الحبيب بلابل ٭ ومن الدلائل ان يرى متفهما ٭ لكلام من اعلى لديه السائل
٭ مقال يحيى بن معاذ الرازي ٭ ومن الدلائل ان يرى متقشفا ٭ متحفظا من كل ما هو قائل ٭ ومن الدلائل ان تراه راضيا
بمليكه في كل حكم نازل ٭ ومن الدلائل ان تراه مشمرا ٭ في خرقتين على شطوط الساحل ٭ ومن الدلائل حزنه ونحيبه
جوف الظلام فما له من عاذل ٭ ومن الدلائل ان تراه مسافرا ٭ نحو الجهاد وكل فعل فاضل ٭ ومن الدلائل زهده فيما يرى
من دار ذل والنعيم الزائل ٭ ومن الدلائل ان تراه مسلما ٭ كل الامور الى المليك العادل ٭ ومن الدلائل ضحكه بين الورى
والقلب محزون كقلب الثاكل ٭ **بيان معنى الانس بالله تعالى** ٭ قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من اثار المحبة

ونحيبه

الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى
الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب للطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى هذه الحالة في الانزعاج
شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا
على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان
نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا وهذه
الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه
بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر
بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق
بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد
والخلوة كما حكي ان ابرهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله تعالى وذلك لان الانس بالله ملازمه
التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى عليه السلم لما كلمه ربه مكث
دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب
عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من انسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله تعالى لداود عليه السلم كن لي
مستأنسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد
الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها
من نفسك الوحدة راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم
قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا
اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست
بسواك عنك فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الناس والتبرم بهم والاستهتار
بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضرة وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في
حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة
الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها
معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله تعالى وهذه علامته وهذه شواهده
وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس بالله والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات
بالبصائر اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد
وعلي بن الحسين النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر واما
الرضا فغير متصور وهذا كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان
المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره
ظن ان الجوز خشب كله واستحال عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل

الانس

الانس بالله لا يحويه بطال ... وليس يدركه بالحول محتال ... والآنسون رجال كلهم نجب ... وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق
الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون
منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم
في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلم ان يسأله
ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى يستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله تعالى اليه كيف استجيب
لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له
برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلم فلم يعرف فبينا موسى عليه السلم ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد
اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله فسلم عليه وقال
ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج برخ فقال في كلامه ما هذا من فعالك
ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد
غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع
ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة فما برح حتى اخصبت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ
الركب فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلم فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى عليه السلم فاوحى
الله تعالى اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلث مرات وقال الحسن احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم
يحترق وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص فاتي بشيخ فقال له ما بال خصك لم يحترق
قال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة
رؤوسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم وقيل وقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له
امير البصرة انظر لا تحترق فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني قال فاعزم عليها ان تطفى فعزم عليها فطفئت
وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره
فوقف ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره فظهر الحمار في الوقت ومشى ابو حفص رحمه الله تعالى
فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم
اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم و
يليق بهم واليه اشار القائل ... قوم تخالجهم زهو بسيدهم ... والعبد يزهو على مقدار مولاه ... تاهوا برؤيته عما سواه له
يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا ... ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن
تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين
الاعتبار وانما هي عند ذوي الاعتبار من الاسمار فاول القصص قصة آدم عليه السلم وابليس اما تراهما كيف اشتركا
في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس من رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم
عليه السلم فقيل وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله تعالى نبيه عليه السلم في اسرائه

عن عبد ولا قبلة لعبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال اما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه
تلهى وقال في الاخر اما من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره تعالى بالقعود مع طائفة فقال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون
باياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم فقال تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم وقال فلا
تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف
ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام سوء ادب لان
الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب
بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم
قال الحسن العراء القيامة ونهي نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به فقيل واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت
اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت
في القسمة بين العباد وقد قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال تعالى منهم من كلم الله وقال ورفع بعضهم
درجات وكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولدى الادلال سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا وهذا الانبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا فاقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق
حتى اثنى عليه خالقه عز وجل فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت
من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة الى راس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم نيفا واربعين
خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل لعزير مسئلة واحدة
سال عنها في القدر حتى قيل انه محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعم بن باعوراء من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين
فلم يحتمل له ذلك وكان اصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه فقد روي ان الله تعالى اوحى الى سليمن عليه السلام
يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك اصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي
لئن اخذته عطفة من عطفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل اصف على سليمن عليه السلام اخبره بما اوحى الله اليه
فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال الهي وسيدي انت انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف
استعصم ان لم تعصمني فاوحى الله تعالى اليه صدقت يا اصف انت انت وانا انا استقبل التوبة الي فقد تبت عليك وانا التواب
الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر اليه به وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد ان كان اشفا
على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من الامم فهذه سنة الله في عباده بالتفضيل والتقديم
والتاخير على ما سبقت به المشيئة الازلية وهذه القصص وردت في القران لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل
فما في القران شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم في افعاله المخوفة فيتلو عليهم سنته في انبيائه وفي اعدائه
فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القران هذه الاقسام

الثلثة

الثلثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه ومعرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته في عباده ولما اشتمل
سورة الاخلاص على احد اقسام هذه الثلث وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران وقال من قرا
سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القران لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في ثلثة امور لا يكون حاصلا منه من
هو نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله احد وجملته
تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القران ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القران فلا رطب ولا يابس الا في
كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القران والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والاخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من
طال في احاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى يشهد له كل كلمة منها بانه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حد
استطاعة البشر واكثر اسرار القران معباة في طي القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيها من
العجائب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرة
وتفاوت عباد الله فيه **القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته** اعلم ان الرضا ثمرة
من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايهام غير
منكشف الا لمن علمه الله التاويل وفقهه في الدين فقد انكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا
بكل شيء لانه فعل الله فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع به قوم فراوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار
من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدا ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات
احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك
الدعا والسكوت على المعاصي **بيان فضيلة الرضا** اما من الايات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال الله تعالى هل جزاء
الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضي الله تعالى عن عبده وهو ثواب رضى العبد عنه وقال الله تعالى ومساكن طيبة في جنات
عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله تعالى الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة
بل هي غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك يا ربنا فسؤالهم الرضا
بعد النظر نهاية التفضيل واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله عن العبد فهو بمعنى اخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى
للعبد ولا يجوز ان ينكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة
فلا رتبة فوق النظر اليه عز وجل وانما سالوا الرضا لانه سبب دوام النظر وكانهم راوه غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم
النظر فلما امروا بالسؤال لم يسالوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض
المفسرين فيه ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في
الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية
وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم
فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هو فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد واما

الاخبار وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سال طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال صلى الله عليه وسلم ما علامة ايمانكم
قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر اخر انه
قال صلى الله عليه وسلم حين قالوا ذلك حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان
رزقه كفافا ورضي به وقال النبي صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيمة انبت الله لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان فيسرحون فيها ويتنعمون كيف
يشاؤا فيقول لهم الملئكة هل رايتم الحساب فيقولون ما راينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما راينا صراطا
فيقولون لهم هل رايتم جهنم فيقولون ما راينا شيئا فيقول الملئكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم
فيقولون نشدناكم الله تعالى حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة
بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فيقول الملئكة يحق لكم
هذا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفي اخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا
سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال الله تعالى يا موسى قل لهم يرضون
عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان يعلم ماله عند الله تعالى فلينظر ما لله تعالى
عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفي اخبار داود عليه السلام ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب
حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب
دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال
فان رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال
فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيته له سخط قضائي وقد روي ما هو اشد منه وذلك ان الله تعالى
قال انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي ومثله ايضا في الشدة قوله تعالى فيما اخبر عنه
نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقاني ومن سخط
فله السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه
وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكى
الى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب اليه ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب
قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا
من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن
تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة وروي ان ادم عليه السلام كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه
وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق
ولا يرفع راسه فقال له بعض ولده الكبار يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رايت ما لم تروا
وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان

اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وقال انس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ما قال لشيء فعلته
لم فعلته ولا لشيء لم افعله الا فعلته ولا قال صلى الله عليه وسلم في شيء كان ليته لم يكن ولا شيء لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمني مخاصم
من اهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت
لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد اما الاثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما
اول من يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما بقي سروري الا
في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله تعالى وقال ميمون بن مهران ان من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء
وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله تعالى لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل خبز الشعير
والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضا من الله تعالى وقال ابن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت
ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال له
اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني وروي في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله
دهرا طويلا فاري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها واستضافها ثلثا لينظر الى عملها
فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رايت فقالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف
غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن
ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع العابد يده على راسه وقال اهذه خصيلة هذه والله
خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه
وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي على اي حال اصبحت من شدة
او رخاء وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي من الله تعالى ان تساله الرضا وانت عنه غير راض
فقال استغفر الله واتوب اليه فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله تعالى فقالت اذا كان سروره بالمصيبة
مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى وقال محمد بن ابي الحواري قال
ابو سليمان الداراني ان الله تعالى من كرمه قد رضي من عبيده بما يرضى العبيد من مولاهم قلت وكيف ذلك قال اليس مراد العبد
من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله تعالى من عباده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر
حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله تعالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بحكمته وجلاله جعل
الروح والفرج في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف
الهوى اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتي من ناحية انكار المحبة
فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين
احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس فتصيبه جراحة ولا يدرك المه ومثاله الرجل المحارب فانه
في حال غضبه او حال خوفه قد يصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل
قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل قلبه بل الذي يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم به فان كان مشغول
القلب بمهم من مهماته فرغ المزين او الحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب مشغول اذا صار مستغرقا بامر من الامور

مستوفى لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به او يغتم لولا عشقه
ثم لا يدرك غمه والمه لفرط الاستيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب
والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه
في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصورة الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصورة الجميلة
الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس بها جمال وجلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره
بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها
اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له
في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا
فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه ولكن يكون راضيا
به بل راغبا فيه ومتقلدا من الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح
يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا به ومهما اصابه بلية من الله تعالى وكان له
يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله تعالى عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان
الذي يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى اخر وراءه فيكون مراد
حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم
ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة كمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار
والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي
العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور
استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها
الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله تعالى فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف
وهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق
من لم ير ثواب الشدة لا يشتهي الخروج منها فقد قال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت
وان ضرب بالسيف قال نعم ولو سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء بحبه حتى لو احب النار احببت دخول
النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له
لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت وكم سكت فقال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال
فزعق زعقة خر مغشيا وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر
الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقفت بين جماله وجلاله اذا لاحظوا الجلالة هابوا واذا لاحظوا
جماله تاهوا وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه
فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت
له الا حبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين رب فانكرتها وقيل ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم

غداء الا النظر الى وجه يوسف عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فيشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع وفي القرآن
ما اخبر الله تعالى به من قطع النسوة ايديهن لاستغراقهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بالقطع وقال سعيد بن احمد رأيت
بالبصرة في دار عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله يوم الفراق من القيامة اطول
والموت من الم التفرق اجمل قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي تترحل ثم بقر بها بطنه وخر ميتا فسألت
عنه وعن امره فقيل انه كان يهوى بعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام دلني على
اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب بصره وسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت انت
وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول ويروى عن عبد الله بن عمر انه اشتكى له ابن فاشتد وجده
عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما
رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق
كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم
فجاء الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فبقر بطن الحمار فحزنوا له فقال
الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي
من كان حولهم واموالهم وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلب والحمار والديك وانما كانت الخيرة
في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فمن عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله ويروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص
مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال
له عيسى عليه السلام يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي
من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان
به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني
واحدة اللهم ان كنت اخذت فقد ابقيت وان كنت ابليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول
الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني
قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلني النار
كنت بذلك راضيا وقيل لعارف اخر هل نلت غاية الرضا عن الله تعالى فقال اما الغاية فلا ولكن مقام من الرضا قد نلته
لو جعلني جسرا على جهنم يعبر علي الخلائق الى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه
ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار فان بقي احساس فيغمره ما
يحصل من لذته في استشعاره حصول رضا محبوبه بالقائه اياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان
بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر الضعيف المحروم احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز
عنه الاولياء وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض
وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف وان كان من طريق
التعظيم والاجلال فلا اعرف ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم

ولا يقعد قد ثقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف واخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من
حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الى الله تعالى احبه الى ثم قال اخبرك شيئا
لعل الله ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني فانس بهم وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان
هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا قال ودخلنا على سويد
بن شعبة نعوده فراينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف وجهه فقالت له امراته اهلي فداؤك ما نطعمك ما
نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما
وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن ابي وقاص الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس
يهرعون كل واحد يساله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام
فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في اخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس
فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي احسن من بصري وضاع لبعض الصوفية
ولد صغير ثلاثة ايام لم يعرف له خبر فقيل له لو سالت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي
من ذهاب ولدي وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة
لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض
لكان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة
فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما
يريد منك الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه انك
لم يفتح لك باب القلب فتترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما انت بعد في طبقة اصحاب اليمين لان مزيدك منه في
اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم ودخل جماعة من الناس على الشبلي في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة
فقال من انتم قالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما لكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على
بلائي وللشبلي رحمه الله * ان المحبة للرحمن اسكرني * وهل رايت محبا غير سكران * وقال بعض العباد بالشام كلكم يلقى
الله تعالى مصدقا ولعله قد كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك
ان الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون بها والبلاء زينة اهل الاخرة وهم يستنكفون منه واحترق السوق ببغداد
فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين
فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله على هذا المعنى فاذا تاملت هذه الحكايات
عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب
الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق الله تعالى وحظوظ الاخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع
من الثواب الموعود كالرضا بالحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب
ورضا له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته
ولو في هلاك روحه وما لجرح اذا ارضاكم الم وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك

الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه
وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب اعظم مما وصفناه وقد روي عن عمرو بن الحارث الرافقي قال كنت
في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت وهي تقول
علامة ذل الهوى * على العاشقين البكاء * ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى * فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي افتاذنين
لي ان اموت فقالت مت راشدا فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت وقال الجنيد رايت
رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له متى هذا النفاق الذي تظهر فقال قد علم
الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون المحب
كان في جيراننا رجل له جارية يحبها غاية الحب فاعتلت فجعل الرجل يطبخ لها حيسا فبينا هو يحرك القدر اذ قالت الجارية آه
فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل الرجل يحرك باصابعه ما في القدر حتى تساقطت اصابعه فقالت له الجارية
ما هذا فقال الرجل هذا موضع قولك آه وقال محمد بن عبد الله البغدادي رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف
على الناس وهو يقول * من مات عشقا فليمت هكذا * لا خير في عشق بلا موت * ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله
قد يصدق به في حب المخلوقين والتصديق به في حب الخالق تعالى اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة
الربوبية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي
فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة والذي فقد القلب لا بد ان ينكر هذه اللذات ايضا لانه لا مظنة لها سوى القلب

بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهية المعاصي ومقت اهلها ومقت
اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا
ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله تعالى وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعاء
فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات
ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا
واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا به فقال تعالى ورضوا بالحيوة
الدنيا واطمانوا بها وقال تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر من شهد منكرا ورضي
به فكانه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر
صاحبه قيل وكيف قال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله اخر بالمغرب كان شريكه في قتله وقد
امر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل اتاه الله تعالى مالا فسلطه على هلكته في الحق
وفي لفظ اخر ورجل اتاه الله القران فهو يقوم به اناء الليل واطراف النهار فيقول الرجل لو اتاني الله مثلما اتى هذا ومثل ما اوتي
هذا لفعلت واما بغض الفجار والكفار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القران والاخبار لا يحصى مثل
قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر
ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مؤمن وقال ايضا المرء مع من احب وقال

من أحب قوماً والاهم حشر معهم يوم القيامة وقال النبي صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله تعالى وشواهد ذلك ذكرناها في كتاب آداب الصحبة في باب الحب في الله والبغض في الله تعالى وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده فإن قلت فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فإن كانت المعاصي بغير قضاء فهو محال وهو قادح في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات مقاماً من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسليماً للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتاً عند الله وبغيضاً حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال فلنفرض محبوباً من الخلق قال بين يدي محبيه إني أريد أن أميز بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معياراً صادقاً وميزاناً ناطقاً وهو أني أقصد إلى فلان فأضربه وأوذيه وأضربه ضرباً يضطره ذلك إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته واتخذته عدواً لي فكل من أحبه فأعلم أيضاً أنه عدوي وكل من أبغضه فأعلم أنه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول أما تدبيرك في إيذاء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتعرضك إياه للبغض والعداوة فأنا محب له وراض به فإنه رأيك وتدبيرك وفعلك وإرادتك وأما شتمه إياك فإنه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فإنك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فأنا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصاناً في تدبيرك وتعويقاً في مرادك وأنا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مراد لك ومقتضى تدبيرك وأما بغضك له بسبب شتمه فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضاً مبغض له لأن شرط المحب أن يكون لحبيب المحبوب محبوباً وعدوه عدواً وأما بغضه لك فإني أرضاه من حيث إنك أردت أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني أبغضه من حيث إنه وصف لذلك البغيض وكسبه وفعله وأمقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته إياك وبغضه ومقته لك أيضاً مكروه عندي من حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضي فأما التناقض فإن يقول هو من حيث إنه مرادك مرضي ومن حيث إنه مرادك مكروه فأما إذا كان مكروهاً لا من حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فإذن تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى تجره ذلك إلى حب المعصية ويجره الحب إلى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب الشخص الذي ضربناه مثلاً ليجره الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم ومقت الله لمن عصاه وإن كان معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما حصل بتدبيره واختياره لأسبابه فعل الله ذلك بكل عبد من عبيده أعني

تسليط دواعي المعصية عليه يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله تعالى أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته ويعادي من أبعده عن حضرته وإن اضطره بقهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته فإنه بعيد مطرود وممقوت عن الحضرة وإن كان بعيداً بإبعاده قهراً ومطروداً بطرده اضطراراً والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقيتاً بغيضاً إلى جميع المحبين موافقة للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بإبعاده وبهذا يتقرر جميع ما ورد في الأخبار من البغض في الله والحب في الله تعالى والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في إفشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي فمن قال ليس الشر من الله تعالى فهو جاهل وكذا من قال إنهما جميعاً منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضاً مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم القدر سر الله تعالى فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الإمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وبهذا يعرف أيضاً أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فإن الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج بالدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحاً للكشف وسبباً لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضاً للرضا بقضاء الله في العطش وشرب الماء طلباً لإزالة العطش ومباشرة سبب رتبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جرياً على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضاً لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وإنكاره بالقلب على الله مناقض للرضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا تناقض فيه وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا لأن مذمة الصنعة مذمة الصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت فقيراً أو غنياً فإني لا أدري أيهما خير لي

بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا

اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج عن بلد ظهر فيه الطاعون فهي عن الخروج من بلد ظهر فيه المعاصي لأن كل واحد فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون أنه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيها المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلاً ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف عنه وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها لأجل التنفير عن المعصية ليس مذموماً فما زال السلف الصالحون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال عبد الله بن المبارك قد طفت المشرق والمغرب فما رأيت بلداً شراً من بغداد قيل وكيف قال هو بلد يزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله

ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد فقال ما رأيت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قارئا حيران ولا ينبغي
ان يظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص حتى يستضر ذلك الشخص به وقصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة
وكان مقامه ببغداد وقت استعداد القافلة ستة عشر ايام فكان يتصدق بعشرة دنانير لكل يوم دينار كفارة لمقامه ببغداد
وذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع هناك بلغني
انه ما من احد يسكن العراق الا قيض له قرين من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء
العضال وقيل قسم الخير فجعل تسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر فجعل العكس منه وقال بعض اصحاب الحديث
كنا يوما عند الفضيل فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه ثم اقبل عليه وقال اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال
يأتينا احدهم في زي الرهبان فاذا سألناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد
في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد رضي الله عنه يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان
بنا كان الخروج من هذا البلد ايسر في نفسي قيل فاين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن اهل بغداد
زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على انه من بلي ببلدة يكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في
المقام بها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي
ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين والعاصين قال الله تعالى واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذن ليس في شيء من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلق الا من حيث اضافتها
الى فعل الله فاما هي في انفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل المقامات في ثلث رجل يحب
الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا ارضى بما اختاره الله لي ورفعت
هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد والثوري
ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف
من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش
تقول فقال انا لا اختار شيئا احب ذلك الي احبه الى الله تعالى فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة

بيان جمل من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم

قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب
متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم اربعين
بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني رأيت اربعين بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك
ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر عليه السلام
انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد مرة حدثنا
عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح وقال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله
فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى
فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك ويحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى

ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض
ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم
المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي
فقال مذ متى انت هاهنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال اخبرك بما يصلح لك ادخلني في
الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي
في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رأيت حتى اهبه لك فقلت
يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فاسألك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك فذكر اشياء قال
يحيى فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت
فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواي ويحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين
وكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال له ابو تراب لو رأيت ابا يزيد فقال المريد اني عنه مشغول
فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رأيت ابا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد قد رأيت الله تعالى
فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويحك تغتر بالله تعالى لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة
كان انفع لك من ان ترى الله تعالى سبعين مرة فبهت الفتى من قوله وانكره فقال وكيف ذاك فقال له ويلك اما انك ترى
الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى ابا يزيد قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر
قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج من الغيضة وكان يأوي الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره
فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد يا سيدي
نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه
فضاق عن حمله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع
الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح
على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله اشياء
لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي
ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات
الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى عليه السلام
وروحانية عيسى عليه السلام وخلة ابراهيم عليه السلام فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت
الى ذلك حجبك وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين
حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة
فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن فسجدت
وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن الله

عنى فامثال هذه المكاشفات لا ينبغى ان ينكرها المومن الا انه لا يسمع عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بمشاهدة من نفسه الظلمة
وقلبه القاسى لصادف محال الايمان بل هذه احوال يظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص واخراج الحظوظ
النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك من الخلق يستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول
هى اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهى اعز موجود فى الاتقيا من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورات الالتفات الى الخلق
يفيض عليه نور اليقين وينكشف اليه مبادى الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجرى مجرى انكار من انكر
امكان انكشاف الصورة فى الحديد اذا اشكلت وبقيت وصقلت وصورت بصورة المراة لنظر المنكر الى ما فى يده من زبرة حديد
مظلم قد استولى عليه الصدى والخبث وهو لا يحكى صورة من الصور فانكروا انكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل
من انكر كرامات الاولياء ولا مستند له الا قصوره عنه وقصور من راه وليس المستند ذلك فى انكار قدرة الله تعالى بل انما
يشم روايح المكاشفة من سلك شيئا ولو من مبادى الطريق كما قيل لبشر باى شى بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم
الله تعالى حالى معناه اساله ان يكتم على ويخفى امرى وروى انه راى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى فقال يسر الله عليك
ما تحب قلت زدنى فقال سترها عليك فقيل معناه يسترها عن الخلق وقيل سترها عنك حتى لا تلتفت اليها وعن بعضهم
انه قال اقلقنى الشوق الى الخضر عليه السلام فسالت الله تعالى مرة ان يرينى اياه ليعلمنى شيئا كان اهم الاشياء على قال فرايته
فما غلب على همى ولا همتى الا ان قلت له يا ابا العباس علمنى شيئا اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لى فيها قدر ولم يعرفنى
احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل على كثيف سترك وحط على سرادقات حجبك واجعلنى فى مكنون غيبك
واحجبنى فى قلوب خلقك ثم غاب عنى فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات فى كل يوم فحكى انه صار بحيث
كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه فى الطرق بحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان
يولعون به وكانت راحته وجود قلبه واستقامة حاله فى ذله وخموله فهكذا احوال اولياء الله تعالى ففى امثال هؤلاء ينبغى ان يطلبوا
والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفى المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغير ذلك
وغيرة الله على اوليائه تابى الا اخفاءهم كما قال الله تعالى اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى وقال النبى صلى الله عليه وسلم رب
اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن شم هذه الكشف القلوب المتكبرة
المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها المنكسرة المستشعرة فى انفسها استشعار الذل فانهم
لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما يترفع عليه مولاه فاذا لم يحس العبد بالذل مهما يرفع عليه مولاه فاذا لم يحس
بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الى الذل كان عند نفسه بمنزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا فى حقه بل يرى
دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادى هذه الروايح وان فقد بامثال
هذا القلب حرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغى ان يطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله فليكن
محبا لاولياء الله تعالى مؤمنا بهم فعسى ان يحشر معهم ويشهد لهذا ما روى ان عيسى عليه السلام قال لبنى اسرائيل اين تنبت الزرع
قالوا فى التراب فقال لهم اقول لكم لا تنبت الحكمة الا فى قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى فى طلب
بالذل الى انتهى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكريبى استاذ الجنيد دعاه رجل الى طعامه ثلاث مرات
ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه حتى دخل فى المرة الرابعة فساله عن ذلك فقال قد رضيت نفسى بالذل عشرين سنة حتى صارت

بمنزلة الكلب فطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتنى خمسين مرة ثم دعوتنى بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا
قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح فدخلت الحمام واخذت بعض الثياب وجعلت امشى فلحقونى حتى راوا دبار الثياب
من تحت المرقعة فنزعوا المرقعة واسترجعوا الثياب واوجعونى ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسى فهكذا
كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله تعالى من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله وشغله
نفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله تعالى حجاب يبعد وحائل حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيرها او بنفسها فاعظم الحجب
شغل النفس ولذلك حكى ان شاهدا عظيم القدر من اعيان بسطام كان لا يفارق مجلس ابى يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ
ثلاثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل لا انام ولا اجد فى قلبى من هذا العلم الذى تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال
له ابو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت لياليها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال
نعم قال قل لى حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لى حتى اعمل قال اذهب الساعة الى المزين واحلق راسك ولحيتك وانزع هذا
اللباس واتزر بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعنى صفعة اعطيته جوزة وادخل
الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك الحال فقال الرجل سبحان الله يقول لى مثل هذا فقال ابو يزيد
قولك سبحان الله شرك قال كيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلنى على غيره
فقال ابتدى بهذا قبل كل شى فقال لا اطيقه قال قد علمت انك لا تقبل فهذا الذى ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى
نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا شفاء من هذا المرض كذا لسوى هذا وامثاله فمن لم يطق الدواء فلا ينبغى ان ينكر امكان الشفاء
فى حق من داوى نفسه بهذا الدواء بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم
هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية من الشرع واضحة وهى مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع
فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون قلة الشى احب اليه من كثرة الشى وحتى لا يعرف احب اليه
من ان يعرف وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشى من عمله واذا
عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر امر الاخرة على امر الدنيا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان العبد حتى
يكون فيه ثلث خصال من اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق واذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل واذا قدر لم يتناول فوق حقه وفى
الخبر ثلث من اوتيهن فقد اوتى مثل ما اوتى ال داود عليه السلام من اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق والعدل فى الرضاء والغضب
والقصد فى الغناء والفقر وخشية الله فى السر والعلانية فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه وسلم لاهل الايمان فالعجب ممن يدعى
علم الدين ولا يصادف فى نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة
مقامات عظيمة وراء الايمان وفى الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتى من يفتر عن ذكرى ولا يكون له
هم غيرى ولا يؤثر على شيئا من خلقى وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما
فمن لم يبلغ الى هذا الحد فمن اين تعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال
الايمان ومقامات الايمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم للصديق رضى الله عنه ان الله قد
اعطانى مثل ايمان كل من امن بى من امتى واعطاك مثل ايمان من امن بى من ولد ادم وفى خبر اخر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى
ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل فى خلق منها فقال صلى الله عليه وسلم

كلها قبل ابا بكر واحبها الى الله تعالى السخاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم رايت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت
امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجئ بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق النبي صلى
الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن يعني نفسه صلى الله عليه وسلم **خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة** تتعلق بالمحبة
ينتفع بها قال سفيان المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم
كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب
قاهر للقلوب يعجز القلوب عن ادراكه ويمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال
كل محبة تكون بعوض فاذا زال ذلك العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله تعالى احذر ان تذل لغير الله
وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي رحمة الله عليه
يا ايها السيد الكريم، حبك بين الحشا مقيم، يا دافع النوم عن جفوني، انت بما مر بي عليم، وقال ايضا عجبت لمن يقول
ذكرت ربي، وهل انسى فاذكر ما نسيت، اموت اذا ذكرتك ثم احيا، ولولا حسن ظني ما حييت، فاحيا بالمنى واموت شوقا
فكم احيى لديك وكم اموت، شربت الحب كاسا بعد كاس، فما نفد الشراب ولا رويت، فليت خياله نصب لعيني، فان قصرت
في نظري عميت، وقالت رابعة يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا وقال ابن الجلاء
اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي و
قيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال
ابراهيم بن ادهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تساوي عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني
للتفكر في عظمتك وقال السري من احب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لا شيء وقيل
لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله اني لاحبه حبا شديدا ومحبتي للرسول محبتي للمرسل عز وجل ولكن حب
الخالق شغلني عن حب المخلوقين لكن محبة الرسول بقدر محبة المرسل وسئل عيسى عليه السلام عن افضل الاعمال فقال الرضا عن الله
والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الاخرة الا يحب من مولاه وقال الشبلي المحبة دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل
المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى منك شيء راجع اليك وقيل المحبة شوق القلب الى المحبوب والاستبشار والفرح
وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته
بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة
لان هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان ان المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا
احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهي تحسره
في الدنيا وتروحه في الاخرة وقال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات وهي باكية والدموع على خدها جارية تقول
والله لقد سئمت من الحيوة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه فقلت لها فعلى ثقة انت
من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون
عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود

ما يكون العبد الي اذا استغنى عني واحرى ما اكون لعبدي اذا ادبر عني واجد ما يكون عبدي اذا رجع الي وقال ابو خالد الصفار
لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف
والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي
للمشتاقين وانا خاص للمحبين واوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام يا آدم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي
فعله ومن اشتاق اليه جد في مسيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وقال الجنيد
بكى يونس عليه السلام حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته
اليك شوقا مني اليك وعن علي كرم الله وجهه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال عليه السلام المعرفة
راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم
سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين
قدسية جلالية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وارواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين
هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رايت في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز
من حجر الى حجر ويقول الشوق والهوى صيراني كما ترى وقيل الشوق نار الله تعالى اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق
بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق
والرضا فلنقتصر عليه والسلام والحمد لله رب العالمين ويتلوه ان شاء الله تعالى
كتاب النية والاخلاص والصدق وهو السابع من ربع المنجيات
والحمد لله حمدا كثيرا وصلى الله على محمد واله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا
كثيرا

كتاب النية والصدق والاخلاص وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمد الله حمد الشاكرين، ونؤمن به ايمان الموقنين، ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين، ونشهد ان لا اله الا الله
رب العالمين، وخالق السموات والارضين، ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين، ان يعبدوه عبادة المخلصين
فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين، فما لله الا الدين الخالص المتين، فانه اغنى الاغنياء
عن شركة المشاركين، والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين، وعلى جميع النبيين، وعلى اله واصحابه الطيبين الطاهرين
اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القران ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة
فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق

وتحقيق هباء قال الله تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وليت شعري كيف يصحح دينه من لا يعرف حقيقة الاخلاص ومن لا يعرف حقيقة النية وكيف يخلص من صحح نيته من لا يعرف
حقيقة الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله تعالى
ان يتعلم النية لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة
والاخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب الباب الاول في حقيقة النية ومعناها الباب
الثاني في الاخلاص وحقائقه الباب الثالث في الصدق وحقيقته **اما الباب الاول في النية** وفيه بيان
فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان
خروج النية عن الاختيار **اما بيان فضيلة النية** قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر
الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم لانها مظنة النية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة
فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول تعالى القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي
الملائكة اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول الله عز وجل انه نواه انه نواه وقال النبي صلى
الله عليه وسلم الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه لعملت
كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله مثل
ما اتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس لما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار
ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا
قال صلى الله عليه وسلم حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل
فتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل
رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزى وهو لا ينوي
الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة
فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قد قبل صدقتك وقد
شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار كثيرة ان من هم بحسنة ولم يعملها كتبت
له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها احب ما يكون فيها ومن كانت
الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة ان النبي صلى

عليه وسلم

عليه وسلم ذكر حديث الخسف بهم فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر رضي
الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال عليه السلام اذا التقى الصفان نزلت
الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان قاتل في سبيل الله فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان
قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من تزوج
امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة
واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى
وصدق النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر النية
فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير
تصغره النية وقال داود الطائي من كانت همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته يوما الى نية صالحة
وكذلك الجاهل بعكس ذلك قال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية
للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء رضي الله عنهم ويقول من يدلني
على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله تعالى فقيل له
قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وقال
بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا
توابين يغفر لكم ما بين ذلك وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولم تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة
رضي الله عنه يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل
الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب في التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير
وجهي فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله
فاذا عمل فلم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع فلم يدعه حتى ينظر فيما اذا نوى فان صلحت النية فبالحرى ان يصلح ما دون ذلك
فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعائق **بيان
حقيقة النية** اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها
امران علم وعمل العلم يقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون
اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد وان يعلم ولا يعمل ما لم
يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فقد خلق الانسان
بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه

ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك الشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من ذاك فان من لا
يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله تعالى الهداية والمعرفة وجعل
لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك
للتناول ما لم يكن له ميل اليه ورغبة فيه وشهوة باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول
لعدم الرغبة والميل ولفقد الشهوة الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه
اليه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما وهو راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا
فخلقت له القدرة والاعضاء المحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعث
والداعية ينتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة
بان الشيء موافق فلا بد ان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت
انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة الارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية
عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال او في
المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو القصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية
وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون
بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان
مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض
عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد منها مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث
الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكما رآه قام من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه
ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له
في القيام لغيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص
عن مشاركة غيره وممازجته واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس
ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير
حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته كان يقضيها بمجرد الفقر
وعلم ذلك من نفسه بانه يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك
الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لولا عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يترك لاجل انه عرفة
وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل فكان الباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذه الموافقة الباعث الثالث ان لا يستقل
كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما
به ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه
ثم يقصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق
بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء

ولو كان

ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك
القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة والرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن
لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل ومثاله في المحسوسات ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل
ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله
في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل
اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن
مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة والباعث الثاني اما ان يكون رفيقا
او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث فيكتسب
الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات فانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع **بيان سر قوله
صلى الله عليه وسلم** نية المؤمن خير من عمله اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى
والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله تعالى بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين
فيقتضي عموم الحديث ان تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال
لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلاة
قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان تكون نيته خيرا من عمله وقد يقال ان معناه
ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية هباء او
على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعني به ان كل طاعة تنتظم
بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة
خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل اي لكل واحد منهما اثر في العمل فمعناه
نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان
والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه واما سبب كونه خيرا ومترجحا على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ
الطريق في الايصال الى المقصد وقاس الآثار بعضها بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال
الخبز خير من الفاكهة فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء
مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض فالطاعات غذاء
للقلوب والمقصود شفاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله تعالى
ولن يتنعم بلقاء الله تعالى الا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله تعالى ولن يحبه الا من عرفه ولم يأنس به الا من طال ذكره له
فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر
والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له
نافرا عن الشر مبغضا له وانما تميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة
لعلمه بان فيه سلامته واذا حصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليها فان المواظبة على مقتضى صفات

القلب وارادتها بالعمل يجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى يترسخ الصفة ويقوى بسببها فالمائل الى طلب
العلم او طلب الرياسة لم يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال
المطلوبة بها تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وامحى
بل الذي ينظر الى وجه حسن فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة
والمجاورة تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله
لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع
وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا
لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتاكد ذلك
الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح والقلب علاقة حتى انه يتاثر كل واحد منهما بالآخر
فترى العضو اذا اصابته جراحة تالم القلب وترى القلب اذا تالم بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تاثرت الاعضاء
وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع
فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيها فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب
وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهو صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة
ان يكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان يكون النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب
الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات
الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة
اذا تالمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وقد تداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة بالشرب
خير من طلاء الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع
فهكذا ينبغي ان يفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن
ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع
في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تاكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة
على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت الرقة في قلبه فلهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح راس يتيم وهو غافل
بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه بتاكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض
الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه يتاكد به التواضع فكان وجوده كعدمه وما ساوى وجوده
عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه هذا اذا فعل عن غفلة فان قصد
به رياء او تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوبة تاكيدها حتى اكد الصفة
المطلوب قمعها وهو صفة الرياء التي هي سبب الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى
قوله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا

وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا وليس المقصود من اراقة دم القربان بل ميل القلب عن الدنيا
وبذلها ايثارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة فان عاق عن العمل عائق فلن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا اعني القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان قوما
بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما رويناه لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب
الشهادة واعلاء كلمة الله كقلوب الخارجين وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة عن القلب وذلك
غير مطلوب الا لتاكيد الصفات وبهذه المعاني يفهم جميع الاحاديث التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليه لينكشف
لك اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما
كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤها واستقصاؤها فهي
ثلاثة اقسام طاعات ومعاص ومباحات القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل
ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة
لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره ويبني مسجدا او مدرسة او رباطا بمال الحرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية
لا تؤثر في اخراجها عن كونها ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه
فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما عرف كونها خيرات بالشرع
فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا
الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل
ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل
بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله به العلم وراس العلم
العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم
المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل
فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم وقد قال الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت
عن علمه ويقرب من تقرب من السلاطين ببناء المساجد بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار
المشغولين بالفسق والفجور المقصورين هممهم على مماراة العلماء ومباهاة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام
الدنيا واخذ اموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم
في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدتهم على معاصي الله
ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة الى الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك
ووباله كله يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعصية من اقواله وافعاله
وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم الف سنة مثلا وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه
ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله في الفساد والمعصية

لا منى وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه
والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق واعد له خيلا واسبابا ويقول
انما اردت البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله تعالى وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والفرس فان اعداد الخيل والرباط
والقوة للغزاة في سبيل الله من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام
مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها
دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال فاذا لاح له من عادته انه يستعين
بالسلاح على البغي فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في امداده والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله تعالى
وقد يعاون به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا الدنيا على دينه وهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز
امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فلو رأوا منهم تقصيرا
في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا رأوا منه فجورا واستحلالا لحرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه
فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من يتعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ بالله
جميع السلف من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل ويحكى عن بعض اصحاب احمد رحمه الله انه كان يتردد اليه
سنين ثم اتفق ان احمد اعرض عنه وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت
حائط دارك من جانب الشارع فقد اخذت قدر سمك الطين من الطريق وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لتعلم
العلم فهكذا كان مراقبة السلف لاحوال الطلبة للعلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب
الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير
من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوسل بها الى جمع الحطام
واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذن قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة بالطاعات
والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد ويكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد
فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها
وعظم وبالها كما ذكرناه في كتاب التوبة القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها
اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة
فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل
حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي به نيات كثيرة حتى يصير من فضائل
اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله تعالى وان داخله زائر الله تعالى فيقصد به زيارة مولاه
رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره
وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة المرابطين بانتظاره للصلاة لقوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب
بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله ولزوم السر

الفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال في المسجد وخامسها التجرد لذكر الله او لاستماع ذكره
او للتذكير به كما روي من غدا الى المسجد ليذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى وسادسها ان يقصد افادة
العلم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين
فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله تعالى فان ذلك غنيمة وذخيرة
للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله تعالى وفي الله عز وجل وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله
وتحرجا من ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من ادمن الاختلاف الى
المسجد رزقه الله تعالى احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى او تصرفه
عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا
وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف
الحسنات القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها
معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان
يستحقر العبد الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنها في القيامة انه لم فعلها وما الذي قصد بها هذا في
مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه وعن
لمسه ثوب اخيه وفي خبر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة
وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب
وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة او في سائر الاوقات يتصور ان يقصد
التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في
قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى
وهذا كله يجعل التطيب معصية فيكون انتن من الجيفة في القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس
بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش في الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص
له من نعيم الآخرة بقدره وناهيك خسرانا بان تستعجل ما يفنى وتخسر زيادة نعيم يبقى واما النيات الحسنة فان ينوي
به اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوي تعظيم المسجد بيت الله تعالى فلا يرى ان يدخله زائر الله
الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد به دفع الروائح الكريهة
عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون
الله تعالى بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل اذا ترحلت عن قوم وقد
قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات
دينه بالفكر فقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله لا يعجز الفقيه عنها اذا كان تجارته

الاخرة وطلب الخير غالبا على قلبه وان لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم يحضره هذه النية وان ذكرت له لم ينبعث
لها قلبه فلا يكون معه فيها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النية
فيها فقس بهذا الواحد غيرها ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ودخولي
الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو
معين على الدين فمن يكون قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى
ولد يعبد الله تعالى بعده فتكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل
والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الاخرة وكذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول
هو في سبيل الله تعالى واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وسينقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن
الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الصالحة
ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقول هي اعمال الذين اغتابوك واذوك وظلموك وفي
الخبر ان العبد ليوافي القيمة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا
فيقتص لهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله عز وجل القوا
عليه من سيئاتهم وصكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها
وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من حائط جار لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فتربته
فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه
اليه ليصلحه ثم قبض يده فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله وقد قال الحسن
ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله تعالى فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت
من حائطي لبنة واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم والنهى
ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق عليها الحساب قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك
ما لم تتأمل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد به وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك من الاخرة وبماذا ترجح
الدنيا على الاخرة فاذا علمت انه لا باعث لك الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا
قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون لداعي هوى خفي لا يطلع
عليه ولا تغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وانظر في الاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي
عن زكريا عليه السلم انه كان يعمل في حائط قوم بالطين وكان اجيرا لهم فقدموا له رغيفا اذ كان لا يأكل الا من كسب يده فدخل
عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام
فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيف لاتقوى به على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن
عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله تعالى فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة نقص في فضل
فلا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفين وهو ياكل فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني اخذته

بدنيا

بدنيا لاحببت ان تأكل منه وقال سفين من دعا رجلا الى الطعام وليس له رغبة في ان يأكل فان اجابه فاكل فعليه وزران
وان لم يأكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه اخاه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد
العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها
مع قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله تعالى او
اتجر لله تعالى او اكل لاتقوى على طاعة الله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث
لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى
ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا واما اجلا والميل اذا لم يكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان
نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى
صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر وانما ينبعث
النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال
فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف
عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك
بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع
على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث له الا الشهوة فكيف ينوي الولد
واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباعا
للسنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتسابه هذه النية مثلا ان يقوي اولا
ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب الله تعالى لمن سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات
عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك
الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب
كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف
من جملة الطاعات اذا لم يحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرني فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن رحمه الله
وقال ليس تحضرني فيه نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هات المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال
نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد بن ابي سليمن
وكان احد علماء الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال
البر قالوا ان رزقنا الله نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث الا بنية فكان يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ
فقيل له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرتني نية حدثت وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب
العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا ورده فقال ما لك فقال فيه اسانيد ضعاف فقال له ابن المحبر
انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت فقال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين

التي نظرت فاخذه ومكث فيه طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد لي نية
وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى
الى باب داره انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس في نيتي وقيل الان النية يتبع النظر فاذا تغير النظر
تغيرت النية وكانوا لا يحبون ان يعملوا اعمالا الا بالنية لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة رياء
وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هو قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح
من الله تعالى فقد تتيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار
النية للخيرات فان قلبه مائل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه
لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض الا بجهد جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة
ويرغب نفسه فيها فربما ينبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على اجلال الله لاستحقاقه
الطاعة والعبودية فلا يتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات
الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو
الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات
الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المألوف في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن
وموضع قضاء وطرها الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله
اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجلاله وكماله وسائر الاعمال يكون
مؤكدات وروادف وهؤلاء ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه
الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصورة
المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت
بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان
واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النساء
فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله تعالى وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت
اليه ولو كان لها عقل وذكرن لاستحسنت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم
رأى احمد بن خضرويه ربه تعالى في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال الي وروي ان الشبلي رحمه الله رؤي
وقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسران اعظم من خسران الجنة
فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها فربما لم يتيسر
له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت
له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات
وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون الظلم فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون

له نية

له نية في الشرب والاكل والنوم لتريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس ينبعث بنيته في الحال للصوم والصلاة
فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة
باللهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل من الصلاة قال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق
وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقائق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية
منهم بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد اولا
قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل الرخ والفرس مجانا ليتوصل به الى الغلبة والضعيف البصيرة
قد يضحك به ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرنه ويولي الخصم دبره ليستجره الى مضيق فيكر عليه وكذلك
سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة مع القلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها
الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته
وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرارهما بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

فضيلة الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال
الا لله الدين الخالص وقال تعالى الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تعالى وعن مصعب بن سعد قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انما نصر الله هذه الامة بضعفائها
بدعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته
قلب من احببته من عبادي وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله تعالى اربعين يوما الا ظهرت
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال النبي صلى الله عليه وسلم اول من يسأل يوم القيمة ثلثة رجل اتاه الله العلم فيقول الله تعالى
ماذا صنعت فيما علمت فقال يا رب كنت اقوم به اناء الليل والنهار فيقول الله سبحانه كذبت وتقول الملائكة بل اردت ان يقال
فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل اتاه الله مالا فيقول الله تعالى قد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق
اناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل
قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك
قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم جهنم يوم القيمة
فدخل راوي الحديث على معاوية رضي الله عنه فرواه فبكى حتى كادت تخرج نفسه ثم قال صدق الله تعالى اذ قال تعالى من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها الآية وفي الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا
قوم يعبدون شجرة من دون الله فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة
شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك
وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه الى الارض

وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه
وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالى انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد
لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك
وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه فقال له ابليس انت رجل فقير لا شيء لك
انما انت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال
نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما فانفقت على نفسك
وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي تغرس مكانها اخرى ولا
يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ فيما قال لست
بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله تعالى ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده
على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند رأسه فاخذهما وكذلك الغد
ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ فأسه على عاتقه فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال له الى اين فقال
اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليأخذه كما فعل
اول مرة فقال هيهات واخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا
الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن
فقال لانك غضبت اول مرة لله تعالى وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك
وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف
الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان
طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه
الله تعالى ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك القليل من العمل وقال ايوب السختياني
تخليص النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفى صفي له ومن خلط خلط عليه ورؤي بعضهم في المنام
فقيل له كيف وجدت اعمالك قال كل شيء عملته لله تعالى وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها
في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق لي حمار قيمته مائة درهم فما رأيت له ثوابا فقلت
موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل له وجه حيث بعثته لما قيل لك قد مات قلت الى لعنة الله تعالى فبطل اجرك
ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدت ذلك لا لي
ولا علي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يثبت عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل من
العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر موضعا فيه عرس او ما يجتمع فيه النساء
فاتفق انه حضر يوما موضعا فيه مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة
واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امرأة فدعا الله تعالى بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت
الدرة مع تلك المرأة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال بعض الصوفية كنت نائما مع ابي عبيد التستري

وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح
الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سألني ان احج معه فقلت لا قلت فهلا فعلت قال ليس لي في الحج
نية وقد نويت ان اتمم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله اتعرض لمقت الله تعالى لاني ادخل في عمل الله تعالى
شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت
اشتريها فانتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها وربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن
شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان
تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي وقال اكتب فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة
اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر
الى صاحبه فقال اكتب فلان خرج غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله تعالى فيه ما يرى وقال سري لأن تصلي
ركعتين في خلوة تخلصهما خير من ان تكتب سبعين حديثا او سبع مائة بعلو وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن
الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا
اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق
فيها وقال السوسي مراد الله من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا
اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك
وفعل منك له فترضى بما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى
المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب
من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك
درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص وضده يتواردان
على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في المقصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث
فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض
الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد
التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد
الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل امور ما ورد
في الخبر من ان المرائي يدعى يوم القيامة باربعة اسماء يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد
التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر من الرياء او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع
بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب الى الله تعالى او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او
يتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب من عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح
عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابها ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع

الناس عن نفسه ليراقب دخلاً واهلاً او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزاً بين العشيرة او يكون عقاره وامواله محروسة بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او يتكفل بخدمة العلماء والصوفية ليكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقاً في الدنيا او كتب مصحفاً ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه او حج ماشياً ليخفف عن نفسه الكرى او توضأ ليتنظف ويتبرد او اغتسل ليطيب رائحته او يروى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كرى المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او يتصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عنه او يعود مريضاً او يشيع جنازة ليعاد اذا مرض او يشيع جنائز اهله او يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصاً لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة فكل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته وقلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له في عمره خطوة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث فيه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصل هو التقرب وانضاف اليه هذه الامور ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضاً بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوباً عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلاً ليريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله تعالى وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصاً فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله تعالى اكتسب جميع حركاته تلك الصفة فلم يسلم له عباداته وصومه وصلاته الا نادراً فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيه مغروراً لانه لا يدري وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تأخرت يوماً بعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس

حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا وقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً واشد الخلق تعرضاً لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله تعالى والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظاً وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى اذ كفاه الله هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك بفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثواباً واعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه لتصدي ابي بكر للامامة اكان غمه محموداً او مذموماً ولا يستريب ذو دين ان ذلك كان مذموماً لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح اعود عليه في الدين من تكلفه بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه فما بال العلماء لا يفرحون بذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الغرور والجهل فان النفس سهلة الانقياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس والشيطان وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض في معناه قول ابراهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين وهذه اشارة الى ان حظوظ النفس آفة آجلاً وعاجلاً والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تعالى فقط وهو القائل لا يتحرك الانسان الا بحظ والبراءة من الحظوظ من صفة الالهية ومن ادعاه فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظاً وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة

والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى اخذا حظ مولاه وهذا بعيد عند الناس خطأ بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه
من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم اهل الجنة لاستحقروا ذلك ولم يلتفتوا
اليها فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام
النظر الى الخالق وهو اشارة الى افة الرياء فقط وكذلك قول بعضهم ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه اشارة
الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا اجمع للمقاصد وقال المحاسبي هو اخراج
الخلق من معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص
العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب ان يحمده عليه احد
وهذا ايضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال
من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله
عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة فلا فائدة
في تكثير النقل ويكثر بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم
اذ سئل عن الاخلاص فقال صلى الله عليه وسلم ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد
الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوائب والافات المكدرة للاخلاص اعلم ان الافات المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها
خفية وبعضها ضعيفة مع الجلاء وبعضها قوية مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر
مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل بالافة على المصلي مهما راه مخلصا في صلاته ثم اذ نظر
اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا
يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين
الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الافة واخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في
صلاته كما كان فياتيه في معرض الخير فيقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتاسى بك
غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع
وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل للاخلاص
فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان يكون نفس غيره
اعز عليه من نفسه وهذا محض التلبيس والمقتدي به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له
ثواب عليه فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما
ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين
الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص في ان يكون حسن صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملا ويستحيي من
نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه
في الملا ويصلي في الملا ايضا مثل ذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة ليحسنها في الملا فلا يكون

قد فرق

قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان يكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق واحدة
وكان نفس هذا ليس يسمح باساءة الصلاة بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول
بان يستوي صلاته في الخلاء والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلاء والملا جميعا
وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الملا والخلاء جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر
الناس اليه وهو في صلاته فيعجز عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه يفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة
الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله تعالى الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع
جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة
تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الافة ان يكون هذا الخاطر مما يالفه
في الخلوة كما يالفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سببا فما دام يفرق في
احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا
الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم
من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى
لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب
فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها فيدعوه الشيطان الى
فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوة الخفية او مشوبا بها
شوبا يخرج عن حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الافات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة
يانس الطبع به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة
المسجد واستراحة الطبع به ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الاخر وكل ذلك امتزاج
بشوائب الطبع وكدورات النفس ويبطل حقيقة الاخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة
فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش
القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل
واريد به العالم البصير بدقائق افات الاعمال حتى يخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر
السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو زيف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من
دينار يرتضيه الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الافات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها
واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به اذا كان العمل غير خالص لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء
او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا او لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له
ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله فهو سبب الثواب
وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح

لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا
وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الريا اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر ومفض للعقاب نعم
العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للريا ولم يمتزج بشائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة
الى الباعث الاخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الريا حبط منه القدر
الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا
ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكيد صفاتها فداعية الريا من المهلكات وانما غذا هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية
الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الريا فقد
قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل فاذا عمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والاخر
منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الاخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات
ما يقاوم قدر قوته ويكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع
مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى وقدرته الجارية بذلك
فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله تعالى
او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه وان كان مما يقربه شبرين
والاخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان
الريا المحض تمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا فلا بد ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من
خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج
عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة
ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن الثواب
وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها
ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي
هو اعلاء كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت
قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة **فان قلت** فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الريا
محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين ان رجلا
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت عليه
قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ
انه صلى الله عليه وسلم قال ادنى الريا شرك وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لمن اشرك في عمله خذ اجرك
ممن عملت له وعن عبادة بن الصامت ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فاشرك معي غيري
ودعت نصيبي لشريكي وروى ابو موسى ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل

يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو في سبيل الله وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولعله ان يكون ملأ دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد
بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له اذ كان ذلك هو الاغلب على همه
وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الريا وتغيير
العبادة عن وضعها واما لفظ الشركة حيث ورد فمطلقه للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم
يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده
فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي
احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت
داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقد قدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما اغنياء والاخرى
فقراء فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله والغنيمة انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله تعالى ان يكون الامر كذلك فان
هذا حرج في الدين ومدخل الياس على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان منها الا على الندور
فيكون تاثير هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى
هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص
قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد و
القبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اعظم من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي
ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك كان سفيان يقول لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت
ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال الله تعالى الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله
ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والريا فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود
ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد
الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالب نفسه بالاخلاص
فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فساله عن امره فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها
في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل اذ الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص
فما قلت لك اترك العمل وانما قلت لك اخلص العمل فان الفضيل قال ترك العمل بسبب الخلق ريا وفعله لاجل الخلق شرك

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته فضيلة الصدق

قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق
حتى يكتب صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا
ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الانبياء عليهم السلام في معرض المدح والثناء فقال تعالى
واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس

اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحرث من عامل الله تعالى بالصدق
استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصور الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي
ورحمني واعطاني ما لم امل فقلت له احسن ما توجه العبد به الى الله تعالى ماذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب وقال
ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت
صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلثة اركان على الحق والصدق
والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى
الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين واوحى الله تعالى
الى داود يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي فرمى نفسه في الدجلة
فقال الشبلي ان كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى عليه السلم وان كان كاذبا فالله يغرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجمع الفقهاء والعلماء
على ثلث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في
الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤنها
لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف
اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء انفع
من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع
ولا حياة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنى من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ
من الصمت ولا غائب اقرب من الموت وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله تعالى بالصدق اعطاك الله تعالى مرآة بيدك
حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقيل لذي النون هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال قد بقينا مذبذبين
حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل فدعاوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل وقال ابو بكر الوراق احفظ
الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق
والسخاء والشجاعة فقيل زدنا فقال الحياء والتقى وطيب الغذاء وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال
فقال قول الحق والعمل بالصدق وقال الجنيد في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم قال يسال الصادقين عند انفسهم
عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم ان لفظ الصدق يستعمل
في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل
وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة في الصدق ثم هم ايضا على درجات
ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون
الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والاخبار اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد
والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه
عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل
في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه

في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم
وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه فيه ان
يكون نطقه فيه لله تعالى فيما يامره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق
ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض
ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد
وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين ورخص في النطق على وفق
المصلحة في ثلث مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية
فلا يرعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته صار صادقا وصديقا كيف
ما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي باصبعك
دائرة وضعي الاصبع عليه وقولي ليس ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم
انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني
ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان
منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله اياك نعبد واياك نستعين وقوله انا عبد الله
فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله تعالى لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق
في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبد نفسه او عبد الدنيا او عبد الشهوات لم يكن صادقا في قوله وكل
ما يقيد العبد عن ربه فهو عبده كما قال عيسى عليه السلم يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس
عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من يتقيد قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله تعالى من اعتق اولا عن غير الله
فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه العبودية لله تعالى فيشغله بالله تعالى وبمحبته ويقيد
باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى فيشتغل بالله تعالى ثم قد يجاوز هذا الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو
ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله تعالى له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله تعالى
وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقود النفس موجودا لسيده ومولاه ان حركه
تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله تعالى كالميت بين
يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصديقين
واما الحرية عن غير الله تعالى فدرجة الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله تعالى وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى
صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص
وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه
يجوز ان يسمى كاذبا كما روينا في فضيلة الاخلاص من حديث الثلثة حين يسال العالم ما عملت فيما علمت فقال فعلت
كذا وكذا فقال الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقال
بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد وكذلك قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك

لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث اللسان بل من حيث القلب وكان التكذيب متطرقا الى الخبر وهذا القول يتضمن
اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر من نفسه انه يعتقد
ما يقول فكذب في دلالته بقرينة الحال على قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع احد معنيي الصدق
الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد ان يكون مخلصا الصدق الثالث صدق العزم فان الانسان قد يقدم
العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او لقيت عدوا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم ابال
وان قتلت وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي
عزيمة جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام
والقوة كما يقال ان لفلان شهوة صادقة وقد يقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم يكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت
ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى فالصادق والصديق هو الذي يصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها
ميل ولا ضعف ولا تردد بل يسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم فيضرب عنقي
احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه فانه قد وجد في نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتامر مع
وجود ابي بكر رضي الله عنه واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي
الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورايه لم يتقدم ولو ذكر له حديث القتل لا ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير
بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياة ابي بكر احب اليه من حياته الصدق الرابع في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم
في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة
وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد
شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اشهدني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع
فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني اجدها دون احد فقاتل حتى قتل
فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته ما عرفت اخي الا بثيابه ونزلت
هذه الاية قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط
على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء
اربعة رجل مومن جيد الايمان اذا لقي العدو فصدق الله تعالى حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيمة هكذا
ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر ام قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل جيد
الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مومن خلط عملا صالحا
واخر سيئا لقي العدو فصدق الله تعالى حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس يقولون
فقالا ان رزقنا الله تعالى لنصدقن فرزقهم الله فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من
الصالحين وقال بعضهم انما هو شيء نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن

الى قوله

الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه الى اخر الايات فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق
اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم يكع عند الوفاء لشدته ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول
الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم
الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيا لا اجده الان لاني لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك
الى شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق فقلت الوفاء
بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الى السماء الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا تدل اعماله
الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا مخالف
لما ذكرناه من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة
غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة
من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك
قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا
الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية فان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره
ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة
الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمي رياء ويفوت به الاخلاص وان كان عن غير قصد
فيفوت به الصدق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة
قال يزيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك
الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وقيل اذا السر والاعلان في المومن استوى فقد عز في الدارين
واستوجب الثناء فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والغا كخالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه
المردود لا يقتضي المنا وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المومن علانيته باهى الله تعالى به الملائكة يقول عز وجل
هذا عبدي حقا وقال معوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشيء من اعمل
الناس له واذا نهى عن شيء كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه وكان عبد الرحمن الزاهد
يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي ويقول ابو يعقوب
النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق الصدق
السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا
والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها
واذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق في القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق
وهذه هي الشهوة الصادقة وقال الله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون
وقوله تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الاية
فقيل له سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الاية ولنضرب للخوف مثالا

فما من عبد يؤمن بالله الا وهو خائف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اى غير بالغ درجة الحقيقة اما
تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق فى سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه
وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع باهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض
للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه لا يخاف النار ولا يظهر عليه شىء من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال
النبى صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق فى هذه الامور عزيز جدا ولا غاية
لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوى فاذا قوى سمى صادقا فيه فمعرفة الله
وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام احب ان اراك فى صورتك التى هى صورتك
فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارنى فقال فواعدنى البقيع فى ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو قد سد الافق
يعنى جوانب السماء فوقع النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل الى صورته الاولى فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارض السفلى
وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعنى كالعصفور الصغير فانظر ما الذى يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع
الى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم فى المعرفة فهذا هو الصدق فى التعظيم وقال جابر قال النبى صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسرى بى وجبريل بالملا الاعلى كالحلس البالى من خشية الله يعنى الكساء الذى يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا
خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر ما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس
كلهم حمقى فى دين الله تعالى وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال
النبى صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر فى جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حاقر
فالصادق اذن فى جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق فى بعض الامور دون بعض
فان كان صادقا فى الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن قوى وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلاة منذ اسلمت
فحدثت نفسى حتى افرغ منها ولا شيعت جنازة فحدثت نفسى بغير ما هى قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت
النبى صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا فى النبى صلى الله عليه وسلم
فهذا صدق فى هذه الامور وكم من جلة الصحابة قد ادوا الصلاة واتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هى درجات
الصدق ومعانيه والكلمات الماثورة عن المشايخ فى حقيقة الصدق فى الاغلب لا تتعرض الا لاحاد هذه المعانى نعم قد قال ابو بكر
الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى والذين
امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض
وكل هذا يدور على ما ذكرناه فى الصدق السادس ولكن ذكر ما فيه اقسام الصدق وهذا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر
الصادق الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتباكم
وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته
صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكونى الى خلقى خذلته ولا ابالى فاذن من علامات الصدق كتمان المصائب
والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم والحمد لله تم كتاب النية والصدق والاخلاص بحمد الله وعونه

وحسن

وحسن توفيقه بفضله ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب المحاسبة والمراقبة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد خير خلقه وعلى اله وصحبه اجمعين اللهم انى اسئلك الامن والعفاف والصيانة والكفاف ما ابقيتنى واعوذ بك من شماتة
الاعداء وبغى الاصدقاء ما احييتنى واسالك رضاك والجنة اذا توفيتنى يا اكرم الاكرمين وصلى الله على سيدنا محمد واله
وصحبه وسلم اللهم ان سئولى فاعطنى ولا تحرمنى اللهم انى اسالك عيش السعداء والنصر على الاعداء ما احييتنى
واسالك رضاك والجنة ومنازل الشهداء اذا توفيتنى يا ارحم الراحمين وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين والحمد لله رب
العالمين وسلم تسليما كثيرا
كثيرا

كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المطلع على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت العالم بضمائر القلوب اذا هجست
الحسيب على عباده بخواطرهم اذا اختلجت الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والارض تحركت او سكنت
المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول
بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها
المراقبة والمحاسبة فى الدنيا لشقيت فى صعيد القيمة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله
لكان بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق
فى الدنيا والاخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات
وتادبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتاييده ونصرته انقطعت مكائد الشيطان
واندفعت وبلطفه وعنايته تترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء
والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى اله سادة الاصفياء وعلى
اصحابه قادة الاتقياء وسلم تسليما كثيرا اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها الاية وقال الله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الاية وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا
فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه الاية وقال تعالى واعلموا ان الله
يعلم ما فى انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله تعالى لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون فى الحساب ويطالبون
بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انهم لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة

ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة
حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته
وقادته الى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انهم لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة
فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة
ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل
الاعمال فيها واصلها المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح
هذه المقامات المقام الاول من المرابطة المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند
المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق
الاخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان بذلك فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها
بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي
يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا
ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشرط عليها الشروط
ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها
الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخاين اذا انفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء
بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم
كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء
ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد
انقضى الخير ولذلك قيل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فحتم على كل ذي حزم امن بالله واليوم الاخر
ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر
جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمها ابد الاباد فانقضاء هذه الانفاس ضايعة او مصروفة الى
ما يجلب الهلاك خسران عظيم لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة
النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما
فنى فقد فنى راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله تعالى صاحب البضاعة فيه
وانسا في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك قد توفيت ثم رددت
فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي ان اليوم اربع وعشرون ساعة
وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له فيها خزانة فيراها مملوة نورا
من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلة
عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى
سوداء مظلمة يفوح نتنها ويتغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة

تنفص

لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل
بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله
وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغبنا وهكذا يعرض عليه خزائن اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي
اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة
فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرتها لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن والحسرة
لا يطاق وان كان دون الم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن
والحسرة وقال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم ليستأنف لها وصيته
في اعضائه السبعة العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في هذه التجارة
وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله
تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى عورة مسلم او وجه من ليس بمحرم او النظر
الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى يسأل العبد عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام
ثم اذا صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهي التي خلقت له من النظر الى عجائب صنع الله تعالى
بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومطالعة كتب الحكمة
للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليه الامر في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن اما اللسان فلانه منطلق
بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والاطعمة واللعن
والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهي بصدد ذلك كله مع انها خلقت للذكر
والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله تعالى الى طريق الله تعالى واصلاح ذات البين وسائر خيراتها فليشترط
على نفسه ان لا يحرك اللسان طول نهاره الا في الذكر ونطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد فاما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعها من الشهوات ويقتصر
على قدر الضرورة ويشترط عليها انها ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها اكثر مما نالته بشهوتها
وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا يخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستأنف وصيتها
في وظائف الطاعات التي يتكرر عليها في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب
لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على
نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة
فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيها حق ويكثر هذا من يشتغل بشيء
من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله تعالى فيها فعليه
ان يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يعظ العبد المتمرد
الابق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة مع النفس وهي المحاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون

بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة
ومقدار المعرفة زيادة ونقصانا فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا الاية وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الاية ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز
منها في المستقبل وروى عبادة بن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل كان سأله ان يوصيه ويعظه اذا اردت امرا
فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته وقال الحكيم اذا اردت ان يكون غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة
حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب اكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمن ان المؤمن ابصر بالعاقبة فامن من الندامة
وروى شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله تعالى دان نفسه اي حاسب فيوم الدين هو يوم الحساب وقوله تعالى انا لمدينون اي لمحاسبون وقال عمر رضي الله عنه
حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتهيئوا للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى حاسب نفسك في الرخاء
قبل حساب الشدة وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله تعالى فقال ويل لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة
وقال الا من حاسب نفسه فقال كعب والله يا امير المؤمنين انها الى جنبها في التورية ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه
وهذا كله اشارة الى المحاسبة للمستقبل اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم دان نفسه وعمل لما بعد الموت معناه وزن الامور
اولا وقدرها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها المرابطة الثانية المراقبة اذا اوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه
فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فانها ان تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة
المراقبة ثم درجاتها اما الفضيلة فقد سال جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك
تراه وقال ايضا صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال الله تعالى افمن هو قائم على كل نفس
بما كسبت وقال الله تعالى الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن ابدا كانك
ترى الله عز وجل وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فلا ابالي بغيره وقال ابو عثمن المغربي ما يلزم الانسان
نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال ابن عطاء افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات
وقال الجريري امرنا هذا مبني على ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى وتكون على العلم قائما وقال ابو عثمن قال لي ابو حفص اذا
جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله تعالى رقيب على باطنك
وحكي انه كان لبعض مشايخ هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ
فدعا بعدة طيور وناول لكل واحد طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب
مثل ذلك وقال له مثل مقالته لهم فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في يده فقال ما لك لم تذبح وقد
ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان وموضع فاستحسنوا مراقبته وقالوا حق لك
ان تكرم وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام فقامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف عليه السلام ما لك اتستحيين من مراقبة
جماد ولا استحيي من مراقبة الملك الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحيي فقال ممن استحيي

ولا يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر قال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق
من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار
قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حوار خلقن من ورد الجنة قيل ومن يسكنها قال يقول الله تعالى انما يسكن جنات
عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب
اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها
علم القلب بقرب الرب وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة ويروى في بعض الكتب
ان الله تعالى قال لملائكته انتم موكلون بالظواهر وانا رقيب على البواطن وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تغيب
عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا ينقطع نعمه عنك واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج
عن ملكه وسلطانه وقال سهل لم يتزين القلب بشيء افضل من علم العبد بان الله شاهده حيث كان وسئل بعضهم عن
قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه وحاسب نفسه وتزود لمعاده
وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس فيه سهو ومراقبة الله تعالى في السر
والعلانية وانتظار الموت بالتاهب ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب وقد قيل اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما يخفى عليه يغيب الم تر ان اليوم اسرع ذاهب
وان غدا للناظرين قريب وقال حميد الطويل لسليمن بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه
يراك لقد اجترات على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت وقال الثوري عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه
وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السنجي ان المنافق ينظر فاذا لم ير احدا
دخل مدخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر رضي الله عنه الى مكة
حرسها الله تعالى فعرسنا في بعض الطريق فانحدر علينا راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من الغنم فقال اني مملوك
فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله عز وجل فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا الى المملوك فاشتراه من سيده
فاعتقه وقال اعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وارجو ان يعتقك في الاخرة واما بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها
اعلم ان حقيقة المراقبة ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة ويثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي
القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته وانصرافه اليه واما المعرفة التي
هي يثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على اعمال العباد قائم على كل نفس بما
كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت
يقينا اعني انها اذا خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب
كالعلم بالموت فاذا استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة
هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين
من الصديقين وهو مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت
الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا يطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب

اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج
الى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستغرقا بالمعبود
صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر
الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له
مع انه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا يستبعد
هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملوك قد لا يحسون لما يجري عليهم في مجالس
الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يخطى
الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له وقيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل
بحاله عن الخلق قال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فدخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد من اين جئت يا عتبة
قال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت احدا وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بامرأة فدفعها فسقطت
على وجهها فقيل له لم فعلت هذا قال ما ظننتها الا جدارا وقال بعضهم مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم
فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله عز وجل اشهى الي فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق
من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار نحو السماء وقام ومشى وقال بعضهم اكثر خلقك شاغل عنك فهذا
كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو
فيه ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له ممن
اخذت المراقبة والسكون فقال من سنور كانت لنا اذا ارادت الصيد رابضت الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن
خفيف خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا
وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جائع عطشان وفي وسطي خرقة
وليس على عاتقي شيء فدخلت المسجد فاذا شخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع
الجواب فقلت نشدتكما بالله الا رددتما السلام فرفع الشاب راسه من مرقعته فنظر الي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل
وما بقي من القليل الا قليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تفرغ الى لقائنا فاخذ كليتي وطاطا
راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر قلت عظني
فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام
ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بعظتهما فرفع
الشاب راسه وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى رؤيته ويقع هيبته على قلبك يعظك بلسان
فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع
لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم
وعلى قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال
الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت

فيه

فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فانهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون
الى انتظار القيامة وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك في خلوتك قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امرأة
فتعلم انه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته
وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانه يهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك
التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة
فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وخطراته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل
ونظر في العمل اما قبل العمل فلينظر الى ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره اهو لله تعالى خاصة او هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان
فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان كان لله تعالى امضاه وان كان لغير الله تعالى استحيى من الله تعالى وانكف
عنه ثم لام نفسه على رغبته فيها وهمه بها وميله اليها وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها
الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه فانه في الخبر انه ينشر للعبد في كل
حركة من حركاته وان صغرت ثلث دواوين الديوان الاول لم والديوان الثاني كيف والديوان الثالث لمن ومعنى
لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعل لمولاك او ملت اليه بشهوتك وهواك فان سلم منه بان كان عليه ان يعمل ذلك
لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلته بعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا انتشر الديوان الثالث
وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت الوجه الله تعالى خالصا فوفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله او لمراآت
خلق مثلك فخذ اجرك منه ام عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملت بسهوك وغفلتك
فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا تاكل رزقي وتترفه
بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ويحك اما سمعتني اقول الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد
انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبتدي ولا
يعيد الا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسال عن كحل
عينيه وعن فتة الطين باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه وقال الحسن كان احدهم اذا اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان
كان لله تعالى امضاه وقال الحسن رحم الله عبدا وقف عند همه فان كان لله امضى وان كان عليه تاخر وقال في حديث سعد حين
اوصاه سلمان اتق الله تعالى عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المؤمن وقاف متان يقف عند همه ليس كحاطب ليل
فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس و
مكائد الشيطان فمن لم يعرف نفسه وربه وعدوه الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله تعالى ويرضاه
في نيته وهمه وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم لهذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا فلا تظنن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم
ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم آفات النفوس ومكائد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه
والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله تعالى من الجهل

فان لله تعالى في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له كيف فعلت صح

والغفلة فهو رأس كل شقاوة واساس كل خسران فحكم الله تعالى على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجوارح
فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو هوى النفس فيتقيه وينزجر القلب عن الفكر فيه
وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد
يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه
ومهما اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر فيه بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان
بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدين وليفر من العلماء المقبلين على الدنيا فراره
من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لا تسأل عني عالما اسكره حب الدنيا فيصدك عن محبتي اولئك
قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان مستضاء
انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من يستدبرها واقبل على عدوها وعشق ضدها وهي شهوات الدنيا
فليكن هم المريد اولا في احكام العلم او في طلب عالم معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها ان لم يجد من هو عديم الرغبة
فيها اذ قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصيرة النافذة عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم
الشهوات فجمع بين الامرين وهما متلازمان فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا انما قدر العقل الضعيف الذي معه
الادمي به حتى يحتاج الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد اندرست في هذه الاعصار فان الناس
كلهم هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هو الفقه
واخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا الفقه الدنيا الذي ما قصد به الا دفع الشواغل عن
القلوب ليتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدين من الدنيا بواسطة هذا الفقه وفي الخبر انتم اليوم في زمان خيركم فيه
المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام
لما اشكل عليهم كسعد بن ابي وقاص وابن عمر واسامة ومحمد بن مسلمة وكل من لم يتوقف عند الاشتباه فانه يكون متبعا للهوى
معجبا برايه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي
برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قول الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم
وقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه
فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه
وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابها علي فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام الامور ثلثة
امر استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم فاعظم نعمة الله تعالى على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع
كشف وعلم ولذلك قال الله تعالى امتنانا على عبده ونبيه صلى الله عليه وسلم وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم وقال
الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا بيانه وعلى الله قصد السبيل
وقال علي كرم الله وجهه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب

الندم

الندم وفي الصدق السلامة ورب بعيد اقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك
من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين
الله تعالى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته اتاك وان
كنت جازعا على ما اصيب من يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه وانما
المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك
منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت
وغرضنا من نقل هذه الكلمة قوله رضي الله عنه ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فاذن النظر الاول للمراقبة نظره في الهم والحركة
اهو لله تعالى او هو للهوى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم
ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا واكثر ما يكشف له
في حركاته ان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني
المراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله تعالى فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته
ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله
في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد
مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا تجالس الملوك كذلك
وملك الملوك مطلع عليه قال ابن ادهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك
متربعا وان كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في موضعه وكل ذلك داخل
في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فاذن لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او معصية
او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراسته عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة
والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة
والشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة
بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه
ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعة الله تعالى ولكل
واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد
نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلثة فاذا كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل
الاعمال ليشتغل بها فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك
يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة
فان الساعات ثلثة ساعة مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت في شقاء او في رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت
بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه
ويراقب فيها ربه فان لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة فان اتته الساعة الثانية استوفى حقه

منها كالمستوفى من الأول ولا يطول أمل خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون في وقته كأنه في آخر أنفاسه
فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو
على تلك الحالة ويكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر لا يكون المؤمن ظاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة
لمعاش أو لذة في غير محرم وبمعناه قال علي كرم الله وجهه إن للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه
وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب وإن في هذه الساعة
عونا له على بقية الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب ولا ينبغي أن يخلو عن عمل هو
أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل
من كثير من عمل الجوارح والناس فيه على أقسام قسم ينظرون إليه بعين البصيرة والاعتبار فينظرون في عجائب صنعها
وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية تقدير الله تعالى لأسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الآلات المسخرة
للشهوة فيها كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الألباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهية ويلاحظون
وجه الاضطرار إليها ويودهم لو استغنوا عنها ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيها مسخرين لشهواتها وهذا مقام الزاهدين
وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح
عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامة المحبين إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة
واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منها إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت
وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون إليها بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم ويفرحون بما حضرهم من جملتها
ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ
وللطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى وأن من ذم شيئا من خلق الله تعالى بغير إذن الله فقد ذم الله عز وجل ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر فهذه هي المراقبة الثانية لمراقبة الأعمال على الدوام
وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول المرابطة الثالثة محاسبة النفس بعد العمل وذكر
فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها أما الفضيلة فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل
أن توزنوا وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال له يا رسول الله أوصني فقال صلى الله عليه وسلم أمستوص أنت
قال نعم قال عليه السلام إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه وفي الخبر ينبغي أن يكون للعاقل
أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه
بالندم عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى إن الذين اتقوا
إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وروي أن عمر رضي الله عنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جن الليل
ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وقال ميمون بن مهران لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه
والشريكان يتحاسبان بعد العمل وقالت عائشة رضي الله عنها إن أبا بكر قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر
ثم قال لها كيف قلت فقالت قلت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر فقال لا أحد أعز علي من عمر رضي الله عنه فانظر كيف نظر

بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبي طلحة حين شغله النظر إلى الحائط في الصلاة فجعل حائطه
صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض وحديث ابن سلام لما حمل الحزمة من الحطب قيل له يا أبا يوسف قد كان في بنيك و
غلمانك ما يكفونك فقال أردت أن أجرب قلبي هل ينكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله تعالى وإنما خف
الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة
فقال إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك وهذا حساب
قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ما أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله تعالى
وقال أنس سمعت عمر رضي الله عنه وقد خرجت معه يوما فدخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه الجدار وهو في الحائط
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى فلا أقسم بالنفس اللوامة قال
لا تلقى المؤمن إلا يحاسب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بشربتي ماذا أردت بأكلتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه
وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى
وكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي بيانه وقال ميمون بن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن
شريك شحيح وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي
في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت
أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول
رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكياله رحم الله امرأ
نظر في ميزانه فما زال يقول ذلك حتى أبكاني وقال رجل كنت أصحب الأحنف بن قيس فكان عامة صلاته بالليل
الدعاء وكان يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك
على ما صنعت يوم كذا

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على
سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل
التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة حرصا على الدنيا وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة في فواته
ولو حصلت لهم لكان لا يبقى إلا أياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق بخطر الشقاوة والسعادة أبدا ما هذه المساهلة
إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله منه ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح و
الخسران ليتبين له الزيادة والنقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه
في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة
جملة النهار ومعامله نفسه الأمارة بالسوء فيحاسبها على الفرائض أولا فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها
وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها
ومعاقبتها واستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط
ويحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فإنها خداعة ملبسة
مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد

الغيبة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده ومواكلته وشربه ونومه وحتى عن سكوته وسكونه لم سكت
وسكن فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ادى الحق فيه فان ذلك القدر محسوب له فيظهر له الباقي على
نفسه فليثبت عليه على ما ثبت الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدة ثم انه يطالب النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون
اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شئ من ذلك الا بعد تحقيق
الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء وينبغي ان يحاسب النفس
على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة ابن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا
لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمس مائة يوم فصرخ وقال يا ويلتا
القى المالك باحد وعشرين الف ذنب كيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم صرخ وخر مغشيا فاذا هو ميت فسمعوا قائلا
يقول يا لها ركضة الى الجنة الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب على الانفاس وعن معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة
ولو رمى العبد بكل معصية حجرة في داره لامتلات داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظه والملكان يحفظان عليه
قال الله تعالى احصاه الله ونسوه المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم يسلم من مقارفة
معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى لا ينبغي ان يهملها وكان ذلك يتيسر عليه كما بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة
نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف
من الاطراف بمنعه من شهواتها هكذا كانت عادة سالكي طريق الاخرة فقد روي ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل
حتى وضع يده على فخذها ثم ندم وادركه الحياء من الله فوضع يده في النار حتى نشت وروي انه كان في بني اسرائيل رجل متعبد يتعبد في صومعته
كذلك زمانا فاشرف ذات يوم من صومعته فراى امراة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله تعالى بعناية
فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات
رجل خرجت تريد ان يعصي الله تعالى يعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا فتركها معلقة من الصومعة يصيبها
الامطار والرياح والشمس والثلج حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تعالى له ذلك وذكر في بعض الكتب ذكره قال الجنيد
سمعت ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة احتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تاخيرا وتقصيرا
وحدثتني بالتاخير حتى اصبح واسخن الماء وادخل الحمام ولا احمل على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله في طول
عمري فيجب له على حق لا اجده في المسارعة واخذ في التوقف والتاخر فآليت الا اغتسل الا مرقعتي هذه والا انزعها
ولا اعصرها ولا اجففها في الشمس ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية
فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت وقال انك للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم نظرة واحدة الى امراة فجعل
على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار ليتنغص على نفسه العيش ويحكى ان حسان بن ابي سنان مر بغرفة
فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح
العبسي يسال عن ابي بعد العصر فقلنا انه نائم فقال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا
وقلنا الا نوقظه لك فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول اقلت
وقت نوم هذه الساعة افكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما يدريك ان هذا ليس وقت نوم تكلمني بما لا تعلمين

اما ان الله علي عهدا لا انقضه ابدا الا اوسد الارض لنوم حولا الا لمرض حائل او لعقل زائل سوءة لك اما تستحيين توبيخين
وتشغبين لا تنتهين وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك انصرفت وتركته ويحكى ان تميما الداري نام ليلة
لم يقم يتهجد فيها فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في
الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي نار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه وسلم
في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك
ابواب السماء ولقد باهى بك الملائكة ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع
لي والاخر يقول ادع لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع
بنفسك في شهواتها فقال ما على الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها ودخل ابن السماك على داود الطائي يوم
مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك قبل ان تسجن وعذبتها قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت
له تعمل وعن وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله حاجة فقام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة
ثم سال حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك فنزل اليه ملك فقال يا ابن ادم ساعتك
هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح
في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح واذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه ويقول اي نفسي الم اشهد مشهد كذا
وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فرجعت هكذا يقوله مرتين او ثلاثا ثم قال والله لاعرضنك اليوم على الله تعالى اخذك
او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في اوائلهم ثم ان العدو حمل على الناس
فانكشفوا وكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه حتى رايته صريعا فعددت
به وبدابته اكثر من ستين طعنة او اكثر وقد ذكرنا حديث ابي طلحة وانه اشغل قلبه في الصلاة طير في حائطه فتصدق بالحائط
كفارة له وكان عمر رضي الله عنه يضرب قدميه بالدرة بالليل ويقول لها ماذا عملت اليوم وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع
بصره على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع راسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل
وكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ما صنعت يوم كذا وراى رجل امراة ونظر اليها فنتف شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ما اردت بالخير
بشر داود الطائي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلت الملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة
ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي العزم لانفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك
وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم خرج امرهم عن الاختيار وبغوا عليك
ثم تهمل نفسك وهي اعظم عدو لك واشد طغيانا وضررك من طغيانها اعظم من ضررك من طغيان اهلك فان غاية ما يتصور ان
يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الاخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا اخر له
ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الاخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها المرابطة الخامسة المجاهدة وهو انه اذا حاسب
نفسه فراها قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان راها تتوانى بحكم الكسل في شئ من الفضائل
او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط

فهكذا كان يفعل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض له
قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان
فأعتق رقبتين وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشيا أو التصدق
بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها **فإن قلت** إن كانت لا تطاوعني نفسي على الاجتهاد والمواظبة
على الأوراد فما سبيل معالجتها **فأقول** علاجها أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين ومن أنفع أسباب العلاج
أن يطلب صحبة عبد من عباد الله تعالى شديد في العبادة فيلاحظ أحواله ويقتدي به وكان بعضهم يقول إذا اعترتني فترة
في العبادة نظرت إلى محمد بن واسع وإلى اجتهاده نظرة فعملت عليه أسبوعا إلا أن هذا علاج قد تعذر إذ فقد في عباد
الله من يجتهد في العبادة اجتهاد الأولين فينبغي أن يعدل عن المشاهدة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم
ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم
ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أياما قلائل بشهوات مكدرة ثم تأتيه الموت ويحال بينه وبين كل
ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله تعالى منه ونحن نورد أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد
اقتداء بهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى وقال الحسن أجهدتهم العبادة
وقال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك
من عذاب الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى أن الله تعالى يقول لملائكته ما بال
عبادي مجتهدين فيقولون إلهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تعالى فكيف لو رأوني لكانوا
أشد اجتهادا وقال الحسن أدركت أقواما وصحبت منهم طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شيء
منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب التي تطؤونها بأرجلكم إن كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب
ولا أمر أهله بصنع طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط فأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل
فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها
ودأبوا في شكرها وسألوا الله تعالى أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله تعالى أن يغفرها لهم والله ما زالوا
على ذلك وكذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة ويحكى أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه
في مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض
فقال سألتك بالله إلا صدقتني فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها
واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأظمأت لذلك نهاري
وأسهرت ليلي وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا
يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال إن في سقف
بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي إني في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر
كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا إلى أحمد بن رزين غدوة إلى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة
فقيل له في ذلك فقال إن الله تعالى خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة

وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة وقال والله إن كنت لأجلس
خلفه فأبكي رحمة له وقال أبو الدرداء لولا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ بالهواجر والسجود في جوف الليل
ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما تنتقى أطايب التمر وكان الأسود بن زيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر
حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط فدخل عليه أنس والحسن فقالا له إن الله تعالى لم يأمرك بكل هذا فقال إنما أنا عبد
مملوك لا أدع من الاستكانة شيئا إلا جئت به وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه وكان
يصلي جالسا ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست
بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حببت إليه الصلاة وكان يقول اللهم إن
كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي أن أصلي في قبري وقال الجنيد ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون
سنة ما رأى مضطجعا إلا في علة الموت وقال الحرث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموا
في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الأهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا
حظهم الأكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن أبي محمد المغازلي قال جاور أبو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم
ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك
فقال علم صدق باطني فأعانني على ظاهري فأطرق الكتاني ومشى مفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرأيته
قد مد كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تتحدر من بين أصابعه فدنوت منه فإذا دموعه قد خالطها الدم فقلت له بالله يا فتح
بكيت الدم فقال لولا أنك حلفتني بالله ما أخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب
حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون لم تصح لي الدموع قال فرأيته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك
قال غفر لي قلت فما صنع في دموعك فقال قربني ربي وقال لي يا فتح بكيت الدمع على ماذا قلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك
فقال عز وجل والدم على ماذا قلت على دموعي أن لا يصح لي فقال عز وجل يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي لقد صعد حافظاك إلي
أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل إن قوما أرادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس فنادوه فأشرف
عليهم من صومعته فقالوا يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف هو فقال فأومى برأسه إلى السماء فعلم القوم ما أراد فقال
يا راهب إنا سائلوك فهل أنت مجيب فقال سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب
القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام الخلق غدا عند مليكهم قال على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم
فإن خير الزاد ما بلغ البغية ثم أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه في صومعته وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة
فيها راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فأشرف علي وقال
يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه
وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله
قائم قد أسهره ذكر النار وسؤال الجبار فهذا هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا
أعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله تعالى بعد أن عرفوه فقال يا أخي لم يقطع الخلق عن الله تعالى إلا حب الدنيا
وزينتها لأنها محل المعاصي والذنوب فالعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه وقيل

حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك وكان يصوم

وقالت

لداود الطائى لو سرحت لحيتك فقال انى اذا لفارغ وكان اويس القرنى يقول هذه ليلة الركوع فيحيى الليل كله فى ركعة
وهذه ليلة السجود فيحيى الليل كله فى سجدة وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنى بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت
بنفسك فقال الرفق اطلب دعينى اتعب قليلا وانعم كثيرا وقيل حج مسروق فما نام قط الا ساجدا وقال سفين الثورى
عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عمر بن اخت بشر بن الحرث يقول سمعت خالى يقول
لامى جوفى وخواصرى تضرب على فقالت له امى يا اخى ائذن لى اصلح لك حسا بكف دقيق عندى فتحساه لا يحل جوفك
فقال لها ويحك اخاف ان يقول لى من اين لك هذا الدقيق فلا ادرى ايش اقول له فبكت امى وبكى معها وبكيت معهم
قال عمرو ورات امى فى تنفسى حالى اثر من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له امى يا اخى ليت امى لم تلدنى
فقد والله تقطع كبدى مما ارى بك فقال هو والله فليت امك لم تلدنى واذ ولدتنى فلم تدر ثديها على قال عمرو وكانت امى
تبكى عليه الليل والنهار وقال عبد الله بن داود كان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه اى كان لا ينام طول الليل وكان
كهمس بن الحسن يصلى كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومى يا ماوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكى ويقول
ذهب نصف عملى وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول له يا ابت مالى ارى الناس ينامون واراك لا تنام فقال يا بنتاه
ان اباك يخاف البيات ولما رات امه ما يلقى من البكاء والسهر نادته وقالت يا بنى لعلك قتلت قتيلا فقال نعم يا والدة
قالت فمن هو حتى نطلب الى اهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك وعفوا عنك فقال يا اماه هى نفسى
وقال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر فجلست وقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر
ثم قام يصلى حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم
جلس فغلبت عيناه فقال اللهم انى اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع فقلت حسبى هذا منه ثم رجعت ونظر رجل
الى اويس فقال يا ابا عبد الله مالى اراك كانك مريض فقال وما لاويس لا يكون مريضا يطعم المريض واويس غير طاعم
وينام المريض واويس غير نائم وقيل كان ورد سمنون فى كل يوم وليلة خمسمائة ركعة وقال ابو بكر المطوعى كان وردى
فى شبيبتى كل يوم وليلة اقرا فيها قل هو الله احد احدا وثلثين الف مرة او احدا واربعين شك الراوى وكان منصور بن المعتمر
اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته جاءت عيناه ولقد قالت له امه
ما هذا الذى تصنع بنفسك تبكى الليل عامته لا تسكت لعلك يا بنى اصبت نفسا او قتلت قتيلا فيقول يا امه انا اعلم بما
صنعت بنفسى وقال احمد بن حرب يا عجبا لمن يؤمن بان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال [illegible]
ابيت ابن ادهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت ارمقه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب الليل كله
حتى طلع الفجر فاذن المؤذن فوثب الى الصلاة ولم يجدد وضوءا فحاك ذلك فى صدرى فقلت له قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد
الوضوء فقال كنت الليلة كلها جائلا فى رياض الجنة وفى اودية النار افهل فى ذلك نوم وقال ثابت البنانى ادركت
رجالا كان احدهم يصلى فيعجز عن ما ياتى فراشه الا حبوا وقيل مكث ابو بكر بن عياش اربعين سنة لا يضع جنبه على فراش
ونزل الماء فى احدى عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم به اهله وقيل لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وظما الهواجر
فقال هل هو الا انى صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس فى ذلك خطير امر وكان يقول ما رايت مثل
الجنة نام طالبها وما رايت مثل النار نام هاربها وكان اذا جاء الليل قال اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح فاذا جاء

الليل قال من خاف ادلج فعند الصباح يحمد القوم السرى وقال بعضهم صحبت عامر بن قيس اربعة اشهر فما رايته نام بليل
ولا نهار ويروى رجل من اصحاب على رضى الله عنه قال صليت خلفه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس
ثم قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا
صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله مادوا
كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعنى من كان حوله وكان ابو مسلم الخولانى
علق سوطا فى مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا منى
فاذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب بها ساقه ويقول انت اولى بالضرب من دابتى ويقول ايظن اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم ان يستاثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم
قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع
على السطح ليضربه البرد وفى الصيف يضطجع داخل البيت ليجد الحر والغم فلا ينام ومات وهو ساجد وكان يقول اللهم
انى احب لقاءك فاحب لقائى وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدات بعائشة رضى الله عنها اسلم عليها
فاذا هى تصلى صلاة الضحى وهى تقرا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وهى تبكى وتدعو وتردد الاية فقمت حتى مللت
وهى على حالها فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق فقلت افرغ من حاجتى ثم ارجع فقضيت حاجتى ثم رجعت وهى على حالها
فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق تردد الاية وتبكى وتدعو وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد الرحمن بن الاسود
حاجا اشتكت احدى قدميه فقام يصلى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء وقال بعضهم ما اخاف من الموت
الا من حيث انه يحول بينى وبين قيام الليل وقال على رضى الله عنه سيماء الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون
من البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها قال
لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان عامر بن عبد قيس يقول الهى خلقتنى ولم تؤامرنى وتميتنى ولم تعلمنى وخلقت
معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى الدم وجعلته يرانى ولا اراه ثم قلت لى استمسك الهى كيف استمسك ان لم تمسكنى اللهم
فى الدنيا الهموم والاحزان وفى الاخرة العقاب والحساب فاين الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع
الليل بثلث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه يتفكر وكذلك فى الثلث الثانى فاذا كان وقت السحر صاح
صيحة فسالت بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه وانظر الى ما كان فيه بين الصيحة الى الصيحة وقال القاسم بن راشد
الشيبانى كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته
ايها الركب المعرسون اكل هذا الليل ترقدون افلا تقومون وترحلون فيتواثبون فيسمع من هنا باك ومن هنا داع
ومن هنا قارئ ومن هنا متوضئ فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال حكيم ان لله عبادا
انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين
وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت وتلوذ
بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطيف الفوائد ما لا يمكن واصف ان يصفه فهم باطن امورهم كالديباج حسنا
وهم فى الظاهر مناديل مبذولة لمن ارادهم تواضعا وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه

ثم وضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر
صاح صيحة قال جعفر فحدثت به

من يشاء وقال بعض الصالحين بينما انا اسير في جبال بيت المقدس اذا انا بصوت قد ملا الوادي واذا تلك الجبال تجيبه تدوي
عالي فاتبعت الصوت فاذا بروضة عليها شجر ملتف واذا برجل قائم فيها يردد هذه الآية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
الى آخر الآية فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد الآية ثم صاح صيحة وخر مغشيا عليه فقلت واسفاه هذا لشقائي ثم
انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض
الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت رقاب العارفين ثم نفض يديه
وقال مالي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا السلام عليك بابناء جنسك والادون نعيمك الى الذين اليك بهم الجهد
فادخري اياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى مر الزمان يفنون فناديته
يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الاوقات وتبادره يخاف ان يسبقه بالموت نفسي
ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت آثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب
ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري هب لي اساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت
بين يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به الا ما كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع
كلام من اوبقته ذنوبه اني في هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد عونا علي ليخرجني مما انا فيه غيرك
فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وملت الى حديثك شعبة من قلبي وانا اعوذ بالله من شرك ثم ارجو ان يعيذني
من سخطه ويتفضل علي برحمته فقلت هذا ولي الله اخاف ان اشغله فاخاف ان اعاقب في موضعي فانصرفت وتركته وقال
آخر بينما انا اسير في منزلة اذ ملت الى شجرة كسرح تحتها فاذا انا بشيخ قد اشرف علي فقال لي يا هذا قم فان ملك الموت
لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت ثم قال
من يقين بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر اليك
واملأ قلبي من المحبة واجرني من ذل التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال
لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك املي ثم مضى وانشد في ذلك ۞ بحيل الجسم مكتئب الفؤاد تراه
بقنة او بطن وادي ۞ ينوح على معاصي فادحات ۞ يكدر ثقلها صفو الرقادي ۞ فان هاجت مخاوفه وزادت ۞ فدعوته
اغثني يا عمادي ۞ فانت بما الاقيه عليم ۞ كثير الصفح عن زلل العبادي ۞ الذ من التلذذ بالغواني ۞ اذا اقبلن في حلل حسان
منيب فر من اهل ومال ۞ يسيح الى مكان من مكاني ۞ ليخمل ذكره ويعيش فردا ۞ ويظفر في العبادة بالاماني ۞ تلذذه
البلاء وان تولى ۞ وذكر بالفؤاد وباللسان ۞ وعند الموت ياتيه بشير ۞ يبشر بالنجاة من الهوان ۞ فيدرك ما اراد
وما تمنى ۞ من الراحات في غرف الجنان ۞ وكان كرز بن وبرة يختم القرآن ثلاث مرات في كل يوم وليلة وجاهد نفسه
في العبادة غاية المجاهدات فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة قال فكم مقدار
يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة قال فكيف يعجز احدكم ان يعمل سبع يوم حتى يامن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا
واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا
فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت

نفسك

نفسك عليك واستعصت من المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على
مشاهدة من اقتدى بهم لكان انفع في القلب وابعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع
احوال هؤلاء فان لم يكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في زمرتهم وهم العقلاء والحكماء وذوو
البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل عصرك ولا ترضى بان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه
بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء وان حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء
المجتهدات وقل لها لا تستنكفي ان تكوني اقل من امرأة فاخسس برجل يقصر عن امرأة في دينها ودنياها ولنذكر الآن
شيئا من احوال المجتهدات روي عن حبيبة العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها
ثم قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون واغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ثم
تقبل على صلاتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار قد اسفر فليت شعري اقبلت
مني ليلتي فاهنا او رددتها علي فاعزى وعزتك وجلالك ان هذا دأبي ودأبك ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك
ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك ويروى عن عجردة انها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة فاذا كان وقت السحر نادت
بصوت لها محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسالك لا بغيرك ان تجعلني
في اول زمرة السابقين وان ترفعني اليك في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت ارحم الرحماء واعظم
العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فيسمع وجبتها ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد
مجلس شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها
فجئنا اليها فقلنا لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئا فكان ذلك اقوى لك على ما تريدين قال فبكت
ثم قالت والله لوددت ان ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي واني لي بالبكاء
فلم تزل تردد ذلك حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ حدثتني امرأة من المتعبدات قالت رأيت في منامي كاني ادخلت الجنة
فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المرأة التي زخرفت
الجنان لقدومها فقلت ومن هذه المرأة فقالوا امة سوداء من اهل الايلة يقال لها شعوانة فقلت اختي والله فبينا انا كذلك
اذا هي على نجيبة يطير بها في الهواء فلما رايتها ناديت يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك يلحقني
بك قالت فتبسمت الي وقالت لم يأت لقدومك ولكن احفظي عني اثنتين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك
ولا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي نائمة الى جنبي
فانتبهت فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي الا ما غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي
ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام
وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا امرأة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا فكنت اسمع لها من الليل انينا وا
فقلت يوما لخادم لنا اشرف على هذه المرأة ماذا تصنع فاشرف عليها فما رآها تصنع شيئا غير انها لا ترد طرفها
عن القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل
وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلعله بعد هذا اتراها تظن انك لا ترى سوء فعلها وانت عليم خبير

وانت على كل شي قدير وقال ذو النون خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب من السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها عكازة فقالت
لي من انت غير فازع مني قلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غريب فبكيت لقولها فقالت لي ما الذي
ابكاك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم بكيت قلت رحمك الله والصادق
لا يبكي قالت لا قلت ولم ذاك قالت لان البكاء راحة للقلب فسكت متعجبا من قولها وقال احمد بن علي استاذنا على عفيرة
فحجبتنا فلازمنا الباب فلما علمت ذلك قامت لتفتح فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك ثم
فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطا
السلمي اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فياليت عفيرة اذ رفعت راسها
لم تعص ويا ليتها اذ عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حبشية فاجلستها في موضع
بناحية السوق وبقيت في بعض حوائجي وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى
منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي لا تعجل علي انك لما اجلستني في موضع
لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت بقولها وقلت لها انت حرة لوجه الله تعالى فقالت ساء ما صنعت
معي كنت اخدمك فيكون لي اجران فاما الان فقد ذهب عني احدهما وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم
يقال لها بريرة تعبدت وكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على اية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها
من البكاء فقال بنو اعمامها انطلقوا بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في كثرة البكاء فدخلنا فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت
فقالت اصبحنا اضيافا فاسمعين بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء فقد ذهبت عيناك منه فقالت
ان يكن لعيني عند الله تعالى خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء اطول
من هذا واعرضت عنا فقال القوم قوموا بنا فهي والله في غير ما نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاء النهار تقول
هذا يومي الذي اموت فيه فلا تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فتصلي حتى تصبح وقال
الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها وقمنا الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان السحر قلت
ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك
واعظم رجائي بجزائك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الاملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي
ولم يدنني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عذبت فمن اعدل منك
هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام
حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت من تولاني في حياتي باحسانه ان يسعفني عند مماتي بغفرانه الهي كيف ايأس
من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حال حياتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني وان محبتي لك قد اجارتني فتول
من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لما سترتني
فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب
ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك قال الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى

اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت وهي تصلي قاعدة فسلمنا ثم ذكرنا لها شيئا من العفو ليهون عليها الامر
فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله تعالى لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا ثم اقبلت على
صلاتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطلع على احوال الرجال والنساء من المجتهدين فينبعث نشاطك
ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين
غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الاولياء فهو مشتمل
على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين
فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وان اولئك محجوبا وسحرا امامك موافقهم فيما هم عليه فلا بد ان يجري عليك
ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت واياك ان تنخدع بجمل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل
جارف يغرق اهل البلد فثبتوا على موضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقهم وتركب
سفينة تنجو بها من الغرق فهل تختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تترك موافقتهم وتستجهلهم في صنيعهم و
تاخذ حذرك مما دهاك فاذا كنت تترك موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهرب
من عذاب الابد وانت متعرض له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات
الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون
فعليك ان اشتغلت بمعاقبة نفسك ان تحملها على الاجتهاد فان استعصت ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتخويفها وتقريعها
وردت سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها

اعلم ان اعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة عن الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل
القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها
بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك اللوامة التي اقسم الله تعالى بها وترجوا ان تصير
النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله تعالى راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا
تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان
اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها
جهلها وحماقتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وتفطنها وهدايتها ويشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها
ما اعظم جهالتك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحماقة اما تعرفين ما بين يديك من الجنة
والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم
وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله عز وجل قريبا اما تعلمين ان كل ما هو ات قريب فان
البعيد ما ليس بات اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومن غير مواطاة وانه لا ياتي في
شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في الصبي دون الشباب
ولا في الشباب دون الصبي بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيها الموت فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض
فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم

الايمان تلك ويحك ان كانت جراتك على معاصي الله تعالى ان كان لاعتقادك ان الله تعالى لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع
علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف
كان مقتك له وغضبك عليه فباي جسارة تتعرضين لمقت الله تعالى وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات
جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك
قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى
في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات
الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم ما لك تنزعين الروح في طلبه وتحصيله من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى
حتى يعثر بك على كنز او يسخر عبدا من عبيده ليحمل اليك حاجتك من غير سعي وطلب افتحسبين ان الله تعالى
كريم في الاخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله تعالى لا تبديل لها وان رب الدنيا والاخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى
ويحك ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك
ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال عز وجل في امور الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك
بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها وكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل
امر الاخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان ولو كان الايمان باللسان فلم كان
المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت
وهيهات اتحسبين ان تتركين سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلقك الله تعالى فسوى اليس ذلك بقادر
على ان يحيي الموتى اللهم بلى فان كان هذا اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه مماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك
ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين
حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان
قول الانبياء عليهم السلام المؤيدين بالمعجزات من قول الله تعالى في كتبه المنزلة اقل عندك من تاثير قول اليهودي الذي يخبرك
عن حدس وظن مع نقصان عقل وقصور علم بل العجب لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير
مطالبة ببرهان ودليل افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء او
صار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب
لا تحسين بالمها الا يوما واحدا واقل منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك
فان كنت قد عرفت جميع ذلك وامنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا
امنت استعجال الاجل وهبك انك قد وعدت بالامهال مائة سنة فتوفر العمل الى اخرها افتظنين ان من يطعم الدابة في حضيض
العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها
سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقه النفس
من غير تفقه ودرس وتكرار مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبت ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه ودرس اعتمادا على
كرم الله تعالى ثم هب ان الجهد في اخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم اخر عمرك فلم لا تشتغلين به فيه وان اوحي

بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيه من التعب
والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا يعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله تعالى قط ولا يخلقه ولا تكون الجنة قط الا محفوفة
بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده اما تتاملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد
جاء غدا وصار يوما فكيف وجدتيه اوما علمت ان الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت
غدا اعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فاذا عجز عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع
شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة تزيد الشجرة قوة ورسوخا وتزيد القالع ضعفا ووهنا
فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذئب والقضيب
الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ولا يصح تقويم المعوج اليابس الا بالنار فاذا كنت لا تفهمين
هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما لك تدعين الحكمة اي حماقة وجهل يزيد على هذه الحماقة والجهل ولعلك
تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات التي تنالني فما اجهلك واقبح
اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك
الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض
اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول العمر واخبره ان شرب هذه الايام يورث
مرضا مزمنا ويمنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق هذه الشهوة ان تصبر هذه الايام ليتنعم طول العمر
ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثمائة يوم او ثلاثة الاف او اكثر وجميع عمرك
بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار اقل مثلا من ثلاثة ايام بالاضافة
الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة واطول مدة ام الم النار في دركات جهنم
فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله تعالى ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لجهل
جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وعلم قدر الثواب والعقاب واما الجهل الجلي فاعتمادك على كرم الله
وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز وحبة من
المال وكلمة واحدة تسمعها من الخلق بل تتوصلين الى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا تستحقين لقب الحماقة من رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ويحك لا ينبغي
ان تغرك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك بمهم لغيرك ولا تضيعي اوقاتك فالانفاس
معدودة واذا مضى نفس فقد ذهب منك بعضك واغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر
والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقائك فيها اما تستعدين للشتاء لطول مدته فتجمعين
الحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب فانه قادر على ذلك
افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر مدة من زمهرير الشتاء ام تظنين بان العبد ينجو منها بغير سعي كلا
كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق
الطاعات وانما كرم الله تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا في ان يندفع عنك العذاب دون حصنه كما

كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديد وحجر حتى تدفع برد الشتاء
عن نفسك وكان شوى الحطب الحجة لم يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تستغني عنها وانما هي طريق لها الى تحاثاك
لمراحس خلقه ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك انا نتحجي عن جهالك وقس اخرتك بدنياك فما خلقك
ولا بعثك الا كنفس واحدة كما بدانا اول خلق نعيده وكما بداكم تعودون وسنة الله لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا اما ادراك
الا الفتك الدنيا وانست بها فصعب عليك مفارقتها وانت مقبلة على مفارقتها وتوكدين في نفسك مودتها كانك حسبت
انك غافلة عن عقاب الله تعالى وثوابه وعن اهوال القيامة واحوالها فما انت مومنة بالموت المفرق بينك وبين محابك فنظري
ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الاخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم ينضبط بالصماح الى
اهو معبد ودمن الغفلة امر من الحمق اما تعلمين ان الدنيا دار الملك الملوك وما لك منها الا مجاز وكل ما فيها لا يصحب
المجتاز بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك
مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس
بها مع ان الموت من ورائه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري وما تنظرين
الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله ارضهم وديارهم اعداءهم اما تراهم كيف يجمعون
ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد منهم قصرا مرفوعا الى جهة السماء ومقره قبر
محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب اخرته
وهو صائر اليها قطعا اما تستحيين من مساعدة هؤلاء على حماقتهم واحسبي انك لست ذات بصيرة تهتدين الى هذه الامور
وانما تميل بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين
بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك
كيف تعمين عن هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك يسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمها اوما تتفكرين ان الجاه لا معنى له الا ميل
بعض قلوب الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض سجد لك واطاعوك اما تعرفين انه بعد خمسين
سنة لا تبقين انت ولا من على وجه الارض ممن عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك وذكر من ذكرك كما ورد على الملوك الذين
من قبلك فهل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من خمسين سنة ان
بقي هذا ان كنت ملكا من ملوك الارض سلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب فكيف وباقي
ادبارك وشقاوتك لا يسلم لك امر محلتك بل امر دارك فضلا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا بالجهالة وعمى بصيرتك
فما لك لا تتركيها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في
قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا تخلو بلدك عن جماعة من اليهود والمجوس
يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الاخساء فما اجهلك واخس همتك
واسقط رايك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من النبيين والصديقين في جوار رب العالمين ابد الابدين
لتكوني في صف النعال من جهال الحمقى الجاهلين ايا ما فيا ذلك فيا خسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك
فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن يصوم ومن يطلب رضا الله تعالى

لك بعد

لك بعد ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها ربحت فيما بقي وقد ضيعت اكثرها فلو تكتب بقية عمرك على ما
ضيعت منها لكنت مغترة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت على عادتك اما تعلمين ان الموت موعدك والقبر بيتك
والتراب فراشك والدود انيسك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد يطلبونك فقد الوا
كلهم على انفسهم بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك معهم الى ما هم فيه اما علمت انهم يتمنون الرجعة
الى الدنيا يوما ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وانت يحبهم في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه
لو قدروا عليها وانت تضيعين ايامك ويحك اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم وتستحيين
من الخلق ولا تستحيين من الله تعالى ويحك اهو عز وجل اهون الناظرين عليك اتامرين الناس بالبر وانت متلطخة بالرذائل
تدعين الى الله تعالى وانت منه فارة وتذكرين بالله تعالى وانت له ناسية اما تعلمين ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة
لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطييب غيرك وانت غير طيبة في نفسك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس
لا يصيبهم بلاء الا بشومك فجعلت نفسك حمار الابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر منك ومع هذا تعجبين بعملك
وفيه من الافات ما لو نجوت منه راسا براس لربحت فكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة
واحدة بعد ان عبد الله تعالى مائتي الف سنة واخرج اباك ادم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس
ما اغدرك ما اوقحك واجهلك واجراك على المعاصي ويحك يا نفس كم تعقدين فتنقضين كم تعهدين فتغدرين ويحك
اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كانوا جمعوا كثيرا وبنوا
شديدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة اتظنين انهم
دعوا الى الاخرة وانت مخلدة هيهات هيهات ما انت الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على ظهر الارض قصرك فان بطنها
عن قريب قبرك اما تخافين لو بلغت النفس منك التراقي ان يبدو رسل الله اليك متحدرة سود الالوان وكلح الوجوه
وبشروك بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او يرحم منك البكاء والعجب منك انك تدعين البصيرة
والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما ينفع مال يزيد وعمر ينقص ويحك تعرضين
عن الاخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لم يستكمله ومؤمل لغد لم يبلغه وانت
تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك وترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري يا مسكينة
يوما ترجعين الى الله لا فيه ربك تعالى بنفسه عز وجل لا يبرك قسم عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يساله عن عمله دقيقه وجليله وسره
وعلانيته فانظري باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين واعدي للسؤال جوابا وللجواب صوابا واعملي في بقية عمرك
في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار اقامة وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود فاعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا
اختيارا خروج الاحرار قبل ان تخرجي منها اضطرارا ولا تفرحي بدنياك ومما ساعدك من زهراتها فرب مسرور مغبون ورب
مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويلهو وياكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله تعالى انه من اهل النار فليكن
نظرك الى الدنيا اعتبارا وسعيك بها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للاخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز
عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت
مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة

فقد رضيت بالنار وما اراك بها راضية ولا لاهوالها واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها
بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف
بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله تعالى قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني
نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك
مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منها فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء
مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الان هل ياخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها
وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي
على النياحة والبكاء واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان
يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وزاحت عنك
العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مفر ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر
عظم جرمك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر الذليل وقد اصبحت
اليه مضطرة والى رحمته محتاجة ولم ينجع فيك العظات وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق والحيل ولم يحركك
التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث به رؤوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا
ارحم الراحمين يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجريء الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحي هذا مقام المتضرع
المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل يا مولاي اغاثتي وفرجي واريني اثار رحمتك واذقني برد
عفوك ومغفرتك وقوة عصمتك يا ارحم الراحمين فقد بكى ابوك ادم عليه السلام قال وهب بن منبه لما اهبط الله ادم عليه السلام
من الجنة مكث لا ترقا له دمعة فاطلع الله تعالى عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب منكس الراس فاوحى الله تعالى
اليه يا ادم ما هذا الجهد والبكاء فقال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان
بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة والنصب بعد الراحة والبلاء بعد العافية ودار الزوال بعد القرار والموت
والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا ادم الم اصطفيك لنفسي واحللتك جنتي
وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري
ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملات الارض رجالا كلهم مثلك يعبدوني ثم عصوني لانزلتهم منازل
العاصين فبكى ادم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة عام الى ان غفر الله تعالى له وكان عبد الله البجلي كثير البكاء ويقول في بكائه في
ليله انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم
يزل صاحبها في طلب اخرى واعبيداه ان كانت النار له مقيلا ومأوى واعبيداه ان كانت المقامع لراسك تهيا واعبيداه
قضيت حاجة الطالبين وحاجتك لا تنقضي وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي عابدا بالكوفة يناجي ربه ويقول
يا رب ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف
ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الان
من يستنقذني او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوءتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا

والمثقلين

والمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي وكلما طال عمري كثرت معاصي
فالى كم اتوب وفي كم اعود اما ان لي ان استحي من ربي فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وانما مطلبهم
من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك
ان لا يكون الله تعالى عنه راضيا تم كتاب المراقبة والمحاسبة والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على محمد سيد
المرسلين وعلى اله واصحابه واتباعه اجمعين ويتلوه ان شاء الله تعالى

كتاب التفكر وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
وعلى اله وصحبه اجمعين
وسلم تسليما

كتاب التفكر من ربع المنجيات وهو الكتاب التاسع
من جملة كتب احياء علوم الدين

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمرقى اقدام الاوهام ومرمى سهام الافهام الى حمى عظمته
مجرى بل ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات
واذا همت بالانصراف ايسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية فكرك لانك لو تفكرت
في جلال الربوبية لم تقدري له قدرا وان طلبت وراء الفكر في صفاتك امرا فانظري في نعم الله تعالى واياديه كيف توالت
عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا
وضرا وعسرا ويسرا وفوزا ونجاة وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا وان جاوزت النظر
في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشر ظلما فقد انبهرت العقول
دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا والصلاة على محمد وان كان سيد ولد ادم ولم يعد سيادة
فخرا صلاة تبقى لنا في عرصات القيامة عدة وذخرا وعلى اله وصحبه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا
ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة
وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار
وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته
ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا انه كيف يتفكر وفيما ذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب
به اهو مراد لعينه او لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا وكشف جميع
ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة الفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

فضيلة التفكر

قد امر الله تعالى بالتفكر والاعتبار والتدبر في كتابه العزيز في مواضع واثنى على المتفكرين
فقال الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا قال ابن عباس ان قوما تفكروا في الله

الجلال قسرا

وقعدا

وجورا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله تعالى ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وعنه صلى الله عليه وسلم انه خرج
على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله تعالى قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله
ولا تتفكروا في الله تعالى فان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق
من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان منهم قال ما يدرون اخلق الشيطان ام لا قالوا امن
ولد آدم قال ما يدرون خلق آدم عليه السلام ام لا قال عطاء انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبيننا
وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا فقال قول النبي صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا
باعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت فقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي
ثم قال ذريني اتعبد لربي تعالى فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد فبكى حتى بل الارض ثم
اضطجع على جنبه حتى اتى بلال يؤذنه لصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال صلى الله عليه وسلم ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال
تقراهن وتعقلهن قال محمد بن واسع ذكر ان رجلا من اهل البصرة ركب الى ام ذر بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة
ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وقال الحسن تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال الفضيل الفكر مرآة تريك
حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة يتمثل كثيرا ويقول
اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن طاوس قال الحواريون لعيسى عليه السلام يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك
فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته
تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال
امنع قلوبهم التفكر في امري وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا
يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امراة كانت تسكن البادية
قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ذخر في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم في
الدنيا عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك
فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة وقال وهب بن
منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى من افضل العبادة
وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورآه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة
الله ما عصوا الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب
وبينا ابو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك فقال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب
اجلي وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال ايضا الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية
والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف
وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست

اقبل كلام كل حكيم ولكني انظر الى همه وهواه فان كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان اهل
العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود
الطائي رحمه الله على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له
قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف فقال من ذا الذي
طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد و
التنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن
شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رحمه الله استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال ايضا
صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة و
مشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضا
الفضائل اربعة احدها الحكمة وقوامها في الفكرة والثاني العفة وقوامها في الشهوة والثالث القوة وقوامها في الغضب
والرابع العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد في ذكر حقيقته وبيان مجاريه

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله
ان من مال الى العاجلة وآثر الحياة الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان
يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا
على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى
فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقيق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا
بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا
ونظرا وتاملا وتدبرا اما التامل والتدبر والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر
والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا كما ان الاسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن
باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف
يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد وكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى معرفة
ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه
من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة لا يسمى ناظرا وكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة التذكار
تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا
هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج
المعرفة فاذا حصلت معرفة اخرى وازدوجت مع معرفة اخرى حصل منه نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم و
يتمادى الفكر الى غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعرفة بالموت او بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر
واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم راس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له
فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا يربح شيئا وكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو راس مال

العلوم ولكنه يحسن استعمالها وتأليف بعضها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار
تارة يكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء عليهم السلام وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسة وهو
الاكثر ثم المتفكر قد يحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصوله ولا يقدر على التعبير عنه لقلة ممارسته
لصناعة التعبير والايراد فكم من انسان يعلم ان الاخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده
والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الاخرة ابقى من الدنيا فيحصل له
معرفة ثالثة وهو ان الاخرة اولى بالايثار من الدنيا فرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل به الى معرفة ثالثة
واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل الفكر في القلب تغير حال القلب
واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر والفكر اذا هو المبدأ
والمفتاح للامور كلها وهذا هو الذي يكشف لك فضيلة الفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا
وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا الفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل
تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل
هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال الله تعالى لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير
الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الاخرة فان الفكر فيه يعرفنا ان الاخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة
يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة
حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الاخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم
اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الاخرة فههنا خمس درجات اولاها التذكر وهو احضار
المعرفتين في القلب وثانيها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منها والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب
بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب
الحديد على الحجر فيخرج منه نور يستضيء به الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة فتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك
زيادة نور المعرفة بالفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر
على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن
يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيراه ما لم يكن يبصره ثم ينتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل
بالظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذا ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور
ان تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري
الفكر غير محصورة وثمراته غير محصورة نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال
التي هي من مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح
لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبطها الجامع فيه ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدنيا وقد يجري فيما يتعلق بغير الدنيا وانما غرضنا
ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الاخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الله تعالى فجميع افكار العبد اما ان يتعلق

بالعبد

بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن الخروج من هذين القسمين وما يتعلق
بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند الرب تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق
بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في
السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان احوال السائرين الى الله تعالى
والمشتاقين الى لقائه تضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو
فكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم
بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته
ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه
منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج من هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه
لان العشق التام الكامل يستغرق العاشق ويستولي القلب حتى لا يبقى فيه متسع لغيره فمحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك
فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا
فلنبدأ بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعالها ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق
بعلم المعاملة الذي هو مقصود هذا الكتاب واما القسم الاخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله
او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها
في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي ينقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف
وعقوق الوالدين والسكون في مسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور الاول
التفكر في انه هل هو مكروه عند الله تعالى ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر والثاني التفكر
في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه والثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او متعرض له
في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه
الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر اما في جميعها
او في اكثرها وشرح احاد هذه الاقسام يطول ولكن ينحصر هذا القسم في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات
المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه

النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال
ملابس لمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد
للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة
والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد
القران والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر في انه كيف
يحترز منها ويعلم انه لا يتم له الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكره
او يضع حجرا في فيه اذا جالس حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه وانه يصغي

به الى الغيبة والفضول من الكلام واللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم
بالاعتزال وبالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله تعالى فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من
الحلال فان ذلك مكروه عند الله تعالى ويقوي الشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله تعالى واما باكل الحرام او الشبهة
فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه وما يكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ويتفكر في وجوه الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز
من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله تعالى لا يقبل
صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر فهكذا يتفكر في اعضائه وهذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل
بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها **واما النوع الثاني**
وهو الطاعات فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها
بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحب الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في
ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله وانا قادر على ان
اشغل العين بمطالعة القران والسنة فلم لا افعل وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه
وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا افعل وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع كلام
ملهوف او استماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله تعالى به علي واودعنيه لاشكره فما لي اكفر
نعمة الله تعالى فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد
الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل
كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت
اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا الان فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وكذلك يفتش عن اعضائه
وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله تعالى بها
فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب
مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات **واما النوع الثالث** فهي الصفات المهلكة التي
محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد و
وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد في قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية
امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة
من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب ينالها
من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولها
علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامات على وجودها تفكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان
منشاها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما اذا راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي و
بقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله تعالى وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق
قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته وكذا قدرتي وارادتي فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي

واذا احس

واذا احس بنفسه الكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترى نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك
ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت متقربا الى الله تعالى بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند سوء
الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في
نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات
الله عز وجل والملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصفت به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم
اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب
فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب **واما النوع الرابع** وهو المنجيات فهو التوبة
والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في
الطاعات ومحبة الله تعالى وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع
وذكرنا اسبابها وعلاماتها فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر
الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة
والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد
في الشرع فيه وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال
الشكر فلينظر في احسان الله تعالى اليه واياديه عليه وفي ارساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر
وليطالع ذلك واذا اراد ادخال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب
حكمه وبدائع صنعه كما سنومئ الى طرف منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد ادخال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه
الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه
ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة
في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه هل يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او
يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر اهوال القيامة في قلبه وصورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها
وسلاسلها واغلالها وزقومها وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانهم كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا
لها تغيظا وزفيرا وهكذا الى جميع ما ورد في القران من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر
الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي
يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحدة من هذه الاحوال
كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القران بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات
والاحوال وفيه شفاء للعالمين ففيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال
وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقراه العبد ويردد الاية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى
ولو مائة مرة فقراءة اية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التامل فيها ولو ليلة واحدة فان تحت كل كلمة

منها اسرار لا تحصى لا يوقف عليها الا بدقيق النظر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم وفي كل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تاملها العالم حق تاملها لم
ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح احاد الايات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في
روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة
حكم الاولين والاخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم
ولحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله
تعالى او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة
وتنزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب
عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله
ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ الى النظر في احوال نفسه واوصافه
بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو نظر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال
فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال
فيم انت قال ادور في البوادي اصحح حالي في التوكل فقال قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء
في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن
العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المراة جهازها وتنظيفها وجهها
ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب
فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا
في الاجرة فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت
من اهل الجنة ولكن للمجالسة اقوام اخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي ان تتخذ
ذلك عادتك ووردك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة عن الله تعالى واحوالك المقربة اليه
تعالى بل كل مريد ينبغي ان يكون له جريدة يثبت فيها جميع الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات
ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات عشرة فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء
والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم على الذنوب
والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في
الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشرة مذمومة وعشرة محمودة فمهما
كفي من المذمومات واحدة منها فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياها وتنزه قلبه عنها
ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة
الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة
والندم خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر واما اكثر الناس من المعدودين من الصالحين

فينبغي

فينبغي ان يثبتوا في جريدتهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس
والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر
من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح من الاثام لا يمكن
الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم لها
وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهاره نفسه بالعلم وطلب
الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه
ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات
وان رد كلامه لم يخل عن الانفة والغيظ والحقد على من يرده وهو اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان
عليه ويقول انما غيظك لله تعالى من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم اخر
فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف بالرد والاعراض لم يخل عن تكلف
وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله تعالى لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول
انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب اعلاء لدين الله تعالى فان كان فرحه
بحسن الفاظه وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب
الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات المذمومة ظهر على ظاهره حتى يكون الموقر له والمعتقد
لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما
ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايرون تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان
يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم
بنفسه النجاة منها وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك
ولا مطمع له في سلامة العوام فمن احس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب الخمول والمدافعة
في الفتاوى ومهما سئل فينبغي ان لا يسارع فقد كان في المسجد بحضرة جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتون
وكانوا ابدا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعند هذا ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذا قالوا
لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق وليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني فقد كان معمورا
قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لم ينهدم اركان الاسلام والدين مستغن عني واما انا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي
واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا
بالنار على طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان السجون والخروج منها والاشتغال
بالعلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيامة بل ينتهض لنشره
اقوام لا نصيب لهم في الاخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب
الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق وقال النبي صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب

كما ينبت الماء البقل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه
في دين المرء المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا باعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه
في قلوبهم فليكن فكر العالم في التباعد عنها بامثال هذه الصفات من قلبه وتستنبط طريق الخلاص منه وهذه وظيفة العالم
المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوى ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا
قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا
شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة
بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدي بنا في الحرص على الدنيا
والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت ذنوبنا
معنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسأل الله تعالى ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا
انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العاملين والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع
التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا
بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا وكان
ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب
تلدغه مرة بعد اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق في الكمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه
الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر
كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه **القسم الثاني** الفكر في جلال الله
وعظمته وكبريائه وفيه مقامات المقام الاول الاعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل
تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله تعالى وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر اليه الا الصديقون
ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة الى
الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا لينظر الى بقية نور الشمس فانه يقدر على النظر اليه ولكن لا يطيق
دوامه ويخشى على بصره ولو دام النظر ونظر المختطف يورثنا العمش ويفرق البصر وكذلك النظر الى ذات الله تعالى يورث
الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذن ان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله تعالى وصفاته فان اكثر
العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الاقطار والجهات
وانه سبحانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم
يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعالى عن ان يكون له رأس ورجل ويد وعين
وشخص وعضو وان يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمته وجلاله حتى قال بعض
الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه الاعضاء وهذا
لان الانسان لا يعرف الا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا
على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم ان غايته ان يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة

بل لو كانت للذبابة عقل وقيل له ليس لخالقك جناح ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي
انقص مني افيكون مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران او يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها
وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل وان الانسان جهول ظلوم كفار ولذلك اوحى الله تعالى
الى بعض انبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكرون ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته خطرا
من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر
الى افعاله ومجاري قدره وعجائب صنعه وبدائع امره في خلقه فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقديسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته
وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فننظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا لا نطيق النظر الى الارض مهما
استنارت الارض ونستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان نور الارض من آثار نور الشمس
والنظر الى الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار
قدرة الله تعالى ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذاته
اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس
جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس
حتى يطاق النظر اليه فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا انوار الذات بعد ان تباعدنا عنها
بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله تعالى **بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى** اعلم
ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض
وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان
البحر مدادا لكلمات الله لنفد البحر قبل ان تنفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول
الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى
سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف
اصلها وجملها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا يدرك
بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر فالملائكة والجن والشياطين والمدركات بحس النظر وذلك هي السموات والارض وما بينهما
فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها
من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيواناتها ونباتاتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها
وامطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس المشاهدة من
السموات والارض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا
نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال الفكر
فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا والله عز وجل محركه وفي حركتها حكمة او حكمتان
او عشرة او الف حكمة كل ذلك شاهد لله بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث
على التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى ان في اختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب وكما قال ومن آياته من اول القرآن الى آخره

فلنذكر كيفية التفكر في بعض الآيات فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب
الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها
كيف تطمع في معرفة غيره وقد امرك الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وذكر
انك مخلوق من نطفة قذرة فقال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم
اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال تعالى الم يك
نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى الآيات وقال تعالى الم نخلقكم من ماء مهين الآية وقال تعالى اولم ير الانسان
انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه ثم ذكر كيف جعل النطفة
علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين
الآيات فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة
من ماء قذر لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع
بين الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلوبهما وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج
النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعها في الرحم ثم كيف خلق المولود من النطفة
وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وجعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم
اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم وكيف ركب من اللحوم والاعصاب
والعروق الاعضاء الظاهرة فدور الرأس وشق السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم
رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال
والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه
الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص لو فقدت طبقة منها او زالت صفة من صفاتها
تعطلت العين عن الابصار فلو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجائب والآيات لانقضى فيه الاعمار فانظر الآن الى العظام
وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة
واشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة
بجملة بدنه وببعض اعضائه مترددا في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة
وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض باوتار انبتها من احد طرفي
العظم والصق بالطرف الآخر كالرباط ثم خلق في احد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر نقرا غائصة فيها موافقة
لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها فصار العبد ان اراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر
عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها فقد ركبها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال
والصور فالف بعضها الى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحي الاعلى واثنان
للحي الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا
ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق

بعضها على البعض يطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز
من اربع وعشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة فيتصل من اسفله عظم العصعص وهو ايضا مؤلف من ثلاثة
اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز ثم عظام الفخذين
والساقين واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك ومجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون
عظما سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس
المقصود من ذكر اعداد العظام ان تعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما المقصود والغرض ان
تنظر منها في مدبرها وخالقها وانه تعالى كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص
لانه لو زاد عليه واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحد لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب
ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومدبرها فشتان
بين النظرين ثم انظر كيف خلق الله تعالى الآلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان خمسمائة وتسعا وعشرين
عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها
فاربعة وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت من جملتها واحدة اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات
بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها اعجب من
هذا كله وشرحه يطول وللفكر مجال في آحاد هذه الاجزاء ثم في آحاد الاعضاء ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجائب
اجسام البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان وباطنه الى بدنه وصفاته فترى
فيها من الصنعة ما يقضى به العجب وكل ذلك صنع الله تعالى في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء ما صنعه في ملكوت
السموات وكواكبها وما حكمته في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها
وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات ينفك عن حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا
واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض الى عجائب السموات ولذلك قال الله تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء
بناها فارجع الآن الى النطفة وتأمل حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتأمل انه لو اجتمع الانس والجن على ان يخلقوا للنطفة
سمعا او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا هل يقدرون عليها
بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد ان خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك لو نظرت الى صورة انسان مصورة
على حائط تأنق النقاش في تصويرها حتى قرب من صورة الانسان وقال الناظر اليه كانه انسان عظم تعجبك من صنعة النقاش
وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله مع انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ والقلم والحائط واليد
والقدرة والعلم والارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين الصبغ
والحائط على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وانت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب
والترائب ثم اخرجها منها وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة
الى اجزاء مختلفة فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها واعصابها
وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سببا لبقائها وجعلها سميعا بصيرا عالما ناطقا وخلق لها الظهر اساسا لبدنها

والبطن حاويا للآلات غذائها والرأس جامعا لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئاتها
ثم حماها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الأقذاء عنها ثم أظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع
أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر إليها ثم شق أذنيه وأودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الأذن
لتجمع الصوت فترده إلى صماخها ولتحس بدبيب الهوام إليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول
طريقها فيتنبه من النوم صاحبها إذا قصدها الدابة في النوم ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيهما
حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه ومشاربه وأغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه
وترويحا لحرارة باطنه وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن و
الكسر والقطع فأحكم أصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كأنها الدر
المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام ثم خلق الحنجرة و
هيأها لخروج الأصوات وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطيع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع
طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول
والقصر حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يتميز السامع بعض الناس عن
بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الرأس بالشعور والأصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين وزين الحاجب بدقة الشعر
واستقواس الشكل وزين العينين بالأهداب ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء
والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمه بجذب السوداء عنه والمرارة بجذب الصفراء
عنه والكلية تخدمه بجذب المائية عنه والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الإحليل والعروق تخدم الكبد
في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتدا إلى المقاصد وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس وقسم
كل أصبع بثلاث أنامل ووضع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع ولو اجتمع الأولون والآخرون
على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربعة وتفاوت
الأربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه إذ بهذا صلحت للقبض والإعطاء فإن بسطها كانت له طبقا يضع
عليها ما يريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب وإن ضمها ضما غير تام كانت له مغرفة وإن بسطها وضم أصابعها كانت له مجرفة
ثم خلق الأظفار على رؤوسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تتقطع ولتلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها
الأنامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكة لكان أعجز
الخلق وأضعفهم ولم يقم أحد مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد إلى موضع الحك حتى تمتد إليه ولو في النوم والغفلة من غير
حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في جوف الرحم في ظلمات
ثلاث ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته
فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آلته ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ثم انظر مع كمال القدرة
إلى تمام رحمته فإنه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب
المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج إليه ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا

لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم خالصا سائغا وكيف خلق الثديين
وجعل فيهما اللبن وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن إلا
تدريجا فإن الطفل لا يطيق منه إلا القليل ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع
ثم انظر إلى عطفه ورأفته كيف أخر خلق الأسنان إلى تمام الحولين لأنه في الحولين لا يتغذى إلا باللبن فيستغني عن السن وإذا كبر
لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج إلى الطعام الغليظ ويحتاج الطعام إلى المضغ والطحن فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها
ولا بعدها فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت
الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله تعالى الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف
رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا إما كفورا وإما
شكورا مطيعا أو عاصيا مؤمنا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى هل أتى على الإنسان الآية ثم انكث إلى قوله تعالى إما شاكرا وإما كفورا
فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربوبية فالعجب كل العجب ممن يرى خطا حسنا أو نقشا على حائط
فيستحسنه فيصرف جميع همه إلى التفكر في النقاش والخطاط وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه
ويقول ما أحذقه وما أكمل صنعته وأحسن قدرته ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره
فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها وهو أقرب مجال الفكر
وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام
وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك في معرفة ذلك البهائم والسباع كلها وإنما خاصية الإنسان التي حجبت
البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس إذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة
المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه الرتبة للبهائم ولا لإنسان
رضي من الدنيا بشهوة البهائم فإنه شر من البهيمة بكثير إذ لا قدرة للبهيمة على ذلك وإنما هو فقد خلق الله له القدرة عليها ثم عطلها
وكفر نعمة الله فيها فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا وإذ عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الأرض التي هي مقرك
ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها إلى ملكوت السماء أما الأرض فمن آياتها أن خلق الأرض
فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قرارا لا تتحرك وأرسى فيها الجبال أوتادا
لها لتمنعها من أن تميد ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميعها وجميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم
فقال تعالى والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون وقال تعالى هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا
وأكثر في كتابه عز وجل من ذكر الأرض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للأحياء وبطنها وطن للأموات ولذلك قال الله
ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا فانظر إلى الأرض وهي ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت
عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف
أودع المياه تحتها فتفجرت العيون وأسال الأنهار تجري على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر
ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حيا فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون
ونخل ورمان وفواكه كثيرة مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والروائح يفضل بعضها على بعض في الأكل تسقى بماء

واحد ويخرج من الارض الواحدة فان قلت ان اختلافها لاختلاف بذورها واصولها فمتى كان في النواة نخلة
مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى اراضي البوادي وفتش ظاهرها
وباطنها ترى ترابها فانه تراب متشابه فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا
متشابها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها وكثرة اشكالها
ثم اختلاف طباع النبات وكثرة منافعها وكيف اودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا
يحيي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء
وهذا يقمع البلغم والسوداء وهذا يستحيل اليه وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي
وهذا يضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا نبت الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد يحتاج
في تربيتها الى عمل مخصوص فالنخل يؤبر والكرم يقطع والزرع ينقى منها الحشيش وبعضها ينبت ببث البذر في الارض
وبعضها بغرس الاغصان وبعضها يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اختلاف النبات ومنافعها واحوالها وعجائبها لانقضت
الايام في وصفها فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات ومن آياته
الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع متجاورات فانظر الى الجبال كيف يخرج
منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والنحاس
والرصاص وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل وكيف هدى الله تعالى الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني
والآلات والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه
الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها
حيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييبا لطعامك اذا
تناولته فيتهنأ عيشك وما من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيئا منها عبثا ولا لعبا ولا هزلا بل خلق
الكل بالحق كما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وقال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن آياته اصناف الحيوانات وانقسامها
الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعلى عشر وعلى مائة رجل كما
يشاهد في بعض الديدان ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طيور الجو والى وحوش
البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها
وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة او النحل او العنكبوت تبني بيتها على طرف نهر
فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنها ان تصل الخيط بين طرفيه ثم تبتدي
فتلقي اللعاب الذي هو خيطها على جانب ليلتصق به ثم تعدو الى الجانب الآخر فتحكم الطرف الآخر من الخيط كذلك ثم تحكم ثانيا
وثالثا وتجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكمت معاقد القمط ورتبت الخيوط كاللحمة تشتغل بالسدى
فتضع السدى على اللحمة وتحكم العقد على موضع التقاء السدى باللحمة وتراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة وتجعل ذلك شبكة
يقع فيها البق والذباب وتقعد في زاوية مترصدة لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع صيد بادرت الى اخذه واكله

وهي من صغار الحيوانات في بنيانها بيوتها وفي صيدها الى حاجاتها لم يقدر ان تعرف العنكبوت

وان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه منها بخيط آخر وبقي منكسا
في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمى بنفسه اليه واخذه ولف خيطه على رجله واحكمه ثم اكله وما من حيوان صغير
ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من نفسه او يكون بنفسه او كونه وعلمه ولا هادي ولا معلم
افيشك ذو بصيرة في انه مسكين عاجز ضعيف بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان
الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير
يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا
عن سائر الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط
تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأى حيوانا غريبا ولو دودة تجدد عجبه وقال سبحان الله ما اعجبه
والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها ونظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها
وفوائدها من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم
وآنية لاشربتهم واوعية لاغذيتهم وصوانا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها
حاملة للاثقال قاطعة للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم
محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر
ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القوي القدير فلقد استخرج بالقليل من خلقه صدق الشهادة
من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله
وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى
ان يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته ومن آياته البحار العميقة المكتنفة باقطار الارض التي هي قطعة من البحر الاعظم المحيط
بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البراري والجبال من الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض
مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض والذي فيها فتأمل عجائب البحر فان عجائب
ما فيها من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعته اضعاف سعتها ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات
العظام ما يرى ظهورها في البحر فيظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما يحس بالنيران اذا اشتعلت فيتحرك فيعلم انه حيوان
وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس وطير وبقر وانسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيها اجناس لا يعهد لها
نظير في البر قد ذكرنا اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق اللؤلؤ ودوره
في صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عداه
من العنبر واصناف النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه ثم انظر الى عجائب السفن كيف امسكها الله تعالى على
وجه الماء وسيرها وسير فيها التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن
ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله تعالى في البحر في مجلدات واعجب
من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كانه شيء واحد
لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه

الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ما ومنع لبذل جميع خزائن الدنيا فى تحصيله لو ملكه فاذا شرب ومنع
من اخراجه فيبذل جميع خزائن الارض فى اخراجه فالعجب من الادمى يستعظم الدينار والدرهم ونفايس الجواهر ويغفل عن نعمة
الله تعالى فى شربة ما اذا احتاج الى شربها والاستفراغ منها ببذل جميع الدنيا وما فيها فتامل عجايب المياه والانهار
والابار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متناظرة وايات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلاله
بارئها معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذى لب اما ترانى وترى صورتى وتركيبى وصفاتى
ومنافعى واختلاف حالاتى وكثرة فوائدى اتظن انى تكونت بنفسى او خلقنى احد من جنسى او ما تستحى تنظر فى كلمة مرقومة
من ثلثة احرف فتقطع بانه صنعها ادمى عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهى بالقلم
الالهى الذى لا تدرك الابصار ذاته فلا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك على جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب
السمع والقلب لا للذين هم عن السمع لمعزولون توهمنى فى ظلمة الاحشا مغموسا فى دم الحيض فى الوقت الذى يظهر التخطيط
والتصوير على وجهى فينقش النقاش حدقتى واجفانى وجبهتى وخدى وشفتى فترى التنقيش يظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا
يدرى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجها ولا خبر منها للام ولا للاب ولا للنطفة ولا للرحم افما
هذا النقاش باعجب ممن تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليها مرتين لتعلمته فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس
من النقش الذى يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج
فان كنت لا تتعجب من هذه العجايب ولا تفهم به ان الذى صور ونقش لا نظير له ولا يساويه نقاش كما ان نقشه وصنعه
لا يساويه نقش وصنع وبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين وان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك
فانه اعجب من كل عجب فان الذى اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان حرى بان تتعجب منه فسبحان
من هدى واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصائر احبابه فشاهدوه فى جميع ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب
اعدائه واحتجب عنهم بعزته وتعاليه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه
ومن اياته الهوا اللطيف المحبوس بين مقعر السما ومحدب الارض لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الريح جسمه ولا يرى
بالعين شخصه وجملته مثل البحر الراكد والطيور محلقة فى جو الهوا ومستقلة وسابحة فيها باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر فى
الما وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله تعالى الهوا وجعله ريحا هابة فان
شا جعله نشرا بين يدى رحمته كما قال تعالى وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهوا الى الحيوانات والنبات فيستعد للنما
وان شا جعله عذابا على العصاة من خلقه كما قال تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز
نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهوا ثم شدته وقوته مهما ضغط فى الما فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوى ليغمسه فى الما
فيعجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الما فيرسب فانظر كيف ينقبض الهوا من الما بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة
امسك الله تعالى السفن على وجه الما وكذلك كل مجوف فيه هوا لا يغوص فى الما لان الهوا ينقبض عن الغوص فى الما فلا ينفصل عن السطح
الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة فى الهوا اللطيف كالذى يقع فى بئر فيتعلق بذيل رجل
قوى يمتنع عن الهوى فى البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهوا القوى حتى تمتنع من الهوى والغوص فى الما فسبحان
من علق المركب الثقيل من الهوا اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد ثم انظر الى عجايب الجو وما يظهر فيه من الغيوم

والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهى عجايب ما بين السما والارض وقد اشار القران الى جملته
فى قوله تعالى وما خلقنا السموت والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذى بينهما واشار الى تفصيله فى مواضع شتى حيث
قال والسحاب المسخر بين السما والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة
الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك والبهيمة فى هذه المعرفة تشاركك فارتفع من حضيض عالم البهايم الى عالم الملا
الاعلى فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب اسرارها
وهذا باب يطول الفكر فيه ايضا ولا مطمع فى استقصائه فتامل السحاب الكثيف كيف تراه يجتمع فى جو صاف لا كدورة فيه وكيف
يخلقه الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للما الثقيل وممسك له فى جو السما الى ان ياذن الله تعالى فى ارسال
الما وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذى اراده الله تعالى وعلى الشكل الذى شاء فترى السحاب يرش الما على الارض ويرسله قطرات
متفاصلة لا يدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل ينزل كل واحدة فى الطريق الذى رسم لها لا تعدل عنها
ولا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى تصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والاخرون على ان يخلقوا منها قطرة
او يعرفوا عدد ما ينزل منها فى بلدة واحدة او قرية او شبر من الارض لعجز حساب الجن والانس عنه فلا يعلم عددها الا الذى
اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها من طير ووحش ودود مكتوب على تلك القطرة بخط
الهى لا يدرك بالبصر الظاهر انه رزق الدود والغلانى الذى هو فى ناحية الجبل الفلانى يصل اليه عند عطشه فى الوقت الفلانى
هذا مع ما فى انعقاد البرد الصلب من الما اللطيف وفى تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجايب التى لا تحصى كل ذلك
فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لاحد فيه شرك ومدخل ليس للمومن من خلقه الا الاستكانة والخشوع
تحت جلاله وعظمته سبحانه ولا للعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور
انما ينزل لانه ثقيل بطبعه وانما هذا سبب نزوله ويظن ان هذه معرفة انكشفت له ويفرح به ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذى
خلقه وما خلق الما الذى طبعه الثقل وما الذى يرقى الما المصبوب فى اسفل الاشجار الى اعالى الاغصان وهى ثقيلة بطبعها
فكيف هوت الى اسفل ثم ارتفعت الى فوق داخل تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر فى جميع
اطراف الاوراق فيغذى كل ذرة من كل ورق ويجرى اليه فى تجاويف عروق شعرية صغار يرى منه العرق الذى هو اصل الورق
ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود فى طول الورق عروق صغار فكان الكبير نهر وما انشعب عنها جداول ثم ينشعب من الجداول
سواقى اصغر منها ثم ينتشر منها عروق عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى ينبسط فى جميع الورق ويصل الما فى اجوافها الى
ساير اجزاء الورق ليغذيه وينميه ويربيه ويبقى طراوته ونظارته وكذلك الى ساير اجزاء الفواكه فان كان الما يتحرك بطبعه
الى اسفل فكيف يتحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فان كان ينتهى الاخرة الى خالق السموت والارض وجبار الملك والملكوت
فلم لا يحال عليه من اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن اياته ملكوت السموت وما فيها من الكواكب وهو الامر كله ومن ادرك
الكل وفاته عجايب السموت فقد فاته الكل تحقيقا والبحار والهوا وكل جسم سوى السموت بالاضافة الى السموت كقطرة
فى بحر وانظر كيف عظم الله تعالى امر السما والنجوم فى كتابه فما من سورة الا وهى تشتمل على تفخيمه فى مواضع وكم من قسم فى القران
به كقوله والسما ذات البروج والسما والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب والشمس وضحيها فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس والنجم اذا هوى ولا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجايب النطفة

القدرة يعجز عنها الاولون والاخرون وما اقسم الله بها فكيف ظنك بما اقسم الله تعالى به واحال الارزاق اليه فقال تعالى وفي
السماء رزقكم وما توعدون واثنى على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير فكر وذم المعرض عنه فقال تعالى وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وهم عن اياتها معرضون فاي نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد
محفوظات عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله تعالى محفوظا فقال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال
تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها فانظر الى الملكوت لترى عجائب
العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهائم
تشارك في هذا النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
لا بل كلما تدرك بحاسة البصر فالقران يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت
والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجل ايها العاقل فكرك في الملكوت فعسى تفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك
في اقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدي الرحمن تبارك وتعالى فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر رضي الله عنه حيث قال
راى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء اليك نفسك ثم الارض التي هي مقرك
ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع
بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز الى النظر الى رب العرش
والكرسي والسموات والارض وما بينهما وبينك وبينه هذه المفاوز والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت
بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول
قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا اتفكر والى ماذا اتطلع فارفع الان راسك الى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها
وفي طلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في
حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى ان يطويها الله طي السجل
للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف الوانها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى اللون
الرصاصي ثم انظر كيفية اشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والانسان وما من صورة في الارض
الا ولها مثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع كل يوم وتغرب بسير اخر سخرها له خالقها و
ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولاطبق الظلام على الدوام
على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا
وانظر الى ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى امالته
سير الشمس عن وسط السماء سيره برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوى في وسط السماء اشتد القيظ واذا كان فيما بينهما
اعتدل الزمان وعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشير جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على
الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه
من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة

بل حكم

بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت
الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في الكبر فانت تعرف من كبر الارض واتساع اطرافها انه لا يقدر
ادمي على ان يدركها ويدور في جوانبها وقد اتفق الناظرون على ان الشمس مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها
الكواكب التي تراها اصغرها مثل الارض ثماني مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف
ارتفاعها وبعدها اذ للبعد صارت ترى صغارا ولذلك اشار الله تعالى الى بعدها فقال تعالى رفع سمكها فسواها واشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك فقال بين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد من الارض فانظر الى
كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التي الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا عن ان
تدرك سرعتها لكن لا تشك في انه في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من اول الطلوع اول جزء من كوكب الى تمامه يسير
وذلك الكوكب هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام
وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم
قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة
عام فانظر الى عظم شخصها ثم الى خفة حركتها ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة
العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها
بل انظر الى باريها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة تتدلى بها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه
فالعجب منك انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول
عمرك وانت ابدا تنظر الى هذا البيت العظيم الى ارضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب امتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه
ثم لا تتحدث به ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت بدون البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو ايضا جزء من الارض
التي هي اخس اجزاء البيت ومع هذا فلا تنظر اليه وليس له سبب الا انه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وانت قد
نسيت نفسك وربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك او حشمتك وغاية شهوتك ان تملا بطنك ولا
تقدر ان تاكل عشر ما تاكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك
فينافقون بالسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون
لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من يزيد
جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن ملكوت السموات والارض ثم غفلت عن التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت
والملك وما مثالك ومثال غفلتك الا كمثل نملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين
الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو
قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهو بمعزل عنها وعن التفكر
فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة عن نفسها وغذائها وبيتها الى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه
وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت غافل عن بيت الله وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف
من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرف نفسها او تعرفك وانت لك طريق الى ان تعرف عجائب

تصرك وبدايع صنعة الصانع فيه وأما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت وتعرف من عجايبها فالخلق غافلون عنه ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا اخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفه الانبياء عليهم السلم قليل بالاضافة الى ما عرفه الملائكة المقربون كاسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والانس اذا اضيف الى علم الله تعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وعجزا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي يجول فيها الفكر من المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسبه له توقيرا وتعظيما حتى ان كل كلمة من كلماته او بيت من عجيب شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له من نفسك فكذلك تامل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتاليفه فكل ما في الوجود من خلق الله والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منه ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف اليه ما فصلناه في كتاب الشكر من كان فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله من حيث انه احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل له فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ايضا ينظر فيه ويكون ذلك سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله تعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته واهتدى ومن نظر فيها من حيث تاثير بعضها في بعض

لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدى فنعوذ بالله تعالى من الضلال ونسأله ان يجنبنا

مزلة اقدام الجهال بمنه وفضله وكرمه ورحمته وهدايته انه الكريم الرحيم الوهاب

تم كتاب التفكر ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب ذكر الموت وهو

الكتاب العاشر والحمد لله وحده وصلى الله

على نبينا محمد خير خلقه وعلى اله

وصحبه اجمعين وسلم

تسليما كثيرا

كتاب ذكر الموت وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من جملة كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الاكاسرة، وقصر به امال القياصرة، الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد بالحق فارداهم في الحافرة، فنقلوا من القصور الى القبور، ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والغلمان، الى مقاساة الهوام والديدان، ومن التنعم بالشراب، الى التمرغ في التراب، ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة، ومن المضجع الوثير، الى المصرع الوبيل، فانظر هل وجدوا من الموت حصنا، او اتخذوا من دونه حجابا او حرزا، وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا، فسبحان من تفرد بالقهر

والاستيلاء

والاستيلاء، واستاثر باستحقاق البقاء، واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، ثم جعل الموت مخلصا للانبياء، وموعدا في حقهم للقاء، وجعل القبر سجنا للاشقياء، وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء، فله الانعام بالنعم المتظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والاخرة، والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ذي المعجزات الظاهرة، والايات الباهرة، وعلى اله واصحابه وسلم تسليما. اما بعد

فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود انيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الارض مستقره، والقيمة موعده، والجنة او النار مورده، ان لا يكون له فكر الا في الموت، ولا ذكر الا له، ولا استعداد الا لاجله، ولا تدبير الا فيه، ولا تطلع الا اليه، ولا تعريج الا عليه، ولا اهتمام الا به، ولا حوم الا حوله، ولا انتظار ولا تربص الا له، وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو ات قريب والبعيد ما ليس بات، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه، ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الاخرة والقيمة والجنة والنار وما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقي من العمر الا القليل والخلق غافلون واقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون، ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين

الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب: الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه. الباب الثاني في طول الامل وقصره. الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت. الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين. الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين. الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور. الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور. الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام.

الباب الاول في ذكر الموت والترغيب فيه

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكره كرهه ونفر عنه واولئك من الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم الاية، ثم الناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره ليتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله تعالى بعدا، واما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله تعالى وانما يخاف فوت لقاء الله تعالى لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاء وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا، واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من العيش فسهل علي الموت حتى القاك فاذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة

بل يكون احب الاشياء اليه احب الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى
كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه
ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة **بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات اى نغصوا بها اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى
وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهايم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله
هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت
يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للاخرة والغفلة عن الموت تدعوا الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة
شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة وقال النبي صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا
المسلم حقا المؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه اخلاق المؤمن ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغاير
فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكباير واقامة الفرائض وقال عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس قد
استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال انس قال
النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وخرج النبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال
عليه السلم اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عنده صلى الله عليه وسلم
رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نسمعه يذكر الموت قال
عليه السلم ان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس
واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة
الاخرة **اما الاثار** وقال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن
خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا وكتب حكيم الى اخ له يا اخي احذر الموت في هذه الدار
قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز
يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة فيبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال التيمي شيئان قطعا عني لذة
الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال
مطرف رايت فيما يرى النائم كان قائلا يقول في وسط المسجد في البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم
الا والهين وقال الاشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وامر الاخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امراة اشتكت الى عائشة
رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها
وكان عيسى عليه السلم اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود عليه السلم اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع اوصاله
فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز
لبعض العلماء عظني فقال انت اول خليفة تموت قال زدني قال ليس من ابائك احد الى ادم الا ذاق الموت فقد جاءت

نوبتك

نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره وكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم به ذكر الموت وكان
يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله الشخير ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم
فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت
ضيق العيش وسعه عليك وقال الداراني قلت لام هارون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت ادميا ما اشتهيت
لقاءه فكيف احب لقاء الله تعالى وقد عصيته **بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت** اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة
الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره لا يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت
في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة
مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره
بالدنيا وينكسر قلبه وانفع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت
التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل كيف محى التراب محاسن صورهم وتبددت اجزاؤهم في قبورهم
وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت اثارهم فمهما تذكر رجلا
رجلا وفصل في قلبه حالهم وكيفية موته وتردده نشاطه وتردده في مهماته واملة البقاء ونسيانه الموت وانخداعه بمواتات
الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللعب واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت والهلاك وانه
قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف ينطق وقد اكل الدود لسانه ويضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما
يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم
يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم
وستكون عاقبته كعاقبتهم قال ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ
بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون كل يوم غاديا او رائحا الى الله تعالى تضعونه في صدع من الارض قد
توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو
الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد للموت ويتجافى عن دار
الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التنبيه والتحذير ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي ان
يتذكر في الحال انه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع يوما الى داره فاعجبه حسنها فبكى وقال والله لولا الموت لكنت بك
مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى حتى ارتفع صوته **الباب الثاني**
في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته **فضيلة قصر الامل** قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله
بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن
صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وقال علي كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد ما اخاف
عليكم خصلتين اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا الا ان
الله للدنيا ابناء وللدين ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا
ان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت

ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب
ويبغض وان الله اذا احب عبدا اعطاه الايمان

امر المنذر واطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية فقال ايها الناس اما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله
قال صلى الله عليه وسلم تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري
اشترى اسامة بن زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة
المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض
الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال
يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك
قريب فيقول صلى الله عليه وسلم لعلي لا ابلغه وروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى
جنبه واما الثالث فابعده فقال صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا قالوا الله تعالى اعلم ثم رسوله اعلم قال صلى الله عليه وسلم
هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن ادم ويختلجه الاجل دون الامل وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ابن
ادم والى جنبه تسعة وتسعون منية ان اخطأته المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع
اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يامل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطأته الحتوف
قتله الهرم وهو ينظر الى الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط
خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال صلى الله عليه وسلم هذا الانسان
الخط الذي في الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط تنهشه ان اخطأه هذا نهشه هذا وذاك الامل الخط
الخارج وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن ادم ويبقى منه اثنتان الحرص والامل وفي رواية ويشب منه
اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال النبي صلى الله عليه وسلم نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخرها
بالبخل والامل وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى عليه السلام اللهم انزع منه الامل
فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام اللهم اردد اليه الامل فقام يعمل فساله عيسى عليه السلام
عن ذلك فقال بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت
لي نفسي لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة
قالوا نعم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم قصروا من الامل وتدبروا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ
بك من امل يمنع خير العمل **آثار** وقال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله تعالى من
على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل
نعمتان عظيمتان على بني ادم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق والاسواق وقال الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق
لولا ذلك لم يهنه العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سلمان الفارسي ثلاث
اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه لا يدري اساخط عليه
رب العالمين ام راض عنه وثلاث احزنتني حتى ابكتني فراق محمد وحزبه والاحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي الله تعالى

لا ادري الى الجنة يؤمر بي ام الى النار وقال بعضهم رايت زرارة بن ابي اوفى بعد موته في المنام فقلت اي الاعمال ابلغ عندكم
قال التوكل وقصر الامل وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا بلبس العباء وسال المفضل بن فضالة ربه
ان يرفع عنه الامل فذهب عنه الطعام والشراب ثم دعا ربه ليرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب وقيل للحسن يا ابا سعيد
الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم انا
كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى يضرب عنقه وقال داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرايتني قد اتيت عظيما
وكيف اومل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار وحكي انه جاء شقيق البلخي الى استاذ له يقال له ابو هاشم
الرماني وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات دفعها الي اخ وقال احب ان تفطر عليها فقال
يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا فاغلق دونه الباب ودخل وقال عمر بن عبد العزيز
في خطبته ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله تعالى من
ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري
لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رايت من كان بالدنيا مغترا وانما
تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من امن من اهوال يوم القيامة فاما من لا يداوي كلما الا اصابه جارح من
ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان آمركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم تبدو
فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت
به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احدهما وكتب رجل الى اخ له اما بعد
فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا
طويل والموت من الانسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل ان ينادى بالرحيل والسلام
وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل ان يخطئ امله وراء ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حول فجعل امله بين عينيه واجله
خلف ظهره وقال عبد الله بن سميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته اما رايت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول
المهلة اما رايت ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما تقدم من لذاتك ابالصحة تغترون ام
بطول العافية تفرحون ام الموت تامنون ام على ملك الموت تجترئون ان ملك الموت اذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك
ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت
رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر
منقور فطلب من يقرؤه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن ادم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت
في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك
وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة
والندامة فبكى سليمان وقال كان في كتاب محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي
لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض
بعد ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله معك فلا باس عليك ولا وحشة ولا فاقة وان يكن

نعوذ بالله وأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضطجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار عز وجل
لفصل القضاء بين الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباحت الأسرار وسعرت النار ووضعت الموازين
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق الحمد لله فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج ومعذب ومرحوم فيا ليت شعري
ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر عن الأمل واستيقظ به النائمون وحذر الغافلون
أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا من قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين فإنما نحن به وله والسلام
وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه فقال أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى وإن لكم معادا يجمعكم
الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات
والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة ألا ترون أنكم في أصلاب
الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله تعالى قد قضى نحبه وانقطع أمله
فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد قد خلع الأسلاب وفارق الأحباب وواجه الحساب وايم الله إني لأقول
مقالتي هذه ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته ونهى فيها
عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال القعقاع بن حكيم
قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول
أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي لو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي
شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار وقال أبو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة
وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد
ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم أن أهل الدنيا
جميعا من أهل القبور وإنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون
وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون وروي أن معروفا الكرخي رحمه الله أقام للصلاة قال محمد بن أبي توبة
فقال لي تقدم فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أنك تصلي صلاة
أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع الخير وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله
عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن منها فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله
منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم
في الدنيا ينافس وهو بها قرير عين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين
مصانعه ومغناه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلا وتحزن طويلا وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول
في خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين
كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا

بيان السبب في طول الأمل وعلاجه اعلم أن طول الأمل له سببان أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه
إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها

وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة فيمني نفسه أبدا بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقاء
في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب
وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه فإن خطر له في بعض
الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الأيام بين يديك فإلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول
إلى أن تصير شيخا فإذا صار شيخا قال إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار أو عمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ
عن قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال
أخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول
عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه
إلى التسويف اليوم هو معه غدا وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ
لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها إلا من اطرحها ولذلك قيل فما قضى أحد منها لبانته وما انتهى أرب إلا إلى أرب وأصل
هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم أحبب ما أحببت فإنك مفارقه وأما الجهل
فهو أن الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من
عشر رجال البلد وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد
الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فإنما يقع فجأة وإذا مرض لم يكن
الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وربيع وخريف
ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى
الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن أنه
يشيع جنازة ولا يقدر أن تشيع جنازته لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره فأما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور أن يألفه فإنه لم يقع
وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بد أن تحمل جنازته ويدفن
في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا
فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج
في إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر
وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطير هو الذي يمحو
عن القلب حب الحقير فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطي ملك الأرض من
المشرق إلى المغرب فكيف وليس له من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها
مع الإيمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر
إلى من مات من الأقران والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما
وأما من كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسرانا مبينا فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها
الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر في أن الدود يبتدئ بحدقته اليمنى أولا أو باليسرى فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة

للذود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما يسمعه من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
ومن الحشر والنشر واهوال القيمة وقرع النداء يوم العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه
وتدعوه الى الاستعداد له **بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره** اعلم ان الخلق في ذلك يتفاوتون
فمنهم من يامل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يامل البقاء الى الهرم وهو اقصى
العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في طلب
الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءه فلا يقدر لنفسه
وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فاذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم
من يامل مدة الصيف او الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم
وليلة فلا يشتغل الا لنهاره واما الغد فلا قال عيسى عليه السلم لا تهتموا برزق غد فان يكن غدا من آجالكم فسيأتي فيه
ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم
يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء
ايضا ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذي يصلي
صلاة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ رضي الله عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ايمانه فقال ما خطوت
خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود وهو حبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل
ما هذا فقال انتظر ملك الموت من اي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر
كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم
يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتني
باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة
فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى
منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون
فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحياة له مزيد فليكن
الموت يا مسكين على بالك فان السير حاث بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون
ذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه **بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التأخير**
اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الآخر في شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم
الى شهر او سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل
قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من
مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل ابدا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم
من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مقيدا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب
ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس

شبابك

شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال النبي صلى
الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا آنس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم
بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا النذير
والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال
ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق
من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر رضي الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت انا والساعة
كهاتين وقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود رضي الله عنه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة
يعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي الذي خلق
الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اكثر للموت ذكرا واشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء
الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان
يتقدم او يتأخر في الموت وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال
ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته ومر داود الطائي فسأله
رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الآخرة وقال
المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان يأتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني
وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى
الله تعالى رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرأ هذه الآية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد
فراق اهلك آخر العدد دخولك في قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت او رفقت
بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت رأس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من
ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله
اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد
اظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يجده الجديدان
الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فالتقي عند ربه من ناصح نفسه وقدم
توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى
تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة
ان يكون عمره عليه حجة وان ترديه ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به

بعد الموت حسرة انه سميع وانه بيده الخير وانما فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات
واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور وقال الحسن تصبروا
وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما
بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم من احد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال ابو
عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه علانية
حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذان وتخرجوه
من هذه الاذان فان من راى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد راه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع
له علم فرفع اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون انتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا
واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة
حتى ياتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي وانا سائله يا هذا لا تشغلنك كثرة الناس
عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان الامر
محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عنده

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص
عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو
في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك
استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه
خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع
وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن
لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه
فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح
فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الالم فان كان
في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح
المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك
الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في سائر اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق
ظاهرا وباطنا الا ويصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في سائر اجزاء اللحم واما الجراحات فانما تصيب الموضع
الذي مسه الحديد فقط فكان لذلك الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه
فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة
وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسال عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت لاشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض

بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث
المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد
على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه
واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه
لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير
لونه واربد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه
حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي مواضعهما
وتخضر انامله فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب
نفس الروح المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم
فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق
دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في
قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان قال اذا عاين الرسل فعند ذلك
تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء
قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء عليهم السلام والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام
يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على
الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تعالى ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا
تسالونه فدعوا الله تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني
لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عائشة رضي الله عنها لا اغبط احدا يهون
عليه الموت بعد الذي رايت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انك تاخذ الروح
من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته
والمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة
في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني لاعلم ما يلقى ما منه
عرق الا ويالم للموت على حدته وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة
بالسيف اهون من موت على فراش وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس
الموت افظع هول في الدنيا والاخرة على المؤمن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان
الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المؤمن
من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وان كان للكافر معروف لم يجز به
في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا من المرضى كيف

يجدون الموت فلما امر بجبيل له فاتت كيف تجده فقال كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسي يخرج من ثقب ابرة وقال
النبي صلى الله عليه وسلم موت الفجاة راحة المومن واسف على الفاجر وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة
من شعر الميت وضعت على اهل السموت والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا مات
ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروى ان ابرهيم عليه السلم لما مات قال الله تعالى كيف
وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلم
انه لما صارت روحه الى الله عز وجل قال له ربه كيف وجدت الموت يا موسى قال وجدت نفسي كالعصفور حين يغلى على
المقلا لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروى عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية يسلخ بيد القصاب وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم
هون على سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب على ابيك بعد اليوم
وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير المومنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل
في جوف رجل واخذ منه بكل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وافارقك
الى يوم القيمة فهذه سكرات الموت على اولياء الله واحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات
الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلث الاولى شدة النزع كما ذكرنا الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك
الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة
لم يطق رؤيته فقد روى عن ابرهيم الخليل عليه السلم انه قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها
روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن
الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابرهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى
فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان داود عليه السلم كان رجلا غيورا وكان اذا خرج اغلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امراته فاذا هي برجل في
الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فراه فقال من انت قال انا الذي لا اهاب
الملوك ولا يمنع مني حجاب فقال فانت والله اذن ملك الموت ورمل داود عليه السلم مكانه وروى ان عيسى عليه السلم
مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي
وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو عن حياله ثم خرجت نفسي اليه فياليت
ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية تلقاها العصاة وتلقاها المطيعون
فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو راها في منامه
ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال واما المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روي
عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم واذا برجل
في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك

فقال فمن انت من الملئكة قال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المومن قال نعم فاعرض
عني فاعرض ثم التفت فاذا هو شاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المومن عند
الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الكاتبين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت حتى يتراءا له ملكاه الكاتبان
عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا فان كان فاجرا قالا له لا جزاك
الله عنا خيرا فرب مجلس سوء اجلستنا وعمل غير صالح قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله خيرا فذلك شخوص
بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة
فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك
الموت باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف ارباب الالباب وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم ان مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس بذلك
ان المومن اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه وروي ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو
لما به من اخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى
النار ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم شدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله
ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي منجنة ام بنار وروي في الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت اذهب الى فلان فاتني بروحه لاريحه حسبي من
عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملئكة معهم قضبان الريحان واصول الزعفران
كل واحد منهم يبشره ببشارة صاحبه ويقوم الملئكة صفين بخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع
يده على راسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا
قالوا قد جهدنا فكان معصوما وقال الحسن لا راحة للمومن الا في لقاء الله تعالى ومن كانت راحته في لقاء الله فيوم الموت
يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه
الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله ما افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد
بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلم الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ابدا ولا يبعث لثواب
ولا عقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة
وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته بيان ما

يستحب من احوال المحتضر عند الموت

اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدو والسكون ومن
لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى اما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ارقبوا الميت عند ثلث اذا رشحت جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي رحمة من الله تعالى قد نزلت به واذا غط
غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة
الخير قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم

ما قبلها من الخطايا الذنوب وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة
وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت
زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال
ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد
طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف
فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي الى استثقال التلقين وكراهة للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء
الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل وليس في قلبه غير الله فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان
قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متأسفا على لذاتها وكانت الكلمة
على رأس اللسان ولم ينطو القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشيئة فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل
الله تعالى بالقبول واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل
حسن الظن دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله قال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على هلكة
ولكني ارجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر اهل البيت بتكبيره وقال الله اكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال كيف تجدك
فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله الذي
يرجوا وامنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت امه تعظه كثيرا وتقول له يا بني ان لك
يوما فاذكر يومك فلما نزل به امر الله تعالى انكبت عليه امه فجعلت تقول له يا بني قد كنت احذرك هذا واقول ان لك
يوما فقال يا امه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال فرحمه بحسن ظنه بربه وقال
جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له امه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينه فان فيه ذكر الله
فلعل الله يرحمني فلما دفن رؤي في المنام فقال اخبروا امي ان الكلمة قد نفعتني وان الله قد غفر لي ومرض اعرابي
فقيل له انك تموت فقال الى اين يذهب بي قالوا الى الله تعالى قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال المعتمر بن
سليمان قال ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله تعالى وانا حسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر
للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه تعالى **بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات** يعرب بلسان
الحال عنها قال اشعث بن اسلم سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال
يا ملك الموت ما تصنع اذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان فكيف تصنع قال ادعو
الارواح باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين ودحيت له الارض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث يشاء
قال وهو الذي بشره بانه خليل الله وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت ما لي لا اراك تعدل بين الناس تأخذ
هذا وتدع هذا قال ما انا بذلك باعلم منك انما هي صحف او كتب تلقى الي فيها اسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك
اراد ان يركب الى الارض فدعى بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك طلب دابة فاتي
بها فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر

الى الناس

الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا
عظيما قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال هو سر فادنى له
رأسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي حاجتي واودعهم
قال لا والله لا ترى اهلك وثقلك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم عليه فرد السلام
فقال ان لي حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره وقال انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته علي فوالله
ما كان في الارض غائب احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت لها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا
احب من لقاء الله تعالى قال فاختر على اي حال شئت ان اقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني
حتى اتوضأ واصلي فاقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل
مالا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اروني اصناف اموالي فاتي بشيء كثير من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر اليه بكى تحسرا
عليه فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك فوالذي خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك
قال فالمهلة حتى افرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه وروي ان رجلا
جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل له بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع
اهله وصنع لهم طعاما وكان له سرير فقعد على سريره ورفع احدى رجليه على الاخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس
انعمي لسنين كثيرة فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب
في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا افزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان وقالوا ما شأنك فقال
ادعوا الي مولاكم قالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة اشد من
الاولى فوثب اليه الحرس فقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال
قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ به احدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما انت صانع فاني لست بخارج منها حتى اخرج
نفسك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني ان اتخلى لربي
فانطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلطان بي ويرد المتقون عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس
مجالس الملوك بي وترد المتقون وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك ولو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت يا ابن آدم
من تراب فمنطلق ببر ومنطلق باثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من
الجبابرة ما في الارض مثله ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت بقبض روح
امرأة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد بها
فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء قال
عطاء بن يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة
قال فان العبد ليغرس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري قال الحسن ما من يوم الا وملك
الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى اجله قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة
وبكاء فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب ويقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا انتقصت له اجلا وان لي فيكم

لعودة ثم عوده حتى لا يبقى منكم احدا قال الحسن فوالله لو يروا مقامه ويسمعوا كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم
وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني اسرائيل جالس في منزله قد خلى ببعض اهله اذ نظر الى رجل قد دخل من
باب بيته فثار اليه فزعا مغضبا فقال من انت ومن ادخلك على داري فقال اما الذي ادخلني فربها واما انا فالذي لا يمنع منه
الحجاب ولا استاذن على الملوك ولا اخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فسقط
في يدي الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع اليه راسه متذللا يا ملك الموت فقال له انا ملك الموت قال انا
قال فهل انت ممهلي حتى احدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت انفاسك ونفدت ساعاتك فليس الى تاخيرك
سبيل قال فالى اين تذهب بي قال الى عملك الذي قدمته والى بيتك الذي مهدته قال فاني لم اقدم عملا صالحا
ولم امهد بيتا حسنا قال فالى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين اهله فمن بين صارخ وباك قال يزيد
الرقاشي لو تعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك اكثر وعن الاعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمن بن داود
عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رايته
ينظر الي كانه يريدني قال فما ذا تريد قال اريد ان تخلصني منه فتامر الريح حتى تحملني الى اقصى الهند ففعلت الريح ذلك
ثم قال سليمن لملك الموت بعد ان اتاه زائرا رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب منه لاني كنت
امرت ان اقبض روحه باقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك

الباب الحادي عشر في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده

اعلم ان في رسول الله اسوة حسنة حيا وميتا
وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين اذ لم يكن احد اكرم على الله منه اذ كان خليل الله وحبيبه
ونجيه وكان صفيه ورسوله فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره لحظة بعد حضور منيته لا بل ارسل اليه الملئكة
الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر الى
رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر انينه وترادف
قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره
وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رايت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه اهلا وعشيرا
وهل سامحه اذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان مامورا واتبع ما وجده في اللوح المحفوظ مسطورا
هذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو اول من تنشق عنه وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب
انا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين
وامام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن انا مخلدون او نتوهم انا مع سوء افعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات
بل نتيقن انا جميعا على النار واردون ثم لا ينجو منها الا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لا بل ظلمنا
انفسنا ان كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين اقرب ام الى
المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر
الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد وقائد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد

امره عند الانقلاب الى جنة المأوى قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت امنا
عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله
الله اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين الا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب
الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والكاس الاوفى فاقرؤا على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلم
ورحمة الله وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذ
له في امته وبشره بانه اسرع الناس خروجا اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى تدخلها امته فقال الان
قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبعة ابار ففعلنا ذلك
فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون
واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وظن انه
يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا
اعلم امرا افضل عندي في الصحبة من ابي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي
وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل على اخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت
انه يعجبه ذلك فقلت اخذه لك فاومى براسه اي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله
الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذن والله لا يختارنا وروى سعيد بن
عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه
على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي كرم الله وجهه بمثل ذلك فمد يده
وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نخشى ان تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الراس
يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انه بلغني انكم
تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم وتنعى اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن
بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم
فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا الى اخرها وان الامور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء
امر على استعجاله فان الله تعالى لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم
يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين
فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض
حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء اشد بياضا من اللبن والين من الزبد واحلى
من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب

انه بروه على فليكشف لنساويده الا ما ندو بنبغى فقال العباس يا نبى الله اوص بقريش فقال انما اوصى بهذا الامر وبنا
والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا الى قريش بالناس خيرا يا ايها الناس ان الذنوب تغير
النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا
بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه سل يا ابا بكر فقال
يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبى الله ما عند الله فليت شعرى عن منقلبنا فقال الى
الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى فقال يا نبى الله من يلى غسلك قال رجال من اهل بيتى الادنى
فالادنى فقال نعيم يكفنك فقال فى ثيابى هذه وفى حلة يمنية وفى بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى
ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى
ثم اخرجوا عنى ساعة فان اول من يصلى على الله هو الذى يصلى عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة فى الصلاة على فاول من
يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى الله
عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا افواجا فصلوا على افواجا زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة
وليبدا منكم الامام واهل بيتى الادنى فالادنى ثم زمرة النساء ثم زمرة الصبيان قال فمن يدخل القبر قال زمر اهل بيتى الادنى
فالادنى مع ملائكة كثيرة لا تروهم وهم يرونكم قوموا فادوا عنى الى من بعدى وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال فى اول ربيع
الاول فاذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر يصلى بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا عمر فى
رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
صوته بالتكبير فقال اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله
عنها يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك غلبه البكاء فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس
قال فصلى ابو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر وكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك ويحك ما صنعت بى والله لولا انى ظننت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك ما فعلت فيقول عبد الله انى لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عائشة ما قلت ذلك
ولا صرفته عن ابى بكر الا رغبة به عن الدين وكان فى الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت ايضا ان لا يكون الناس
يحبون رجلا صلى فى مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حى ابدا الا ان يشاء الله يحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون
به فاذا الامر امر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من امر الدين والدنيا وقالت عائشة رضى الله عنها
فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا منه خفة فى اول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين
واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخرجن عنى هذا الملك يستاذن على فخرج من فى البيت غيرى وراسه فى حجرى فجلس وتنحيت فى ناحية البيت فناجى
الملك طويلا ثم انه دعانى فاعاد راسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال ان الله عز وجل ارسلنى وامرنى ان لا ادخل عليك الا باذن فان لم تأذن
لى فارجع وان اذنت لى دخلت واذن لى ان لا اقبضك حتى تامرنى فماذا امرك فقلت كف حتى ياتينى جبريل عليه السلم فهذه ساعة
جبريل قالت عائشة فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا راى فوجمنا وكانما ضربنا بصاخة ما يحيرون اليه شيئا وما يتكلم

احد من اهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملا ناحيتنا قالت وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج اهل
البيت فدخل فقال ان الله يقرا عليك السلم ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذى تجد منك ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا
وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنة فى امتك فقال اجدنى وجعا فقال ابشر فان الله اراد ان يبلغك ما اعد لك
فقال يا جبريل ان ملك الموت استاذن على واخبره فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذى يريد بك
والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح
اذن حتى يجىء فاذن للنساء فقال ادنى يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام
ثم قال ادنى منى راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وهى تضحك وما تطيق الكلام وكان الذى راينا منها عجبا
فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرنى وقال انى ميت اليوم فبكيت ثم قال انى دعوت الله ان يلحقك بى فى اول اهلى وان يجعلك
معى فاضحكنى واذنت بنتها منه فشمها قالت وجاء جبريل فسلم فاستاذن فاذن له فقال الملك ما تامر يا محمد قال
الحقنى بربى الان فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهنى عن الدخول
على احد الا باذنه غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وخرج جبريل فقال عليك السلم يا رسول الله هذا اخر ما انزل
فيه الى الارض ابدا طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الارض حاجة غيرك ومالى فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم
موقفى ولا والذى بعث محمدا بالحق ما فى البيت احد يستطيع ان يحير اليه فى ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما
يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى اضع راسه بين يدى وامسكت بصدره
وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته بترشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة
شىء قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق بابى وامى ونفسى واهلى ومالى ما يلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان
نفس المؤمن يخرج بالرشح ونفس الكافر يخرج من شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول رجل
جاءنا ولم يشهده اخى بعثه الى ابى فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجىء احد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل
وجعل اذا اغمى عليه قال بل الرفيق الاعلى كانت الخيرة يعاد عليه فاذا افاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين
ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضى الله عنها مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف الظهر يوم الاثنين قالت فاطمة رضى الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين
والله لا يزال الامة يصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت يوم الاثنين
مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل على وفيه قتل ابى فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضى الله عنها لما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضج الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب
بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط اخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقى اخرون ومعهم عقولهم واقعد
اخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن اقعد وعثمان فيمن اخرس فخرج عمر على الناس فقال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله وليقطعن ايدى وارجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الموت انما واعده ربه كما واعد موسى وهو اتيكم وفى رواية انه قال يا ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفى هذا واما على فانه اقعد

فلم يبرح البيت واما عثمن فجعل لا يكلم احدا يوخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر
والعباس فان الله تعالى عززهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر جاء العباس فقال والله الذي
لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم
يوم القيمة عند ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنظر اليه فاكب عليه فقبله ثم قال بابي انت وامي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين لقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرج الى الناس فقال يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية
يومئذ وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه
تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعال والمقال فاكب عليه وكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه
ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من
الانبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت سلوة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك
كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون فاما ما لا نستطيع نفيه فالكمد
وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من
السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا ونقل ابن عمر رضي الله عنه انه لما دخل ابو بكر
البيت وصلى واثنى عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا بتسليم رجل على الباب صيت
جلد قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة
فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا وانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا
فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة
وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر هذا الخضر واليسع حضرا النبي صلى الله عليه وسلم وكسوفي القعقاع
بن عمرو وحكاية خطبة ابي بكر رضي الله عنه فقال قام ابو بكر في الناس حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم فحمد الله على كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده وصدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب
وحده فلله الحمد وحده واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع
وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك
وامينك وخيرتك وصفوتك بافضل ما صليت به على خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد
المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم
مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيمة واخلفه فينا في الدنيا انك حميد
مجيد ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم
في امره فلا تدعوه جزعا فان الله تعالى قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عليكم فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا

يشغلكم

يشغلكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم
وقال ابن عباس رضي الله عنه لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم
اما ترى ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا ويوم كذا كذا وكذا وقال الله تعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون
فقال والله لكاني لم اسمع بها في كتاب الله قبل الان لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان
الله حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس
الى ابي بكر وقالت عائشة رضي الله عنها لما ارادوا غسله قالوا والله ما ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم انجرده من ثيابه
كما نجرد موتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل الا واضع لحيته في صدره ثم نادى مناد
ما يدرى من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك فغسل صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى
اذا فرغ من غسله نشف قال علي كرم الله وجهه وانا اعلم قميصه فوق ثيابه لا يخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فازرناه
[illegible] هو قميصه كما نغسل موتانا [illegible] حتى نفرغ منه وان معنا لحنينا
في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ستكفون فهكذا كان وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم [illegible] ولا لبده الا دفن معه قال ابو جعفر [illegible]
[illegible] على القطيفة والحرس ثم وضع عليها في الغاية فلم يترك بعده [illegible] ولا لبنة على لبنة ولا وضع
لبنة على قصبة [illegible] ذكر وفاة ابي بكر الصديق رضي الله عنه واوصاه لما احتضر
ابو بكر جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فكشف
عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما
وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج من الميت وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته وابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع
اليتامى عصمة للارامل فقال ابو بكر رضي الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبا
ينظر اليك فقال قد نظر الي طبيبي وقال اني فعال لما اريد ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه يعوده فقال يا ابا بكر
اوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغك واعلم ان من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن
الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر رضي الله عنه واراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس
له استخلفت علينا فظا غليظا فما تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر رضي الله عنه
فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله في الليل وان له حقا في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل
النافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم
وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيمة باتباع الباطل وخفته
عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل
انا دونهم ولا ابلغ مبلغ هؤلاء وان الله ذكر اهل النار باسوأ اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل
انا افضل من هؤلاء وان الله تعالى ذكر اية الرحمة واية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقي بيده الى التهلكة ولا
يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب احب اليك من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي

فلا يكونن فيها نسب لبعض البيان من الموت وليست بمخرج وقال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر رضي الله عنه اتاه ناس من الصحابة
فقالوا يا خليفة رسول الله زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الافق المبين
قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا
القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدات الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا
للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا
وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك اللهم علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله
بطاعتك اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك ان اشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات العباد
فلا يتحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به
فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم
انك اردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري بالايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها
اليك فاحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاؤه غيرك فانت ثقتي ورجائي ولا حول
ولا قوة الا بالله قال ابو بكر رضي الله عنه كله في كتاب الله عز وجل

وفاة عمر رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون
كنت قائما غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما فاذا لم ير فيهم خللا قال
استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال وربما قرا سورة يوسف او النحل او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع
الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد
يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه
برنسا فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد راى ما رايت واما
نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة
فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت امرت به
معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم قد كنت انت وابوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان
العباس اكثرهم رقيقا فقال ابن عباس ان شئت فعلت اي ان شئت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا
حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول لا باس عليه وقائل يقول
اخاف عليه فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه ثم اتي بلبن فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء
الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت ان ذلك كفاف لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا
ازاره يمس الارض فقال ردوا علي الغلام فقال يا ابن اخي ارفع ثوبك فانه ابقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله
انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه فقال ان وفى به مال آل عمر فاده من اموالهم والا فسل في
بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فسل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عني هذا المال انطلق الى ام المؤمنين عائشة
فقل يقرا عليك عمر السلام ولا تقل امير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع

صاحبيه

صاحبيه فذهب عبد الله فسلم واستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرا عليك عمر بن الخطاب السلام ويستاذن
ان يدفن مع صاحبيه فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه به اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني
فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المؤمنين اذنت قال الحمد لله ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قضيت
فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين
حفصة والنساء تسير معها فلما رايناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستاذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا بكاءها
من داخل فقالوا اوص يا امير المؤمنين استخلف فقال ما ارى احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمن والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء كهيئة
التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذاك والا فليستعن به ايكم ما امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة
من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم
ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو
وان لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يؤخذ من
حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم
ولا يكلفوا الا طاقتهم فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب فقالت
ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لي جبريل عليه السلام ليبك الاسلام
على موت عمر وعن ابن عباس قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل
قد اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله
ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت كثيرا اسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر
ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو واظن ان يجعلك الله معهما

وفاة عثمن رضي الله عنه

الحديث في قتله مشهور وقال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمن لاسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال
مرحبا يا اخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وخوخة في البيت فقال يا عثمن حصروك قلت نعم
قال عطشوك قلت نعم فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي ثم قال لي ان شئت نصرت
عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر
يشحط عثمن في دمه حين خرج ما قال عثمن وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا
قال والذي نفسي بيده لو دعا الله ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا الى يوم القيمة وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت
الدار حين اشرف عليهم عثمن رضي الله عنه فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين البّاكم علي قال فجيء بهما كانهما جملان او
حماران فاشرف عليهم عثمن فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها
ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها
من صلب مالي فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها حتى اشرب من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد
كان قد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها

من صاحب لي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش
العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير
مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك
إلا نبي وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد وروي عن شيخ من ضبة أن عثمان
حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أستعديك عليهم
وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني. **وفاة علي كرم الله وجهه** قال الأصبغ الحنظلي لما كانت
الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية
وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك ولا تجزع من الموت
إذا حل بواديك فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه فجعلت تقول
ما لي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة وقتل أبي صلاة الغداة وعن شيخ من قريش أن عليا كرم الله
وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض
ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين فقال يا أخي لأي شيء تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى علي بن أبي طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك
فقال يا أخي أقدم على أمر لم أقدم على مثله وعن محمد بن الحسين قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه
قام في أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها
واستمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه
ليرغب المؤمن في ثواب الله تعالى وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما. **باب فيما حكي من كلام
المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين** لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال أقعدوني فأقعد فجعل
يسبح الله ويذكره ثم بكى وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علا
بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم
يثق بأحد سواك وروى شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة على معاوية في مرضه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد
فلا أرى الدنيا إلا ... أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا واستلذذنا بعيشنا فما لبثت الدنيا أن نقضت
ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا قد وترتنا وأخلقتنا واستلأمت إلينا فأف للدنيا من دار ثم أف
لها دار ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال أيها الناس إن من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدي
إلا من هو شر مني كما كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد إذا وفى أجلي فول غسلي رجلا لبيبا فإن اللبيب من الله بمكان فلينعم الغسل
وليجهر بالتكبير ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة
أنفي وفمي وأذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتموني في جديدي
ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من
قريش بذي طوى وأني لم أل من هذا الأمر شيئا ولما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا

بيده

يكسب بيدي يوما بيوم ولم أل من أمر الناس شيئا
بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي
فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل
لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال أجدني كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول
مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي
مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده وجلست في بيت آخر
بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنائم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت
وقيل له لما حضره الموت اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه وروي أنه لما ثقل عمر بن عبد
العزيز دعي له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت أيضا
على من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج
يا أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي
إلى أذني فتناولتها اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين
أبشر فقد أحيا الله بك سننا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت
على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقنها حجتها فكيف بكثير مما صنعنا وفاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيرا حتى
قبض ولما قرب وقت موته قال أجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا إله
إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك فقال إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض وحكي عن هارون الرشيد أنه
انتقى أكفانه عند الموت بيده وكان ينظر إليها ويقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المأمون رمادا واضطجع
عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت
ما فعلت وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا
والآخرة وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق في بيته من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم
اغفر لي فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن
قال أقالها قيل نعم قال عسى. **بيان أقاويل جماعة** من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف
رضي الله عنهم لما حضرت معاذا رضي الله عنه الوفاة قال اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب
الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند
حلق الذكر ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك
إنك لتعلم أن قلبي يحبك ولما حضر سلمان بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكي جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا
الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال بل واطرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينيه عند الوفاة
وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون ولما حضر إبراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال أنتظر من الله رسولا يبشرني

بالجنة او بالنار وحضر ابن المنكدر الوفاة فبكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكني اخاف
اني اتيت حسنة حسبتها هينا وهو عند الله عظيم ولما حضر عامر بن عبد قيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت
ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي ما يفوتني من ظما الهواجر وعلى قيام الليل بالشتاء ولما حضر فضيلا الوفاة غشي عليه
ثم فتح عينيه وقال واه بعد سفراه وقلة زاداه ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب
فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال اذكر ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سالت الله
ان يحييني حياة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثاني وقال عطاء بن يسار
تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له نجوت فقال ما امنتك بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل له ما يبكيك قال ابكي كتاب
الله عز وجل قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى اخره
وان امرا هذا اخره لجدير ان يزهد في اوله وقال الجريري كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز
وهو يقرا القرآن فختم فقلت في هذه الحالة يا ابا القاسم فقال ومن اولى بذلك مني وهو ذا يطوى صحيفتي وقال رويم
حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول حنين قلوب العارفين الى الذكر وتذكارهم وقت المناجاة للسر ادبرت
كووس المنايا عليهم فاغفوا عن الدنيا كاغفاء السكر همومهم جوالة بمعسكر به اهل ود الله كالانجم الزهر
فاجسامهم في الارض قتلى بحبه وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري فما عرسوا الا بقرب حبيبهم وما عرجوا من مس بوس
ولا ضر وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان يطير روحه اشتياقا وقيل
لذي النون عند الموت ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي بلحظة وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال الى متى تقولون
وانا محترق بالله وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم هاهنا موضع نظيف يمكن
الانسان ان يموت فيه قال فاشاروا اليه بمكان فكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى الى المكان
ومد رجليه ومات وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها اسكتي فقامت المراة فلما بلغت
باب الدار التفتت اليه وقالت قد مت ووقعت ميتة ويحكى عن فاطمة اخت ابي الروذباري قالت لما قرب اجل ابي علي الروذباري
وكان راسه في حجري فتح عينيه وقال هذا ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنة قد زينت وهذا قائل يقول يا ابا علي قد بلغناك
الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشا يقول وحقك لا نظرت الى سواكا بعين مودة حتى اراكا اراك معذبي بفتور
لحظ وبالخد المورد من حياكا وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري
خادم الشبلي ما الذي رايت منه فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال
وضيني للصلاة ففعلت ونسيت تخليل اللحية وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال
ما تقولون في رجل لم يفت في اخر عمره ادب من اداب الشريعة وقيل لبشر الحافي لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحياة
فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره
ولما احتضر ابو سليمان الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور رحيم فقال لهم الا تقولون احذر فانك تقدم
على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر الواسطي قيل له اوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر بعضهم فبكت امراته
فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة وقال

الجنيد

الجنيد دخلت على سري السقطي اعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا يقول كيف اشكو الى طبيبي ما بي والذي
بي اصابني من طبيبي فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول القلب
محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب ان يك شيء فيه لي فرج فامنن علي به ما دام بي رمق وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت
فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج وجهك المامول حجتنا يوم
ياتي الناس بالحجج لا اتاح الله لي فرجا يوم ادعو منك بالفرج وحكي ان ابا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت
نزعه فسلم فلم يجبه ثم اجاب بعد ساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل
للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم تقترب اجلي ما اخبرتكم به وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه
غير الله حجبته عنه وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت
فانه كان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلام يقول لي اني بكل شيء رفيق ثم طفي
ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا ابا عبد الله
وكيف لا اقلق ولا اجزع واني لا اعلم اني صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته
انه لا يعلم انه صدق الله في شيء من عمله وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول
بمكانك ان يعلمني ما تريد فارفق بي ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تعالى وصنع
من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلثين سنة يعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله
فقال ما احسن غيره ولما حضر الثوري الوفاة قيل له قل لا اله الا الله فقال اليس الى ثم امره ودخل المزني على الشافعي رضي الله
عنهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي
ملاقيا وبكاس المنية شاربا وعلى الله تعالى واردا ولا ادري روحي يصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشا
يقول ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك
اعظما فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما ولولاك لم يغوى بابليس عابد وكيف وقد اغوى
صفيك ادما ولما حضر احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسالة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين
سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا ادري ايفتح بالسعادة او بالشقاوة فاني لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت
بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد على مقتضى حاله
والكل صحيح بالاضافة الى احوالهم رضي الله عنهم

الباب السادس في الاقاويل الواردة في حمل الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم ان الجنازة عبرة للبصير فيها تنبيه وتذكير لاهل الغفلة فانها لا يزيدهم
مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون
او يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم
وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظرن عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان قد
او لعله في غد او بعد غد يروى عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان مكحول الدمشقي اذا

راى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له وقال اسيد بن حضير ما
شهدت جنازة فحدثت نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك
في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما ذا صرت ولا اعلم ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا
ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والان
لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر
اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله
اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الاخر والاهوال التي
بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسال الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين
بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت نظر ابراهيم الزيات الى الناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون
انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن
قال ابو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز
وانشا يقول * تروعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات * كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات
فمن اداب حضور الجنازة التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا ادابه وسننه في فن الفقه
ومن ادابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا
ندري حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته
فحضرها هو وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا ابا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت
وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ويحكى ان رجلا من المنهمكين
في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت
حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملتها الى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار
فراوه كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج اهل البلد فصلى
الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها
الا امراة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما
عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئا من اعمال الخير قالت نعم ثلاثة اشياء كان كل
يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضا ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني انه كان
ابدا لا يخلو بيته عن يتيم او يتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه الى اولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان
يفيق في اثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملاها بهذا الخبيث يعني نفسه فانصرف
الزاهد وقد ارتفع اشكاله من امره وعن صلة بن اشيم وقد دفن لاخ فقال على قبره * فان تنج منها تنج من ذي عظيمة * والا
فاني لا اخالك ناجيا بيان حال القبر واقاويلهم على القبور قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال
من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقال

لعلي كرم الله وجهه ما شانك جاورت المقبرة قال اني اجدهم خير جيران اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون
الاخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال
هذا قبر امي امنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واستاذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد
من الرقة وكان عثمان بن عفان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي اذا
وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر
وان لم ينج منه فما بعده اشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه
فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب الى الله بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن ادم حفرته
فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما ذا اعددت لي وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري
يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت لم
يغتابوني وكان جعفر بن محمد ياتي القبور ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل بينهم والله
وبين جوابي وكاني اكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة
اتفكر في القبر وساكنه انك لو رايت الميت بعد ثلث في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا
تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب
ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستانس في بطن
الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر والله باعماله
الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر
بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا
طويلا ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن ادم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين تجيبه ان اجبته من دنياك
واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك
انما الدواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة ثم يقول يا اهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم
اعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطاء في القبر غدا عطاء في القبر فلا يزال ذلك دابه حتى يصبح وقال سفيان من اكثر ذكر القبر
وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النيران وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في
قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه
يا ربيع قد رجعتك فاعمل وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه للنوم فتقول يا ابن ادم لم لا تذكر
طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل
علي فقال يا ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات
واستحكم فيهم البلاء واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن
من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت

اهلها فكم من نفس بغموم فيها ويروى ان فاطمة بنت الحسين الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت
وكانوا رجاء ثم امسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت
السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الاخر بل يئسوا
فانقلبوا وقال ابو موسى التميمي توفيت امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس
ماذا اعددت لهذا اليوم فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثلثين سنة فلما دفنت اقام الفرزدق على قبرها فقال اخاف
وراء القبر ان لم يعافني اشد من القبر التهابا واضيقا اذا جاءني يوم القيمة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد ادم من مشى الى النار مغلول القلادة ازرقا وقد انشدوا في اهل القبور قف بالقبور وقل على
ساحاتها من منكم المغموم في ظلماتها ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الامن من روعاتها اما السكون لذي
العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها لو جاوبوك لاخبروك بالسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
اما المطيع فنازل في روضة يفضي الى ما شاء من راحاتها والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة ياوي الى حياتها وعقارب
تسعى اليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها ومر داود الطائي على امراة تبكي على قبر وهي تقول عدمت الحياة
ولا نلتها اذا كنت في القبر قد الحدوكا فكيف اذوق لطعم الكرى وانت بيمناك قد وسدوكا ثم قالت يا ابناه
باي خديك بدا الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشات اقول اتيت
القبور فناديتهن اين المعظم والمحتقر واين المدل بسلطانه واين المزكي اذا ما افتخر قال فنوديت من بينهم اسمع
صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو
محاسن تلك الصور فيا سائلي عن اناس مضوا اما لك فيما ترى معتبر قال فرجعت وانا باك ابيات وجدت مكتوبة على القبور
وجد مكتوبا على قبر تناجيك اجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت ايا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع
الدنيا وانت تموت ووجد على قبر اخر مكتوب ايا غانم اما ذراك فواسع فقبرك معمور الجوانب محكم وما ينفع
المقبور عمران قبره اذا كان فيه جسمه يتهدم وقال ابن السماك مررت بالمقابر فاذا على قبر مكتوب يمر اقاربي جنبات
قبري كان اقاربي لم يعرفوني وذو الميراث يقتسمون مالي وما يالون ان جحدوا ديوني وقد اخذوا سهامهم وعاشوا
فيالله اسرع ما نسوني ووجد على قبر مكتوب ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس فكيف
تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس اصبحت يا غافلا في النقص منغمسا وانت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس كم اخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم في الاجداث مندرس ووجد على قبر اخر مكتوب وقفت على الاحبة حين صفت
قبورهم كافراس الرهان فلما ان بكيت وفاض دمعي رات عيناي بينهم مكاني ووجد على قبر طبيب مكتوب قد قلت
لما قال لي قائل قد صار لقمان الى رمسه فاين ما يوصف من طبه وحذقه في الماء مع جسه هيهات لا يدفع عن غيره
من كان لا يدفع عن نفسه ووجد على قبر اخر مكتوب يا ايها الناس كان لي امل قصر بي عن بلوغه الاجل فليتق الله ربه
رجل امكنه في حياته العمل ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل فهذه ابيات كتبت على القبور لتقصير
ساكنيها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر الى قبر غيره فيرى مكانه بين اظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم انهم

يبرحون

يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق انه لو عرض عليهم يوم واحد من ايام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك احب اليهم من
الدنيا بحذافيرها لانهم عرفوا قدر الاعمال وانكشف لهم حقائق الامور فانما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره
فيتخلص عن العقاب وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فانهم انما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على
ساعة من الحيوة وانت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على امثالها ثم انت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها
عند خروج من الاختيار ان لم تاخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رايت اخا لي في الله فيما
يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لان اقدر على ان اقولها يعني الحمد لله احب الي من الدنيا
وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنوني فان فلانا قام فصلى ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا
وما فيها **بيان اقاويلهم عند موت الولد** حق على من مات ولده او قريب من اقاربه ان ينزله في تقدمه عليه منزلة ما لو
كانا في سفر فسبقه ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تاسفه لعلمه بانه لاحق به على القرب وليس بينهما
الا تقدم وتاخر وهكذا الموت فان معناه السبق الى الوطن الى ان يلحق المتاخر واذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد
في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف مائة
فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب
وقال زيد بن اسلم توفي ابن لداود عليه السلم فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الارض ذهبا قيل له
فان لك من الاجر مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا جنة من
النار فقالت امراة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او اثنان قال او اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه ارجى
دعاء واقرب الى الاجابة ووقف محمد بن سليمن على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخاف عليه فحقق رجائي وامن
خوفي ووقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ووقف
اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام
ابوه عمر بن ذر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ما قلت وما قيل
لك ثم قال اللهم هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم وما
وعدتني عليه من الاجر من مصيبتي فقد وهبت له فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك
من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ونظر رجل الى امراة بالبصرة
فقال ما رايت مثل هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن ما يشركني فيه احد قال فكيف
قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم الاضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال الاكبر منهما للاخر تريد ان اريك كيف ذبح ابي الشاة
قال نعم فاخذه وذبحه فما شعرنا به الا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجا الى الجبل فرهقه ذئب فاكله
وخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردني الدهر فامثال هذه المصائب ينبغي ان يتذكر عند موت الاولاد
ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكثر **بيان زيارة
القبور والدعاء للميت** وما يتعلق به زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين
مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم اذن في ذلك بعد

روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الاخرة
غير ان لا تقولوا هجرا وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر امه في الف مقنع فلم ير باكيا اكثر من يومئذ وفي هذا اليوم قال
اذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما اوردناه من قبل وقال ابن ابي مليكة اقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر
فقلت يا ام المؤمنين من اين اقبلت قالت من قبر اخي عبد الرحمن فقلت اليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت
نعم ثم امر بها ولا ينبغي ان يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج للمقابر فانهن يكثرن اللغط على رؤس المقابر فلا يفي خير
زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم
لا بأس بخروج المراة في ثياب بذلة ترد اعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر
وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الاخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة
بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله وقال ابن ابي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة وعن نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر واحد الا وقف عليه وعن
جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في بعض الايام فتصلي وتبكي عنده وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا وعن ابن سيرين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال عليه السلم من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال
كعب ما من فجر يطلع الا نزل عليه سبعون الفا من الملئكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج في سبعين الفا من الملئكة يوقرونه والمستحب
في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى
قال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي وينصرف
وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة ثم يسلم
على النبي عليه السلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل من المسلمين يزور قبر اخيه
ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمن بن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقلت
يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم واردّ عليهم وقال ابو هريرة اذا مر الرجل
بقبر اخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلم وقال رجل من ال عاصم الجحدري رايت
عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة
انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى ابي بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم
فقال هيهات بليت الاجسام وانما نتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله
ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون سائر الايام كلها قال بفضل الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع
يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى يوم الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده
وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة

وقال

وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب
المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيئاتكم وقبل حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل
فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم ات المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينما انا نائم اذا انا بخلق كثير قد جاؤني فقلت من
انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما
هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها قلت فاني اعود الى ذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجراني رايت رابعة
العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار هداياك ياتينا في اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير
قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للمؤمنين الموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور
وخمر بمناديل الحرير ثم اتي به الى الميت فقيل هذه هدية فلان اليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا
كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء
للاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال
اتاني ات بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني به وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء
له قال سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع
ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل ارشدنا رحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت
عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقران
اماما فان منكرا ونكيرا يتاخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه
دونهما فقال رجل يا رسول الله وان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء ولا باس بقراءة القران على القبور روي عن علي بن
موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرا عند
القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول
في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء
ابن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرا عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له
احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرا وقال محمد بن احمد المروزي سمعت احمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب
والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة
فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت راسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكي
يقول لقد اذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا
وما فيها ثم قال جزى الله عنا اهل الدنيا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور امثال الجبال فالمقصود
من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي ان يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار
وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي
عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكانت اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب

جاء النعاد خرجت من القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جاءه لم يلينه
الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك
الاجسام المتغيرة وكاني انظر الى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد وما انكل مرارتها للانفس واشد
تلفها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته
لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلث وقد ادخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على
الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتا البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من
الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما رايته الان ويستحب الثناء على الميت وان لا يذكر الا بالجميل
قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه لا تقعوا فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء لا تسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم
الا بخير فانهم افضوا الى ما قدموا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا
وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليها
شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا باخرى فاثنوا خيرا فقال عليه السلام وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم
عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهداء الله في ارضه وقال ابو هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته اشهدكم
اني قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد خير خلقه
وعلى آله وصحبه اجمعين يتلوه ان شاء الله الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور اعاننا
الله على ذلك وختم لنا منه بخير وعافانا من بلائه ومن سوء الخاتمة وتوفنا على الاسلام انه ارحم الراحمين امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطأوا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر
وانه لا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهو راي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم
الآخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال آخرون
ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر
اصلا وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار ان الموت معناه تغير
حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج
الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات الروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة
الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح فالروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسها بانواع الحزن
والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة
الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد في القبر
ولا يبعد ان تؤخر الى يوم القيامة والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت تضاهي تعطل اعضاء الزمن

بفساد

بفساد مزاج يقع فيه وبسدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة
لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها
واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم وآلام الغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم يبطل منها
العلوم والادراكات ولا بطل منها الافراح والغموم ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك
للعلوم والآلام واللذات فذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة
له كما ان معنى الزمانة خروج اليد والرجل عن ان يكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان
نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احداهما انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب
منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر املاكه ولا فرق بين
ان يسلب هذه الاشياء من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب
مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد في الحالين وانما معنى الموت ان يسلب الانسان عن امواله بازعاجه
الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له شيء في الدنيا يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت
ويصعب شقاؤه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به
فان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل
اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثاني انه ينكشف له بالموت
ما لم يكن مكشوفا له في الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما
ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا
فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر ان يخوض غمرة النار للخلاص
من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن
ويشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة
فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم ياخذ من الدنيا
الا بقدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى فهذه انواع من العذاب والآلام
عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا
المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك
ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة
ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة
عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجل والحياء والتحسر والندم وهذا حال الميت
الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول العذاب نعوذ بالله منه فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب
يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولو البصائر بمشاهدة باطنة
اقوى من مشاهدة العين ويشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف

الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة اما الآيات فما ورد في الشهداء اذ قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والآية نص في ارواح الشهداء ولا يخلو الميت من سعادة او شقاوة وقال النبي صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر وانما يتأخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار ويقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي كرم الله وجهه حرام على كل نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت احدا الا مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن من عذاب الآخرة وقال يعلى بن الوليد كنت امشي مع ابي الدرداء فقلت ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال تقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق للمؤمن من السجن وانما احب قلة المال والولد لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله تعالى وذكره والانس به لا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن دار الغرور وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه وكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق وما اجدر ذلك ان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله تعالى راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوف اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحال فلهذا عظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير وهو امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء

يدل

يدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه يوم احد فقال بلى بشرك الله بالخير فقال ان الله تعالى احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطيكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب يوجد رجل في الجنة يبكي فقيل له لم تبكي وانت في الجنة قال ابكي لاني لم اقتل في سبيل الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل في الله قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف والطرف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا عن الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ايضا ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ووضع لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا قد مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المؤمن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مررنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المؤمنين اذا ماتوا اين هي قال في صور طيور بيض في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان مأواك وفي اي الجسدين كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يترقبون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم يأتكم او ما قدم عليكم فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره وروى ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سألوه عن رجل مات قبله فقال انه قد مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر وكلام الموتى

اما بلسان المقال او بلسان الحال التي هي افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت

حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الغم وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت
تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه القبر مجيب فيقول ارايت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر اذا تحول عليه خضرا ويعود
جسمه نورا وتصاعد روحه الى الله والفذاذ هو الذي تقدم رجلا ويؤخر اخرى فيسره الراوي قال عبيد الله بن عمير الليثي
ليس من ميت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت اليوم
عليك رحمة وان كنت عاصيا فانا اليوم عليك نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج
مثبورا قال محمد بن صبيح بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب واصابه بعض الذي يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها
المخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا
عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت
بمن غيب من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به الى اجله الى القبور وانت تراه محمولا تهاداه احبته
الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت
ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب الاحبار اذا وضع العبد الصالح
في قبره احتوشته اعماله الصالحة الصلوة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملئكة العذاب من قبل رجليه فيقول
الصلوة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال بي القيام لله تعالى عليهما فياتونه من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل
لكم عليه فقد اطال ظماه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب
نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد في سبيل الله لا سبيل لكم عليه قال فياتونه من قبل يديه فيقول الصدقة كفوا عن صاحبي
فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا
طبت حيا وطبت ميتا قال وتاتيه ملئكة الرحمة فيفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى
بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعث من قبره وقال عبد الله بن عمر في جنازة بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره يقول ويحك ابن ادم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني
وهولي فماذا اعددت لي

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من
عذاب القبر ثلثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الاخرة بعث الله ملئكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون
مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وفتحت ابواب السماء فليس فيها باب الا يحب ان يدخل بروحه
منه فاذا صعد بروحه قيل يا رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم
وفيها نعيدكم الاية وانه يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي
الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي اخر فتنة تعرض على الميت فاذا
قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهي معنى قوله عز وجل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا الاية ثم
ياتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله
بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال

ثم ينادي مناد ان افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل
قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملئكة غلاظ
شداد ومعهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء فليس
فيها باب الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ ويقول اي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا ارض فيقول ارجعوه
فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له
يا هذا من ربك وما دينك فيقول لا ادري ثم ياتيه آت قبيح الوجه قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله وعذاب اليم فيقول بشرك الله
بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث فيقول والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت
فجزاك الله شرا ثم يقيض له اصم اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم يقلوها لو ضرب بها جبل
لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من على الارض ليس الثقلين قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له
بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت الا مثلت له عند الموت اعماله الحسنة
واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا حضرته
الملئكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي
مرضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة
وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احضرته الملئكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس
الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فان لها نشيشا ويطوى
عليها المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه قرا قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال اي شيء تريد واي شيء ترغب تريد ان ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشق
الانهار فقال لا لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون
اي يقولها عند الموت قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له
في قبره سبعين ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله
اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعين تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤس
يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم القيمة ولا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات
والعقارب بعدد اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة
ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي باعيانها تنقلب عقارب
وحيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء الحية وارباب القلوب والبصائر
يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه
الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها عند ارباب البصائر واضحة فمن لم ينكشف له حقائقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها
بل اقل درجات الايمان التسليم والتصديق فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا
من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلث مقامات في التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر

والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور
الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل عليه السلم وما كانوا يشاهدونه
ويؤمنون بانه عليه السلم يشاهده وان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة والوحي اهم عليك وان آمنت به وجوزت
ان يشاهد النبي ما لا يشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب
التي تلدغ في القبر ليست من جنس حياتنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة اخرى المقام الثاني ان تتذكر امر النائم وانه
قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه
ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب
حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد المقام الثالث انك تعلم
ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فلو
حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي
اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفه الا بالاضافة اليه ليكون الاضافة
للتعريف بالسبب ويكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب
موذيات ومولمات في النفس عند الموت فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة موذية يضاهي انقلاب العشق
موذيا عند موت المعشوق فانه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه موذيا حتى يرد بالقلب من انواع العذاب ما يتمنى معه
انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار
يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك منه في حياته من لا يرجو استرجاعها منه فماذا
ترى يكون حاله اليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليت لم يكن لي مال قط ولا جاه قط ولا اتاذى به فالموت
عبارة عن مفارقة المحبوبات في الدنيا دفعة واحدة وما حال من كان له محبوب واحد فنهب عنه ذلك الواحد فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فتؤخذ
منه الدنيا ويسلم الى اعدائه ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى فان حب غير الله
يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه الم جميع محبوباته وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة ابد الآباد وذل الرد والحجاب عن
الله تعالى وذلك هو الذي يعذب به نار الفراق الا نار جهنم كما قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم
لصالوا الجحيم واما من لا يأنس بالدنيا ولم يحب الا الله وكان مشتاقا الى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات
فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الامن من الانتقال والزوال ابد الآباد ولمثل
ذلك فليعمل العاملون والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه وبين ان تلدغه عقرب لآثر الصبر على لدغ
العقرب فاذن فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحب الفرس هو الذي تلدغه اذا اخذ منه فليستعد لهذه اللدغات
فان الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمعه
وبصره واعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك اليه فذلك اعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ وهو حي فيعظم عذابه
فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحياة يتسلى باسباب
يشتغل بها وهو كسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود اليه ويتسلى برجاء العوض عنه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسدت

عليه

عليه طرق التسلي وحصل اليأس فاما كل قميص له ومنديل قد احبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متأسفا عليه ومعذبا
به فان كان متخلصا من الدنيا يسلم وهو المعنى بقوله نجا المخفون وان كان متعلقا اعظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف
عليه من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم اخف حسابا من صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله
صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم اخف حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو
حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت
فلست مستقلا الا من الحسرة ولست مخففا الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا
الحيوة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمانوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر انواع عذابه رأى
ابو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني فقال لا تخالف الله فيما يريد قال يا بني زدني فقال يا ابت لا تطيق
قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس قميصا ثلاثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات فاعلم ان في الناس
من لم يثبت الا الاولى وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي كشف
لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى
وعجائب تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب
ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد يجمع عليه هذه الانواع الثلاثة نعوذ بالله تعالى من عذاب الله قليله
وكثيره هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعسر على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك
في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث
عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ يتفكر طول الليل في انه يقطعه بسكين او بسيف او بموسى
واهمل طريق الحيلة في دفع العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عذاب
عظيم او نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب فهو فضول وتضييع زمان بلا فائدة باب سؤال
منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول
الله ربي ومحمد نبيي فيقولان ان كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له في قبره ثم يقال
له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه
ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا وكنت اقوله فيقولان ان كنا نعلم انك تقول
ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وعن عطاء
بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا
لك ثلاثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك
التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق
الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي
مثل عقلي الآن قال نعم قال اذا اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت

عاقل مدرك عالم بالآلام واللذات كما كان لا يتغير منه شيء وليس العقل المدرك هذه الاعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول
ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزى ولا
ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرى عليه العدم
قال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجمل تضربه
الى يوم القيمة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه قال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله الصالحة فاحتوشته فان
جاءه العذاب من قبل رأسه جاءت قراءة القرآن وان اتاه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد
كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلاة والصوم ناحية فيقول
اما اني لو رأيت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان يحاج عنه اعماله الصالحة كما يحاج الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال له
بعد ذلك بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاؤك ونعم الاصحاب اصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس قبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا القبر ضغطة ترد منها حمائله وقالت
عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو سلم او نجا منها احد لسلم سعد بن معاذ وعن انس
رضي الله عنه قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقامة فتبعها النبي صلى الله عليه وسلم فساءنا
حاله فلما انتهينا الى القبر فدخل التبع وجهه صفرة فلما خرج اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا منك شيئا فمم ذلك
قال ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فاخبرت ان الله تعالى قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها
ما بين الخافقين

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار
البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم
الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف به اصلا فانا ان عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف
ختم له وان عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محلها الباطن في القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم
لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته و
مشاهدة ما يجري عليه فاذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما
يدرك بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته واشغاله الدنيا وبقيت
لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها شيء من عالم الملكوت ما لم ينقشع تلك الغشاوة عن عيني قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة
عن اعين الانبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم ولاجل ذلك رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال ابي جابر لما استشهد انه اخبر ان الله
تعالى اقعده بين يديه وليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدات لا مطمع فيها لغير الانبياء والاولياء الذين تقرب درجتهم
منهم وانما الممكن في مثالنا مشاهدة اخرى ضعيفة الا انها مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة في المنام وهو من انوار
النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل
الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر
فساده ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام

طاهرا وهو اشارة الى طهارة الباطن ايضا وهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن
انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى
لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقلما يخلو الانسان عن منامات دلت على امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم
من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر
عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة
ولكن القدر الذي يمكن ذكره هاهنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيه الصور
حقائق الامور وان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح
وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه
نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من كاغد او ورق بل ينبغي
ان تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله تعالى لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذاتهم وصفاتهم
بل ان كنت تطلب له مثالا يقربه الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفها
في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه كأنه حيث يقرؤه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط
حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه واللوح في المثال كمرآة ظهرت فيها الصور
فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة
تقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيه واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل
بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم
الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الاغلب وما دام مستيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه
من عالم الشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب فاذا تخلص منه ومن الخيال
صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة اخرى اذا
ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره
الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني بالمناسبة
التي بين المتخيل والمعنى وامثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين
رأيت كأن بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الصبح فقال نعم
صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص في اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه
مانعا للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى
ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما
الموت هو عجيب من العجائب وهذا انه يشبهه من وجه ضعيف اذ يكشف به الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون
في المستقبل فما ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير
تأخير نفسه اما محفوفا بالانكال والمخازي والفضائح نعوذ بالله من ذلك واما محفوفا بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له

وعند هذا يقال للاشقيا. وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
ويقال افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون والبهم سبحانه
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلماء واحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجايب والايات
ما لم يخطر بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر في خطر تلك الساعة ان الحجاب ماذا يرتفع وما الذي
ينكشف عنه من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظايم
بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسبابنا ودورنا بل اعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة
جميع ذلك يقينا ولكن ليس منا من نفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد المرسلين احبب ما احببت فانك مفارقه
وعش ما عشت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر
سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا لانه قال لو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن بين ان خليل الرحمن تخللت بالمحبة باطن قلبه ولم يمكن من حب غيره
فيه منفسا الخليل ولا حبيب وقد قال لامته ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض
عن الدنيا والحظوظ العاجلة فقد رما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الاخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما
سلكت سبيله ضد اتبعه وبقدر ما اتبعه صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والحقت
بالذين قال الله تعالى فيهم واما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك
يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا لعاجل
الدنيا ثم تطمع ان يكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون
ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الان ما بقي لنا من الكاشفة لاحوال الموتى فانه لم يبق
الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة
في الاخرة فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال النبي عليه السلام من راني فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي وقال الست المقبل وانت
صائم فقال عمر فوالذي نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صائم ابدا وقال العباس كنت ود العمر فاشتهيت ان اراه في المنام فما رايته
الا عند راس الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤفا رحيما وقال
الحسن بن علي قال لي علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك
فقال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفين بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر
عن جابر بن عبد الله انك لم تسال شيئا قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت صديقا
لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله تعالى ان يريني اياه في المنام فرايته
يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام قلت وكيف
ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة تبشرني بولادته امنة اباه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا

فانا بني

فانا بني بذلك ان يرفع عني العذاب في كل ليلة اثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل لا يقوم ولا يقعد ولا
يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجنا ولعرة الى مكة ومعي ابي فلما
انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذا ياتي ات فقال لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه فقمت مذعورا وكشفت الثوب
عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فنمت فاذا على راسي اربعة سودان
معهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال لي قم فقد بيض الله
وجه ابيك فقلت له من انت بابي انت وامي فقال انا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد
ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضي الله عنهما
جالسين عنده فسلمت فجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعوية رضي الله عنهما فادخلا بيتا واجيف عليهما وانا انظر فما كان
باسرع ان خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة
واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله وانكره اصحابه فقال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم وقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم اصحابه ارفعها الى الله
فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي راه وراى الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول لسانك اوردني
الموارد فما فعل الله بك فقال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم قال بعض المشايخ
رايت منصور الدينوري في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك فقال لي برز بين الجنان فقال لي يا منصور هذا استحسنت فيها شيئا
فقلت لا فقال له لو استحسنت فيها شيئا لوكلت اليه ولم اوصلك الي وراى يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي فقيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل وعن منصور بن اسمعيل قال رايت عبد الله البزاز في المنام فقلت ما فعل الله بك
قال اوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقربه فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي
فقلت ما ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان اذكره وقال ابو جعفر الصيدلاني رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك اذا انشقت السماء ونزل ملكان احدهما بيده طست وبيد
الاخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل يده ثم امر حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال
احدهما للاخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى فقلت
يا رسول الله واني احبك واحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم اصبب على يده فانه منهم وقال الجنيد رايت في المنام
كاني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله ما ذا فقلت عمل خفي بميزان وفي قول الملك
وهو يقول كلام موفق والله وروي مجمع في النوم فقيل له كيف رايت الامر فقال رايت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا
والاخرة وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن زياد رايتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان
اراد امرا فعصمت منه فاشخص اليه بعيني وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رايت عطاء
السليمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت في اي
الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية وسئل زرارة بن ابي اوفى في المنام فقيل اي الاعمال افضل
عندكم قال الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رايت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله

قال ما رايت هناك درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال
ابن عيينة رايت اخي في المنام فقلت له يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه لم يغفر لي وقال الطلحي رايت في المنام امراة
لا يشبه نساء الدنيا فقلت من انت فقالت حورا فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى مولاي وسيدي وامهرني فقلت وما مهرك
قالت حبس نفسك عن آفاتها وقال ابرهيم بن اسحق الحربي رايت زبيدة في المنام فقلت ما صنع الله بك قالت غفر لي فقلت
بماذا فقالت بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي وكان سفين
الثوري روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت الاشارات وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال
احمد بن ابي الحواري رايت فيما يرى النائم جارية ما رايت قط احسن منها وكان وجهها يتلألأ نورا فقلت لها مما ضوء وجهك
قالت بذكرك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رايت
الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت الاشارات وذهبت العبادات وما حصلنا الا على ركعتين كنا نصليهما
في الليل ورايت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري
لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي وروي بشر في المنام فقيل له
ما فعل الله بك قال رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رايت في النوم شابا لم ار احسن
منه فقلت من انت قال التقوى قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين قال فالتفت فاذا امراة سودا كاوحش ما تكون فقلت من انت
قالت انا السقم الضحك قلت فاين تسكن قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد
الخراز رايت في النوم كان ابليس وثب علي فاخذت العصا لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف
من نور يكون في القلب وقال المسوحي رايت ابليس في المنام عريانا يمشي فقلت الا تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا
من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد اسقموا جسمي واشار بيده الى
اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاء في متكئا على ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر من خيره وعن ابن عيينة
قال رايت سفين الثوري في المنام كانه يطير في الجنة من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له اوصني فقال
اقلل من معرفة الناس وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة عن عقبة قال رايت سفين الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال
نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد لقد كنت قواما اذا اظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته وزرني فاني منك غير بعيد وروي الشبلي بعد موته بثلثة ايام فقيل له ما فعل الله
بك فقال ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني برحمته وروي مجنون بن عامر بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله
فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين وروي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني فقيل له ما حال عبد الله
بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين وروي بعضهم فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا
وروي مالك بن انس في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمن بن عفان رضي الله عنه عند رؤية
الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت وروي في الليلة التي فيها مات الحسن البصري كان ابواب السماء مفتحة وكان مناديا
ينادي الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض وروي الجاحظ في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال ولا تكتب

بكفك غير شيء يسرك في القيامة ان تراه ورأى الجنيد رحمه الله ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحي من الناس
فقال هؤلاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى مسجد
الشونيزية فرايت جماعة قد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث وروي
النصراباذي بمكة بعد مماته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القاسم ابعد
الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد ورأى عتبة الغلام حورا في المنام على صورة حسنة
فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيئا يحال بيني وبينك فقال عتبة طلقت الدنيا ثلثا لا رجعة
لي عليها حتى القاك وقيل رأى ايوب السختياني جنازة عاص فدخل الدهليز كيلا يصلي عليها فرأى بعضهم الميت في المنام
فقال غفر لي وقال قل لايوب قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقال بعضهم رايت في المنام في الليلة
التي مات فيها داود الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت اي ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي
وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال ابو سعيد الشحام رايت سهل الصعلوكي في المنام فقلت له ايها الشيخ فقال دع
التشيخ قلت تلك الاحوال التي شاهدتها قال لم تغن عنا شيئا قلت ما فعل الله بك فقال غفر لي بمسائل كانت يسال عنها
العجز وقال ابو بكر الرشيدي رايت محمد الطوسي المعلم في المنام فقال قل لابي سعيد الصفار المؤدب وكنا على ان لا نحول
عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره في هذه الجمعة
وقال ابن بكت رايت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت اليس قد مت قال بلى قلت ما صنع الله بك قال غفر لي مغفرة
احاطت بكل ذنب قلت فسفين الثوري قال بخ بخ ذلك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وقال الربيع
بن سليمان رايت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر
علي اللؤلؤ الرطب ورأى رجل من اصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كان مناديا ينادي ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم
وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري على اهل زمانه وقال ابو يعقوب القاري الدقيقي رايت في منامي
رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا قالوا اويس القرني فاتبعته فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت
مسترشد فارشدني رحمك الله فاقبل علي وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاك
منه خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال ابو بكر بن ابي مريم رايت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعل الله بك يا ورقاء فقال نجوت
بكل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله تعالى وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون
فرآها ابوها في المنام فقال لها اخبريني عن الآخرة فقالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل ويعملون
ولا يعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها وقال بعض اصحاب عتبة
الغلام رايت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جئت
الى بيتي فاذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا
الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين وقال موسى بن حماد رايت سفين الثوري في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة
الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا قال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب الدري

في السماء ورأى رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو
في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رضي الله عنه دهمني في هذه الايام امر فضني والمني ولم يطلع عليه غير الله
فلما كان البارحة اتاني آت في منامي فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا
ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت
ذلك فلما ترحل النهار اعطاني الله طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها هذه جملة
من الحكايات التي تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله زلفى فلنذكر بعدها ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور
الى آخر القرار اما في الجنة او النار

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في احوال الميت

من وقت نفخة الصور الى آخر
الاستقرار في الجنة او النار وتفصيل ما بين يديه من الاحوال والاخطار وفيه بيان صفة نفخة الصور وصفة ارض المحشر واهله
وصفة عرق اهل المحشر وصفة طول يوم القيمة ودواهيها واساميها وصفة المساءلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء
ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة
واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم وصفة
طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى به يختم الكتاب ان شاء الله تعالى

صفة نفخة الصور

قد عرفت فيما سبق من شدة احوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة
القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله الاخطار التي بين
يديه من نفخة الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير
ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه احوال واهوال
لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر
الناس لم يدخل الايمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء افئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر
الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه من المصاعب والاهوال بل اذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت
به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت ثم مد اليد لتناوله كان مصدقا
بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له
ان يشتمني وكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بدأني وانما قصور
البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال تلك الامور فلو لم يشاهد الانسان
توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن
التصديق به ولذلك قال الله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال ايحسب الانسان ان يترك سدى
الم يك نطفة من مني يمنى وقال ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه ففي الآدمي مع كثرة عجائبه
واختلاف تركيب اعضائه اعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف تنكر ذلك من حكمة الله تعالى وقدرته من
يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشأة الاولى فان الثانية مثلها واسهل منها
وان كنت قوي الايمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب عن قلبك الراحة والقرار

يشتغل

فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار وتفكر اولا فيما يقرع اسماعهم اعني سكان القبور من نفخة الصور فانها نفخة واحدة
تنفرج بها القبور عن رؤس الموتى فيثبون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدنك من قرنك
الى قدمك في تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي
طال فيها بلاؤهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال الله
تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال الله تعالى
فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير الآية وقال ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة
واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم
ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي الموتى الا هول
تلك النفخة لكان جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات ومن في الارض اي يموتون الا من شاء الله وهو
بعض الملائكة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى الاذن متى يؤمر
فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض
وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من في السموات والارض اي مات كل حيوان
من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت ان يقبض روح جبريل
ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة
ثم يحيي الله اسرافيل فيأمره ان ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون على ارجلهم ينظرون
الى البعث وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثت الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى
يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخ فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا
لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفهين و
الاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم هم اذل اهل الجمع واصغرهم واحقرهم يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك
تقبل الوحوش من البراري والقفاري منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد وحشتها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست
بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت
ثم اقبلت الشياطين المتمردة والمردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى
فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك يا مسكين

صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة الى ارض المحشر وهي ارض بيضاء
قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل
صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم
بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة
ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء عفراء ليس فيها
معلم لاحد قال الراوي العفرة بياض ليس بالناصع وهو النقي عن العشر والخالية ولا معلم اي لا بناء يستر ولا تفاوت ان

البصر ولا تظنن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموت
قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل
الفضة لم يسفك عليها دم قط ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك
اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد فتناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر واظلمت الارض لخمود
سراجها فبينا انت كذلك اذا السماء من فوق رؤسهم تشققت مع غلظها وكثافتها خمسمائة عام والملائكة على حافاتها وارجائها
ارجائها فيا هول ذلك اليوم ويا هول صوت انشقاقها في سمعك وناحيتك ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم
تنهار وتسيل كما تسيل الفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان فصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن
واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس عراة حفاة غرلا
قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض
قال شغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه واعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويومن فيه مع ذلك من النظر
والالتفات الى غيرهم كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم الى الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم وفي طبع الادمي انكار ما لم يانس
ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصوير المشي من غير رجل والمشي بالرجل مستبعد عند من
يشاهد ذلك واياك ان تنكر شيئا من عجائب يوم القيمة بمخالفته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا
ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت واقف عريانا مكشوفا ذليلا
مدحورا متحيرا مبهوتا تنتظر ما يجري عليك من القضاء بالسعادة او بالشقاوة واعظم هذه الحالة فانها عظيمة **صفة
العرق** ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن
وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها
ثم ادنيت من رؤس الخلائق قاب قوسين ولم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به
الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق
ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض
على جبار السموات فاجتمع حر الشمس ووهج الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة
حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع على ابدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم يبلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم
الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه
قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم
ويبلغ اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث قياما شاخصة ابصارهم اربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق
من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس
من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم
من يبلغ فاه واشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر

فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم صح

وكربهم

وكربهم وشدته وان فيهم من ينادي ويقول يا رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد
حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغك العرق فاعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله بحج وجهاد وصيام
وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيمة ويطول
فيه الكرب ولو سلم ابن ادم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر زمانا من عرق
الكرب والانتظار في القيمة فانه يوم عظيم شدته طويل مدته **صفة طول يوم القيمة** يوم يقوم فيه الخلائق شاخصة
ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امرهم يقفون ثلثمائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون شربة ولا تلفح وجوههم
روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقومون مقدار ثلثمائة عام قال عبد الله بن عمرو تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم
وقال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيه اكلة ولم يشربوا فيه شربة حتى اذا انقطعت
اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين انية قد اتى حرها واشتد نضجها فلما بلغ منهم
ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال
دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فانه لا يملكون الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي
له قولا فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك الانتظار والصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من
طال انتظاره في الدنيا المعرق لشدة مقاساته الصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اهون من الصلاة المكتوبة
يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك في الدنيا فالامر اليك والاستعداد
بيديك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الاف سنة فانك لو صبرت
سبعة الاف سنة مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا **صفة يوم القيمة**
ودواهيها واساميها فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت
والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس قد كورت والجبال سيرت والعشار عطلت والوحوش حشرت
والبحار سجرت والنفوس زوجت والجحيم قد سعرت والجنة ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم زلزلت فيه
الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة يوم وقعت فيه الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم رجت الارض رجا وبست الجبال بسا
فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه كل مرضعة عما
ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف الجبال فيه نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسال

عن ذنبه انس ولا جان يوم يمنع فيه الجانين الكلام ولا يسال فيه عن الاجرام بل يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما
احضرت وتشهد بما قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق
اراك قد شبت فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارى العاجز
من قرايتك ان تمجمج القران وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا بان تنشق مرارتك فيما شاب منه شعر سيد
المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القراءة فالقيمة قد ذكر فيها وقد وصف الله تعالى بعض دواهيها واكثر
اساميها لنقف بكثرة اساميها على كثرة معانيها فليس المقصود بتكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولى الالباب
فتحت كل اسم من اسماء القيمة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على ذكر معانيها ونحن الان نجمع لك اساميها
فهي يوم القيمة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسالة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم الزلزلة
ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية
ويوم الازفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص
ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم القضاء ويوم
الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم البعث ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم
ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم النشور ويوم المصير ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم
الدين ويوم اليقين ويوم النشر ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم
الجزع ويوم المنتهى ويوم المأوى ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار
ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم الوعيد ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم
معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه
الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون الى نار جهنم دعا ويوم يسحبون في النار
على وجوههم ويوم تقلب وجوههم في النار ويوم لا يجزي والد عن ولده شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يفر المرء من
اخيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويوم لا مرد له من الله ويوم هم بارزون ويوم هم على النار يفتنون ويوم
لا ينفع مال ولا بنون ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ويوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر
وتظهر فيه الضمائر وتكشف فيه الاستار وتخشع فيه الابصار وتسكن الاصوات ويقل الالتفات وتبرز الخفيات وتظهر
الخطيات وتساق العباد ومعهم الاشهاد ويشيب الصغير ويسكر الكبير ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم
واغلى الحميم وزفرت النيران وييس الكفار وسعرت النيران وتغيرت الالوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الانسان فيا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلائق وفارقت الفجور فكيف
تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل الله الينا سيد المرسلين وينزل علينا الكتاب
المبين ويخبرنا بهذه الصفات ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيمة فيقول اقتربت الساعة
وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة

هذا القران عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد للخلاص من دواهيه فنعوذ بالله
من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع الرحمة **صفة المسائلة** ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الامور والاحوال
فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت في كرب القيمة
وعرقها وشدة عظايمها اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا ان ياخذوا
بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة
عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هولاء الملائكة ارسلوا اليك ليأخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم اشخاصهم
منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على العباد وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون
لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم الماخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة
الفزع فيقولون للملائكة افيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فيفزع من سؤالهم اجلالا لمالكهم عن ان يكونوا فيهم
فنادوا باصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض وقالوا سبحان الله ربنا ما فينا ولكنه ات من بعد وعند ذلك
يقوم الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند
ذلك يصدق الله قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقوله فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام
الغيوب فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الانبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلائق
وكانوا قد علموا فدهشت عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم
في ذلك الوقت صادقون اذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم الى ان يقويهم الله تعالى فيدعى نوح فيقال له هل بلغت فيقول نعم
يا رب فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول الله تعالى هل لك من شاهد فتشهد هذه الامة له بالبلاغ
ويدعى عيسى عليه السلام فيقال له هل بلغتنا انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هيبة
السؤال ثم يقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب
الجوارح وتبهت العقول ويتمنى اقوام ان يذهب بهم الى النار ولا يعرض قبائح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على علام
الغيوب على ملا الخلق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن كل عبد باقبال الجبار لمسائلة
العباد وظن كل واحد انه ما يراد احد سواه وانه المقصود بالاخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار عند ذلك يا جبريل
ائتني بالنار فجاء جبريل وقال يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ان يؤتى
ان نادت وفارت وزفرت الى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهض خزنتها متوثبين على الخلائق غضبا
على من عصى الله تعالى وخالفه فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلات فزعا ورعبا فتساقطوا على ركبهم
وولوا مدبرين يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي الظالمون بالويل والثبور وينادي الغبي نفسي
نفسي فبيناهم كذلك اذ زفرت النيران زفرتها الثانية فيتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا انهم ماخوذين ثم زفرت
الثالثة فتساقط الخلايق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع وانقصمت عند ذلك قلوب الظالمين
فبلغت لدى الحناجر كاظمين فذهلت العقول من السعداء والاشقياء اجمعين وبعد ذلك يقبل الله تعالى على الرسل فيقول

ماذا اجبتم فاذا راوا ما اقيم من السؤال على الانبياء كان شدة الفزع على العصاة تفر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته
وبقي كل واحد منتظرا لامره ثم يوخذ واحد واحد ويساله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وجميع
جوارحه واعضائه قال ابو هريرة رضي الله عنه قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تضارون في روية الشمس
في الظهيرة ليست دونها سحابة قالوا لا قال فهل تضارون في روية القمر ليلة البدر ليس دونه سحابة قالوا لا قال والذي
نفسي بيده لا تضارون في روية الله عز وجل فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل
واذرك تراس وترتع فيقول العبد نعم فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني فتوهم من نفسك
يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله عز وجل يسالك شفاها فيقول لك الم انعم عليك بالشباب
ففيما ابليته الم امهل لك في العمر ففيما افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين اكتسبته وفيما انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت
فيما علمت فكيف ترى حالك وحياتك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك فان انكرت شهدت عليك جوارحك
قال انس رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة
العبد ربه فيقول يا رب الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح على ملا الخلق بشهادة الاعضاء الا ان الله تعالى وعد المؤمن
بان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره سال ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنو احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا
فيقول نعم يا رب فيقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر على
مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيمة فهذا انما يرجوه عبد مؤمن يستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم فلم
يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهونه لو سمعوا فهو جدير بان يجازى بمثله في القيمة وهب انه قد ستر عليك
الم يقرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يوخذ بناصيتك فتقاد وفوادك مضطرب وفرائصك
مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى
الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق اليك ابصارهم فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على
هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم وناداك الله تعالى بعظيم جلاله وكلامه يا ابن ادم ادن مني فدنوت
بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفواد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن افاتها فانكشفت لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن وكم لك
من حصر وعجز فليت شعري باي قدم تقف بين يدي الله تعالى وباي لسان تجيب وباي قلب تعقل ما تقول ثم تفكر في عظيم حيائك
اذ ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني اذ بارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل
اكنت اهون عليك من سائر خلقي استخففت بنظري اليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فماذا غرك مني انسيت
انظني ادراك وانك لا تلقاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويساله رب العالمين ليس بينه وبينه
حجاب ولا ترجمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له الم اوتك

مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق
احدكم النار ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو احدكم
بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين يا ابن ادم الم اكن رقيبا عليك وعلى عينيك وانت تنظر بهما الى ما
لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك وهكذا حتى عد سائر الاعضاء وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيمة من بين يدي الله
عز وجل حتى يساله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل به وعن جسمه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما
انفقه فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك بين يدي الله تعالى بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا
اغفرها لك في الاخرة فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الاولون والاخرون واما ان يقال للملائكة خذوا هذا العبد
السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه فعند ذلك لو بكت عليك السموات والارض لكان ذلك جديرا لعظم مصيبتك وشدة حسرتك
على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت به من اخرتك بدنياك الفانية التي لم تبق معك **صفة الميزان** ثم لا تغفل
عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الشمائل والايمان فان الناس بعد السؤال ثلث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار
عنق اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار فينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها
وقسم اخر لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل
ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى فينادى عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم ولكن ياتي الله تعالى الا ان يعرفهم
حقيقة ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان
وتشخص الابصار الى الكتب ايقع في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان ايميل الى جانب الحسنات او الى جانب السيئات وهذه
حالة هائلة يطيش فيها عقول الخلائق روى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان راسه في حجر عائشة فنعس فذكرت
الاخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الاخرة
هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال والذي نفسي بيده في ثلث مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين
ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن ادم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر ابيمينه ياخذها ام بشماله وعند الصراط وعن
انس رضي الله عنه قال يؤتى بابن ادم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت
يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد
بعدها ابدا وعند خفة كفة الميزان الذي للحسنات تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فياخذون نصيب
النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيمة انه يوم ينادي الله تعالى فيه ادم يا ادم قم فابعث بعث النار فيقول كم بعث
النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمع اصحابه ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة
فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ما عند اصحابه قال اعملوا وقاربوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده انكم لمع خليقتين ما
كانتا مع احد الا كثرتاه مع من هلك من بني ادم وبني ابليس فقالوا وما هما يا نبي الله قال ياجوج وماجوج قال فسري
عن القوم وقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع
الدابة **صفة الخصماء ورد المظالم** قد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فريق ثقلت موازينه

فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هيه نار حامية واعلم انه لا ينجو عن خطر الميزان
الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم
قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط
من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل من كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم
حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا ياخذ بيده
وهذا يقبض بناصيته وهذا يتعلق بتلبيبه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزات بي وهذا يقول ذكرتني
في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسات جواري وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني
واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا
يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم ورد المظالم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشب
فيك الخصماء مخالبهم واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم
او جالسته بمجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او جناية او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق
الرجا الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم اذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم
فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار فتذكر ما انذرك الله تعالى به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم
وافئدتهم هواء وانذر الناس فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسراتك
في ذلك اليوم اذ وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وانت فقير مفلس عاجز مهين لا تقدر ان
ترد حقا او تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من هو المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس
من امتي ياتي يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة وياتي وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا
فيعطى من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك
في هذا اليوم اذ ليس تسلم لك حسنة من آفات الريا ومكائد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك
واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك
من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية سيئاتك من اكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات فكيف ترجو الخلاص
من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى ابو ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى شاتين ينتطحان
فقال يا ابا ذر اتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيمة وقال ابو هريرة في قوله تعالى
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطير
وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسناتك التي طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت
الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول

يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم
في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر اصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس ان تعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات
فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيمة بامثال الجبال من الطاعات فيرى انهن ستنجيه فما يزال عبد يجيء فيقول
يا رب ان فلانا ظلمني مظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى ما يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا
بفلاة من الارض معهم حطب فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما
نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال ابو هريرة يا رسول الله ايكرر علينا ما كان
بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد
فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد يوم القيمة عراة غرلا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم
ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ولا لاحد من اهل النار وعنده مظلمة حتى
اقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما ناتي الله تعالى عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد
باخذ اموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله تعالى خاصة فالمغفرة
اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم فقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر
ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه
الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رايناه يضحك حتى
بدت نواجذه فقال عمر رضي الله عنه ما يضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان جثيا من امتي بين يدي الله
تعالى رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب لم يبق من حسناتي شيء
فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله تعالى للطالب
ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع راسه وقال يا رب ارى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي
هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال الله تعالى لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال وما هو قال
عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد اخيك وادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله وهو
اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف لك حتى عفي عنك وايقنت
بسعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها
شقاوة وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار واشرق كما يشرق
القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا راسك خاليا من الاوزار ظهرك ونسيم النعيم وبرد الرضا يتلالا من جبينك
وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك

وينادون على رؤوس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا افترى ان هذا
المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك وان كنت تعلم انه خير
منه بل لا نسبة اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة باخلاص صافي ونية صادقة في معاملتك مع الله تعالى فلن يدرك ذلك
الا به وان يكن الاخرى والعياذ بالله تعالى بان خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك عليها
فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم يغضب الملائكة لغضب الله
تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين وعند ذلك تسارع اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك
بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملا الخلق وهم ينظرون الى سواد وجهك
والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي
الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها
ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله او طلبا للمكانة من قلوبهم وخوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم جهلك
اذ تحترز من الافتضاح عند طائفة يسير من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم مع التعرض لسخط الله
وعقابه الاليم والسياق بيدي الزبانية الى سواء الجحيم فهذه احوالك وانت تعد لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط

صفة الصراط ثم تفكر بعد هذه الاهوال والاحوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون والناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط
وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على
صراط الاخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط وتردى
فتفكر الان فيما يحل بك من الفزع بفؤادك اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك
شهيق جهنم وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك من المشي صح على بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه احدى رجليك
فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار
بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون فيتسفل الى جهة النار رؤوسهم وتعلو ارجلهم فيا له من منظر ما
افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر بالاوزار تلتفت
يمينا وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون والرسول عليه السلام يقول سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم
لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت واويلاه هذا ما كنت اخاف
فيا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيا منسيا ليتني لم تلدني امي فعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله تعالى وينادي
المنادي اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الان عقلك وهذه الاخطار
بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد
له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذ لم يبعثك على السعي في طلب رضاء الله تعالى بطاعته وترك معاصيه
فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم فيكون اول من يجيز بامته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى

الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رايتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله
قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى تختطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل
ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف
تختطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح
ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا
فاما اهل النار الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما الناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحما
ثم يؤذن في الشفاعة الحديث وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الاولين والاخرين لميقات
يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينظرون فصل القضاء وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين
قال ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورا على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيده ومنهم مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى نوره اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره صح
من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفأ مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا
اظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر على الصراط كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر
كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض النجم ومنهم من يمر كشدة الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره
على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يدا وتعلق يدا وتعلق رجلا وتجر باخرى وتصيب جوانبه
النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله ما لم يعط احدا اذ نجاني منها
بعد اذ رايتها فينطلق به الى غدير عند باب الجنة فيغتسل منه وقال انس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لاخذ بحجزتي واني لاقول
يا رب يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثيرة فهذه اهوال الصراط وعظائمه فطول فيه فكرك فان اسلم الناس
من اهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فان الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين فمن خاف هذه في الدنيا امنها في الاخرة
ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك
فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف من شيء هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى
ويحثك على طاعة الله وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبقت السنتهم الى الاستعاذة وقالوا استعنا
بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده
سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا راى انياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين
بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغني ذلك من السبع وكذلك اهوال
الاخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون لك مقصود سوى الله ولا معبود سواه ومن اتخذ
الهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه وان عجزت عن ذلك كله فكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حريصا على تعظيم سنته واقواله وافعاله وهيآته واداب وحركاته وسكناته ومتشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته ومتبركا
بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة اذا كنت قليل البضاعة **صفة الشفاعة** اعلم
انه اذا حقت النار على جماعة من طوائف المؤمنين فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين بل شفاعة

العلماء والصالحين وكل من له عند الله جاه وفضل واخلاص في معاملته فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه
فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميا اصلا فان الله تعالى خبا ولايته في عباده
فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصية اصلا فان الله تعالى خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله تعالى فيها
ولا تستصغر طاعة اصلا فان الله تعالى خبا رضاه في طاعته فلعل رضا الله تعالى فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة الطيبة او النية
الحسنة او ما يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن
العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم عليه السلم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ثم رفع يديه
وقال امتي امتي ثم بكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض
مسجدا وترابها لي طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة
وبعثت الى الناس عامة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم
من غير فخر وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع بيدي
لواء الحمد تحته آدم ومن دونه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه
فاقف قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة ويبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي امتي فيقول الله تعالى
يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار حتى
ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من بقية وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاشفع يوم القيمة
لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال ابو هريرة اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش
منه نهشة وقال انا سيد الناس يوم القيمة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون
من يشفع لكم الى ربكم فيقول الناس بعضهم لبعض عليكم بآدم عليه السلم فيأتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه وامر الملئكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم ان
ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلم فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله تعالى عبدا شكورا
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم خليل الرحمن فيأتون الى ابرهيم عليه السلم فيقولون انت نبي الله وخليله
من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا بعده مثله
واني كنت كذبت ثلث كذبات فذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه السلم فيقولون
يا موسى انت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب

اليوم

اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله واني قتلت نفسا ولم اؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون الى
عيسى عليه السلم فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا
الا ترى الى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم النبيين وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي
ثم يفتح الله تعالى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك وسل تعطه واشفع
تشفع فارفع راسي فاقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب
الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة
كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابرهيم عليه السلم وهو قوله
في الكوكب هذا ربي وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم وهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولآحاد
امته من العلماء والصالحين شفاعة ايضا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي
اكثر من ربيعة ومضر وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة
ولاهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة
يشرف يوم القيمة على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من
انت فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك
فيسأل الله تعالى ويقول يا رب اني اشرفت على اهل النار فقام الي رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت من انت قال
انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي بها فشفعني فيه فيشفعه الله تعالى فيؤمر به فيخرج من النار وعن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا
وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وقال ابن عباس رضي الله عنه
جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى عليه السلم
كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله تعالى فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلقة الجنة فادخلها ومعي فقراء المؤمنين وانا
اكرم الاولين والآخرين **صفة الحوض** اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله تعالى بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت
الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظمأ
ابدا قال انس رضي الله عنه اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال آية
انزلت علي آنفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله

ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي تعالى في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيمة عليه آنية عدد نجوم
السماء وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما
هذا يا جبريل فقال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بين لابتي حوضي مثل ما بين صنعاء والمدينة او مثل ما بين المدينة وعمان وروي ان عمر رضي الله عنه لما نزل قوله
تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى
من العسل واطيب ريحا من المسك يجري في جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان قال عليه السلام ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوانه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا اول الناس ورودا
عليه فقراء المهاجرين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون
المتنعمات ولا يفتح لهم السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد
الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن رأسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول
الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته اكثر عددا من نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب
منه لا يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني ارجو ان اكون
اكثرهم واردة هذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا
ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع
الصواعق الى اوان الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله تعالى ان ينبت له
الحب والفاكهة فهذا مغتر ومتمني وليس من الراجين في شيء وهذا حال اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله تعالى من الغرور
والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم واهوالها ونكالها نعوذ بالله منها ايها الغافل عن نفسه المغرور بما انت فيه من شواغل هذه الدنيا
المشرفة على الانقضاء دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك اخبرت بان النار مورد للجميع اذ قيل
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فانت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر
في قلبك هول ذلك المورد واهوالها فعساك تستعد للنجاة بالتشمير لاعمالها وتأمل حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي يوم
القيمة ما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها واقفين ينظرون حقيقة انبائها وتشفيع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين
ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة يفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن المجرمون
بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق الانبياء على انفسهم من سوء المنقلب فخرج المنادي من الزبانية قائلا اين فلان بن فلان
المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد
ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة
الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم
الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت

وجوههم

وجوههم من ظلم المعاصي ينادون بين اطباقها يا مالك قد حق بنا الوعيد يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا
الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين مناص ولا امان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤوا
فيها ولا تكلمون لو اخرجتم لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدين فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم
الندم ولا ينفعهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن ايمانهم والنار عن
شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران
وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون فيها وفي مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي
بهم النيران كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوقهم الحميم يصهر به ما في بطونهم و
الجلود ولهم مقامع من حديد وتهشم جباههم فيتفجر الصديد من افواههم فينقطع من العطش اكبادهم وتسيل على الخدود
احداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
وعريت من اللحم عظامهم فيبقى الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنشر في لفح تلك النيران يتمنون الموت فلا يموتون
فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم اشد سوادا من الحميم واعميت ابصارهم واخرست السنتهم وقصمت ظهورهم
وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمعت بين نواصيهم الى اقدامهم وهم يمشون
على النار بوجوههم ويطؤون حسك الحديد باحداقهم ولهيب النار سار في بواطن احداقهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة
بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم وانظر الآن في تفصيل اهوالهم وتفكر اولا في اودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد سبعون الف شعبة في كل شعبة سبعون الف حيات وسبعون الف عقرب
لا ينتهي الكافر والمنافق حتى تواقع ذلك كله وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن
قيل يا رسول الله وما وادي الحزن او جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة اعده الله للقراء المرائين
فهذه سعة جهنم وانشعاب اوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي
بها يعصي العبد الرب تعالى بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم فانظر الآن الى عمق
الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا ينتهي هاوية
من جهنم الا الى هاوية اعمق منها قال ابو هريرة رضي الله عنه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال صلى الله
عليه وسلم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن حين انتهى
الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات بان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا تتفاوت فمن منهمك
مستكثر كالغريق فيه ومن خائض فيه الى حد محدود فكذلك تنال النار لهم تتفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة
فلا يترادف انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد جزء معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت
عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيمة
ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر بمن شدد عليه ومهما تشككت في
شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم
ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها

حرها بما هم فيه وعن مجاهد عن بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها
اهل الدنيا بل صح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال امر الله تعالى حتى اوقد النار الف سنة حتى احمرت
ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اشتكت
النار الى ربها فقالت اكل بعضي بعضا فاذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما يجدونه في الصيف
من حرها واشد ما يجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال انس بن مالك رضي الله عنه يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار
في النار غمسة ثم يقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فيقال اغمسوه
فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رايت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة رضي الله عنه لو كان في المسجد مائة الف
او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا به وقال بعض العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم النار اي تلفحهم لفحة فما تبقى
لحما على عظم الا القته عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق
قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض هذا
شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى احدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال
تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون
شرب الهيم وقال ايضا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون
ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال الله تعالى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال الله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما
ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا
لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه في ذلك وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا
فيما رغبكم الله تعالى واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها
طيبها لكم ولو كانت قطرة من النار في دنياكم التي انتم فيها خبثتها عليكم وقال ابو الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثوا بالطعام من ضريع الاية ذا غصة
فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيدفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا
دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم
فيقولون ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين
الا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش
انبئت ان بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون ربنا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال
فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا في الزفير والحسرة والويل قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا
شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم يقول الله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب هذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الان الى حيات جهنم وعقاربها وشدة

سمومها

سمومها وعظم اشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة
قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله تعالى مالا ولم يؤد زكاته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع
له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما
آتاهم الله من فضله الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها
اربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة كذلك وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا
البخل وسوء الخلق وايذاء الناس فمن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم يمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في عظم اجسام اهل النار
فان الله تعالى يزيد في اجسامهم واشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببها فيحسون بلفح النار ولدغ الحيات و
العقارب من جميع اجزائها دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس
الكافر في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره
والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيمة يتوطاه الناس
وهم مع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار كرات فيتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا كما كنتم فيعودون كما كانوا ثم تفكر الان في بكاء
اهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول القائهم في النار قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى ينقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يبقى في وجوههم كهيئة الاخدود
لو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح
ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربعة فاذا كانت الخامسة
لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله
تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا
اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين
من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تعالى
اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم في قوله تعالى
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة كانه كبش املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة
خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد الف عام وليتني كنت ذلك الرجل
ورؤي الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم
على الجملة وتفصيل غمومها واحزانها ومحنتها وحسراتها لا نهاية لها فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب
حسرة فوت الجنة وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا ذلك كله بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوها الا بشهوات
حقيرة في الدنيا اياما قصيرة وكانت غير صافية بل مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم واحسرتا كيف اهلكنا انفسنا

بعصياننا ربنا كيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا وبقينا الان في جوار رب العالمين
متنعمين بالرضى والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها
ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة ولم يعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيمة
بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا
ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريتنا
ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم
واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس
ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتم من الثواب المقيم قال احمد بن حرب ان احدنا
يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من بدن صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق
النار يصيح وقال داود عليه السلام الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت عذابك فانظر
يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان الله تعالى خلق النار باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر
قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري الاشارة به الى يوم القيمة ولكن
ما قضي الامر يوم القيمة بل في الازل ولكن اظهر يوم القيمة ما سبق به القضاء فالعجب منك كيف تضحك وتلهو وتشتغل
بمحقرات الدنيا ولست تدري ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري ماذا موردي والى ماذا مآلي ومرجعي
وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك
فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد الخير الا ويحيط
العوائق فيدفعه عنك ولا تقصد شرا الا ويسر لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة
المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الايتين
وقد عرفت مستقرك من الدارين **القول في صفة الجنة واصناف نعيمها** اعلم ان تلك الدار التي عرفت همومها
وغمومها تقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد من احداهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر
الخوف من قلبك بطول الفكر في النعيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط
المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون
من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين
على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات
الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها
تتبعها سبعون الفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ
والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان
قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم
خدام وولدان كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق

عند

عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد
مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون
آمنون فهم فيها يتنعمون ويتمتعون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها من فضة
وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور
ويؤتون باكواب واي اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج بالسلسبيل العذب
كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين
صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة
احداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين
التغيير الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع
الامن من الموت والجوع والعطش وسائر اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يؤثر عليها ما
التصرم والتنغص من ضرورته كيف واهلها ملوك آمنون وفي انواع السرور ممتعون لهم فيها ما يشتهون ولهم في كل يوم
بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر الى الله تعالى من اللذة ما لا ينظرون معه الى سائر
نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم مع الدوام بين اصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون قال ابو هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا فذلك
قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء
بيان الله بيان واقرأ من قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان
اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الآن تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتامل اولا عدد الجنان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة
بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين
من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الصيام
دعي من باب الريان ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر
رضي الله عنه والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن
عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به
فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من اذى وباس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير
اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر بما
اعد الله لك من الكرامة كذا ثم قال فينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه

الذي كان يدعى به في الدنيا فالت انت دابته فيقول انا دابته وهو باقي فيستخفها الفرح حتى يقوم الى اسكفة بابها فاذا
انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه
فاذا مثل البرق ولولا ان الله تعالى قدره لالم ان يذهب بصره ثم يطأطئ راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة ونمارق
مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكؤا فقالوا الحمد لله الذي هدينا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدينا الله ثم ينادي
مناد تحيون ولا تموتون ابدا وتسمون ولا تطعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتي يوم
القيمة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك ثم تامل الان
في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة
والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوت ظاهر فكذلك مما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات فاجتهد
ان لا يسبقك احد بطاعة الله فقد امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال وسابقوا الى مغفرة من ربكم
وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل
عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها
من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل
ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا
المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من افاق السماء وان ابا بكر
وعمر منهم وانعما قال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا
انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات
والسرور ما لا عين رات ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله لمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام
وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وساخبركم
عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه او رد عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام
ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الاخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى
الليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة
في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت
سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة
سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما ياتي على ذلك كله **صفة
حائط الجنة** وارضها واشجارها وانهارها تامل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها بالقناعة
بالدنيا عوضا عنها فقد قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة
ترابها زعفران وطينها مسك وسئل عليه السلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله تعالى الخمر في الاخرة فليتركه في الدنيا ومن سره ان يكسوه الله الحرير في الاخرة

فليتركه

فليتركه في الدنيا انهار الجنة تتفجر من تحت تلال او من تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل
الدنيا جميعا وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام
لا يقطعها فاقرؤا ان شئتم وظل ممدود وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله تعالى ينفعنا بالاعراب
ومسائلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله تعالى في القران شجرة موذية وما كنت ارى في الجنة شجرة موذية تؤذي صاحبها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال هي السدر فان له شوكا فقال اليس قال الله تعالى في سدر مخضود فقال النبي صلى الله
عليه وسلم خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تتفتق الثمرة عنها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الاخر
وقال جرير بن عبد الله نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا
النطع فاظله فانطلق فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله في الدنيا ورفعه الله يوم القيمة
ثم قال ما الذنب الذي لا يغفر قلت لا ادري قال الظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت
في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصلها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر **صفة لباس
اهل الجنة** وفرشهم وسررهم واراءكهم وخيامهم قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها
حرير والايات في تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من يدخل الجنة ينعم لا يبوس لا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض
القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضحكون من جاهل سال عالما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تشقق عنها
ثمر الجنة مرتين وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة يلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر
لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون انيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان
يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا
وفي رواية على كل زوجة سبعون حلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان
ان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا
في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراه الاخرون رواه البخاري في الصحيح وقال ابن عباس الخيمة درة مجوفة طولها فرسخ في فرسخ
لها اربعة الاف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة
قال ما بين الفرشين كما بين السماء والارض **صفة طعام اهل الجنة** بيان طعام اهل الجنة مذكور في القران من الفواكه
والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من احبار اليهود فقد ذكر سؤالا الى ان
قال فمن اول الناس اجازة يعني على الصراط قال فقراء المهاجرين فقال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال
زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على اثرها فقال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين
فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا

فانه من تواضع لله

القاسم الست تزعم ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر بهذا خصمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي يأكل ويشرب
تكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وقال حذيفة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان في الجنة طيرا كامثال البخاتي فقال ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها الذي يأكلها وانت
ممن يأكلها يا ابا بكر وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب
كل صحيفة فيها لون ليس في الاخرى وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون
صرفا وقال ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر شرابهم لو ان رجلا من اهل
الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها **صفة الحور العين والولدان** وقد تكرر ذكره
في القران وما فهم وورد الاخبار بزيادة يشرح فيه روى انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة
في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان
امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ولملات ما بينهما ولنصيفها على راسها خير من الدنيا بما فيها يعني
الخمار وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها
في خدرها اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها
بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت الجنة
موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل
ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استاذن ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط
ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله
تعالى وازواج مطهرة يعني من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمخاط والمني والولد وقال الاوزاعي
في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاض الابكار وقال رجل يا رسول الله ايباضع اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة
في اليوم الواحد افضل من سبعين منكم قال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم كل خادم
على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة الاف
بكر وثمانية الاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا ما فيها
بيع ولا شرى الا الصور من الرجال فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجمع الحور العين يرفعن باصوات لم تسمع
الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبوس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له
وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى في روضة يحبرون قال السماع في الجنة قال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الحور في الجنة يتغنين نحن الحور الحسان خبئنا لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور تغنيانه باحسن صوت يسمعه الانس والجن وليس
بمزمار الشيطان لكن بتحميد الله وتقديسه تعالى **باب جمل متفرقة من اوصاف اهل الجنة** وردت الاخبار بها قال

اسامة

اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا هل من مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور
يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا
ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض
عليه وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اوتيت بفرس
من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال له رجل اخر ان الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله
ان ادخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة في الجنة ليشتاق الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما
في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة
جرد مرد بيض جعد مكحلون ابناء ثلث وثلثين على خلق ادم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت
كما بين الجابية الى صنعاء وان عليهم التيجان وان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال النبي صلى الله عليه وسلم
نظرت الى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت
قالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال كعب خلق الله ادم بيده وكتب
التوراة بيده وغرس اشجار الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة
ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال رمانها مثل الدلاء وان انهارها لمن ماء غير اسن وانها
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام ولا تصدع
منها الرؤوس وان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمين ابناء ثلث وثلثين سنة
في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء كحل جرد مرد قد امنوا العذاب واطمأنت بهم الدار وان انهارها لتجري على
رضراض من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من
مسيرة خمسمائة عام وان لهم فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وازواجهم
الحور العين كانهن بيض مكنون وان المرأة لتأخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين
حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشاء ورشح
مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل بكر الغدو على الازواج والرواح على الغد وان اخر من يدخل
الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره
حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين الف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون
ليس في الاخرى يجد طعم اخره كما يجد طعم اوله وان له في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت
ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه
وان ارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد بن المسيب ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة

سواد من ذهب وسواد من فضة وسواد من لؤلؤ وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان في الجنة حورا يقال لها العيناء اذا مشت
مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال يحيى بن معاذ
الرازي ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب
الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى **صفة الرؤية والنظر الى
وجه الله تعالى** قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى
التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وتشهد لنا الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده
اهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم
ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
فافعلوا ثم قرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وتخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله تعالى موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا وما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض
وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون الى وجه الله تعالى فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر
اليه وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهي غاية الحسنى ونهاية النعماء وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة
فليسوا بنعيم وليس لسرور اهل الجنة غاية عند سعادة اللقاء بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء والنظر وقد
اخرنا الكلام ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق والرضى ولا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة سوى لقاء
المولى فاما سائر نعيم الجنة فانه يشاركه البهيمة المسرحة في المرعى **ختم الكتاب** بما في سعة رحمة الله تعالى على
التفاؤل به وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله
صلى الله عليه وسلم في التفاؤل ونرجو ان يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم
في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره مما ادعينا واظهرنا من العلم والبصيرة
بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد
وعدناه انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا فاستعملناها في معصيته ونستغفره من كل تصريح
وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كان منا ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تكلف وتصنع تزينا للناس في
كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا
هذا او كتبه او سمعه ان يكرم بالرحمة والمغفرة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فان الكرم عميم والرحمة واسعة
والجود على اصناف الخلائق فائض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لله عز وجل مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون

واخر

واخر تسعا وتسعين رحمة الى يوم القيمة يرحم بها عباده ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج الله تعالى كتابا من تحت
العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثلا اهل الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجلى الله لنا يوم القيمة ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار يهوديا
او نصرانيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يشفع الله تعالى آدم يوم القيمة من جميع ذريته في مائة الف الف وعشرة آلاف
الف وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيمة للمؤمنين هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول
ولم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
يوم القيمة اخرجوا من النار من ذكرني يوما او خافني في مقام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار
ومن شاء الله معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم
اذ انتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله تعالى ما قالوا فيامر باخراج من كان في النار من اهل
القبلة فيخرجون فاذا رأى الكفار ذلك قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى
ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى استغاث بك فرعون فلم تغثه فوعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت
عنه وقال سعد بن بلال يامر الله يوم القيمة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى ذلك بما قدمت ايديكما وما انا
بظلام للعبيد ويامر بردهما الى النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما
ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت من وبال المعصية ما لم اكن لاتعرض لسخطك ثانية
ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني اليها بعد ما اخرجتني منها فيامر بهما الى الجنة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من تحت العرش يوم القيمة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته
لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس رضي الله عنه
يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذكم منها وهو يريد ان يوقعكم فيها
فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت
فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير الا حدثتكموه
الا حديثا واحدا وسوف احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا
كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول ان لك
عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول
يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر حديث طويل
تصف فيه القيمة والصراط ان الله تعالى يقول للملئكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون

خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد الخدري يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث
فاقرؤا ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله تعالى شفعت الملائكة
وشفع النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا
حمما فيلقيهم في نهر من انهار الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون
مما يلي الحجر او الشجر ما يكون الى الشمس اصفر وابيض وما يكون الى الظل ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى
بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة
بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا
من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط
عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس قال خرج الينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم يمر النبي ومعه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه
الرهط فرايت سوادا كثيرا فرجوت ان يكون امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل انظر فرايت سوادا كثيرا فقيل
لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا انما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله هؤلاء ابناؤنا فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة
فقال سل الله تعالى ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام اخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها
عكاشة وعن عمرو بن حزم الانصاري قال غيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا لا يخرج الينا الا لصلاة مكتوبة
ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث حادث قال لم يحدث
الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه
الثلثة ايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا لا حساب
عليهم قال قلت يا رب فتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق وان زنا
قال وان سرق وان زنا وشرب الخمر وقال ابو الدرداء قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان
فقلت وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال وان رغم انف ابي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
كان يوم القيمة اعطى كل مؤمن رجل من اهل الملل فقيل هذا فداؤك من النار وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث
عمر بن عبد العزيز عن ابيه عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه النار
يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحلف له وروي انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد في يوم صائف شديد
الحر فبصرت به امراة في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها ثم

الفت

الفت ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها
قالوا نعم قال فان الله تعالى ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة
فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى فنرجو من الله عز وجل ان لا يعاملنا
بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله بمنه وسعة جوده انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين

تم كتاب ذكر الموت والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على رسوله محمد

خير خلقه وعلى اله وصحبه اجمعين وغفر الله لمصنفه

وكاتبه ولجميع المسلمين ولمن قال امين

انه ارحم الراحمين والحمد لله

رب العالمين

الحمد لله على التمام، والصلوة والسلام، على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم سيد الانام، وعلى اله واصحابه
التابعين لهم الى يوم القيام، ورضي الله تعالى عن سائر العلماء الاعلام، قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب
المستطاب، نفعنا الله تعالى بعلوم اسراره يوم يقوم الحساب، ضحوة يوم الثلثا من شهر شعبان الشريف
لسنة ثلث وعشرين ومائتين بعد الالف، من هجرة من له العز والشرف، على يد العبد الفقير الى رحمة ربه
القدير، الحافظ احمد بن حافظ علي الادرنوي، غفر الله له ولوالديه ولاستاذه ولمشايخه ولمن له حق
علينا ولجميع المسلمين برحمتك يا ارحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين، آمين آمين يا معين

تم تم